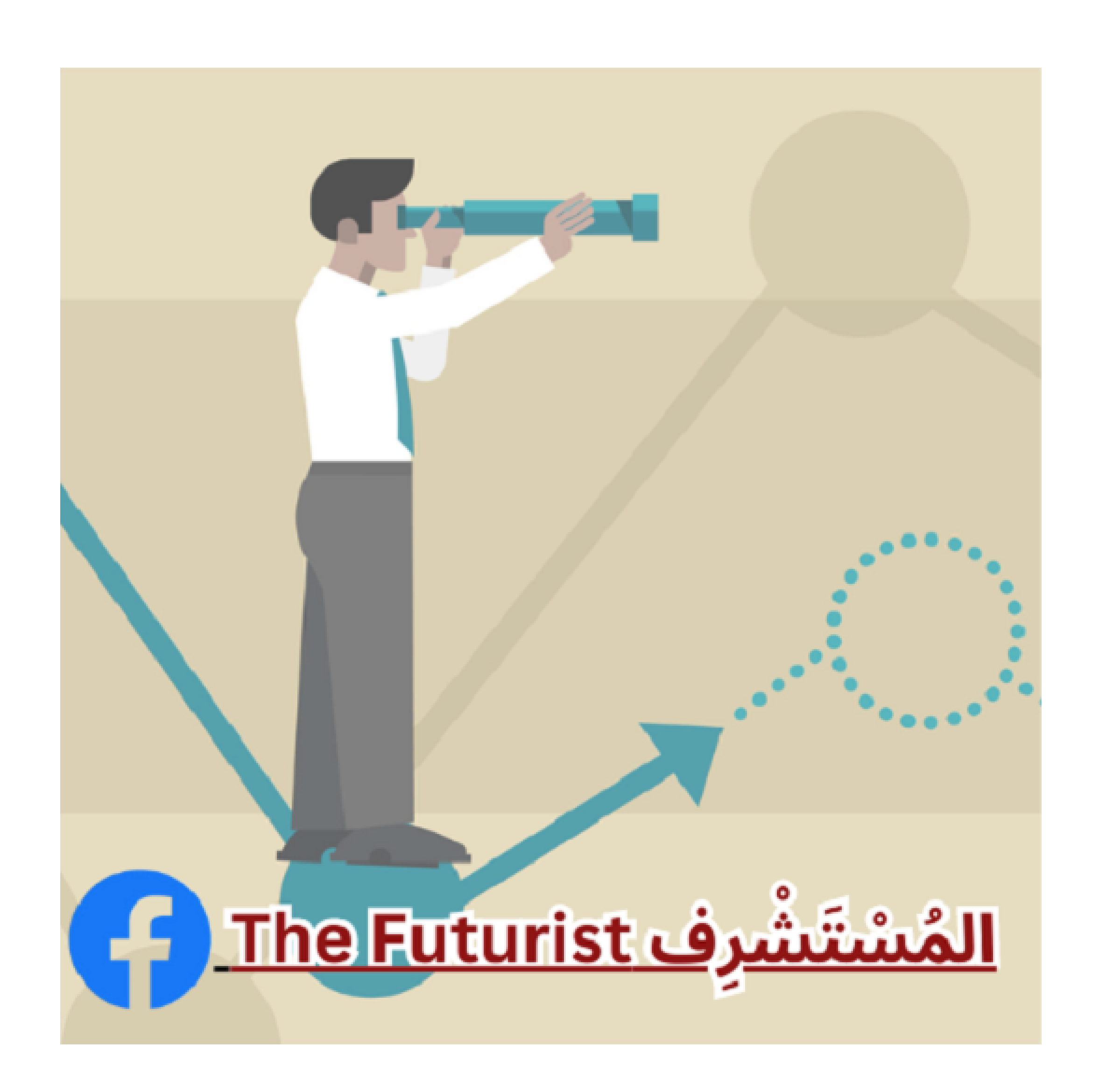




قصة

الاكتشاف الجغرافي

كيف أصبح العالم معروفاً؟


The Futurist المُسْتَشْرِف

قصة

الاكتشاف الجغرافي

كيف أصبح العالم معروفاً؟

تأليف: جوزيف جاكوبز

ترجمة وتحقيق: حسين حمد حسين الفقيه



Qindeel | قنديل

The story of the geographical statements
How did the world become known?

Joseph Jacobs

قصة الاكتشاف الجغرافي
كيف أصبح العالم معروفاً؟

ترجمة وتحقيق: حسين حمد حسين الفقيه

موافقة « **المجلس الوطني للإعلام**» في دولة الإمارات العربية المتحدة
رقم: MC-02- 01-0318293 تاريخ 2017/12/24
ISBN: 978 - 9948 - 39 - 036 - 7


Qindeel | قنديل
للطباعة والنشر والتوزيع
Printing, publishing & Distribution

ص. ب: 47417 شارع الشيخ زايد
دبي – دولة الإمارات العربية المتحدة
البريد الإلكتروني: info@qindeel.ae
الموقع الإلكتروني: www.qindeel.ae

الطبعة الأولى: آذار / مارس 2018 م – 1439 هـ

المحتويات

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر

الفصل الحادي عشر

الفصل الثاني عشر

مُقدِّمة المؤلف

قصة الاكتشاف الجغرافي

كيف اكتُشف العالم؟ بمعنىً آخر: كيف اكتسبت مجموعةٌ محددة من البشر – عاشت حول البحر الأبيض المتوسط – فنّ تسجيل ماتعلّمه كلّ جيل، وأصبحت على علمٍ تامٍّ بأجزاء أخرى من العالم ؟! فكلّ جزءٍ من الأرض – حسب ما نعرف – كان مأهولاً بالإنسان، خلال الخمسة آلاف أو الستة آلاف سنة، فيما كان الأوروبيون يُسجلون معارفهم لكلّ زمن عن ساكني كلّ جزء. وبطبيعة الحال، كان سكّان كلّ جزءٍ يعرفون هذا الجزء الخاص بهم، فقد عرف «الكامتشاتكيون» (كامتشاتكا Kamtschatka)، وعرف «الجرينلانديون» (جرينلاند Greenland)، والقبائل المختلفة لهنود شمال أمريكا، عرفوا – على أية حال – جزءاً من الجانب الآخر لأمريكا، والذي تجوّلوا فيه قبل «كولومبوس» بفترةٍ طويلة، أو كما نقول: لقد اكتشفوه مسبقاً.

وفي معظم الأحيان، فإنّ هؤلاء «المتوحشين» لم يكونوا يعرفون بلادهم الخاصة بهم فقط؛ بل كانوا يستطيعون أن يعبّروا عن معرفتهم بالخرائط بدقّةٍ رائعة جداً، فالمستكشف «كورتيس» Cortes عَبَرَ أكثر من ألف ميلٍ وسط أمريكا، مستدلاً فقط بخريطة «كاليكو» Calico

(مرسومة على قماشٍ قطنيّ) أخذها من زعيمٍ مكسيكي محلّي «أسكيمو» يُدعى «كالليهيري» Kalliherey، قام- بمعرفته الخاصة- برسم الساحل الواقع بين «قناة سميث» Smith Channel والرأس «كيب يورك» Cape York. وثمة خريطةٌ منها تختلف في تفاصيلها الدقيقة فقط مع مخطط إمارة البحر، وقد قام مواطنٌ تاهيتي يُدعى «توبايا» Tupaia برسم خريطةٍ للمحيط الهادئ للكابتن «كوك» Cook، وتمتدّ على مسافة خمسٍ وأربعين درجةً من خطّ الطول (ما يقرب من 3000 ميل)، حيث أعطت الحجم النسبيّ لموقع الجزر الرئيسة على تلك المنطقة الضخمة للمحيط. كما أنّ كلّ الاكتشافات الجغرافية تقريباً، من قِبل الأوروبيين- وبأسلوبٍ مشابه- قد أُنجزت بواسطة أدلاء يعرفون الموطن الذي أراد بالضرورة الأوروبيون «**اكتشافه**».

لذا، فالذي نعنيه بتاريخ الاكتشاف الجغرافي، إنما هو التقدّم التدريجي في معرفة حضارات الأمم التي كانت تحيط بالبحر الأبيض المتوسط، في تلك المساحات الشاسعة من الأراضي التي تمتدّ في كلّ الاتجاهات. وبشكلٍ رئيس، ثمة قسمان من تاريخ هذا الاستكشاف: اكتشاف العالم القديم، وكذلك الحديث، متضمّناً أستراليا، ما دون الفترة المتأخرة، ومع ذلك فنحن نقول عن الاكتشاف الجغرافي إنه في الحقيقة: «الكشف عن قبائل جديدة من البشر»؛ وفي الآونة الأخيرة فقط، سعى الرجال إلى معرفة الأراضي الأخرى، بصرف النظر عن البشر الذين يقطنون فيها. قد يقول أحدهم: إنّ تاريخ الاكتشاف الجغرافي- على نحوٍ صحيح- قد بدأ مع القبطان «كوك»، وإنّ الدافع لتلك الرحلات كان فضولاً علمياً بحتاً، ولكن، قبل ذلك، أراد البشر- في حينه- أن يعرف أحدهم الآخر، لسببين أساسيين هما: أنهم أرادوا الغزو، أو أنهم أرادوا التجارة، أو ربما نستطيع أن نختصر الدوافع في سببٍ واحد، وهو: أنّهم أرادوا الغزو،

لأنهم أرادوا المتاجرة. وفي يومنا الحاضر، نرى خليطاً من ثلاثة دوافع جديرة بالملاحظة، نتج عنها التقييم الأوروبي لأفريقيا، ولعلّ الحدث الأجدر بالملاحظة كان في القرن التاسع عشر، وهو أن «سبيك» Speke و«بورتون» Burton و«ليفينغستون» Livingstone و«ستانلي» Stanley، قد قاموا بتحرّي الداخل، لحبّهم للمغامرة والمعرفة، وعندئذٍ جاءت الشركات التجارية المؤجرة الكبيرة، وأخيراً جاءت الحكومات التي أعلنت للعالم المتحضّر مسؤوليتها عن هذه الأراضي. وخلال أربعين عاماً، كانت خريطة أفريقيا، بشكلٍ عملي، عبارةً عن فراغٍ من الداخل، وعندئذٍ سيظهر ما كان معروفاً في العام 1680م، أكثر ممّا كان معروفاً في العام 1850م، فقد امتلأت بالكامل تقريباً بالبحوث العلمية، بسبب دوافع الغزو، أو التجارة، أو الفضول العلمي.

في مراحله السابقة- آنذاك- كان تاريخ الاكتشاف الجغرافي، بشكل رئيس تاريخاً للغزو، فما الذي يجب علينا أن نفعله لنغطّي تاريخاً مختصراً للعالم القديم؟ ومن وجهة نظرٍ أخرى، إلى أيّ مدىً أصبح العالم معروفاً. قد تتساءل:«أصبح معروفاً لمن؟». ونحن ينبغي أن نقرّر ذلك السؤال أوّلاً، إذا استطعنا بالطبع أن نأخذ أقدم عملٍ جغرافي معروف لدينا، وهو «**السفر العاشر للتكوين**»، ونحلّ مسألة كيف أصبح باقي العالم معروفاً لليهود، عندما أصبحوا جزءاً من الإمبراطورية الرومانية، ولكن في التاريخ «**كلّ الطرق تؤدّي إلى روما**»، أو بعيداً عنها، فمن المفيد لكلّ غرض أن نأخذ روما كنقطةٍ مركزية لنا، إلا أنّ روما جاءت كوريثٍ فقط للإمبراطوريات السابقة التي نشرت معرفة الأرض والإنسان، طوال فترات الغزو، قبل أن تصبح روما ذات أهمية؛ وحتى الرومان- عندما كانوا سادة هذا الميراث الواسع- لم يكونوا هم أنفسهم يملكون القدرة على تسجيل المعرفة الجغرافية، وهكذا فقد أُحرزت هذه المعرفة لرجلٍ

يونانـيّ يُدعـى «بطليمـوس» Ptolemy، وهـو أسـتاذٌ فـي جامعـة الإسـكندرية العظيمـة، ونحـن نديـن بمعرفتنـا لهـذا العلّامـة القديـم بمـا عرفـه عـن الأرض، وسـوف يكـون مـن الملائـم أن نثبـت هـذا أولاً، وبعـد ذلـك نقـوم، بشـكلٍ سـريعٍ، بتخطيـط سـير الأحـداث التاريخيـة التـي قـادت إلـى المعرفـة التـي سـجّلها «بطليمـوس».

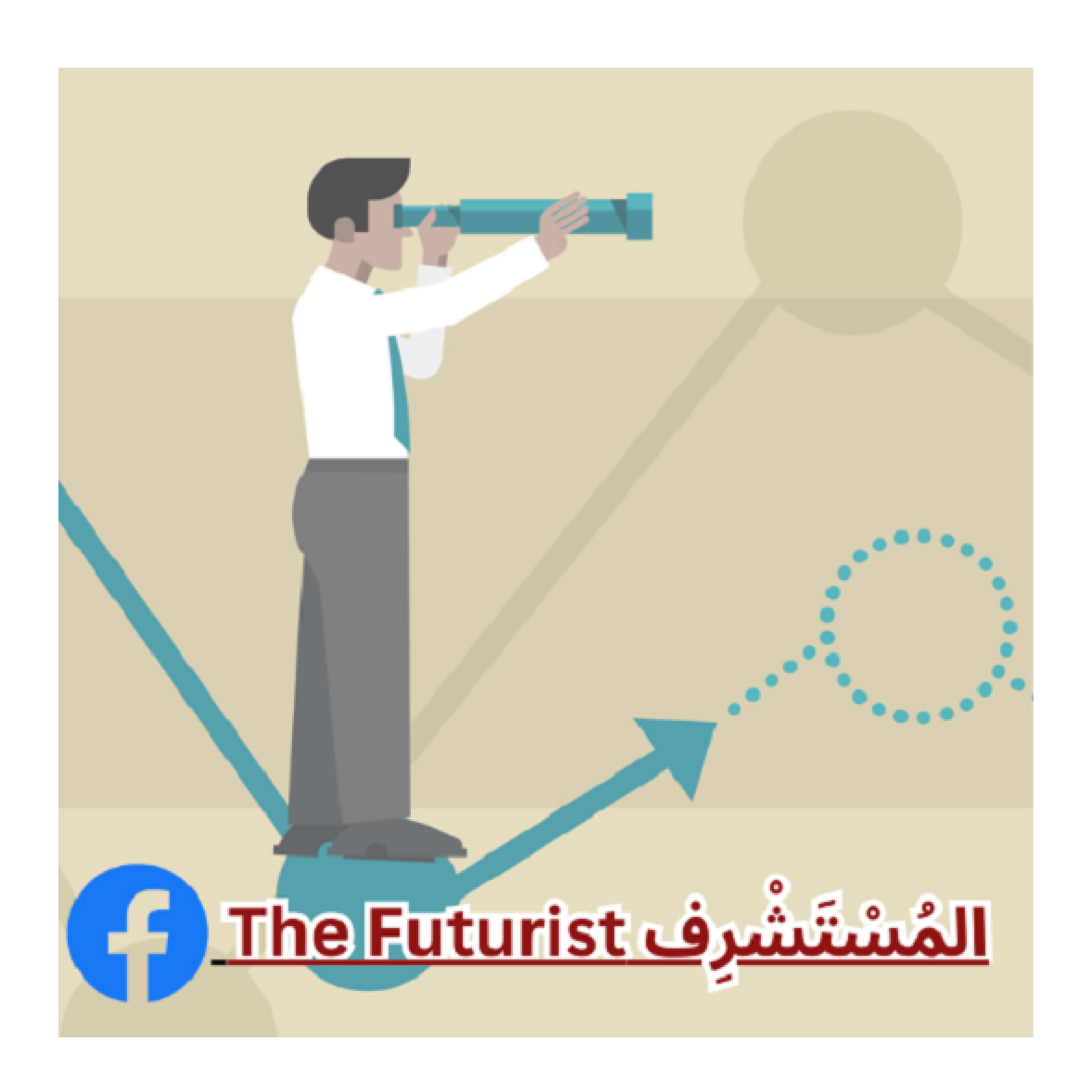
فـي العصـور الوسـطى، جـرى فقـدان معظـم هـذه المعرفـة، ككلّ الأشـياء الأخـرى، ويجـب علينـا أن نسـجّل كـم مـن المعرفـة قـد اسـتبدلت الخيـال بالنظريـة. العـرب كانـوا هـم الورثـة الحقيقيين للعلـم اليونانـي، خـلال تلـك الفتـرة، والإضافـات القليلـة للمعرفـة الجغرافيـة الحقيقيـة، فـي ذلـك الزمـن، كانـت بفضلهـم، باسـتثناء مـا جلبـه مندوبـون تجاريـون ورحالـةٌ وحجّـاج مـن معرفـةٍ أكثـر عمقـاً عـن آسـيا إلـى الغـرب.

يشـكّل اكتشـاف أمريـكا بدايـة فتـرةٍ جديـدة، سـواءٌ فـي التاريـخ الحديـث أم الجغرافيـا الحديثـة، فـي السـنوات الأربعمائـة التـي انقضـت منـذ ذلـك الحيـن، فضعـف الكـرة الأرضيـة المأهولـة بالسـكان قـد أصبـح معروفـاً لـدى الرجـل المتحضّـر، قبـل الأربعـة آلاف سـنة السـابقة بكثيـر، والنتيجـة أنّـه– باسـتثناء بضـع رُقـعٍ مـن أفريقيـا وأمريـكا الجنوبيـة وحـول القطبيـن، عـرف الإنسـان تقريبـاً مـا هـي المصـادر الطبيعيـة للعالـم الـذي يسـكنه؛ وباسـتثناء تفاصيـل بسـيطة، يكـون تاريـخ الاكتشـاف الجغرافـي قـد أُنجـز بشـكلٍ عملـي، فـي نهايـة المطـاف.

إضافـة إلـى أهمّيتـه، كسـجلٍّ للحـرب والمغامـرة، كـون هـذا التاريـخ يعطينا المراحـل المتعاقبـة، بواسـطة الرجـال المعاصريـن الذيـن جعلوهـا علـى مـا هـي عليـه اليـوم، فـإنّ للبلـدان والشـعوب الأطـول معرفـةً، فـي مجملهـا،

أعمق التأثير في تشكيل الشخصية المتحضرة، ولن تكون الأداة العملية لهذه الدراسة أقلّ أهميةً في تحديد الطريقة التي تمّ فيها اكتشاف العالم؛ والتي ستقرّر الآن أيام تاريخ العالم. المشاكل الكبرى للقرن العشرين ستكون لها العلاقة المباشرة باكتشاف أمريكا، وأفريقيا، وأستراليا، في كلّ هذه المشاكل، وسوف يكون لدى الرجال الإنجليز الكثير ليقولوه ويفعلوه، وبناءً عليه، سيكون تاريخ الاكتشاف الجغرافي، بشكلٍ كبير ومباشر، من اهتمامات الرجال الإنجليز.

[Authorities: Cooley, History of Maritime and Inland Discoveries, 3 vols., 1831; Vivien de Saint Martin, Histoire de la Géographie, 1873].



The Futurist المُسْتَشْرِف

مُقدِّمة المُترجم

الحمــد للـــه الـــذي وفّقنـــا فـــي ترجمـــة هـــذا الكتـــاب إلـــى اللغـــة العربيـة، وقـد حرصنـا فـي ترجمتـه علـى التقيّـد بـكلّ الأمانـة العلميـة، فلـم نحـذف منـه أيّ كلمـةٍ أو نـزد عليـه، إلا مـا غفلنـا عنـه بصفتنـا بشـراً مُعرّضيــن للســهو والغفلــة، أو مــا قمنــا بتعديلــه فــي الهامــش، فللــه الحمــد أولاً وآخــراً.

يتضمّــن هــذا الكتــاب تاريــخ حــركات الاكتشــاف الجغرافــيّ، وتتمثّــل فــي حــركات الكشــوف البحريــة، وحــركات الكشــوف البرّيــة، وعنوانــه «قصــة الاكتشــاف الجغرافــيّ»، مــن تأليــف الأســتاذ «جوزيــف جاكوبــز». ولقــد حــاول المؤلــف – كمــا يذكــر فــي مقدّمتــه – أن يختصــر فــي هــذا الكتــاب تاريــخ الكشــوفات العالميــة ببضــع صفحــات، وهــذا مــا جعــل الكتــاب مميــزاً، ومــا حفّــز لدينــا الرغبــة والتصميــم علــى ترجمتــه مــن اللغــة الإنجليزيــة، لتزويــد المكتبــة العربيــة الثقافيــة بهــذا الكتــاب القيّــم. موضــوع الكتــاب يخــصّ التاريــخ الحديــث والجغرافيــا، بالإضافــة إلــى بعــض الدراســات البســيطة عــن بعــض ثقافــات الشــعوب، أمّــا محتــوى الكتــاب فتــمّ ضمّــه فــي اثنــي عشــر فصــلاً، إلــى جانــب الملحــق الــذي يتضمّــن حوليــات الاستكشــاف. هــذه الفصــول تناولــت حركــة الاكتشــاف مــن أقــدم العصــور، وصــولاً إلــى العصــر الحديــث، مع الإشــارة إلــى ورود

بعض الأخطاء بالكلمات في الكتاب، قمنا بتصحيحها، لكن ما لا شكّ فيه هو أنّ هذا الكتاب يُمثّل وجهة نظر مؤلّفه.

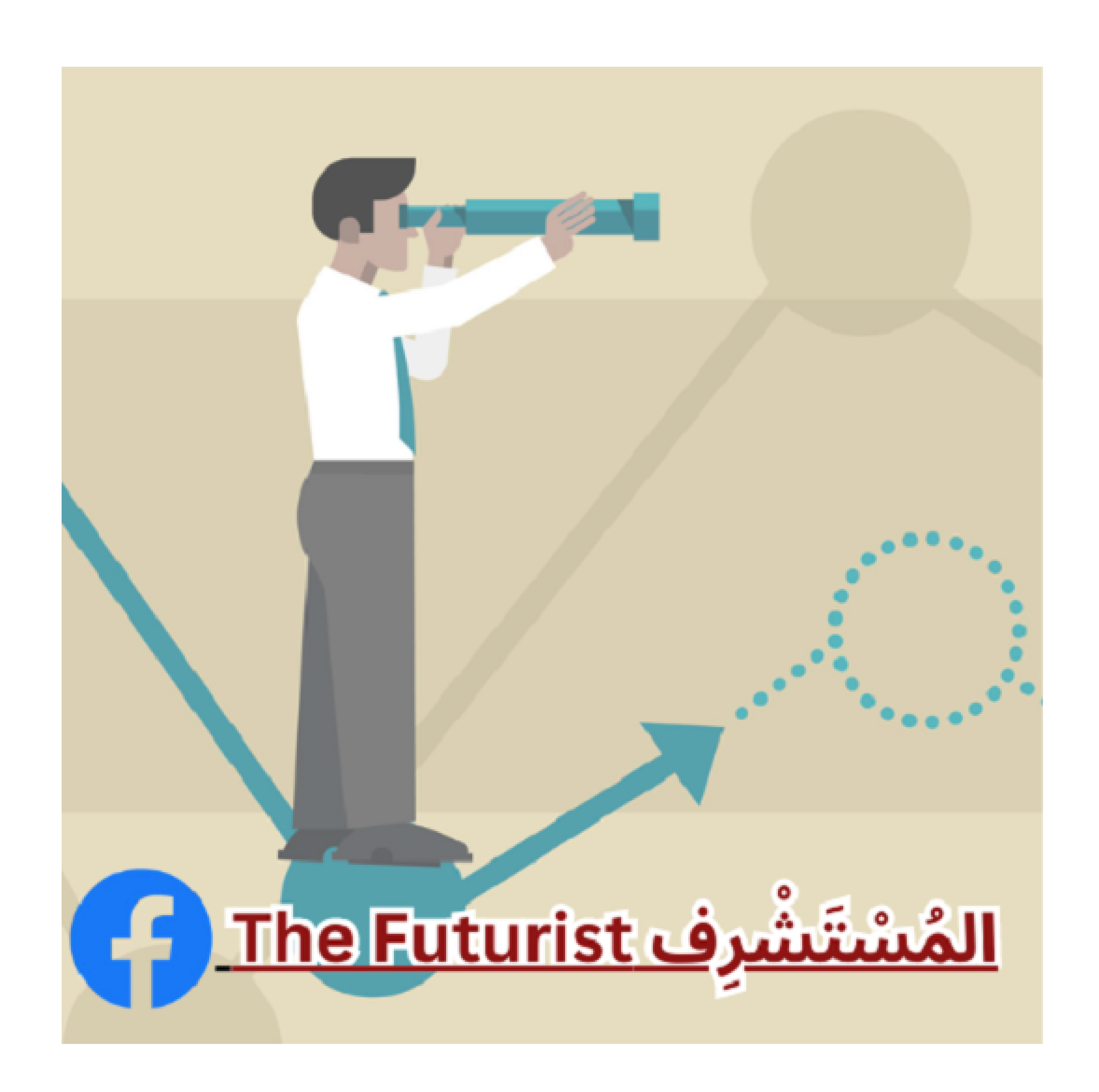
قبل اكتشافه، كان الغموض التام يلفّ العالم الآخر، وكانت أجزاءٌ كبيرة من الكرة الأرضية غير معروفة، وقد اشتملت على الأجزاء البحرية، والأجزاء البرّية، وإن يكن الإنسان قد وصل اليوم في اكتشافاته إلى أبعد الأماكن في الفضاء الخارجيّ- وهذا ليس موضوعنا، ولكن للدلالة فقط- فإنّ الفضل في اكتشاف تلك الأجزاء غير المعروفة من الأرض، يرجع إلى الأمم الأوروبية، ويجدر بنا القول: إنّ تلك الاكتشافات كانت منظّمة وخاضعة للنظرية العلمية. وفي أيّ حال، لن تأخذنا تلك الحيرة التي أخذت السيد «جاكوبز»، ونعني بها تلك التساؤلات التي طرحها في كتابه، عن الدوافع التي كانت وراء حركة الاكتشاف الجغرافيّ، فهو يرجّح أنّ تلك الدوافع كانت تتراوح ما بين طلب الغزو والاستيلاء على الأراضي، وطلب التجارة مع الأمم الاخرى، قبل أن يقرن الأسباب معاً، غير أنّ لنا نحن نظرتنا الخاصة: فمن خلال تتبّع حركة الكشوف الجغرافية، يتضح لنا أنّ الدافع القوي والحقيقي كان هو ذلك المعدن الأصفر الذي يسمّى «الذهب». فمن سياق المعلومات الواردة في الكتاب، نرى أنّ المستكشفين سعوا بشكلٍ رئيس إلى جلب الثروات من العالم المكتشف، من أجل إثراء بلادهم، ولكن دون أن يغيب عن الأذهان بعض الدوافع التي كان وراءها العلم والبحث العلميّ الطموح.

أما في ما يخصّ الشعوب والحضارات التي تمّ اكتشافها، فيجدر بنا أن نتحدّث عن مصيرها بعد هذه الاكتشافات، إذ تعرّضت هذه

الشعوب إلى الاستيلاء على أراضيها التي كانت تعيش فيها بسلامٍ ورخاء وهناء، وتمّ نهب ثرواتها بشكلٍ أهوج وظالم، وطُمست معالمها الحضارية وهويتها الثقافية منذ قدوم الحضارة الأوروبية إليها، وأصبح هؤلاء الشعوب الأصليّون مجرّد غرباء وأقلّيات على أرض موطنهم.

في كلّ الأحوال، لسنا هنا بصدد تكرار المواضيع التي وردت في الكتاب، بل نترك للقارئ أن يكتشفها ويستخلص النتائج بتفكيره الخاص، ونتمنى من الله أن يكون عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن تكون ترجمتنا قد وُفِّقت في تقديم هذا الكتاب بصورةٍ مقاربة للنسخة الإنجليزية.

حسين حمد حسين الفقيه


The Futurist المُسْتَشْرِف

مدخل

فـي محاولـةٍ للحصـول علـى أقـلّ مـا يكـون مـن تاريـخ العالـم- مـن وجهـة نظـرٍ خاصـة- فـي مؤلّـفٍ مكـوّن مـن مائتيـن واثنتيـن وعشـرين صفحـة، أبـدو كأنّـي قـد تناولـتُ ثـلاث قضمـاتٍ مـن حبّـة كـرز كبيـرة جـداً، فـي الملحـق الـذي قدّمتـه بترتيـبٍ زمنـيّ- وللمـرة الأولـى علـى الجـدول الإنجليـزي- فالرحـلات والاستكشـافات الرئيسـة التـي زادت مـن معرفتنـا للعالـم، والأعمـال الرئيسـة التي سُـجِّلت في تلـك المعرفـة، حاولـتُ في جسـم هـذا العمـل جمـع حقائقهـا معـاً، في جوانبهـا الأكثـر عموميـةً، وبشـكلٍ خـاصٍ جمعـت قصـة دوران الرحلـة العظيمـة خـلال الفتـرة 1492- 1521م، حـول البحـث عـن جـزر التوابـل، كحافـزٍ رئيـس، وهـي علـى الأرجـح كانـت اقتفـاءً لأثـر الكشـوف البرتغاليـة والإسـبانية، وحاجـةً لدغدغـة أذواق الأوروبييـن المتقشـفين فـي القـرون الوسـطى، والذيـن كانـوا يعيشـون علـى اللحـم المقـدّد شـتاءً، والسـمك المدخّـن أثنـاء الصـوم الكبيـر، وقـد أكـون أفرطـت فـي بسـط المسـألة، ولكـن لا بـدّ مـن الأمـر - للأهميـة الأساسـية - مـن ربـط ذلـك بتوابـل الشـرق فـي المراحـل السـابقة؛ ليأتـي بعـد ذلـك البحـثُ عـن بـلاد «الإيلـدورادو» Eldorado، يليـه اندفـاع رجـال الشـمال إلـى «يوكـون» Yukon، جنوبـاً إلـى الـرأس، فـي اتجـاه الجنـوب الشـرقي إلـى «ويسـتراليا» Westralia.

إضافة إلى المعالجة العامّة في النص، والتفاصيل الخاصة في الملحق، حاولتُ رواية القصة مرةً أخرى في سلسلةٍ من الخرائط، مُظهراً الزيادة التدريجية في معرفة رجال الكشف الجغرافي بالكرة الأرضية، وكاد الأمر أن يكون مستحيلاً: أن يُضَمَّنَ كلّ ذلك في كتابٍ بهذا الحجم، لكنّ تعاطف شركات نشر عدّة منحني الفرصة لإعادة الإنتاج، إذ خفّضتُ مقياس رسم الخرائط التي أُعِدَّت لأغراضٍ خاصة عندي، ويعنيني في هذه اللحظة أن أشكر السادة «ماكميلان» Macmillan لتعاملهم مع الكشوفات البرتغالية التي اشتقّت من العمل الممتاز الصغير للسيد «بايين» Payne على المستعمرات الأوروبية، وكلاً من السادة «هاوتون ميلفن» وشركائه في بوسطن للتوضيحات العديدة لاكتشاف أمريكا، والسيد «جي فيسك» J. Fiske's ومؤلّفه «تاريخ مدرسة الولايات المتحدة»، والسادة «فيليبس» للأسلحة و«ديل كانو» Del Cano، وكذلك لتوضيح دافع التوابل الذي كان السبب في الطواف البحريّ الأوّل للكرة الأرضية.

كذلك يسرّني أن أشكر مسؤولي المجتمع الجغرافي الملكي، وخصوصاً السيد «سكوت كيلتي» Scott Keltie، والدكتور «ميل» H. R. Mill للاستعداد الذي أبدياه بوضع مكتبة المصادر الرائعة وغرفة الخرائط تحت تصرّفي، في مكتبة المؤسسة الوطنية، وتعاطفهما معي بالإجابة عن كلّ أسئلتي واستفساراتي، وبما أشارا به عليّ من مصادر جديدة للمعلومات.

جوزيف جاكوبز

الفصل الأول

العالم كما عرفه الأقدمون



قبل أن نقول كيف وصل القدماء لمعرفة ذلك الجزء من العالم الذي أحاطوه بمعرفتهم في نهاية الأمر – عندما كانت الإمبراطورية الرومانية في أوج امتدادها – وكذلك الحصول على فكرة عن المراحل المتعاقبة لمعرفتهم، فسوف نترك للفصل القادم قصة كيف تم الحصول على هذه المعرفة، وكما هي الحال في معظم فروع المعرفة المنظمة، فنحن مدينون للإغريق بتعرفنا على وجهات النظر القديمة لهذا الموضوع، ولربما يكونون قد تعلموا في المراحل المبكرة شيئاً من الفينيقيين، الذين كانوا في العصور القديمة تجاراً وملَّاحين عظماء، والذين أبحروا بمحاذاة الساحل على طول شواطِئ البحر الأبيض المتوسط، وغامروا عبر مضيق جبل طارق، وتاجروا مع الجزر البريطانية، التي قاموا بزيارتها لأجل الحصول على القصدير الموجود في (كورنوال Cornwall)[1]، حتى قيل أن أحد قادة البحرية الخاصة في قيادة الملك المصري (نيخو Necho)[2] قد أبحر بمحاذاة ساحل أفريقيا، وحسب تقارير (هيرودوتس Herodotus) [3] فإنه في الرحلة إلى الوطن فإن الشمس تغرب في البحر على اليد اليمنى، لكن الفينيقيين احتفظوا بمعرفتهم الجغرافية لأنفسهم كَسِرٍّ من أسرار تجارتهم، وقليلاً من هذه الأسرار تعلمها الإغريق منهم.

اللمحة الأولى التي لدينا عن المفاهيم والأفكار التي امتلكها الإغريق، الشكل وسكان الأرض، توفرت في القصائد الشعرية التي مرت تحت اسم (هومر HOMER)[4]، حيث تُظهر هذه القصائد معرفةً وثيقة بشمال اليونان والسواحل الغربية من آسيا الصغرى، وبعض المعرفة عن مصر وقبرص،

وصقلية، ولكن، كل ماتبقى، حتى شرق البحر الأبيض المتوسط، ليس سوى تخيل غامض من قبل مؤلفه، حيث لم يكن يعرف أنه يتخيل، وكان لبعض تخيلاته تأثير مهم على تقدم المعرفة الجغرافية، وبالتالي فهو تخيل العالم على شكل صدفة مستوية، مع نهرٍ عريضٍ جداً يُحيط بها، وهو ماعُرِفَ بالمحيط، ومركز هذه الصدفة كان في (دلفي Delphi)[5]، الذي اعتبر (سُرَّة) العالم المسكون أي (وسط العالم)، ووفقاً لرواية (هسيود Hesiod)[6] – الذي جاء في وقتٍ مُتأخرٍ قليلاً عن هوميروس – استقر في أقصى الشمال شعب عُرِفَ باسم (هايبربوريني Hyperborean)[7]، أو أولئك الذين سكنوا خلف رياح الشمال، بينما الجهة المقابلة في الجنوب قد سُكِنَتْ من قبل الأحباش، كل هذه المفاهيم الأربعة ،كان لها تأثير هام على وجهات النظر التي لدى أولئك الرجال عن العالم حتى وقتٍ قريبٍ نسبياً، وبما أن هوميروس قد ذكر وجود شعب من الأقزام يعيشون في أفريقيا، فإن هذه المعلومات اعتبرت كخرافة، حتى تمّت إعادة اكتشافهم ثانية من قبل الدكتور (شفاينفورث Schweinfurth)[8] والسيد (ستانلي Stanley)[9] في عصرنا الحالي.

ومن المحتمل أن يكون اليونانيون، قد حصلوا على فكرة إحاطة المحيط بالأرض، من البابليين، فإن سكان بلاد مابين النهرين يجدون أنفسهم يصلون إلى المحيط في الغالب في أي اتجاه سافروا فيه، إما من بحر قزوين، أو البحر الأسود، أو البحر الأبيض المتوسط، أو الخليج العربي، وفقاً لذلك؛ فإن أقدم خريطة للعالم تم العثور عليها، هي أحد المرفقات بالنقوش المسمارية، وهي تمثل سهل بلاد ما بين النهرين مع الفرات المتدفق من خلاله، وكلها مُحاطة بدائرتين مركزيتين، سميتا بالمياه المالحة. خارج هذه؛ على أيةِ حالٍ؛ سبعُ جزرٍ منفصلة، قد تمثل المناطق السبع أو المناخات التي قُسِّمَ العالم فيها وفقاً لأفكار البابليين، ورغم أنهم لجؤوا فيما بعد إلى أربع نقاط أساسية، فما كان يتطابق بشكل

تقريبي مع (بابل Babylon)[10]، لم يكن في أي حال يستجيب مع الموقع الجغرافي لليونان، وبالتالي، فمن المحتمل في المقام الأول، أنهم حصلوا على أفكارهم بإحاطة المحيط بالأرض من البابليين.

بعد فترة هوميروس وهسيود، بدأ التوسع الكبير الأول للمعرفة اليونانية حول العالم، من خلال عملية الاستعمار الواسعة النطاق، التي قام بها الإغريق في جميع أنحاء البحر الأبيض المتوسط الشرقية. وحتى يومنا هذا يتكلم مواطنو الجزء الجنوبي من إيطاليا اللهجة اليونانية، وذلك بسبب الامتداد الواسع النطاق للمستعمرات اليونانية في ذلك البلد، الذي كان يطلق عليه اسم (ماغنا غراسيا Magna Grecia)[11] أو «اليونان العظمى». (مرسيليا Marseilles)[12] هي أيضاً واحدة من المستعمرات اليونانية (600 عام قبل الميلاد)، والتي بدورها، أرسلت مستعمرات أخرى على طول خليج (ليون Gulf of Lyons)[13]. وفي الشرق أيضاً، كانت المدن اليونانية تنتشر على طول ساحل البحر الأسود، ومن بينها بيزنطة، التي كان مقدراً لها أن تكون ذات أهمية تاريخية في العالم. لذلك، فشمال أفريقيا، وما بين جزر بحر إيجة، استعمرها اليونانيون طيلة القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، وفي كل الأحوال، بقي هناك تواصل ما بين المستعمرات والبلد الأم.

الآن، كانت الصفة الخاصة التي جعلت اليونانيين متميزين جداً في تاريخ العالم، هي فضولهم الشديد، وكان ذلك طبيعياً نتيجة لرغبتهم في المعرفة، ووضع الأحداث على السجل التاريخي؛ والكمية الكبيرة من المعلومات التي وصلت إلى الأرض الرئيسة لليونان من المستعمرات اليونانية، لا تُعد ولا تُحصى. ولكن لتسجيل المعرفة الجغرافية، فإن الخريطة هي أول شيء ضروري، وبالتالي فإن فيلسوفاً يونانياً اسمه (أناكسيماندر Anaximander)[14] من مدينة (ميليتوس Miletus)[15]، من القرن السادس قبل الميلاد، هو الذي ندين له باختراع رسم الخريطة. والآن، من أجل وضع خريطة لبلدٍ واحد، المطلوب القليل من المعرفة الفلكية.

وكما رأينا، كان أبناء القبائل المتوحشة قادرين على رسم الخرائط. ولكن عندما يتعلق الأمر بوصف المواقع النسبية للبلدان – وقد انفصلت بعضها عن بعض بالبحر – فالمشكلة ليست سهلة. ومن شأن الأثيني أن يعرف بشكلٍ تقريبي أن (بيزنطة Byzantium)[16] (وتسمى الآن بالقسطنطينية Constantinople)[17]، كانت تقع نسبياً، إلى الشرق وإلى الشمال منه، وأنه للإبحار إلى هناك يتوجب عليه أن يبحر نحو شروق الشمس، حيث يجد في المناخِ برودةً كلما اقترب من بيزنطة. وهكذا على ذلك، فإنه قد يتبادر إلى ذهنه بشكلٍ تقريبي أن مرسيليا تقع في مكانٍ ما في الغرب والشمال منه. ولكن كيف كانَ سيُثبت الموقع النسبي لكل من: مرسيليا وبيزنطة؟ هل مرسيليا تقع باتجاه الشمال أكثر من بيزنطة؟ هل كانت



أقدم خريطةٍ للعالم

بعيدة جداً من تلك المدينة؟ لو أن ذلك استغرق وقتاً أطول للوصول إلى مرسيليا؛ فالرحلة كانت ستدور، وربما قد تحمل السفينة نسبياً بالقرب من بيزنطة، مع ذلك لربما لايكون هناك طريق مباشر بين المدينتين. كانت ثمة طريقة واحدة صعبة لتحديد اتجاه الشمال، فأقل ملاحظة هي مراقبة السماء المرصَّعة بالنجوم التي ستُظهر للمسافر أنه كلما انتقل نحو الشمال، ارتفع النجم القطبي عالياً في السماء. وكمية الارتفاع، يمكن أن تُحددها الزاوية التي شُكِّلَت بنصب عُودٍ يشير إلى النجم القطبي، متعلق بواحد محمول أفقياً. إذاً.. بدلاً من اثنين من العيدان، قطعنا قطعة من المعدن أو الخشب لملء الزاوية المغلقة، فنحصل على أقرب شكل للمِزولة، والمعروفة باسم: (عقرب ساعة الشمس)، ووفقاً لشكل عقرب ساعة الشمس، يتم تحديد خط العرض للمكان. وبناءً عليه، فإنه ليس من المستغرب أن نجد أن اختراع العقرب يُعزى أيضاً إلى أناكسيماندر، لأنه دون تلك الآلة لكان من المستحيل بالنسبة إليه عمل أي خريطة جديرة بهذا الاسم. ولكن من المحتمل أن أناكسيماندر لم يخترع ما كان معروفاً بعقرب ساعة الشمس، فالواقع أنّ هيرودوتس يذكر بصراحة أن هذه الآلة قد اشتقت من البابليين، الذين كانوا أسبق علماء الفلك كما نعلم حتى الآن. وهناك نقطة غريبة تؤكد ذلك، هي قياس الزوايا بالدرجات، وتنقسم هذه الدرجات إلى ستين ثانية، تماماً مثل الدقيقة. هذا التقسيم إلى ستين درجة، مشتق بالتأكيد من بابل، في مثل حالة قياس الوقت، وبالتالي يكون من الأصل نفسه فيما يتعلق بقياس الزوايا.

لم يعد لدينا أي نسخة من هذه الخريطة الأولى للعالم التي وُضِعَت من قبل أناكسيماندر، ولكن ما من شك في أنها شَكَّلَتِ الأساس لخريطةٍ مماثلةٍ رسمها زميل لأناكسيماندر، مُقيم في مدينته ذاتها، يُدعى (هيكاتايوس Hecataeus)[18] من مدينة ميليتوس، الذي يبدو أنه أول من وضع كتاباً في الجغرافيا الرسمية – وجِدَت منه شظايا فقط – ولكننا نرى

أنـه كان نوعـاً مـن كتـب الطـواف البحـري، أو كدليـل للبحـارة، يُخبـر عـن عـدد أيـام الإبحـار مـن نقطـة إلـى أخـرى، وفـي أي اتجـاه كانـت. ونلاحـظ أيضـاً أنّ مواضيـع الكتـاب برمّتـه رُتّبـت فـي جزأيـن، وهـي تتعامـل مـع كل مـن أوروبـا وآسـيا، حيـث يتضمـن الفصـل الأخيـر جـزءاً ممـا نعرفـه الآن باسـم أفريقيـا. ثُلَّـة مـن العلمـاء كانـوا قادريـن علـى إنتـاج الخطـوط العريضـة لخريطـة العالـم كمـا قُدمـت مـن هيكاتايـوس. ومـن هـذا يمكـن أن نـرى أن مفهـوم الإغريقـي هوميـروس حـول إحاطـة المحيـط بـالأرض، شـكّل الميـزة الرئيسـة الحاسـمة فـي خريطـة هيكاتايـوس. أمـا بالنسـبة للبقيـة فقـد ألمـوا بمعرفـة عـن البحـر الأبيـض المتوسـط، والبحـر الأحمـر، والبحـر الأسـود، والأنهـار الكبـرى، الدّانـوب، والنّيـل، والفُـرات، ودِجلـة، ونهـر السِّـند.

الاسـم العظيـم التالـي فـي تاريـخ الجغرافيـا اليونانيـة، هـو (هيرودوتـس) مـن مدينـة (هاليكارناسـوس Halicarnassus)[19]، والـذي يسـمى أيضـاً باسـم (أبـو الجغرافيـا)، إضافـة إلـى كونـه (أبـو التاريـخ) علـى حـدٍ سـواء. سـافر هيرودوتـس كثيـراً إلـى مصـر، وبابـل، وبـلاد فـارس، وعلـى شـواطِئ البحـر الأسـود، فـي حيـن أنـه كان عليمـاً ببـلاد اليونـان، وعبـر السـنوات الأخيـرة مـن حياتـه فـي جنـوب إيطاليـا، وأعطـى عـن كل هـذه البلـدان لزملائـه مـن المواطنيـن معلومـات دقيقـة وكاملـة، وكان قـد جمـع المعرفـة بـكل جـدٍ عـن الـدول المجـاورة لهـم، ولا سـيما أنـه أعطـى تفاصيـل كاملـة عـن (سـكيثيا Scythia)[20] (أو جنـوب روسـيا)، والولايـات الفارسـية القديمـة، والطـرق الميسَّـرة فـي بـلاد فـارس. وكقاعـدة عامـة، كانـت معلوماتـه دقيقـة كمـا يمكـن أن يتوقـع مـن مثـل هـذا التاريـخ فـي وقـتٍ مُبكـرٍ، وهـو نـادراً مـا يـروي قصصـاً عجيبـة، أمـا إذا فعـل، فإنـه يشـير إليهـا بعـدم الثقـة بهـا. وتقريبـاً فـإن الـذي ورد فـي تقاريـر هيرودوتـس دون شـك، قـد يكـون مـن نسـج خيـال المسـافرين، ومنهـا أن النمـل فـي الهنـد كان أكبـر حجمـاً مـن الثعالـب وقـد حفـر خلايـاه فـي حفـر مـن غبـار الذهـب.

واحـدة مـن القصـص التـي تتعلـق بإثـارة الاهتمـام، تظهـر لنـا اسـتباقاً مـن إحـدى رحـلات السـيد سـتانلي. حيـث بـدأ خمسـة شـبان مـن (الناسـامونيس Nasamonians)[21] مـن جنـوب ليبيـا، برحلـة إلـى السـودان، وسـافروا لأيـامٍ عـدة غربـاً حتـى وصلـوا إلـى بُسـتان مـن الأشـجار، حيـث تـم القبـض عليهـم مـن قبـل عـددٍ مـن رجـالٍ قِصـارُ القامـة جـداً، أخذوهـم خـلال المسـتنقعات إلـى مدينـةٍ عظيمـةٍ حيـث يوجـد رجـال سـود بالحجـم نفسـه، ويدفـق مـن خلالهـا نهـر كبيـر، وهـو الـذي يُحـدده هيرودوتـس بنهـر النيـل، ولكـن، مـن خـلال الإشـارة إلـى الرحلـة التـي قدمهـا لـه، يبـدو أكثـر احتمـالاً بأنـه قـد يكـون نهـر النَّيجـر، وأن الناسـامونيس قـد زاروا (تيمبكتـو)[22]! وبسـبب هـذا البيـان مـن هيرودوتـس، كان يُعتقـد لفتـرة طويلـة أن أعالـي النيـل تتدفـق شـرقاً وغربـاً.

بعـد هيرودوتـس، تاريـخ التأريـخ الثابـت فـي الرقـم الـذي مـن السـهل تذكـر: العـام (444) قبـل الميـلاد، تـم الحصـول علـى زيـادة كبيـرة فـي معرفـة الجـزء الغربـي مـن آسـيا عـن طريـق اثنتيـن مـن الحمـلات مـن قبـل (زينوفـون Xenophon)[23] و(الإسـكندر Alexander)[24]، التـي جمعـت المعرفـة المعروفـة لـدى اليونانييـن وصـولاً إلـى الهنـد. ولكـن إلـى جانـب هـذه الحمـلات العسـكرية لا يـزال لدينـا العديـد مـن الكتـب مـن سـجلات البحـارة، والتـي ربمـا أضافـت الكثيـر للجغرافيـا اليونانيـة. وأحـد هـذه الكتـب يـروي قصـة رحلـة استكشـافية لأميـرال قرطاجـي اسـمه (هانـو Hanno)[25]، إلـى أسـفل السـاحل الغربـي لأفريقيـا، إلـى حـدٍ مـا إلـى (سـيراليون Sierra Leone)[26]، الرحلـة التـي لـم تجـارى بعـد ذلـك لمـدة سـتمائة عـام. جلـب هانـو بعـد العـودة مـن هـذه الرحلـة جلـوداً بشـعرها، قـال أنهـا تعـود للرجـال والنسـاء الذيـن كان قـد أسـرهم، والذيـن كانـوا معروفيـن للأهالـي مـن قبـل باسـم الغوريلـلا. الكتـاب الآخـر عبـارة عـن سـجل اسـمه باليونانيـة: (سـكيلاكس Scylax)[27]، والـذي يعطـي مسـافات الإبحـار بيـن جميـع الموانِـئ علـى البحـر الأبيـض المتوسـط والبحـر

الأسـود، وعـدد الأيـام اللازمـة للعبـور مـن واحـد إلـى آخـر. ويتبيـن مـن هـذا أن سـفينة تجاريـة يونانيـة يمكنهـا أن تبحـر علـى المتوسـط خمسـين ميـلاً فـي اليـوم. إضافـة إلـى هـذا، أحـد جنـرالات الإسـكندر الأكبـر، واسـمه (نيارخـوس Nearchus)[28]، تعلـم أن يحمـل سـفنه مـن مصـب نهـر السـند إلـى الخليـج العربـي. وفـي وقـت لاحـق، بحـار يونانـي اسـمه (هيبالـوس Hippalus)[29]، والـذي اكتشـف أنـه باسـتخدام الريـاح الموسـمية فـي الأوقـات المناسـبة، يمكنـه أن يُبحـر مباشـرة مـن الجزيـرة العربيـة إلـى الهنـد، دون مشـقة الملاحـة السـاحلية علـى طـول شـواطِئ بـلاد فـارس و (بلوشسـتان Beluchistan)[30]، وبالتالـي أطلـق اليونانيـون اسـمه علـى الرياح الموسـمية. وللحصـول علـى معلومـات عـن الهنـد نفسـها، كان اليونانيـون، ولفتـرة طويلـة، يعتمـدون علـى حسـاب (ميغاسـثينيس Megasthenes)[31]، وهـو سـفيرٌ أُرْسِـلَ مـن قبـل (سـلوقس seleucus)[32] - أحـد جنـرالات الإسـكندر الأكبـر - إلـى الملـك الهنـدي للبنجـاب.

وهكـذا بينمـا اكْتُسِـبَتِ المعرفـة عـن الشـرق، تـم الحصـول علـى معلومـات إضافيـة حـول شـمال أوروبـا مـن إحـدى رحـلات (بايثيـاس PYTHEAS)[33]، وهـو مواطـن مـن مرسـيليا اشـتهر فـي وقـت الإسـكندر الأكبـر العـام (333 قبل الميـلاد)، وكان مـن المثيـر للاهتمـام بشـكلٍ خـاصٍ لنـا؛ أنّـه هـو الشـخص المتحضـر الأول الـذي يمكـن أن يكـون مميـزاً لدينـا بعـد أن زار بريطانيـا. ويبـدو أنـه قـد أبحـر علـى طـول سـاحل خليـج (بسـكاي Biscay[34] - بعـد أن أمضـى بعـض الوقـت فـي إنجلتـرا - الـذي كان باعتبـار مسـاحة (40000) ملعـب، حوالـي (4000 ميـلاً) فـي المحيـط، ويبـدو أنـه أبحـر أيضـاً علـى طـول سـاحل بلجيـكا وهولنـدا، وصـولاً إلـى مصـب نهـر (إلبـه Elbe)[35]. علـى أيـةِ حـالٍ، فـإن بايثيـاس معـروف أساسـاً فـي تاريـخ الجغرافيـا بأنـه أشـار إلـى جزيـرة (ثـول Thule)[36]، التـي وصفهـا بأنهـا نقطـة فـي أقصـى الشـمال مـن الأرض المسـكونة، والتـي أصبـح البحـر بعدهـا كثيفـاً، ولزجـاً مثـل الهُـلام.

مع أنه لم يصرح أنه قد زار جزيرة ثول، وروایاته قد تشير إلى الجليد الموجود قرب (شيتلاند Shetlands)[37].

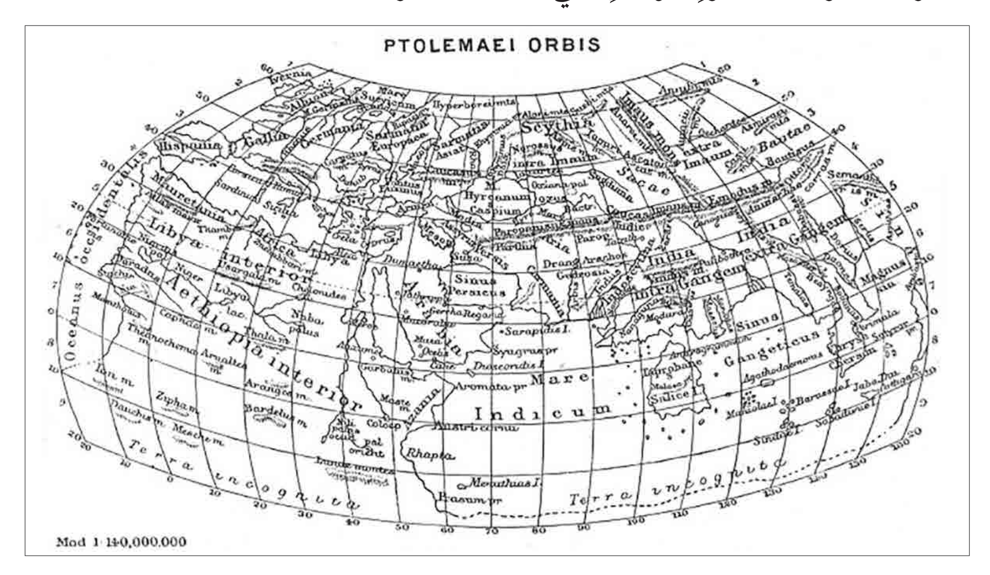
تم جمع كل هذه المعلومات الجديدة معاً، وإتاحتها لعالم القُرّاءِ اليونانيين، من خلال (إراتوسثينيس Eratosthenes)[38]، أمين أمناء مكتبة الإسكندرية (240–196 قبل الميلاد)، الذي كان عملياً مؤسس الجغرافيا العلمية، وكان أول من حاول القيام بقياسٍ دقيقٍ لحجم الأرض، وجزئها المسكون. وفي عصره أصبح رجال العِلم اليونانيون مدركين تماماً لحقيقة أن الأرض كُروية، على الرغم من أنها اعتُبرت ثابتة في الفضاء في مركز الكون. حتى أنّه تمّ القيام بالتخمينات في حجم هذا العالم، فقام أرسطو بتحديد محيطه في حوالي (400000) ملعب أو (4000 ميل)، ولكن إراتوسثينيس قام بمحاولة قياس أكثر دقة، وقارن طول الظل الساقط من الشمس في مدينة (الإسكندرية Alexandria)[39] وفي (أسوان Syene)[40]، بالقرب من الشلال الأول لنهر النيل، الذي كان يُفترض أن يكون على خط الطول نفسه، وتكون على حوالي (5000) ملعب أو (500 ميل). من الاختلاف في طول الظلال استنتج أن هذه المسافة تمثل خمسين ظلاً من محيط الأرض، التي من شأنها أن تكون وفقاً لذلك حوالي (250000) ملعب، أو (25000) ميلٍ جغرافي. كالمحيط الفعلي وهو (24899) ميلاً إنجليزياً، وكان هذا التقدير قريباً جداً، إذا ما أخذنا في الاعتبار الوسائل القليلة التي كانت تحت تصرف إراتوسثينيس.

مع وجود هكذا تقدير لحجم الأرض، ذهب إراتوسثينيس إلى تحديد حجم تلك الأجزاء التي اعتبرها القدماء صالحةً للسُّكنى. الشمال والجنوب من الأراضي المعروفة له، إراتوسثينيس وجميع القدماء اعتبروها إما باردة جداً، أو حارة جداً، حتى تكون صالحة للسُّكنى. هذه الأجزاء اعتقد أنها تمتد إلى (38،000) ملعب، أو (3800) ميل. وعند حساب امتداد الجزء الصالح للسكن من الشرق إلى الغرب، توصل إراتوسثينيس إلى

استنتاج مفاده، أنه من مضيق جبل طارق إلى شرق الهند كانت المسافة حوالي (80000) ملعب، أو تقريباً ثلث سطح الأرض. وثلثا الأرض المتبقية من المفترض أنها هي التي تغطيها المحيطات، و أشار إراتوسثينيس بشكل تنبؤي أنه: «لو لم يكن المدى الواسع للبحر الأطلسي يجعل ذلك مستحيلاً، لكان بإمكان المرء تقريباً أن يبحر من سواحل إسبانيا إلى الهند على طول خط العرض نفسه». وبعد ستمائة عام، كما سنرى، حاول كولومبوس تنفيذ هذه الفكرة. أسس إراتوسثينيس حساباته على خطين أساسيين، يتقابلان في طريق خط الاستواء والزوال لدينا؛ (غرينتش Greenwich)[41]: الامتداد الأول – وفقاً له – من (رأس القديس ڤينسنت Cape St.Vincent)[42] عبر مضيق (مسينا Messina)[43] وجزيرة (رودسRhodes)[44] إلى (أسوس Essus)[45] من خليج (الإسكندرون Iskanderun)[46]؛ وفي خط انطلاقه لحساب الشمال والجنوب كان يستخدم خط الطول المار خلال السد الأول، الإسكندرية، ورودس، و بيزنطة.

السنوات المائة التالية – بعد وفاة إراتوسثينيس – امتلأت بالكثير من زيادة المعرفة، نسبةً لانتشار الإمبراطورية الرومانية، من خلال استيلاء الرومان على الممتلكات الواسعة التي كان يشغلها سابقاً ألكسندر وخلفاؤه والقرطاجيون مع انتشارهم في بلاد الغال، وبريطانيا، وألمانيا. وبالتالي معظم المعرفة المكتسبة قد لُخِّصَت في العمل الجغرافي لليوناني (سترابو STRABO)[47]، الذي كُتِبَ باللغة اليونانية حوالي العام (20 قبل الميلاد) وقدَّم معرفةً إضافيةً، وبالتالي تم الحصول على العديد من التعديلات لنظام إراتوسثينيس، ولكن، على وجه العموم، أبقى على تصوره العام عن العالم. ورفض، رغم ذلك، وجود (ثول) وبالتالي جعل العالم أضيق. في الوقت الذي اعترف بوجود (آيرين Ierne)[48] أو آيرلندا التي اعتبرها الجزء الشمالي الأغلب بين العالم الصالح للسُّكنى، والموقع، كما كان يعتقد، هو شمال بريطانيا.

بيـن عصـر سـترابو وبطليمـوس، الـذي يُلخـص كل معرفـة القدمـاء حـول الأرض الصالحــة للسُّــكنى، كانــت هنــاك إضافــة كبيــرة واحــدة فقــط إلــى معرفـة البشـر بجيرانهـم، هـي تلـك الـواردة فـي دليـل بحـار للملاحـة فـي المحيـط الهنـدي، المعـروف باسـم (كتـاب الطـواف Periplus) لبحـر (إريثرايـن Erythraean Sea[49]، والــذي أعطــى حســابات كاملــة ودقيقــة للغايــة بشــكل محتمـل للسـواحل مـن عـدن إلـى مصـب نهـر الغانـج، علـى الرغـم مـن أنـه يعتبـر (سـيلان Ceylon[50] علـى قـدر أكبـر بكثيـر، وأكثـر فـي الجنـوب، ممـا هـي عليـه فـي الواقـع. ولكنـه يحتـوي أيضـاً علـى حسـاب الأجـزاء الأقصـى شـرقاً فـي آسـيا، الهنـد الصينيـة، والصيـن نفسـها، «مـن حيـث يأتـي الحريـر»، وكان لهـذا تأثيـر هـام علـى وجهـات نظـر بطليمـوس، كمـا سـنرى، وسـاعد بشـكلٍ غيـر مباشـر بعـد فتـرةٍ طويلـةٍ فـي اكتشـاف أمريـكا.



وقـد تُـرك لــ (بطليمـوس PTOLEMY)[51] فـي الإسـكندرية، تلخيـص كل المعرفـة للعالـم القديـم التـي تراكمـت مـن عصـر إراتوسـثينيس إلـى عصـره هـو، وهـو مـا قـد حـل فـي حوالـي سـنة (150 ميلاديـة) وأخـذ كل المعلومـات التــي أمكنــه أن يجدهــا فــي الكتابــات مــن الســنوات الأربعمائــة الســابقة،

واختصرها كلها في عمل واحدٍ مُوحَّدٍ ؛ لذا فإننا مدينون له اختراع طريقة وأسماء خطوط الطول والعرض. وكان الكُتَّاب السّابقون مُقتنعين بالقول: بأن المسافة بين نقطة وأخرى كانت تمثل العديد من الملاعب، لكنه خفض كل هذا الحساب الصعب، إلى العديد من درجات خطوط الطول والعرض، من الخطوط الثابتة كنقاط للبداية. ولكن – للأسف – كل هذه الحسابات كانت حساباتٍ تقريبية، والتي تمثل بشكل ثابتٍ تقريباً ما بعد الحقيقة؛ ومع أن بطليموس يعد أعظم عُلماء عِلم الفَلَكِ القديم، فلا تزال نتائجه مشوهةً على افتراض أن الدرجة كانت تمثل (500) ملعب، أو (50) ميلاً جغرافياً. وهكذا عندما وجد في صلاحياته أن المسافة بين أحد الموانِئ وآخر كانت تمثل (500) ملعب، وافترض، في المقام الأول، أن هذا كان دقيقاً، وفي الثاني، أن المسافة بين المكانين كانت مساويةً لدرجة من خط العرض أو الطول، حسب الحالة. وفقاً لذلك وصل إلى نتيجة أن اتساع العالم الصالح للسُّكنى كان – على حدِّ تعبيره – اثنتي عشرةَ ساعةً من خطوط الطول (تقابل 180 درجة) تقريباً ثلث الثلث كالأبعاد الحقيقية من إسبانيا إلى الصين. وكان نتيجةً لهذا أن المسافة من إسبانيا إلى الصين غرباً تضاءلت في المقابل بمقدار ستين درجة (أو ما يقرب من 4000 ميلٍ)، وكان من شأن هذا الخطأ في نهاية المطاف أن شجع كولومبوس لمحاولته صنع عهدٍ جديدٍ برحلته التاريخية.

إن أخطاء بطليموس للحساب لم تكن كبيرةً جداً، ولكنه اعتمد أسلوب القياس الذي جعلها تراكُمية. إذ كان قد اختار الإسكندرية لنقطة الانطلاق في قياسِ الطّول، والأخطاء التي أدلى بها عند الحساب غرباً، قد تمّت مقابلتها بتلك التي تُحسب شرقاً، ولم تسفر عن أي تشويه خطير للحقيقة. ولكن بدلاً من هذا، اعتمد كنقطة انطلاق له (جزر فورتونات Fortunate Isles)[52]، أو جزر الكناري، وفي كل درجةٍ قِيْسَتْ إلى الشرق من هذه كان الخُمس كبيراً جداً، لأنه افترض أنه كان فقط خمسين ميلاً في

الطـول. ولعلـي أذكـر أن تأثيـر بطليمـوس علـى الجغرافيـا كان كبيـراً، وحتـى فـي منتصـف القـرن الماضـي، كان خـط الـزوال (فيـرو Ferro)[53] فـي جـزر الكنـاري لا يـزال يحتفـظ بـه كنقطـة الصفـر لخطـوط الطـول.

وثمـة نقطـة أخـرى أثَّـر فيها نظـام بطليمـوس تأثيـراً قويـاً علـى الـرأي الحديث، كانـت مغادرتـه للفرضيـة السـابقة التـي تقـول بـأن العالـم مُحـاط بالمحيـط، والمسـتمدّة مـن هوميـروس. بـدلاً مـن أن أفريقيـا قُطعـت مـن الوسـط بالمحيـط، افتـرض بطليمـوس – وربمـا مـن المعرفـة التقليديـة المبهمـة – أن أفريقيـا تمتـد فـي طـولٍ مجهـولٍ إلـى الجنـوب، وانضمـت علـى قـدم المسـاواة إلـى قـارة مجهولـة بعيـداً إلـى الشـرق، والتـي، فـي نصـوص عملـه الفلكـي باللاتينيـة، كان يُطلـق عليهـا «أرض أسـتراليا المجهولـة»، أو «أرض الجنـوب غيـر المعروفـة». كمـا أدى بطليمـوس، مـن خـلال خطئـه فيمـا يتعلـق باتسـاع الأرض، إلـى اكتشـافات (كولومبـوس Columbus)[54]. وكذلـك، مـن خـلالِ مفاهيمـهِ الخاطئـةِ فيمـا يتعلـق بـ«أرض الجنـوب العظيمـة»، فإنـه مَهَّـدَ الطريـق لاكتشـافات القبطـان (كـوك Cook)[55]. ولكـن بِغَـضِّ النَّظَـر عـن هـذه الأخطـاء التـي كانـت جزئيـاً بسـبب صُعوبـة المـواد التـي كان عليـه أن يتعامـل معهـا، وجزئيـاً بسـبب الحـذر العلمـي، فـإن عمـل بطليمـوس هـو واحـد مـن الآثـار العظيمـة للمثابـرة والمعرفـة الإنسـانية، وبقـي أسـاس كل شـيء للمعرفـة الجغرافيـة عـن العالـم القديـم إلـى بدايـة القـرن الأخيـر، تمامـاً كمـا أن أعمالـه الفلكيـة لـم تُلـغَ أخيـراً إلا مـن خـلال عمـل السـيد (نيوتـن Newton)[56]. وبالتالـي فـإن بطليمـوس لديـه الامتيـاز النـادر مـن كونـه صاحـب أعظـم سـلطة علـى قسـمين مهميـن مـن المعرفـة الإنسـانية – علـم الفلـك والجغرافيـا – لأكثـر مـن خمسـمائة سـنة. فـي تفاصيـل وصفـه للعالـم، ليـس مـن الضـروري أن نذهـب بعيـداً. فسـوف تُشـير الخريطـة إلـى كيفيـة وصولـه إلـى الخطـوط الرئيسـة للبحـر الأبيـض المتوسـط، وشـمال غـرب أوروبـا، والجزيـرة العربيـة، والبحـر الأسـود. أبعـد مـن هـذه المناطـق كان يمكـن أن يتوقـف فقـط علـى الإشـارات والتخمينـات الصعبـة مـن التُّجّـار السُّـذَّج غيـر

المتعلمين. ولكن تجدر الإشارة إلى أسلوبه في تحديد خط العرض، كما كان يتبعه معظم الجغرافيين الناجحين بين خط الاستواء والنقطة الشمالية القصوى المعروفة لديه، فهو يُقَسِّمُ الأرض إلى شرائط أفقية، أطلق عليها اسم «المناخات»، والتي يحددها متوسط طول أطول يوم في كُلٍ منهما. هذه طريقة صعبة للغاية لتحديد خطوط الطول، ولكن كان من المحتمل، في معظم الحالات، هو كل ما كان على بطليموس أن يعتمد عليه، لأن قياس الزوايا سيكون إنجازاً نادراً حتى في العصر الحديث، ولن يكون موجوداً إلا بين عددٍ قليلٍ من عُلماء الرياضيات وعُلماء الفلك في أيام بطليموس. وأغلق معه تاريخ المعرفة الجغرافية والاكتشاف في العالم القديم.

في هذا الفصل تقريباً قمت بتقديم أسماء ومآثر الرجال اليونانيين الذين لَخَّصوا في سلسلةٍ من سجلاتٍ منتظمةٍ المعرفةَ التي حصلوا عليها من التُّجّار، ومن الجنود، ومن قبل الرَّحّالة على مدى العالم المعروف عند القدماء. حتى الآن تم الحصول على أكبر قدرٍ من هذه المعرفة، ليس عن طريق البحث المنهجي لغرض الجغرافيا، ولكن عن طريق الحملات العسكرية لغرض الغزو. يجب علينا الآن أن نُعيد تَتَبُّعَ خطواتنا، وإعطاء مُراجعةٍ تقريبيةٍ للمراحلِ المختلفةِ من الغزو الذي فيه مناطق مختلفة من العالم القديم أصبحت معروفةً لدى الإغريق والإمبراطوريةِ الرومانية، والتي لخص بطليموس معرفتها.

Authorities: Bunbury, History of Ancient Geography, 2 vols., 1879; Tozer, History of Ancient Geography, 1897.

هوامش الفصل الأول

(1) **كورنـوال Cornwall**: مقاطعـة إنجليزيـة سـاحلية جنـوب غـرب إنجلتـرا، تقـع إلـى الغـرب مـن نهـر تامـار وديفـون.

(2) **نيخـو الثانـي Necho II** (610 قبـل الميـلاد – 595 قبـل الميـلاد): ملـك مصـري، مـن ملـوك السـلالة السادسـة والعشـرين، قـام نيشـو بعـدة مشـاريع مـن مشـاريع البنـاء فـي مملكتـه، وفـي عهـده، وفقـاً لروايـة المـؤرخ اليونانـي هيرودوتـس، قـام نيخـو الثانـي بإرسـال رحلـة استكشـافية مـن الفينيقييـن، أبحـرت فـي ثـلاث سـنوات مـن البحـر الأحمـر حـول أفريقيـا إلـى مصـب نهـر النيـل.

(3) **هيـرودوت أو هيرودوتـس: Herodotus** كان مؤرخـاً إغريقيـاً يونانيـاً آسـيوياً عـاش فـي القـرن الخامـس قبـل الميـلاد (حوالـي 484 ق.م – 425 ق.م). اشـتهر بكتابـة وصـف لـكل الأماكـن العديـدة التـي زارهـا حـول العالـم المعـروف آنـذاك، وأنـاس قابلهـم فـي رحلاتـه وكتـب عـن السـيطرة الفارسـية علـى اليونـان. عـرف هيرودوتـس بفضـل كتابـه **(تاريـخ هيرودوتـس)** الـذي يصـف فيـه أحـوال البـلاد والأشـخاص الذيـن لاقاهـم فـي ترحالـه حـول حـوض البحـر المتوسـط، وزار مختلـف أنـواع مسـارح المعـارك، كمـا أن موضـوع كتابـه الأساسـي هـو الحـروب بيـن الإغريـق والفُـرس أو الميدييـن، ولعلـه كان حاضـراً شـخصياً فـي بعـض المعـارك، مثـل معركـة ماراثـون ومعركـة سـالاميس.

(4) **هوميـروس Homer**: شـاعر ملحمـي إغريقـي أسـطوري، مؤلـف الملحمتيـن الإغريقيتيـن الإليـاذة والأوديسـة. بشـكلٍ عـام، آمـن الإغريـق القدامـى بـأن هوميـروس كان شـخصية تاريخيـة، لكـن الباحثيـن المحدَثيـن يُشـككون فـي هـذا، ذلـك أنـه لا توجـد ترجمـات موثوقـة لسـيرته باقيـة مـن الحقبـة الكلاسـيكية (Classical Antiquity)، كمـا أن الملاحـم المأثـورة عنـه تمثـل تراكمـاً لقـرونٍ عديـدة مـن القصـص الشـفاهية وعروضـاً شـعرية؛ ويـرى مارتـن وسـت أن هوميـروس ليـس اسـماً لشـاعرٍ تاريخـي، بـل اسـماً مسـتعاراً.

(5) **دلفـي Delphi** : هـي مدينـة علـى المنحـدرات الجنوبيَّـة لجبـل بارناسـوس، وكان فـي هـذه المدينـة أقـدم معبـد دينـي فـي بـلاد اليونـان القديمـة، وكانـت تقـع فـي مقاطعـة فوكيـس.

(6) **هسـيود Hesiod** (846 – 777 ق.م): مـن أعظـم شـعراء اليونـان القدامـى، ويضعـه هيرودوتـس فـي المرتبـة نفسـها مـع معاصـره هوميـروس. ولـد فـي بلـدة كيمـي Cyme فـي آسـيا الصغـرى.

(7) **الهايبربورينـي Hyperborean**: فـي الميثولوجيـا اليونانيـة؛ هـم الشـعب الأسـطوري الـذي

عاش ما وراء رياح الشمال. اعتقد اليونانيون أن بورياس إله ريح الشمال قد عاش في تراقيا، وبالتالي فإن الهايبربوريني كانوا يعيشون أبعد من تراقيا.

(8) **جورج أوغست شفاينفورث Georg August Schweinfurth** (29 ديسمبر 1836 - 19 سبتمبر 1925): عالم نبات ألماني بلطيقي، ومستكشف لشرق أفريقيا الوسطى وعالم بالإثنولوجيا (علم الأجناس البشرية).

(9) **السير هنري مورتون ستانلي Sir Henry Morton Stanley** من مواليد (جون رولاندز، 28 يناير 1841م – توفي في 10 مايو 1904م): صحفي ومستكشف أمريكي، كان يلقب في جمهورية الكونغو الديمقراطية بلقب (بولا ماتاري) أي (مُحطِّم الصخور)، اشتهر باستكشافه لأفريقيا الوسطى، وببحثه عن المبشر والمستكشف (ديفيد ليفينغستون)، وكذلك ببحثه عن مصدر نهر النيل، وعمله وتطويره في منطقة حوض الكونغو بالاشتراك مع ملك بلجيكا (ليوبولد الثاني)، وقيادة البعثة التي أرسلت لأمين باشا.

(10) **بلاد بابل أو البابلية Babylon** : تعني بالأكّدية **(بوابة الإله)**. كان الفرس يطلقون عليها بابروش دولة بلاد ما بين النهرين القديمة، كانت تعرف ببلاد سومر وكانت تقع بين نهري دجلة والفرات جنوب بغداد بالعراق. ظهرت الحضارة البابلية ما بين القرنين الثامن عشر قبل الميلاد، والسادس قبل الميلاد. مركز هذا الإقليم هو مدينة بابل التي مرّ عليها خلال فترات وجودها العديد من الشعوب والحكام، وكانت تقوم على الزراعة وليس الصناعة، وبابل دولة أسسها حمورابي العام 1763ق.م. وهزم آشور العام 1760 ق.م، وأصدر (قانون حمورابي).

(11) **ماغنا غراسيا (اليونان الكبرى)**: اسم أطلق على المناطق الساحلية في جنوب إيطاليا في خليج تارانتو والتي استوطنها الإغريق، ولا سيما في المستعمرات الأشينية مثل ترينتم وكروتوني وسيباريس، ولكن أيضاً بشكل فضفاض على مدن كوماي ونيابوليس إلى الشمال. جلب المستعمرون الذين قدموا في القرن الثامن قبل الميلاد معهم حضارتهم الهلنستية التي تركت بصمة دائمة في إيطاليا ولا سيما عبر ثقافة روما القديمة.

(12) **مرسيليا أو مارسيليا**، وتسمى بالفرنسية **(Merseille)**، أما بالإنجليزية فتسمى **(Merseilles)**: هي مدينة من مدن فرنسا، تقع في الجهة الجنوبية لفرنسا، وتبعد عن مدينة باريس حوالي 660 كلم إلى الجنوب منها، وتعتبر مرسيليا مدينة ساحلية، حيث إنها تشكل جزءًا من الساحل الجنوبي لفرنسا، وتطل على خليج ليون الذي يتصل بالبحر المتوسط، وهناك مدينة أخرى في العالم تحمل الاسم ذاته، هي: مدينة مرسيليا التي تقع في ولاية إلينوي الأمريكية، كما توجد قرية تقع في ولاية أوهايو الأمريكية تسمى أيضًا باسم مرسيليا، وبلدة تقع في جنوب أفريقيا تسمى بـ (مرسيليا)، ولكن المدينة التي يتكلم عنها المؤلف في هذا الكتاب هي مدينة مرسيليا الفرنسية.

(13) **خليــج ليــون Gulf of Lyons**: هــو خليــج واســعٌ يمتــدُّ مــن شــرق كتالونيــا إلــى الغــرب مــن مدينــة تولــون الفرنســية، وتُعــدُّ مرســيليا المينــاء الرئيــس علــى الخليــج. يصــبُّ فــي خليــج ليــون عــددٌ مــن الأنهــار مــن بينهــا نهــر الــرون.

(14) **أناكســيماندر Anaximander** (610 ق.م, 546 ق.م): كان مــن فلاســفة مــا قبــل ســقراط وعــاش فــي ميليتــوس، إحــدى مدائــن أيونيــا. انتمــى إلــى المدرســة الميليســية، وتلقّــى تعاليــم أســتاذه طاليــس وخلفــه وأصبــح الأســتاذ الثانــي لهــذه المدرســة حيــث جعــل أناكزيمينيــس وفيثاغــورس مــن تلامذتــه. لا يعــرف إلا القليــل مــن كتاباتــه وحياتــه اليــوم، ووفقــاً للوثائــق التاريخيــة المتاحــة، فإنــه أول فيلســوف يــدوّن فلســفته، بالرغــم مــن أن مســودة واحــدة فقــط مــن أعمالــه هــي التــي بقيــت. كان أناكســيماندر مــن أوائــل الفلاســفة الإغريــق الذيــن ظهــروا فــي بدايــة العصــر المحــوري، الفتــرة مــن 700 ق.م إلــى 200 ق.م.

(15) **ميليتــوس Miletus**: مدينــة قديمــة فــي آســيا الصغــرى، علــى الشــاطئ الجنوبــي مــن الخليــج اللاتمــي قــرب مصــب نهــر مايانــدر، وهــي الآن تدعــى بالاتــا.

(16) **بيزنطــة أو بيزنطيــة (Byzantium)**: هــي مدينــة إغريقيــة قديمــة تقــع علــى مضيــق البوســفور بتركيــا، أسســت العــام 658 ق.م. وكانــت مــن قبــل قريــة للصياديــن أسســتها مدينــة إغريقيــة قديمــة تســمى ميغــارا، وقــد ســميت علــى اســم بيــزاس ابــن نيســوس ملــك ميغــارا. وفــي العــام 335م جعلهــا الإمبراطــور قســطنطين عاصمــة للإمبراطوريــة الرومانيــة الشــرقية (الإمبراطوريــة البيزنطيــة) وأصبــح يطلــق عليهــا القســطنطينية نســبة للإمبراطــور قســطنطين مؤســس الإمبراطوريــة، وكان فيهــا مقــر بطريركيــة الكنيســة الإرثوذكســية الشــرقية بكنيســة آيــا صوفيــا (مســجد آيــا صوفيــا حاليــاً)، وكان محمــد الفاتــح العثمانــي قــد فتحهــا العــام 1453م وأطلــق عليهــا (إســلام بــول)، ثــم أطلــق عليهــا العثمانيــون الآســتانة، وحاليــاً يطلــق عليهــا إســطنبول.

(17) **القســطنطينيّة Constantinople** : هــي عاصمــة الدولــة الرومانيّــة، وعاصمــة الإمبراطوريّــة البيزنطيّــة. تقــع مدينــة القســطنطينية علــى مضيــق البوســفور (مدينــة إســطنبول حاليــاً)، وهــي مُلتَقــى قارتــيّ آســيا وأفريقيــا، وتُعــدّ مــن إحــدى المُــدن القلائــل التــي تقــع فــي قارتَيــن. مدينة القســطنطينيّة هــي شــبه جزيــرة، يُحيطُهــا المــاء مــن ثــلاث جهــات، حيــث يحُدّهــا مــن الشــرق مضيــق البوســفور، ومــن الجنــوب بحــر مرمــرة، ومــن الشــمال مــا يُســمّى بالقــرن الذهبــيّ، أمّــا مــن الغــرب فتحُدّهــا قــارة أوروبــا. قامــت علــى القســطنطينيّة إحــدى أهــم وأطــول الحضــارات فــي التاريــخ، حيــث امتــدت عبــر أكثــر مــن ألــف ســنة، وشَــهِدت القســطنطينيّة العديــد مــن الفتوحــات والمعــارِك؛ ويرجِــع تاريــخ القســطنطينيّة إلــى القــرن الســابع قبــل الميــلاد، حيــث أثبتــت القســطنطينيّة أهميتهــا لجميــع الحضــارات التــي قامــت عليهــا. سُــكِنتْ مدينــة القســطنطينيّة لأول مــرة فــي العــام 680 قبــل الميــلاد، حيــثُ سَــكَنها الميغــارة قدومــاً مــن اليونــان، وأطلقــوا عليهــا اســم هالكيــدون، وفــي العــام 660 قبــل الميــلاد قدِمَــت أقــوام

أخـرى مـن الميغـارة واسـتقرّ أفرادهـا فـي المدينـة، وأطلقـوا عليهـا اسـم بيزنطيـون، نسـبةً إلـى اسـم قائدهـم، تعرضـت بعدهـا المدينـة للكثيـر مـن الغـزوات والحـروب. وفـي العـام 313 ميـلادي تعرّضـت المدينـة للهجـوم مـن قِبَـل النيكوميديين الذيـن اسـتولوا عليهـا، حتّـى قـدوم الإمبراطـور الرومانـيّ قسـطنطين الـذي اسـتعادَها.

(18) **هيكاتايـوس HECATAEUS** (نحـو 500 ق.م): ويُعـرف بالملطـي نسـبة إلـى مسـقط رأسـه. واحـد مـن أبـرز جغرافيـي الإغريـق فـي العصـور القديمـة، وهو مـؤرخ وشـاعر أيضاً، ينتسب إلـى إحـدى الأسـر النبيلـة فـي مدينـة ميليتـوس (ملطيـة) فـي آسـيا الصُّغـرى التـي خضعـت وقتهـا لسـيطرة الإمبراطوريـة الفارسـية، وهـو ابـن المدعـو هغِسـاندروس الـذي تمكـن مـن تعليـم ابنـه وتثقيفـه فـي وقـتٍ لـم يكـن هـذا الأمـر متاحـاً لأقرانـه. تذكـر سـيرة حياتـه أنه نشـأ وطنيـاً متحمسـاً، كـره الحكام الفـرس منـذ طفولتـه، ولهـذا أصبـح فـي فتوتـه واحـداً مـن أبـرز المشـاركين فـي الثـورة التـي عُرِفَـت باسـم ثـورة المـدن الإيونيـة (500 –494ق.م) التـي كانـت السـبب المباشـر فـي الحـروب الفارسـية بيـن الإغريـق والفـرس، كمـا تذكـر السـيرة أنـه زار عـدداً مـن مناطـق شـرقي المتوسـط ولا سـيّما مصـر، وكتـب عـن زياراتـه تلـك كتابين (وصلـت معلومـات عنهمـا عـن طريـق مؤرخيـن لاحقيـن).

(19) **هاليكارناسـوس Halicarnassus** : هـي مدينـة إغريقيـة أثريـة قديمـة تَقـع إلـى الجنـوب الغربـي مـن إقليـم كاريـا، تقـع مكانهـا الآن مدينـة بـودروم، ويعـدّ المـؤرخ هيرودوتـس أشـهر مـن أنجبتـه هـذه المدينـة.

(20) **سـيثيا أو سـقيثيا أو سـكيثيا Scythia**: منطقـة مـن أوراسـيا الوسـطى فـي العصـور القديمـة الكلاسـيكية التـي سـكنها السـيكيثيون الإيرانيـون الشـرقيون مـن القـرن الثامـن قبـل الميـلاد إلـى القـرن الثانـي بعـد الميـلاد، وتشـمل أجـزاء مـن أوروبـا الشـرقية شـرق نهـر فيسـتولا وآسـيا الوسـطى، مـع الحـواف الشـرقية للمنطقـة التـي تـم تعريفهـا بشـكل غامـض مـن قبـل الإغريـق، ولقـد قـدّم الإغريـق القديمـة اسـم سـيثيا (أو سـيثيا العظمـى) لجميـع الأراضـي الواقعـة شـمال شـرق أوروبـا والسـاحل الشـمالي للبحـر الأسـود.

(21) **قبيلـة الناسـامونيس Nasamonians**: قبيلـة ليبيـة، أشـار إليهـا هيرودوتـس بـأن موطنهـا (يقـع إلـى الغـرب مـن موطـن قبيلـة الأوسخيسـاي الليبيـة) دون أن يحـدد إلـى أي مـدى يمتـد موطنهـم نحـو الغـرب؛ ونجـد أن المـؤرخ (سـكيلاكس) يذكـر بـأن موطـن هـذه القبيلـة يمتـد نحـو الغـرب حتـى يصـل مذبـح الأخويـن فيلاينـي، ويذكر(هيرودوتـس) أنّ قبيلة النسـامونيس (اعتـادوا علـى تـرك قطعانهـم فـي الصيـف بجـوار البحـر، ويرحلـون نحـو موقـع يقـــال لـه أوجلـه ليجنـوا التمـر مـــن النخيـل الـذي ينمـو هنـاك بكثـرة، ويتكلمـون اللغـة البربريـة)، كانـت موجـودة فـي موطنهـا حـول خليـج سـرت طـوال العصـور القديمـة حيـث ورد ذكرهـا لـــدى (هيرودوتـــس) و (ســـكيلاكس) و(إســـترابون) و (ديـــودوروس الصقلـــي) و (بلينـــي

الأكبر) و (بطليموس) وغيرهم؛ غير أنها عُرفت لاحقاً بأسماء أخرى كصنهاجه ولواته، وكان الرومان يحسبون ألف حساب لقبيلة النسامونيس القوية التي تتمركز حول خليج سرت، إذ كان النسامونيس يضايقونهم بالتعرض لطرق التجارة بالداخل ومهاجمة سفنهم وإغراقها عند السواحل.

(22) **تيمْبُوكْتُو Timbuctoo**: مدينة في مالي، وهي من أهم وأقدم العواصم الإسلامية في غرب أفريقيا، سُميت قديماً **تنبكت**، وتلقب بجوهرة الصحراء المتربعة على الرمال. يجمع المؤرخون على أن معنى كلمة تمبكتو هو حافظة الأمانات وهو مأخوذ من اسم امرأة من الطوارق اسمها (**تن بكتاون**) أي حافظة الأمانات، كانت تقطن في الموقع الذي تأسست عليه المدينة فيما بعد. كانت هذه المرأة تحفظ للسكان الرحل الأمانات والودائع والأمتعة فاشتهر بها المكان وغلبت التسمية على المدينة بعد ذلك. وإذا كان الطوارق قد سموا تمبكتو بهذا الاسم لارتباطها عندهم بالعجوز بكتو **حافظة الأمانات**، فإن القواميس الإنجليزية تفسر هذه التسمية بأنها **المكان القصي** الذي لم تطأه قدم البشر ولم يدركه بصر. تأسست مدينة تمبكتو ببداية القرن الحادي عشر الميلادي، إلا أنها لم تكتسب شهرة واسعة بوصفها حاضرة للثقافة الإسلامية إلا في منتصف القرن الخامس عشر، وهي بوابة بين شمال وغرب أفريقيا، وملتقى القوافل البرية للقادمين من النيجر وليبيا، وكذلك تجار الملح القادمين من تودني، أنجبت العديد من الفقهاء والعلماء، وازدهرت فيها الحركة الثقافية، وتعاقب عليها الغزاة وآخرهم الفرنسيون الذين قاومتهم قبائل المنطقة بقيادة محمد علي الأنصاري. واحة تمبكتو هي حاضنة الإسلام في الصحراء الكبرى، ومنارة للعلم فيها، ومجمع العلماء، وهي من أشهر المدن في غرب أفريقيا، وخصوصاً منذ القرن الثالث عشر، وسكانها جميعهم مسلمون وأشهر القبائل التي تقطن المنطقة هم قبيلة الأنصار التي ظهر فيها محمد علي والذي اغتيل في العام 1897م، وقبيلة السنغاي التي تشكل الغالبية السكانية وكذلك القبائل المتفرعة من الأشراف الأدارسة الذين اشتروا منطقة شمال النهر من أحد ملوك مالي السابقين، وبعض القبائل ذات الأصول العربية والطوارق والبرابيش.

(23) **زينوفون الأثيني Xenophon** (430-354 قبل الميلاد): فيلسوف يوناني قديم، ومؤرخ، وجندي، وتلميذ من تلاميذ سقراط. عُرف عن زينوفون تسجيله لتاريخ عصره، أواخر القرن الخامس وأوائل القرن الرابع قبل الميلاد.

(24) **الإسكندر الثالث المقدوني** Alexander III of Macedon، والمعروف أيضاً باسم **الإسكندر الأكبر** (21 يوليو 356 قبل الميلاد – 10 أو 11 يونيو 323 قبل الميلاد): كان ابن الملك فيليب الثاني المقدوني، أصبح ملكاً إثر وفاة والده في العام 336 قبل الميلاد وبدأ في غزو معظم بلدان العالم المعروفة في يومه، وهو معروف باسم «العظيم» بسبب عبقريته العسكرية ومهاراته الدبلوماسية في التعامل مع مختلف سكان المناطق التي غزاها،

ومـن المسـلَّم بـه أيضـاً نشـره الثقافـة اليونانيـة واللغـة والفكـر اليونانـي فـي جميـع أنحـاء آسـيا الصغـرى ومصـر وبـلاد الرافديـن إلـى الهنـد، وبالتالـي بـدأ معـه عصـر «العالـم الهلنسـتي».

(25) **هانـو الكبيـر Hanno** (المتوفـى فـي العـام 204 ق.م.): قائـد قرطاجـي خـدم تحـت إمـرة حنبعل خـلال الحـرب البونيقيـة الثانيـة، كان لـه سـجلٌّ عسـكري سـيئ؛ ففـي العـام 215 ق.م، هُـزم علـى يـد تيبيريـوس لونجيـوس فـي جرومنتيـوم، وفـي العـام 214 ق.م، هـزم أمـام جراكـوس فـي معركـة بنفنتـوم الأولـى، وبعـد ذلـك بعاميـن هـزم مـرة أخـرى فـي معركـة بنفنتـوم الثانيـة، وهـذه المـرة أمـام كوينتـوس فلافيـوس فلاكـوس، ثـم فـي العـام 207 ق.م.، هـزم هـو وماجـو برقـا فـي أيبيريـا، وأخيـراً قُتـل علـى يـد سـكيبيو الأفريقـي فـي العـام 204 ق.م.

(26) **سـيراليون Sierra Leone**: رسـمياً جمهوريـة سـيراليون، وهـي بلـد فـي غـرب أفريقيـا، تحدهـا غينيـا إلـى الشـمال الشـرقي، وليبريـا مـن الجنـوب الشـرقي، والمحيـط الأطلسـي إلـى الجنـوب الغربـي. تتمتـع سـيراليون بمنـاخ اسـتوائي، مـع بيئـة متنوعـة تتـراوح بيـن السـافانا والغابـات المطيـرة، ويبلـغ مجمـوع مسـاحتها حوالـي 740 71 كلـم٢ (799 27 ميـلاً مربعـاً).

(27) **سـكيلاكس Scylax**: مستكشـف يونانـي شـهير، وكاتـب فـي أواخـر القـرن السـادس وأوائـل القـرن الخامـس قبـل الميـلاد. فقـدت كتاباتـه الخاصـة، علـى الرغـم مـن الاستشـهاد بهـا فـي بعـض الأحيـان أو اقتباسـها مـن قبـل الكتـاب اليونانييـن والرومـان فـي وقـت لاحـق.

(28) **نيارخـوس Nearchus** (360 قبـل الميـلاد – 300 قبـل الميـلاد): أحـد ضبـاط جيـش الإسـكندر الأكبـر. معـروفٌ برحلتـه الشـهيرة مـن نهـر السـند إلـى الخليـج العربـي فـي أعقـاب حملـة الإسـكندر الأكبـر الهنديـة مـن 326 إلـى 324 قبـل الميـلاد. قـدم سـرداً لرحلتـه فـي كتـاب آريانـوس إنديـكا الـذي كتـب فـي القـرن الثانـي الميـلادي.

(29) **هيبالـوس Hippalus**: كان ملاحـاً وتاجـراً يونانيـاً ربمـا عـاش فـي القـرن الأول قبـل الميـلاد، ويخمـن فـي بعـض الأحيـان أنـه كان قبطـان المستكشـف اليونانـي يودوكسـوس علـى السـفينة سـيزيكوس.

(30) **بلوشسـتان Beluchistan**: إقليـم جـاف يقـع علـى طـرف الهضبـة الإيرانيـة، ويمتـد بيـن كل مـن إيـران وباكسـتان وأفغانسـتان. سـميت المنطقـة بذلـك بعـد نـزوح القبائـل البلوشـية إليهـا قبـل آلاف السـنين. اللغـة الشـائعة فـي الإقليـم هـي اللغـة البلوشـية، إضافـة إلـى البراهوئيـة والرخشـانية، والجـزء الجنوبـي مـن إقليـم بلوشسـتان يعـرف بإقليـم مكـران المطـل علـى بحـر العـرب.

(31) **ميغاسـثينس Megasthenes** (350 - 290 ق.م): مـؤرخ يونانـي قديـم، ودبلوماسـي، وأثنوغرافـي، ومستكشـف فـي الفتـرة الهلنسـتية، مؤلـف العمـل المشـهور (إنديـكا). ولـد

فـي آسـيا الصغـرى وأصبـح سـفيراً لسـلوقوس الأول إلـى الهنـد، بيـد أن الموعـد المحـدد لسـفارته غيـر مؤكـد، ويضعـه العلمـاء قبـل العـام 298 قبـل الميـلاد.

(32) **سـلوقس الأول نيكاتـور المنتصـر seleucus** (358 - 281 قبـل الميـلاد): كان واحـداً مـن الجنـرالات، بعـد أن خـدم سـابقاً كجنـرال مشـاة تحـت الإكسـندر الأكبـر. تولـى فـي نهايـة المطـاف لقـب باسـيليوس وأنشـأ الإمبراطوريـة السـلوقية علـى الكثيـر مـن الأراضـي فـي الشـرق الأدنـى التـي غزاهـا ألكسـندر.

(33) **بيثيـاس Pytheas** : جغرافـي ومستكشـف يونانـي مـن مرسـيليا، عاش فـي نهايات القـرن الرابع قبـل الميـلاد، تعـرض لعقبـات فرضتهـا البحريـة القرطاجيـة فـي جبـل طـارق، وحوالـي العـام 325 ق.م، بـدأ يستكشـف السـواحل الشـمالية لأوروبـا. أبحـر حـول بريطانيـا واكتشـف هـذه المنطقـة، ووصـل إلـى النرويـج ولعلـه وصـل أيضـاً إلـى الدائـرة القطبيـة الشـمالية، وكان أول مـن وصـف شـمس منتصـف ليـل الجليـد القطبـي، وأول مـن ذكـر اسـم بريطانيـا والقبائـل الجرمانيـة، وكان أول مـن أدخـل فكـرة «Thule» البعيـد للخيـال الجغرافـي، وهـو أول مـن ذكـر أن القمـر هـو سـبب المـد والجـزر.

(34) **خليـج بسـكاي Bay of Biscay** : امتـداد للمحيـط الأطلسـي، علـى السـاحل الغربـي لأوروبا، يقـع إلـى الغـرب مـن فرنسـا، وشـمالي إسـبانيا، ويبلـغ طـول شـاطِئ خليـج بسـكاي حوالـي 640 كـم، ويبلـغ عرضـه عبـر أوسـع نقاطـه 480كـم، ويأخـذ خليـج بسـكاي اسـمه مـن الباسـك، وهـم قـوم يعيشـون علـى امتـداد صخـور الشـاطِئ الإسـباني.

(35) **نهـر إلبـه River Elbe** : أحـد الأنهـار الرئيسـة فـي أوروبـا الوسـطى، ينبـع مـن جبـال كركونـوس فـي جمهوريـة التشـيك الشـمالية، ويعبـر مـن بوهيميـا (الجمهوريـة التشـيكية)، ثـم ألمانيـا ويتدفـق فـي بحـر الشـمال فـي كوكسـهافن، علـى بعـد 110 كـم (68 ميـل) شـمال غـرب هامبـورغ، ويبلـغ طولـه الإجمالـي 1094 كيلومتـراً (680 ميـلاً).

(36) **جزيـرة ثـول thule**: وتسـمى أيضـاً جزيـرة موريـل، وهـي واحـدة مـن جـزر سـاندويش الجنوبيـة، وجـزءٌ مـن المجموعـة المعروفـة باسـم ثـول الجنوبيـة. سـميت بسـبب موقعهـا البعيـد، بعـد الأرض الأسـطورية ثـول، وقـال عنهـا الجغرافيـون القدمـاء بأنهـا تكمـن فـي الطـرف الأقصـى مـن الأرض. الاسـم البديـل للجزيـرة هـو (موريـل) علـى اسـم : بنجاميـن موريـل، المستكشـف الأمريكـي، وصيـاد الحيتـان.

(37) **شـيتلاند Shetlands**: كمـا تُدعـى جـزر شـتلاند، وهـي أرخبيـل شـبه قطبـي يقـع شـمال شـرق جزيـرة بريطانيـا العظمـى، ويشـكل جـزءاً مـن اسـكتلندا، المملكـة المتحـدة.

(38) **إراتوسـثينيس القورينـي Eratosthenes** (276 - 194/195 ق.م): عالـم رياضيـات يونانـي، وجغرافـي، وشـاعر، وعالـم فلكـي، وموسـيقي، أصلـه مـن مدينـة قورينـي الليبيـة، كان

معلماً، ثم أصبح كبير أمناء مكتبة الإسكندرية، اخترع تخصص الجغرافيا، بما في ذلك المصطلحات المستخدمة اليوم.

(39) **الإسكندرية Alexandria**: ثاني أكبر المدن في مصر وثاني أكبر منطقة كبرى في مصر بعد القاهرة الكبرى من حيث المساحة وعدد السكان، تمتد بطول 32 كم على امتداد ساحل البحر المتوسط على الساحل الشمالي لمصر، وهي أيضاً أكبر المدن الممتدة على ساحل المتوسط. أسسها الإسكندر الأكبر 333 ق.م، فغدت مركزًا للثقافة العالمية، اشتهرت عبر التاريخ بمكتبة الإسكندرية الغنية التي أثرت الثقافة الإنسانية واشتهرت أيضاً بمدرستها اللاهوتية والفلسفية. شيد البطالمة منارة الإسكندرية التي اعتبرت من عجائب الدنيا السبع، وذلك لارتفاعها الهائل حوالي 35 متراً. ظلت هذه المنارة قائمة حتى دمرها زلزال شديد العام 1307م، وحديثاً بُنيت في الإسكندرية مكتبة الإسكندرية الجديدة في العام 2001م.

(40) **سين Syene**:الاسم القديم لمدينة أسوان المصرية، وهي عاصمة محافظة أسوان وأهم مدن النوبة المنطقة الحضارية التي طالما ظلت البوابة الجنوبية لمصر. تقع المدينة على الضفة الشرقية لنهر النيل عند الشلال الأول، وكانت تُعرف باسم (**سونو**) في عصور المصريين القدماء ومعناها السوق حيث كانت مركزاً تجارياً للقوافل القادمة من وإلى النوبة، ثم أطلق عليها في العصر البطلمي اسم (**سين**) وسماها النوبيون (**يبا سوان**)، وعُرفت أيضاً باسم بلاد الذهب لأنها كانت بمثابة كنز كبير أو مقبرة لملوك النوبة الذين عاشوا فيها آلاف السنين. كانت حدود أسوان تمتد قديماً قبل الهجرة من أسنا شرقاً إلى حدود السودان جنوباً وكان سكانها من النوبيين ولكن بعد الفتح الإسلامي لبلاد النوبة سكن فيها بعض قبائل العرب.

(41) **خط غرينيتش أو مدار غرينيتش Greenwich**: هو خط افتراضي لحساب التوقيت، سمي بذلك لأنه يمر في مدينة غرينيتش في لندن. يقسم خط غرينتش الكرة الأرضية إلى قسمين شرقي وغربي؛ وثمة 360 خط طول، منها 180 خطاً شرقي خط غرينيتش، و180 خطاً غربي خط غرينيتش، غرينتش ضاحية تقع جنوب شرق لندن، وهي الآن جزء من لندن تستطيع تمييزها بسهولة من أول نظرة على خريطة لندن وذلك لوقوعها تحت الانحناء المميز لنهر التايمز، يمر خط غرينتش على أوروبا وأفريقيا وهو يفصل بعض الدول إلى قسمين مثل الجزائر وبريطانيا وفرنسا ومالي وغانا وهو يمر على مناطق لديها التوقيت نفسه.

(42) **سانت ڤينسنت Saint Vincent**: جزيرة بركانية تابعة لسانت فينسنت والغرينادين، تقع في أرخبيل جزر أنتيل ويندوارد في البحر الكاريبي، وهي الجزيرة الأكبر، وتقع بين كل من جزيرتي سانت لوسيا و غرينادا، وتتكون من جبال بركانية مغمورة جزئياً، ويعتبر بركان لا سوفريير، النشط، أكبر وأعلى قمة في البلاد.

(43) **مسـينا Messina** : مدينـة إيطاليـة فـي جزيـرة صقليـة، علـى شـاطئ المضيـق المعـروف باسـمها مضيـق مسـينا، وهـي ثالـث أكبـر مـدن صقليـة، وعاصمـة مقاطعـة مسـينا.

(44) **جزيـرة رودس Rhodes:** هـي جزيـرة يونانيـة فـي البحـر الأبيـض المتوسـط، تُعـرف تاريخيـاً بكونهـا موقـع وجـود تمثـال أبولـو رودس، وهـو إحـدى عجائـب الدنيـا السـبع. تقـع بالقـرب مـن السـاحل الجنوبـي لتركيـا، فـي منتصـف المسـافة بيـن جـزر اليونـان الرئيسـة وقبـرص، وتُعـدّ أبعـد الجـزر الشـرقية بالنسـبة لليونـان وبحـر إيجـة، تبعـد عـن غـرب تركيـا بحوالـي 18 كلـم. فـي العـام 2001 م بلـغ عـدد سـكانها 117792 نسـمة، منهـم 55 إلـى 60 ألفـاً يعيشـون فـي مدينـة رودس، ويقـدر عـدد المسـلمين فيهـا بــ 3500 مسـلم.

(45) **أسـوس Essus**: مدينـة تركيـة حاليـاً ويونانيـة قديمـاً فـي إقليـم طـروادة، وتُعـرف باسـم بهـرام بالتركيـة، تقـع علـى الخليـج الأدراميتي.

(46) **خليـج إسـكندرون Iskanderun**: هـو خليـج يقـع فـي الزاويـة الشـمالية الشـرقية للبحـر الأبيـض المتوسـط، ويُعـدّ المنفـذ الطبيعـي والتاريخـي لولايـة حلـب إلـى البحـر المتوسـط، وكانـت معظـم تجـارة حلـب البحريـة تمـر عبـر خليـج الإسـكندرون وميناء إسـكندرونة. أهـم المـدن علـى الخليـج الإسـكندرونة وأرسـوز.

(47) **سـترابو STRABO** (64 أو 63 قبـل الميـلاد – 24 ميـلادي): جغرافـي وفيلسـوف ومـؤرخ يونانـي، عـاش فـي آسـيا الصغـرى خـلال الفتـرة الانتقاليـة للجمهوريـة الرومانيـة فـي الإمبراطوريـة الرومانيـة.

(48) **آيرلنـدا**: جزيـرة تقـع فـي شـمال شـرق المحيـط الأطلسـي، محاذيـة لجزيـرة بريطانيـا، يفصلهـا عـن بريطانيـا كل مـن بحـر الشـمال، و البحـر الآيرلنـدي، وقنـال القديـس جـورج والبحـر الكلتـي وآيرلنـدا الشـمالية، التابعـة للمملكـة المتحـدة، تكـون الجـزء الآخـر الصغيـر مـن الجزيـرة، تعـرف فـي اللغـة الغيليـة «آيـر»، كمـا تعـرف بـ «جزيـرة الزمـرد» لجمـال ريفهـا الأخضـر.

(49) **البحـر الإريثـري «البحـر الأحمـر» Erythraean Sea**: هـو الاسـم القديـم للبحـر الأحمـر، الـذي ورد فـي رسـم الخرائـط القديمـة لجسـم الميـاه الواقعـة بيـن القـرن الأفريقـي وشـبه الجزيـرة العربيـة. الاسـم الآن عفـا عليـه الزمـن.

(50) **جزيـرة سـيلان Ceylon**: تقـع فـي جنـوب قـارة آسـيا وجنوبـيّ الهنـد. سـيلان هـو الاسـم القديـم لدولـة سـريلانكا حاليّـاً، وتُعتَبـر جزيـرة مـن الجُـزر الموجـودة فـي المُحيـط الهنـديّ، وتُعـرَف رسـميّاً باسـم جمهوريّـة سـريلانكا الديموقراطيّـة.

(51) **كلوديـوس بَطْلَيمـوس أو بَطْلُمْيـوس Ptolemy** (ولـد نحـو سـنة 87م وتوفّـي قُـرْب الإِسْـكَندريّة نحـو 150م) : هـو رياضـي وجغرافـيّ وعالـم موسـيقى وعالـم فلـك يُونانِـيّ

مـن أهـل القـرن الثانـي للميـلاد، وهـو مـن أشـهر وأكبـر علمـاء الفلـك والجغرافيـا الذيـن عرفهـم التاريـخ منـذ سـنواتٍ وعصـور قديمـة؛ حيـث يعـود الفضـل إليـه فـي وضـع العديـد مـن الملاحظـات والنظريـات المُهمّـة، والتـي قـام الدارسـون بتدوينهـا وتجميعهـا علـى شـكل كتـاب يحتـوي علـى ثلاثـة عشـر جـزءاً، بعنـوان التراكيـب الرياضيـة، وهـو صاحـب كتـاب المَجَسْـطي الـذي يقـوم نظامـه الفَلكـيّ علـى أسـاس أن الأَرْضَ ثابِتـة، وأَنَّ الأَفْـلاك تَـدُور حَولهـا.

(52) **جـزر فورتونـات أو الجـزر المباركـة Fortunate Isles**: جـزر شـبه أسـطورية فـي المحيـط الأطلسـي، تـم التعامـل معهـا كموقـع جغرافـي بسـيط، كجنـة أرضيـة شـتوية، يسـكنها أبطـال الأسـاطير اليونانيـة، وقـد أشـير أحيانـاً إليهـا بجـزر ماديـرا وجـزر الكنـاري وأزورس والـرأس الأخضـر وبرمـودا وجـزر الأنتيـل الصغـرى.

(53) **فيـرو Ferro**: خـط الطـول الـذي يمـر عبـر جزيـرة **هيـرو أو (فيـرو)**، أقصـى غـرب جـزر الكنـاري. كان معروفـاً فـي التاريـخ الأوروبـي باعتبـاره خـط الطـول الرئيـس فـي الاسـتخدام المشـترك خـارج الإمبراطوريـة البريطانيـة فـي المسـتقبل . وبالفعـل فـي القـرن الثانـي الميـلادي، اعتبـر بطليمـوس تعريفـاً لخـط الطـول الصفـر علـى أسـاس أكثـر المواقـع الغربيـة المعروفـة فـي العالـم ، مـا يعطـي الخرائـط خطـوط الطـول الإيجابيـة فقـط (الشـرقية). فـي العـام 1634م قـرّر ملـك فرنسـا لويـس الثالـث عشـر وريشـيليو أن خـط الـزوال فيـرو ينبغـي أن يسـتخدم كمرجـع علـى الخرائـط، حيـث كانـت هـذه الجزيـرة تعتبـر الموقـف الغربـي الأكثـر مـن العالـم القديـم.

(54) **كريسـتوفر كولومبـوس Christopher Columbus** (15 أكتوبـر 1451 – 20 مايـو 1506م): رحالـة، ومستكشـف، ومسـتعمر إيطالـي، يُنسـب إليـه اكتشـاف العالـم الجديـد (أمريـكا). ولـد فـي مدينـة جنـوة فـي إيطاليـا ودرس الرياضيـات والعلـوم الطبيعيـة (وربمـا الفلـك أيضـا) فـي جامعـة بافيـا، قـام بعبـور المحيـط الأطلسـي ووصـل إلـى الجـزر الكاريبيـة فـي 12 أكتوبر/ تشـرين الأول 1492 م لكـن اكتشـافه أرض القـارة الأمريكيـة الشـمالية كان فـي رحلتـه الثانيـة العـام 1498 م. بعـض الآثـار تـدل علـى وجـود اتصـال بيـن القـارة الأوروبيـة والأمريكيـة حتـى قبـل اكتشـاف كولومبـوس لتلـك الأرض بوقـت طويـل، مـن شـخصيته اسـتوحي اسـم البلـد كولومبيـا.

(55) **القبطـان جيمـس كـوك Captain James Cook** (7 نوفمبـر 1728 - 14 فبرايـر 1779م): مُستكشـف، ومُسـتعمر، ومـلاح، ورسّـام خرائـط بريطانـي، ونقيـب فـي البحريـة الملكيـة. قـدم كـوك خرائـط تفصيليـة لنيوفاوندلانـد قبـل القيـام بثـلاث رحـلات إلـى المحيـط الهادئ، حيـث حقـق أول اتصـال أوروبـي مسـجل مـع السـاحل الشـرقي لأسـتراليا وجـزر هـاواي، وأول رحلـة مسـجلة فـي نيوزيلنـدا. انضـم كـوك إلـى البحريـة التجاريـة البريطانيـة فـي سـن المراهقـة والتحـق بالبحريـة الملكيـة فـي العـام 1755م، شـارك فـي حـرب السـبع سـنوات،

وبعد ذلك استطلع ورسم الكثير من مداخل نهر سانت لورانس خلال حصار كيبيك، وقد ساعد ذلك على جذبه إلى علم الأميرالية والجمعية الملكية. وأدى مهمته في العام 1766م قائداً لجمعية بارك إنديفور لأول رحلة من ثلاث رحلات في المحيط الهادئ؛ حيث أبحر آلاف الأميال عبر مناطق مجهولة إلى حد كبير في العالم، وقام بتعيين الأراضي من نيوزيلندا إلى هاواي في المحيط الهادئ بمزيد من التفصيل وعلى نطاق لم يتحقق من قبل. تعرض كوك لهجوم وقتل أثناء محاولته اختطاف رئيس هاواي، خلال رحلته الاستكشافية الثالثة في المحيط الهادئ في العام 1779م. ترك تركة من المعرفة العلمية والجغرافية التي كان لها تأثير على خلفائه في القرن العشرين، وكرس له العديد من النصب التذكارية في جميع أنحاء العالم.

(56) **السير إسحاق نيوتن Sir Isaac Newton** (25 ديسمبر 1642 – 20 مارس 27/1726): عالم رياضيات، وعالم فلك، وفيزيائي، وهو معروف على نطاق واسع بأنه واحد من أكثر العلماء تأثيراً في كل العصور، شخصية رئيسة في الثورة العلمية، كتابه (المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية)، نشر لأول مرة في العام 1687م، وضع أسس الميكانيكا الكلاسيكية، كما قدم مساهمات في مجال البصريات.



الفصل الثاني

انتشار الفتح في العالم القديم



فـي كِتـابٍ مُرافـق لهـذه السلسـلة، عُنوانـه : «قصـة الحضـارات المنقرضـة فـي الشـرق» سـيتم العثـور علـى وصـف لصعـود وتطـور مختلـف الـدول التـي سـيطرت علـى غـرب آسـيا فـي فجـر التاريـخ. وقـد مكنتنـا الاكتشـافات الحديثـة بشـكلٍ ملفـت للنظـر لمعرفـة حالـة البشـر فـي آسـيا الصغـرى فـي وقـتٍ مُبكـرٍ مـن عـام (4000 قبـل الميـلاد)، فـكل هـذه الحضـارات المبكـرة وُجِـدَت علـى ضِفـاف الأنهـار الكُبـرى، التـي جعلـت الأرض التـي مَـرَّت مـن خلالهـا أرضـاً خصبـة.

علينـا أولاً أن نجـد رجـلاً كـرَّس نفسـه، ووضـع علمـه مُدَوَّنـاً علـى السِّـجِل، وعلـى طـول ضفـاف الأنهـار الكبـرى، النيـل، والفـرات، ودجلـة، و(الغانـج Ganges)[1]، ونهـر (يانـغ تسـي كيانـغ Yang-tse-Kiang)[2]. لكـن غايتنـا تجعلنـا غيـر مهتميـن بهـذه المراحـلِ المبكـرةِ جـداً مـن التاريـخ. فقـد عَـرَفَ المِصريون شـيئاً عـن الأمـم التـي كانـت تحيـط بهـم، وكذلـك وضـع الآشـوريون خلاصـة للمعرفـة المماثلـة لقائمـة القبائـل التـي وردت فـي الفصـل العاشـر مـن «سـفر التكويـن» الـذي يقسـم البشـرية جمعـاء، والمعروفـة آنـذاك للعبرانييـن بنسـل: (سـام وحـام وجافيـت Shem, Ham, and Japhet)[3] التـي تتطابـق تقريبـاً، مـع آسـيا وأوروبـا وأفريقيـا. ولكـن مـن أجـل التأكـد مـن كيفيـة حصـول الرومـان علـى ذلـك الكَـمِّ الهائـلِ مـن المعلومـاتِ التـي تـم تلخيصهـا لهـم مـن قبـل بطليمـوس فـي عملـه العظيـم، فـإن ذلـك يسـترعي مُجـرد تركيـز اهتمامنـا علـى عمليـة رائعـة مـن التوسُّـع المسـتمر الـذي أدَّى فـي النهايـة إلـى وجـود الإمبراطوريـة الرومانيـة.

كل التواريخ المبكرة للممالك هي - بشكلٍ نظري - تتكوّن من النوع نفسه: منطقة معينة من البلاد، مُقسَّمة بين عدد معين من القبائل، التي تتحدثُ لُغةً مُشتركةً فيما بينها ، وكل من هذه القبائل تُحكم من قبل زعيمٍ مُنفصل. إحدى هذه القبائل تُصبح هي المهيمنة على البقية، وذلك من خلال المهارة في الحرب أو دبلوماسية أحد زعمائها، وبالتالي يتم تنظيم كل مناطق البلاد في مملكة واحدة. وهكذا فإن تاريخ إنجلترا مرتبط بكيفية سعي مملكة (ويسّكس Wessex)[4] إلى الهيمنة على كامل البلاد. ويروي تاريخ فرنسا كيف أن الملوك الذين حَكموا أرض فرنسا انتشر حُكمهم على ما تبقّى من الأراضي، وتاريخ اليهود - بشكلٍ رئيس - هو وصف لكيفية حصول قبيلة (يهوذا Judah)[5] على الهيمنة على بقية القبائل، والتاريخ الروماني، كما يوحي اسمه، يخبرنا عن كيفية نمو سكان مدينة واحدة ليكونوا سادة العالم المعروف كله، ولكن إمبراطوريتهم قد تهيأت لهم من خلال سلسلةٍ طويلةٍ من التوسعات المتماثلة، والتي يمكن وصفها بأنها ابتلاع متعاقب للإمبراطورية تلو الإمبراطورية، كلها أصبحت متضخمة في هذه العملية، حتى تم الانتهاء أخيراً من اكتمال سلسلة الرومان في التوسع. هذا الانتشار التدريجي للسيادة في كل مرحلة، زاد من معرفة البشر بالأمم المحيطة بهم، وبالتالي فإنه يأتي ضمن دائرة اختصاصنا لتلخيص هذه المراحل تقريباً، كجزء من قصة الاكتشاف الجغرافي.

من وجهة نظر الجغرافيا، اعتبرنا أنّه يمكننا مقارنة هذا الانتشار من معرفة الإنسان كنمو صَدَفَةِ محارٍ ضخمة، ومن وجهة النظر هذه، علينا أن نأخذ شمال الخليج العربي كقمة للصدفة، ونبدأ بالإمبراطورية البابلية. عندنا مملكة بابل أولاً - والتي في المراحل المبكرة، قد يكون من الأفضل تسميتها: بـ (الكلدانية Chaldean) - في جنوب بلاد ما بين النهرين - (أو وادي ما بين النهرين، دجلة والفرات)، والتي، خلال الألفيتين الثانية والثالثة قبل عصرنا، انتشرت على طول وادي نهر دجلة.

ولكــن فــي القــرن الرابــع عشــر قبــل الميــلاد، قــام الآشــوريون الذيــن كانــوا فــي الشــمال منهــا - مــع أنهــم كانــوا ســابقاً تابعيــن لبابــل - قامــوا باحتلالهــا، وبعــد مجموعــة تقلبــات، نصّبــوا أنفســهم حُكّامــاً علــى كل أنحــاء بــلاد مــا بيــن النهريــن والكثيــر مــن الأراضــي المحيطــة بهــا. فــي العــام (604 قبــل الميــلاد) تــم نقــل عاصمــة هــذه الامبراطوريــة العظيمــة مــرة أخــرى إلــى بابــل، حتــى أنــه فــي المرحلــة الأخيــرة، وكذلــك فــي البدايــة، يمكــن أن تســمى: بــلاد بابــل، لأغــراض التمييــز، ومــع ذلــك، يمكــن أن ندعــو هــذه المراحــل الثــلاث المتعاقبــة: الكلدانيــون، والإمبراطوريــة الآشــورية، وبــلاد بابــل.

وفــي هــذه الأثنــاء، مباشــرة إلــى الشــرق، مــرت عمليــة مماثلــة جــداً، رغــم أن التطويــر كان مــن الشــمال إلــى الجنــوب. الميديــون فــي الشــمال طــوروا إمبراطوريــة قويــة فــي شــمال بــلاد فــارس، ســقطت فــي نهايــة المطــاف فــي أيدي (ســايروس الكبيــر Cyrus the Great)[6] فــي العــام (546 قبــل الميــلاد) وشــرع بعد ذلــك بالاســتيلاء علــى مملكــة (ليديــا Lidya)[7]، فــي الجــزء الشــمالي الغربــي مــن آســيا الصغــرى، والتــي ورثهــا مــن قبــل المــلاك (الحثييــن Hittites[8]). أخيــراً اتجــه للاســتيلاء علــى إمبراطوريــة بابــل، مــن خــلال هجومــه الناجــح علــى العاصمــة. فــي العــام (538 قبــل الميــلاد) مــدد قاعــدة حكمــه تقريبــاً وصــولاً إلــى الهنــد علــى جانــب واحــد - وكمــا نعلــم مــن الكتــاب المقــدس (التــوراة Bible) - إلــى حــدود مصــر مــن ناحيــة أخــرى؛ حتــى ابنــه (قمبيــز Cambyses)[9] نجــح فــي إضافــة مصــر لبعــض الوقــت للإمبراطوريــة الفارســية، وكانــت صدفــة محــار التاريــخ، ووفقــاً لذلــك توســعت لتشــمل تقريبــاً كل غــرب آســيا.

يؤخــذ القرنــان التاليــان فــي التاريــخ العالمــي، عــن طريــق النضــال البطولــي لليونانييــن ضــد الإمبراطوريــة الفارســية، وهــو الصــراع الأكثــر حســماً فــي التاريــخ كلــه، لأنــه حــدد مــا إذا كانــت أوروبــا أو آســيا يجــب أن تغــزو العالــم. وحتــى الآن كان اتجــاه الغــزو من الشــرق إلــى الغــرب؛ وإذا كان غزو (زيركســيس Xerxes)[10] ناجحــاً، فــلا شــك فــي أن الاتجــاه نحــو الغــرب قــد اســتمر. ولكــن

منطقة البلاد الأكبر التي تغطيها الإمبراطورية - خصوصاً عندما يتم تضمين القبائل والشعوب المختلفة في ذلك - تصبح أضعف وأقل تنظيماً. ضمن ما يزيد على قرنٍ قُبيل وفاة سايروس العظيم، اكتشف الإغريق نقطة الضعف في الإمبراطورية الفارسية، وذلك بسبب حملة العشرة آلاف من المرتزقة اليونانيين تحت قيادة زينوفون الذي كان قد شارك من قبل سايروس الأصغر سناً في محاولة للاستيلاء على الحكم في الإمبراطورية الفارسية من أخيه. قُتل سايروس في العام (401 قبل الميلاد)، ولكن العشرة آلاف، تحت قيادة زينوفون، تمكنوا من الصمود ضد كل محاولات الفرس لتدميرهم، ووجدوا طريق عودتهم إلى اليونان.

وفي الوقت نفسه كانت العملية المعتادة التي تصبح فيها البلاد موحدة مستمرة في اليونان. من وقت لآخر كانت إحدى القبائل في هذا البلد الجبلي المنقسم، تنال السيادة على البقية : في البداية الأثينيين، نظراً للدور البارز الذي كانوا قد اتخذوه في صد الفرس. ثم الإسبرطيين، وأخيراً الطيبيين. ولكن على الحدود الشمالية جنس من مُتسلقي الجبال الجريئين، المقدونيين، قد عززوا قواتهم، تحت قيادة (فيليب المقدوني Philip of Macedon)[11]، وأصبحوا سادةً على كل اليونان. كان فيليب قد تعلم درساً ناجحاً من تراجع العشرة آلاف، وقبل وفاته، كان يستعد لمهاجمة الملك العظيم لبلاد فارس مع جميع القوى التي وضعتها سيادة اليونان تحت تصرفه. ابنه الإسكندر الأكبر نفذ نوايا والده فيليب. في غضون اثني عشر عاماً (334-323 قبل الميلاد)، كان قد غزا بلاد فارس، و(بارثيا Parthia)[12]، والهند (بالمعنى الدقيق للكلمة: أي وادي السند)، وبلاد مصر. بعد وفاته قُسِّمَت إمبراطوريته الضخمة بين جنرالاته، ما عدا البلاد في أقصى الشرق، والتي كانت تُدار كلها على أساليب اليونان، وكان يمكن لمن يتحدث اليونانية أن يمر من بلد إلى آخر دون صعوبة، ويمكننا أن نفهم كيف يمكن الحصول على معرفة المنطقة كلها من البلاد بين

البحـر الأدرياتيكـي والسـند مـن قبـل العلمـاء اليونانييـن. قـام الإسـكندر الأكبـر بتأسـيس عـدد كبيـر مـن المـدن، جميعهـا تحمـل اسـمه، وفـي نقـاط مختلفـة مـن جولتـه الغازيـة، ولكـن أهمهـا تتمثـل فـي أنهـا فـي مصـب نهـر النيـل، والمعروفـة إلـى يومنـا هـذا باسـم الإسـكندرية. هـذه المدينـة كانـت المركـز الفكـري للعالـم الهيلينـي كلـه، وبالتالـي رأينـا أن إراتوسـثينيس كتـب أول طريقة منهجيـة لـكل المعرفـة عـن الأرض المسـكونة التـي كانـت قـد اكتُسـبت بشـكلٍ رئيـس مـن فتوحـات الإسـكندر الأكبـر.

المهـم أنـه مهمـا كانـت المسـيرة المظفـرة للإسـكندر الأكبـر خـلال غـرب آسـيا، سـواء فـي التاريـخ أم فـي الجغرافيـا، فإنـه لا يمكـن أن يُقـال أنهـا قـد أضافـت الشـيء الكثيـر جـداً للمعرفـة الجغرافيـة، فهيرودوتـس كان يعـرف تقريبـاً معظـم أنحـاء البـلاد التـي اجتازهـا، مـا عـدا شـرق بـلاد فـارس والمنطقـة الشـمالية الغربيـة للهنـد. ولكـن مسـارات الإسـكندر الأكبـر وجنرالاتـه قـد سـاهمت بمزيـد مـن المعرفـة الدقيقـة للمسـافات بيـن المراكـز الهامـة المختلفـة للسـكان، وفـي تمكيـن إراتوسـثينيس وخلفائـه لمنحهـا موقعـاً واضحـاً علـى خرائطهـم للعالـم. ومـا تعلمـوه بصـورة رئيسـة مـن الإسـكندر الأكبـر وخلفائـه المباشـرين كانـت معرفـة أكثـر دقـة لشـمال غـرب الهنـد. فحتـى وقـت متأخـر مـن سـترابو، المعرفـة الوحيـدة، التـي وُجِـدَت فـي الإسـكندرية للأماكـن الهنديـة، كانـت تلـك المعطـاة مـن قبـل (ميجاسـثينيس Megasthenes[13]، سـفير الهنـد فـي القـرن الثالـث قبـل الميـلاد.

وفـي الوقـت نفسـه، فـي الجـزء الغربـي مـن العالـم المتحضـر، تواصلـت عمليـة مماثلـة ففـي شـبه الجزيـرة الإيطاليـة اسـتمر الكفـاح المعتـاد بيـن مختلـف القبائـل التـي كانـت تقطنهـا. لـم يكـن السـهل الخصيـب لمنطقـة (لومبارديـا Lombardy)[14] فـي تلـك الأيـام معتبـراً بأنـه ينتمـي إلـى إيطاليـا، بـل كان يُعـرف بفرنسـا الألبيـة. جنـوب إيطاليـا، كمـا رأينـا، كان مسـكوناً بشـكلٍ رئيـس مـن قبـل المسـتعمرين اليونانييـن، وكان يُسـمى باليونـان العظمـى. بيـن

هـذه المناطـق مـن البـلاد، كانـت الأراضـي الإيطاليـة مسـكونة مـن قبـل ثـلاث مجموعـات مـن القبائـل المتوحـدة، (الإتروريـون Etrurians[15])، و(السـامنيتيون Samnites)[16]، و(اللّاتينيـون Latins). خـلال الـ (230 عامـاً) مـا بين سـنة: (510 - 280 ق.م.). قامـت رومـا باحتلالهـا جميعـاً وحصلـت علـى السـيادة بيـن هـذه المجموعـات الثـلاث مـن القبائـل، وهـذا التاريـخ الأخيـر يمكـن اعتبـاره بعـد توحيدهـا وسـط إيطاليـا بالاتحـاد الإيطالـي، ومركـزه رومـا. فـي هـذا التاريـخ الأخيـر، حـاول الملـك اليونانـي (بيـروس الإبيـري Pyrrhus of Epirus)[17]، إثـارة المسـتعمرات اليونانيـة فـي جنـوب إيطاليـا ضـد القـوة المتناميـة لرومـا، لكـنّ تدخلـه أدى فقـط إلـى توسـيع نطـاق السـيطرة الرومانيـة وصـولاً إلـى كعـب وإصبـع القـدم الكبيـر لإيطاليـا.

إذا كانـت رومـا تمضـي قدمـاً علـى نحـو الأبعـد، فـإن صقليـة تكـون الخطـوة التاليـة.. ففـي تلـك اللحظـة تعرضـت صقليـة للتهديـد مـن قبـل قـوة عظمـى أخـرى مـن الغـرب هـي (قرطـاج Carthage)[18]. كانـت قرطـاج مـن أهـم المسـتعمرات التـي أسسـها الفينيقيـون (ربمـا فـي القـرن التاسـع قبـل الميـلاد)، فـي غـرب البحـر الأبيـض المتوسـط، للمضـي فـي سياسـة إنشـاء محطـات التجـارة علـى طـول السـاحل، وهـو مـا تميـز بـه الفينيقيـون مـن أول ظهـور لهـم فـي التاريـخ، فاسـتولوا علـى جميـع الجـزر فـي ذلـك الجـزء مـن البحـر، وعلـى أيـةِ حـالٍ منعـوا أي دولـة أخـرى مـن الاسـتقرار فـي (كورسـيكا Corcica[19] و(سـردينيا Sardinia)[20] و(جـزر البليـار Balearic Isles)[21]. وعلـى وجـه الخصـوص تولَّـت قرطـاج حيـازة الجـزء الغربـي مـن جزيـرة صقليـة، والتـي تـم احتلالهـا مـن قبـل شـقيقة المسـتعمرات الفينيقيـة، فـي حيـن عملـت رومـا كل مـا فـي وسـعها لتعزيـز الفتوحـات مـن خـلال الاعتـراف للإيطالييـن الآخريـن بجـزءٍ قليـلٍ مـن الحصـة فـي الحكومـة المركزيـة لهـم، ونظـرت قرطـاج لممتلكاتهـا الأجنبيـة علـى أنهـا مجـرد منافـذ عديـدة للتجـارة. فـي الواقـع، أنّ قرطـاج تعاملـت مـع الشـريط السـاحلي الغربـي مـن البحـر الأبيـض

المتوسط كما تعاملت شركة الهند الشرقية مع ساحل هندوستان وأنشأت مصانع في مناطق مريحة. ولكن مثلما وجدت شركة الهند الشرقية أنه من الضروري الاستيلاء على الأراضي المجاورة من أجل تأمين التجارة السلمية، مَدَّدَت قرطاج كل الفتوحات إلى أسفل الساحل الغربي لأفريقيا والجزء الجنوبي الشرقي من إسبانيا، في حين كانت روما تمتد نحو إيطاليا. ولنواصل قياسنا صَدَفيّاً: فبحلول الوقت الأول من الحرب البونيقية (روما وقرطاج) توسعت كل منهما في صَدَفَةٍ، وبين الاثنتين تداخل القسم الشرقي من جزيرة صقلية. ونتيجة لذلك، أصبحت روما سيدة صقلية، ثم استُئنف النضال النهائي مع (هانيبال Hannibal)[22] في الحرب البونيقية الثانية، ما أدّى لأن تحكم روما إسبانيا وقرطاج العام (200 قبل الميلاد) وكانت روما عملياً سيدة غرب البحر الأبيض المتوسط، على الرغم من أنه أخذ القرن الآخر لتعزيز تراثه من قرطاج في إسبانيا وموريتانيا. وخلال القرن الثاني - السابق لعصرنا - مددت روما حدودها الإيطالية أيضاً إلى جبال الألب، بغزوها فرنسا الألبية التي، مع ذلك، اعتُبِرَت خارج إيطاليا، وتمّ فصلها من خلال نهر (روبيكون Rubicon)[23]. في هذا القرن نفسه بدأ الرومان التدخل في شؤون اليونان التي سقطت بسهولة في أيديهم، وبالتالي مهدت الطريق إلى أن ينالوا نصيبهم من إمبراطورية الإسكندر الأكبر.

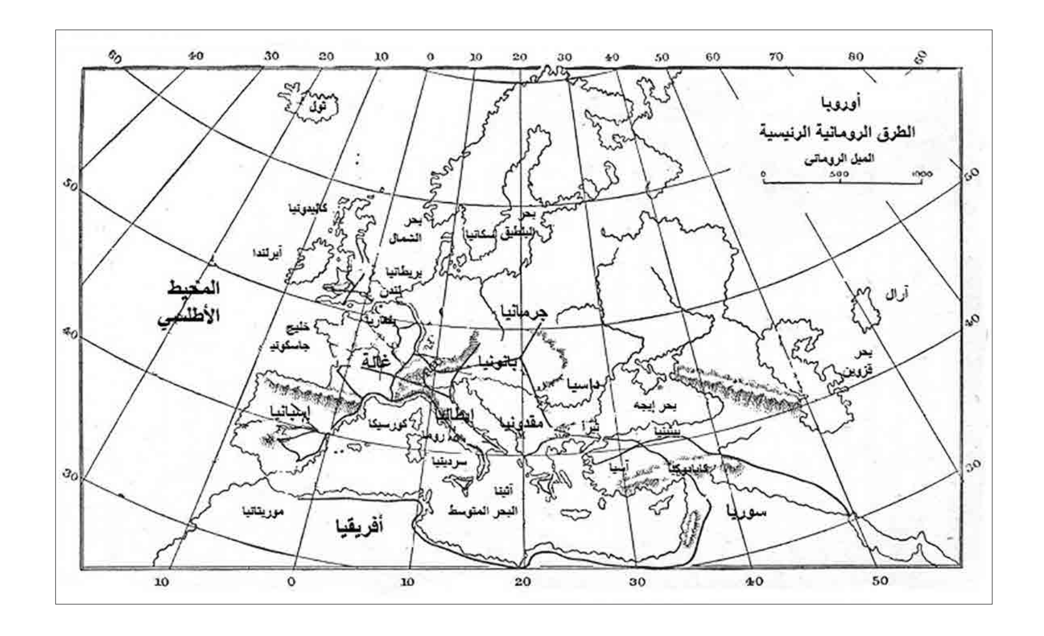
هذا، في معظم الأحوال، كان عمل القرن الأول قبل عصرنا، عندما أصبح التوسع في روما استنتاجاً عملياً. كان هذا أساساً عمل رجلين هما : (قيصر Caesar)[24] و(بومبي Pompey)[25]. واقتداءً بعمه (ماريوس Marius)[26]، قام الإمبراطور قيصر بمد السيادة الرومانية إلى ما وراء جبال الألب حتى بلاد الغال، ألمانيا الغربية، وبريطانيا، ولكن من وجهة نظرنا الحالية كان بومبي هو الذي مهد الطريق لروما للاستمررا بخلافة الإمبراطورية في الأجزاء الأكثر تحضراً في العالم، وبالتالي استحق لقبه

«العظيم»؛ فهو قد سحق - إن جاز التعبير - تلك الولايات المختلفة التي تم بها تقسيم آسيا الصغرى، وبالتالي مهد الطريق لسيطرة الرومان على غربي آسيا ومصر. بحلول وقت بطليموس، كانت الإمبراطورية مُوَحَّدَةً تماماً، وخريطته وملاحظاته الجغرافية دقيقة بشكلٍ محتملٍ داخل حدود الإمبراطورية فقط.

وتجدر هنا الإشارة إلى واحدة من الوسائل التي مَكَّنَتِ الرومان من تعزيز سيادتهم. فمن أجل أن تَمُرَّ جحافلهم بسهولة من جزءٍ ما من هذه الإمبراطورية الضخمة إلى جزء آخر، قاموا ببناء الطرق، وفي خطوط مستقيمة بشكلٍ عام، وهكذا شُيِّدت بشكلٍ مطّرد في العديد من الأماكن في جميع أنحاء أوروبا، بحيث يمكن أن نتتبعها حتى وقتنا الحاضر. وبعد مضي مائة وخمس عشرة سنة، وبسببها، بنسبةٍ كبيرة، تمكّنت روما من الحفاظ على إمبراطوريتها سليمة إلى ما يقرب من خمسمائة سنة، وحتى يومنا هذا يمكن للمرء أن يتتبع الفرق في حضارة تلك البلدان التي حكمتها روما ذات يوم.. باستثناء التأثير الإسلامي الذي قد مَرّ مثل الإسفنج على المحافظات الرومانية القديمة وحافظ عليها، فإنّ الحضارة أو فن العيش معاً في المجتمع، هو عملياً نتيجة للقانون الروماني، وبهذا المعنى كل الطرق في التاريخ تؤدي إلى روما.

يلخّص لنا عمل كلوديوس بطليموس المعرفة التي كان الرومان قد اكتسبوها بميراثهم، على الجانب الغربي من الإمبراطورية القرطاجية، وعلى الشرق من بقايا إمبراطورية الإسكندر الأكبر، والتي يجب أن تُضاف لفتوحات قيصر في شمال غرب أوروبا. وقيصر هو في الحقيقة حلقة الوصل بين اثنتين من الأصداف التي كانت تنمو على مَرّ التاريخ القديم. فلقد أضاف (غالة Gaul)[27]، وألمانيا، وبريطانيا إلى المعرفة الجغرافية، ومن خلال صراعه مع بومبي، ربط بين المشرق وفتوحاته الشمالية. واحدة من نتائج عمله الإمبراطوري يجب الإشارة إليها هنا، عن طريق

جعـل جميـع البشـر المتحضريـن تحـت حكـم واحـد، وتهيئتهـم لعبـادة إلـه واحـد. كان هـذا الأمـر يخلـو مـن تأثيـر علـى الترحـال والاكتشـاف الجغرافـي، فالحاجـز الكبيـر بيـن الجنـس البشـري كان دائمـاً الاختلاف فـي الديـن، وروما، مـن خـلال تحطيمهـا خصوصيـة الأديـان المحليـة، واسـتبدالها لهـم بالعبـادة العامـة لعظمـة الإمبراطـور - مَكَّنَـت جميـع سـكان هـذه الإمبراطوريـة العظمـى أن يشـعروا بالتواصـل بعضهـم مـع بعـض، بصـورةٍ أخـذت فـي نهايـة المطـاف شـكلاً دينيـاً، كمـا نعلـم.



مـن الآن فصاعـداً ستشـكّل الإمبراطوريـة الرومانيـة المركـز الـذي يتعلـق بأيـة إضافـات إلـى المعرفـة الجغرافيـة. كمـا سـنرى، فُقِـدَ جـزءٌ مـن المعرفـة المكتسـبة مـن قبـل الرومـان فـي العصـور المظلمـة التـي أعقبـت تفـكك الإمبراطوريـة. ولكـن تحقيقـاً لأهدافنـا فسـيتم إهمـال هـذا الاكتشـاف الجغرافـي فـي الفصـول التاليـة، يمكـن أن يؤخـذ تقريبـاً ليكـون إضافـات وتصحيحـات للمعرفـة التـي لخصهـا كلوديـوس بطليمـوس.



هوامش الفصل الثاني

(1) **نهـر الغانـج Ganges**: هـو أحـد أكبـر أنهـار شـبه القـارة الهندية، يجـري باتجـاه الشـرق مخترقـاً السـهل الغانجـي فـي شـمال الهنـد، وينتهـي فـي بنغـلادش. يبلـغ طولـه 2510 كلـم (1560 ميـلاً) وهـو ينبـع مـن جبـال الهيمالايـا الغربيـة فـي ولايـة أوتاراخنـد الهنديـة، وينتهـي بدلتـا غنيّـة بالغابـات، قـرب مصبّـه فـي خليـج البنغـال. تبلـغ مسـاحة حـوض نهـر الغانـغ حوالـي 907.000 كلـم2، وينظـر الهنـدوس إليـه باعتبـاره نهـراً مقدّسـاً، ويعبـدون إلهـاً يمثلـه هـو الإلـه غانغـا.

(2) **نهـر يانـغ تسـي كيانـغ Yang tse Kiang**: ينبـع مـن كينـغ هـاي والتبـت فـي الصيـن، ويصـبّ فـي بحـر الصيـن الشـرقي. يبلـغ طولـه 6211 كلـم، ومسـاحة حوضـه 1800000 كلـم2، ويُعـدّ هـذا النهـر الأطـول فـي آسـيا، ورابـع نهـر فـي العالـم، بعـد النيـل والأمـازون والميسيسـيبي.

(3) **سـام وحـام وجافيـت Shem, Ham, and Japhet**: هـم أبنـاء النبـي نـوح عليـه السـلام، وحـام بـن نـوح هـو الابـن الأصغـر لأبنـاء نـوح الأربعـة (أبنـاء نـوح أربعـة هـم: سـام، حـام، يافيـت ويـام، وأصغرهـم هـو يافيـت، حسـب ويكيبيديـا)، وأحـد الثلاثـة الذيـن آمنـوا بنـوح وبرسـالة نبوءتـه، فركبـوا معـه السـفينة تفاديًـا للطوفـان الـذي بعثـه اللـه ليهلـك الكافريـن.

(4) **مملكـة وسـكس Wessex**: دولـةٌ جـرى تأسيسـها في فتـرة العصور الوسـطى، بعـد انهيـار الإمبراطورية الرومانيـة، حتـى العـام 927م، بعـد توحيـد الممالـك إنجلتـرا علـى يـد إثيلسـتان السكسـوني وكانـت أسـرة التـي تحكـم الدولـة أنجلـو سكسـونية هـي أسـرة وسـكس (مراجعـة الكاتب).

(5) **قبيلـة يهـوذا Judah**: قبيلـة يهـوذا الجنوبيـة (ومنهـا جـاء اسـم اليهـود) ظلّـت هـي القائمـة كآخـر المجموعـات اليهوديـة، حتـى العـام 587 ق. م، حيـث دُمّـرت الدولـة علـى يـد البابلييـن، وتـمّ اقتيـاد أهلهـا كأسـرى وسـبايا إلـى مملكـة بابـل. هـؤلاء اليهـود لـم يذوبـوا فـي المجتمـع البابلـي، بـل احتفظـوا بأنفسـهم ككيـانٍ مسـتقل، ولـم ينصهـروا فـي المجتمـع المحيـط، كمـا انصهـر أبنـاء دولـة اليهـود الشـمالية.

(6) **سـايروس الكبيـر أو كـورش أو قـورش Cyrus the Great**: أول ملـوك فـارس (560 – 529 ق. م) واسـمه كـورش بـن كمبوجيـة بـن كـورش بـن جيشـبيش بـن هخامنـش، أحـد أعظـم ملـوك الفـرس الأخمينيـة، اسـتولى علـى آسـيا الصغـرى وبابـل وميديـا. حكـم خـلال الأعـوام 550- 529 ق.م، وقتـل فـي ماسـاجت، ودفـن فـي باسـاركاد.

(7) **مملكـة ليديـا Lydia**: هـي منطقـة تاريخيـة فـي غـرب الأناضـول، تتطابـق مـع المحافظتيـن التركيتيـن الحاليتيـن إزمير ومانيسـا. عاصمتهـا التقليديـة كانـت سـرديس، غيـر أنّ مملكـة ليديا غطـت- فـي أقصـى اتسـاعها- كامـل غـرب الأناضـول، ولاحقـاً أصبـح «ليديـا» اسـم مقاطعـة رومانيـة. اشـتهرت ليديـا باختـراع العمـلات النقديـة، حوالـي العـام 660 ق.م.

(8) **الحيثيــون Hittites**: مــن الشـعوب القديمــة المتحدثــة باللغــة الهنديــة الأوروبيــة، أنشــؤوا مملكتهـم فـي حاتوسـا، شـمال الأناضـول، فـي القـرن الثامـن عشـر ق.م. وفـي القـرن الرابـع عشـر ق.م، بلغـت **مملكـة الحيثييـن** ذروتهـا، شـاملةً وسـط الأناضـول وجنـوب غـرب سـوريا، وصـولاً إلـى أقصـى حـدود أوغاريـت وبـلاد الرافديـن العليـا، كمـا حكمـت جـزءاً كبيـراً مـن الهـلال الخصيـب.

(9) **قمبيــز Cambyses** (مــات العــام 522 ق.م): ملــك الفــرس، ويُعــرف باســم قمبيــز الثانــي، وهــو ابــن قــورش الأكبــر، تولــى الحكــم بعــد أن لقــي والــده حتفــه فــي إحــدى الحمــلات، العــام 529 ق.م، ليعمــل بعــد توليــه العــرش علــى تثبيــت دعائــم حكمــه وتأميــن حــدوده التــي قامــت فيهــا بعــض القلاقــل. وبعــد أربــع ســنوات بــدأ التفكيــر باحتــلال مصــر وضمّهــا إلــى الإمبراطوريــة الفارســية.

(10) **زيركســيس الأول Xerxes** (حكــم 486–465 ق.م.) وهــو معــروف أيضــاً باســم زيركســيس الكبيــر: كان ملــك الإمبراطوريــة الأخمينيــة الفارســية، ولقبــه الرســمي «شاهانشــا» الــذي يعني فــي الواقــع «ملــك الملــوك»، بالرغــم مــن ترجمتــه عــادة بــ «الإمبراطــور». تشــير إليــه مؤلفات كلٍّ مــن هيرودوتــس، وديــودوروس الصقلــي، وكوينتــوس كيرتيــوس روفــوس، وبلوتــارخ، باســم «زيركســيس»، وهــو النســخة اليونانيــة مــن الفارســية «خشــيارزا» (أو خشــيار شــاه). يحتفــل زيركســيس بمشــاريعه العديــدة فــي مجــال البنــاء فــي جميــع أرجــاء إمبراطوريتــه، لكنّــه معــروفٌ فــي كلٍّ مــن المصــادر القديمــة والحديثــة بالبعثــة الضخمــة التــي قــام بهــا ضــد اليونــان (480 ق.م.) وفقــاً لهيرودوتــس، والتــي جمعــت أكبــر وأضخــم قــوة مجهــزة تجهيــزاً هائــلاً. كان والــده داريــوس الكبيــر (550–486 ق.م.) قــد حــاول معاقبــة أثينــا علــى دعمهــا المســتعمرات الأيونيــة ضــد الحكــم الفارســي، وقــد غــزت اليونــان فــي 492 ق.م، غيــر أنّ الفــرس انهزمــوا أمــام القــوات اليونانيــة فــي معركــة ماراثــون 490 ق.م ، وتوفــي داريــوس العــام 486 ق.م، قبــل أن يتمكــن مــن شــنّ هجــوم آخــر، لذلــك آلــت إلــى ابنــه زيركســيس مهمــة تنفيــذ رغبــات والــده وحشــد جيــشٍ بهــذا الحجــم والقــوة، وكان زيركســيس يشــعر بالثقــة بنجاحــه فــي تحقيــق مــا لــم يتمكــن داريــوس العظيــم مــن تحقيقــه.

(11) **فيليــب الثانــي المقدونــي Philip of Macedon** (382 – 336 ق.م): ملــك يونانــي، حكــم مقدونيــا مــن العــام 359 ق.م حتــى وفاتــه. ولــد فــي مدينــة بيــلا، وســجن بطفولتــه فــي طيبــا، أقــوى مدينــة يونانيــة آنــذاك، ثــم أطلــق ســراحه، وما لبــث أن اســتولى علــى العــرش المقدوني.

تحـت حكمـه صـارت مقدونيـا قويـة وحدودهـا آمنـة، كمـا غـزا مناطـق كثيـرة فـي البلقـان. لمـا رأت أثينـا وطيبـا أن حريـة اليونـان مهـددة مـن قبـل فيليـب، قررتـا الاتحـاد ضـده، فالتقـى الجمعـان قـرب مدينـة كيرونيـا، وكانـت قـوة الجيشـين متعادلـة، وخيالـة فيليـب تحـت قيـادة ابنـه الإسـكندر، وانتهـت المعركـة بفـوز فيليـب، ليصيـر بذلـك الحاكـم المطلـق لليونـان، ولقـد اجتمعـت المـدن كلهـا، باسـتثناء أسـبرطة فـي كورنثيـا، للاعتـراف بملكـه علـى اليونـان.

(12) **بارثيـا أو فارثيـا Parthia**: إقليـم فـي الشـمال الشـرقي مـن إيـران ، اشـتهر بكونـه القاعـدة السياسـية والثقافيـة للأسـرة الأشـكانية، حـكام الإمبراطوريـة الفارثيـة. تقـع بارثيـا بشـكلٍ تقريبـيٍ فـي النصـف الغربـي مـن إقليـم خراسـان، الواقـع فـي الشـمال الشـرقي لإيـران. كانـت تحدّهـا مـن الشـمال سلسـلة جبـال كوبـه داغ، ومـن الجنـوب صحـراء كويـر، أمـا مـن الغـرب فتحدّهـا ميديـا، ومـن الشـمال الغربـي هيركانيـا، ومـن الشـمال الشـرقي مارغيانـا، ومـن الجنـوب الشـرقي آريـا.

(13) **ميجاسـثينس Megasthenes** (350– 290 ق.م.): مـؤرخ يونانـي قديـم ودبلوماسـي وأثنوغرافـي ومستكشـف فـي الفتـرة الهلنسـتية، ومؤلـف العمـل المشـهور (إنديـكا). ولـد فـي آسـيا الصغـرى، وأصبـح سـفيراً لسـلوقوس الأول إلـى الهنـد، لكـن الموعـد المحـدد لسـفارته غيـر مؤكـد.

(14) **لومبارديـا Lombardy**: أحـد الأقاليـم العشـرين التـي تتكـون منهـا إيطاليـا، يقـع فـي شـمال البـلاد، تحـدّه شـمالاً سويسـرا وشـرقاً إقليمـا ترينتينوألتـو أديجـي وفينيتـو، وجنوبـاً إقليـم إيميليـا رومانيـا، وشـرقاً إقليـم بييمونتـي، وعاصمتـه ميلانـو . سُـكن الإقليـم منـذ القـرن الخامـس ق.م، وغـزاه الرومـان بعـد الحـرب البونيـة الثانيـة 128–201 ق.م، كمـا تعـرض لغـزواتٍ أخـرى، واسـتقر فيـه اللومبارديـون فـي القـرن السـادس الميـلادي، وهـم قبيلـةٌ جرمانيـة، وقـد سـمّي هـذا الإقليـم باسـمهم، وصـار مركـزاً لمملكـة لومبارديـا التـي شـملت معظـم إيطاليـا، عـدا جنوبهـا، لتعانـي المملكـة التقهقـر بـدءاً مـن العـام 774م.

(15) **الإترورييـون القدمـاء الذيـن يحملـون اسـم إتروسـكانز**: شـعبٌ تركـزت ثقافتـه المعقـدة علـى العديـد مـن الـدول والمـدن التـي ازدهـرت فـي القـرن التاسـع ق.م. كانـت ثقافـة الإتروريـين قويـة جـداً ومهيمنـة فـي إيطاليـا قبـل العـام 650 ق.م، وتفـوق ثقافـة الشـعوب الميتيـة القديمـة الأخـرى، مثـل ليغوريـس، ويمكـن أن ينظـر إلـى نفوذهـا خـارج حـدود إتروريـا فـي وادي نهـر بـو واللاتيـن، وكذلـك فـي كامبانيـا، ومـن خـلال الاتصـال بالمسـتعمرات اليونانيـة فـي جنـوب إيطاليـا (بمـا فـي ذلـك صقليـة).

(16) **السـامنيتيون Samnites**: مـن الشـعوب الإيطاليـة العريقـة المحاربـة التـي عاشـت فـي جبـال سـامنيوم، جنـوب وسـط إيطاليـا، وأصبحـوا متورطيـن فـي حـروب عـدّة مـع الجمهوريـة الرومانيـة، حتـى القـرن الأول ق.م.

(17) **بيــروس الإبيــري أو بيرهــوس الإبيــري Pyrrhus of Epirus** (319– 272 ق.م): جنــرال إغريقـي مـن العصـر الهيلينـي، كان ملـك السـلالة المولوسـيانية اليونانيـة، وهـو أحـد أفـراد العائلـة المالكـة الآخيـة، أصبـح لاحقـاً ملـك إبيـروس وملـك مقدونيـا القديمـة، وهـو أحـد المعارضيـن الأشـداء لقيـام رومـا المبكـرة. قـاد العديـد مـن المعـارك التـي– بالرغـم مـن نجاحهـا– كلفتـه خسـائر جسـيمة، ومنـه جـاء التعبيـر «النصـر البيروسـي»، أي النصـر الـذي يكلّـف غاليـاً، وقـد ذكـره المـؤرخ الإغريقـي بلوتـارخ فـي كتابـه «سـير النبـلاء الإغريـق والرومـان».

(18) **قرطــاج** : تأسســت مدينــة قرطــاج العــام 814 ق.م. وحســب روايــة المؤرخيــن القدمــاء، قامـت بتأسيسـها الأميـرة الفينيقيـة «عليسـة» أو «أليسـا» أو «أليسـار» التـي جاءتهـا هاربـةً مـن أخيهـا، مـع أصحابهـا مـن مدينـة صـور اللبنانيـة، وسـميت المدينـة «قَـرْتْ حَدَشْـتْ» بمعنـى «المدينـة الجديـدة» (مـن الفينيقييـة: قَـرْتْ أي مدينـة، وحَدَشْـت أي حديثـة)، فأصبـح الاسـم «قرطـاج»، عـن طريـق النطـق اللاتينـي. تقـع قـرب مدينـة تونـس فـي الجمهوريـة التونسـية، فـي الشـمال الشـرقي، علـى بعـد 15 كلـم مـن العاصمـة، فـوق ربـوة ترتفـع 57 متـراً تقريبـاً، ويمتـدّ شـريطها السـاحلي علـى حوالـي 3 كلـم، ويحدّهـا البحـر الأبيـض المتوسـط شـرقاً، وبلديـة سـيدي أبـي سـعيد شـمالاً، وبلديـة المرسـى غربـاً، وبلديـة الكـرم جنوبـاً. مسـاحة المنطقـة 640 هكتـاراً، ومسـاحة المناطـق الأثريـة 407 هكتـارات، أي 63,58٪ تقريبـاً مـن المسـاحة الإجماليـة. يختلـف مناخهـا المتوسّـطي عـن منـاخ العاصمـة، ويمتـاز بلطـف شـتائه وبـرودة صيفـه. وبمقتضـى الأمـر الرقـم 1246 لسـنة 1985م، صُنـف موقـع قرطـاج ضمـن قائمـة التـراث العالمـي التـي وضعتهـا اليونسـكو، وبصفتهـا مدينـةً سـياحية، يزورهـا قرابـة المليـون سـائح سـنوياً.

(19) **كورســيكا Corcica**: جزيـرة فرنسـية فـي البحـر المتوسـط، تقـع غـرب إيطاليـا، وشـمال جزيـرة سـردينيا، وجنـوب شـرق فرنسـا، وهـي الرابعـة مـن حيـث المسـاحة فـي المتوسـط، بعـد صقليـة سـردينيا وقبـرص، وفيهـا مسـقط رأس نابليـون بونابـرت وميشـال زيفاكـو، ويعتمـد اقتصادهـا علـى السـياحة، بشـكلٍ عـام.

(20) **ســردينيا Sardinia**: ثانـي أكبـر جزيـرة فـي البحـر الأبيـض المتوسـط، بعـد صقليـة وقبـل قبـرص. يعـود اسـم سـردينيا إلـى الاسـم «سـارد» مـا قبـل الرومانـي (باللاتينيـة سـاردوس ومؤنثـه سـاردا)، ويعتقـد أن لهـذا الاسـم دلالـة دينيـة، بسـبب اسـتخدامه أيضـاً كصفـةٍ للبطـل الإلهسـردوس باتـر «الأب السـرديني»، مـن الميثولوجيـا السـردينية. دعيت سـردينيا «إكنوسـا»، وهـو اللفـظ اللاتينـي لــ «هيكنوسـا» اليونانيـة، ودعيـت أيضـاً سـنداليون وسـردينيا وسـاردو، مـن قبـل الإغريـق والرومـان، وهـي إقليـمٌ ذاتـيّ الحكـم مـن إيطاليـا، وتجاورهـا جزيـرة كورسـيكا الفرنسـية وشـبه الجزيـرة الإيطاليـة وصقليـة وتونـس وجـزر البليـار الإسـبانية.

(21) **جـزر البَلْيـار Balearic Isles**: منطقـة تقـع فـي شـرق إسـبانيا، تتكـون مـن سـبع عشـرة منطقـة حكـم ذاتـي فـي إسـبانيا، عاصمتهـا مدينـة ميورقـة، وتنفـرد بمقاطعـة واحـدة، هـي جـزر البليـار.

(22) **حنبعـل بـن حملقـار برقـا، الشـهير بــ حنـا بعـل أو هانيبـال أو هانـي بعـل** (247 –182ق.م): قائـد عسـكري قرطاجـي فينيقـي، ينتمـي إلـى عائلـة بونيقيـة عريقـة، ويُنسـب إليـه اختـراع العديـد مـن التكتيـكات الحربيـة فـي المعـارك، لا تـزال معتمـدة حتـى اليـوم. يقـول الجنـرال الأمريكـي نورمـان شـوارزكوف: «تعلمـت الكثيـر مـن حنبعـل، حيـث طبقـت تكتيكاتـه فـي التخطيـط.

(23) **نهـر روبيكـون Rubicon**: يقـع بالقـرب مـن ريمينـي فـي إيطاليـا، ويعـود الفضـل بشـهرته إلـى يوليـوس قيصـر، حيـن كان حاكمًـا لبـلاد الغـال. كان الروبيكـون جـزءًا مـن الحـدود بيـن إيطاليـا الرومانيـة ومقاطعـة الغـال الجنوبيـة (وادي البـو)، وكان محظـوراً علـى يوليـوس قيصـر وغيـره مـن الحـكام الرومانييـن عبـور الحـدود بجنودهـم. كان يوليـوس قيصـر يقـود قواتـه فـي بـلاد الغـال، عندمـا أصـدر السـناتوس (مجلـس الشـيوخ) الرومانـي أوامـره لـه بالتّنحـي عـن القيـادة، بعدمـا باتـت قوتـه مصـدر خشـية، لكنـه رفـض، وقـاد رجالـه عبـر الروبيكـون فـي 10 ينايـر 49 ق.م، وكان هـذا بدايـة سـعي قيصـر إلـى زعامـة رومـا، وكتـب لـه النجـاح، ومـن ثـم بـات تعبيـر «عبـور الروبيكـون» يعنـي قـراراً لايمكـن العـدول عنـه. اسـم الروبيكـون مشـتق مـن كلمـة لاتينيـة تعنـي أحمـر، نظـرًا إلـى تلـوّن ميـاه هـذا النهـر بحمـرة طبقـات الغريـن، ولعلـه هـو ذاتـه النهـر الـذي يعـرف اليـوم باسـم فيومتشـينو.

(24) **جايـوس يوليـوس قيصـر Gaius Julius Caesar** (100– 44 ق.م): جنـرال وقائـد سياسـي وكاتـب رومانـي، أول مـن أطلـق علـى نفسـه لقـب «إمبراطـور».

(25) **بومبـي Pompey** (106– 46 ق.م) أو بومبيـوس الكبيـر: أحـد القـادة العسـكريين الذيـن بـرزوا فـي أواخـر عصـر الجمهوريـة الرومانيـة، وينحـدر مـن أسـرة رومانيـة عريقـة.

(26) **غايـوس ماريـوس Gaius Marius:** قنصـل وعسـكري رومانـي (100–107 ق.م)، كان هـو مـن شـارك ميتيلـوس النوميـدي حربـه، كقائـدٍ فـي نوميديـا ضـد يوغرطـة، آخـذاً منـه الزعامـة علـى الجيـش بعـد فشـله (طـوال مـدة الحـرب) فـي القضـاء علـى النوميدييـن.

(27) **غالـة Gaul**: هـو الاسـم الـذي أطلقـه الرومـان علـى المنطقـة التـي يسـكنها الغاليـون، وهـم شـعوب كلتيـة، كانـت تمتـد علـى شـمال إيطاليـا وفرنسـا وبلجيـكا.



الفصل الثالث

الجغرافيا في العصور المظلمة



لقد رأينا كيف تم – من خلال العملية البطيئة للغزو والتوسع – حصول العالم القديم على معرفة جزءٍ كبيرٍ من نصف الكرة الشرقي، وكيف تم تلخيص هذه المعرفة في العمل العظيم لكلوديوس بطليموس. علينا الآن أن نعرف؛ كم فُقد أو حُرِّف من هذه المعرفة؟ وكيف أن الجغرافيا، لبعض الوقت، فقدت الطابع العلمي، وأصبحت مرة أخرى موضوعاً للأهواء الأسطورية، مماثلة لتلك التي وجدناها في مراحلها المبكرة. واستبدال المعرفة لم تكن دقيقة تماماً، وكان قياسها تقريبياً لدى معلمي العصور الوسطى الذين اهتموا بترتيب العالم المسكون، وتغيير أفكارهم بما ينبغي أن تكون عليه(*). وهذه العملية لا تنطبق على الجغرافيا وحدها، بل على جميع فروع المعرفة، والتي بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية، توقفت عن التوسع أو التقدم، وأصبحت مختلطة بالمفاهيم الخيالية، وتعافت فقط عند معرفة العلوم القديمة، وتمّت استعادتها في القرن الخامس عشر. ولكن في الجغرافيا، يمكننا أن نلاحظ بسهولة أنها كانت أكبر مما كانت عليه في غيرها من العلوم الطبيعية الدقيقة، بسبب التأثير المزعج الذي حال دون اكتساب معارف جديدة.

باختصار، كان الدين هو صاحب التأثير، أو بالأحرى علم اللّاهوت؛ ليس بالطبع الدين بالمعنى الصحيح للكلمة، أو علم لاهوت مستند على أساس المبادئ الحاسمة، بل المفاهيم اللّاهوتية المستمدة من التقيُّدِ الأعمى بنصوصِ الكتابِ المقدَّس، في الكثير من الأحيان التي

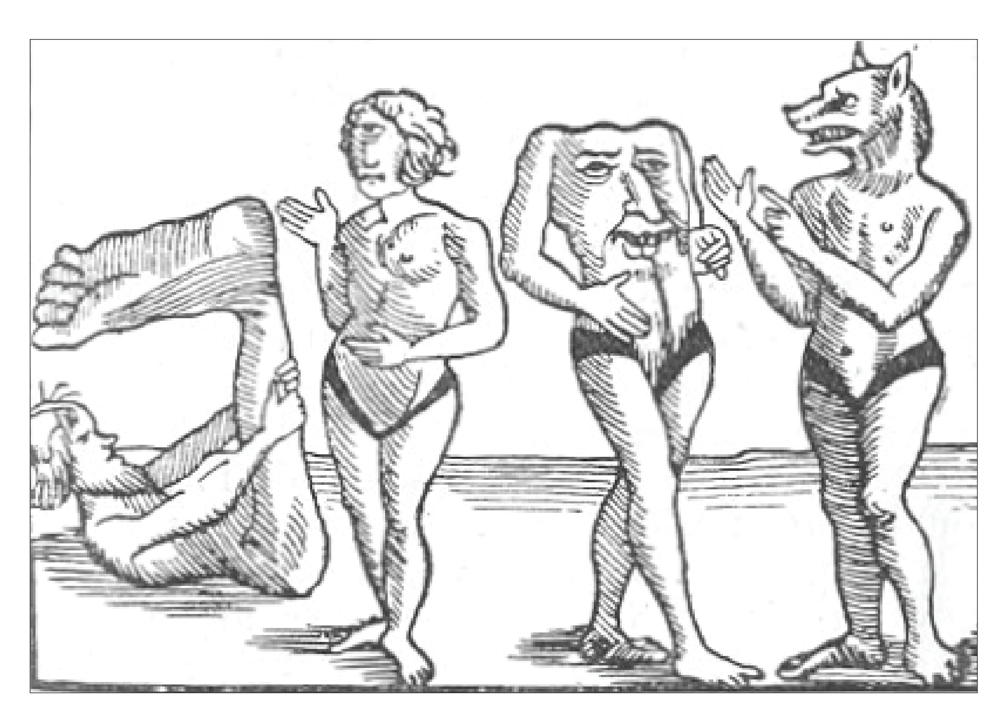
(*) ومن الإنصاف أن نضيف أن أبحاث البروفيسور ميلر، أظهرت أن بعض الصفات «غير العلمية» للعصور الوسطى المابا موندي، ترجع إلى النماذج الرومانية، (**المؤلف**).

يُساء فهمها بشكلٍ خطير. وباقتباس مثالٍ واحد، عندما يُقال في حزقيال الخامس: «**هذه أورشليم، لقد وضعتها في وسط الأمم... يدورون حولها**». وهذا لم يأخذ به الرهبان في القرون الوسطى - الذين كانوا يعدون الجغرافيين الأساسيين في تلك الفترة - كبيان شاعري، ولكن باعتباره القانون الرياضي الدقيق، والذي حَدَّدَ الشَّكل الذي أخذتهُ جميع الخرائط في العُصور الوسطى. وبالطبع، كان ثمة قدر مُعيَّن من الحقيقة في البيان، حيث إن القدس ستكون حول مركز العالم كما هو معروف للقدماء - على الأقل - وتُقاس من الشرق إلى الغرب؛ ولكن، في الوقت نفسه، اعتمد جغرافيو العصور الوسطى فكرة هوميروس القديمة حول إحاطة المحيط بالعالم القابل للسُّكنى، بالرغم من وجود ميلٍ وثيق، أحياناً، للحفاظ على كلمات الكتاب المقدس حول الزوايا الأربع للأرض. ومع ذلك، كقاعدة عامة، كان المفهوم التقليدي للعالم أن دائرة تضم مربعاً من نوع (T)، وُضع الشرق في الجزء العلوي منه، والقدس في المركز، والبحر الأبيض المتوسط كان مُقَسَّماً بشكلٍ طبيعيٍ على النصف السفلي من الدائرة، في حين كانت منطقة بحرٍ إيجه والبحر الأحمر تمتدّان يميناً ويساراً بشكل عمودي، ما يُقَسِّم الجزء العلوي من العالم، أو آسيا، عن الجزء السفلي، ويجعل أوروبا على اليسار وأفريقيا على اليمين. وسوف يُنظر إلى حجم البحر الأبيض المتوسط، وبالتالي تحديد أبعاد القارات الثلاث. أحد الأخطاء الرئيسة في هذا المفهوم هو أنه أدى إلى قطع كل جنوب أفريقيا، التي أعادها، على ما يبدو دوران رحلة بحرية قصيرة لتلك القارة في الطريق إلى الهند، كما سنرى، وكان لهذا الخطأ نتائج مهمة وإيجابية على الاكتشاف الجغرافي.

وكانت النتيجة الأخرى لهذا المفهوم عن العالم، باعتبار (T) داخل (O)، هي امتداد آسيا إلى حدٍ هائل، وبما أن هذا الجزء من العالم كان أقل شُهرة للرهبان - صانعي الخرائط- في العصور الوسطى،

فإنهم كانوا مضطرين لملء جهلهم من خيالهم، وبالتالي أوقعوا في آسيا كل الأساطير التي استُمِدَّت إما من الكتاب المقدس أو المصادر الكلاسيكية. وبالتالي كان ثمة تخيل - أساسه قليل جداً ويمكن العثور عليه في الكتاب المقدس - لأمتين عنيفتين اسمهما (يأجوج ومأجوج Gog and Magog)[1]، ستأتيان في يوم واحد على تدمير العالم المتحضر. حيث كان يُعتقد أن موقعهما في ما يسمى حالياً سيبريا، وأنّ الإسكندر الأكبر قد حجزهما وراء جبال من الحديد. عندما جاء الغزو المغولي الكبير في القرن الثالث عشر، كان من الطبيعي أن نفترض أن هذا الغزو لم يكن أقل من أسطورة يأجوج ومأجوج. كذلك تم تثبيت موقع الفردوس في أقصى الشرق، أو بعبارة أخرى، في الجزء العلوي من خرائط العصور الوسطى. بالإضافة إلى أنّ بعض جامعي المستندات الكلاسيكية، مثل (بليني Pliny)[2] و(سولينيوس Solinus)[3] قد اعترفوا في كتاباتهم الجغرافية بأساطير لقبائل غريبة من الرجال المتوحشين البشعين، والتي تبدو أشكالهم مختلفة بشكل غريب عن الإنسان العادي. ومن بين هؤلاء يمكننا أن نذكر (السكيابودس Sciapodes)، وهم نوع من البشر الذين كانت أقدامهم كبيرة جداً، بحيث أنه عندما تكون السماء ساخنة، فإن بإمكانهم أن يستلقوا على ظهورهم ويكمنوا في ظل القدمين، ويرد ذكر لهذه المسوخ في إشارة شكسبير إليهم: «**الأنثروبوفاغي**[4]**، والرجال الذين تنمو رؤسهم تحت أكتافهم**».

وفي الرحلات الأسطورية للسير (جون مانديڤيللي Sir John Maundeville[5]) ثمة أمثلة على تلك الكائنات الغريبة، واحدة منها يُعاد إنتاجها هنا على حدٍ سواء، ومساحاتٍ أخرى من البلاد كان من المفترض أنّ حيوانات بشعة متوحشة تسكنها؛ واستخدمت معظم هذه الرسوم لملء المساحات الفارغة الكثيرة في خرائط العصور الوسطى لآسيا.



المسوخ الجغرافية

لقد ذهب أحد المؤلفين، في الواقع، بحماسه اللاهوتي، إلى أبعد من ذلك بكثير في تعديل مفاهيم العالم المأهول، وهو تاجرٌ مسيحي يدعى (كوزماس Cosmas)[6]، الذي كان قد سافر إلى الهند، وكان معروفاً وفقاً لذلك باسم (كوزماس إنديكوبلوستس)، فكتب حوالي سنة (540 ميلادية)، عملاً بعنوان: «**الطوبوغرافيا المسيحية**»، ليُفَنِّد ما كان يُعتقد أنه يمكن أن يكون وجهات نظر خاطئة من قبل الوثائق الوثنية حول تكوين العالم. وما أثار حفيظته بشكلٍ خاص كان مفهوم تصور الشكل الكروي للأرض، والمتناقضات، أو الرجال الذين يمكنهم الوقوف رأساً على عقب، فرسم صورة كرة مستديرة، مع أربعة رجال يقفون عليها بأقدامهم على الجانبين المتقابلين، وسأل واثقاً: **كيف يمكن للرجال الأربعة أن يستطيعوا الوقوف بشكلٍ عمودي**؟ ورداً على أولئك الذين طلبوا منه أن يشرح كيف يمكن أن

يتشكَّل الليل والنهار إذا كانت الشمس لا تدور حول الأرض، قال: لنفترض وجود جبل ضخم في أقصى الشمال، الدورة التي تحرك الشمس مرة واحدة في كل أربع وعشرين ساعةً. فتكون ليلاً عندما تكون الشمس تدور على الجانب الآخر من الجبل. وقال: إنه يثبت أيضاً، بكل قناعة، أن الشمس، عوضاً من كونها أكبر، هي أصغر بكثير جداً من الأرض. فالأرض - حسب رأيه - هي كطائرة متوسطة الحجم، والأجزاء المأهولة منها فُصِلت عن العالم القديم بالمحيط، وعلى الزوايا الأربع للمكان بكامله أُنشئت الركائز التي دعّمت السماوات، بحيث كان الكون كله، أو شيء من هذا القبيل، كمعرض كبير من الزجاج، وعلى رأسه السماء، وتقسيم المياه أعلاه وأسفله، وفقاً للفصل الأول من سفر التكوين.

وجهات نظر كوزماس، على أيَّةِ حالٍ، كانت مثيرة للاهتمام ومسلية، وكان مبالغاً فيها تماماً لتكتسب الكثير من المصداقية أو الاهتمام حتى من الرهبان في العصور الوسطى، ونحن لا نجد أية إشارة لها في مختلف خرائط (مابا موندي mappa mundi)[7] التي تلخص معرفتهم - أو بالأحرى جهلهم - حول العالم. واحدة من أكثر هذه الخرائط أهمية موجودة في إنجلترا في (هيريفورد Hereford)[8]، وتصاميم منها أُعْطِيت الأفريقي كبيراً وسأنقل أكبر قدرٍ من المعلومات حتى أوائل الجغرافيا في العصور الوسطى كما سيتطلبه القارِئ العادي. في أقصى الشرق، أي في الجزء العلوي، ويمثل الفردوس الأرضي؛ في وسط القدس الشريف. تحت هذا، يمتدّ البحر الأبيض المتوسط إلى الحافة السفلية من الخريطة، مع تفصيل جُزره بعناية فائقة. ويعطي الاهتمام الكبير للأنهار في جميع أنحائها، مع القليل من الاهتمام للجبال. الزيادة الحقيقية الوحيدة للمعرفة الفعلية التي تمثلت في تلك الخريطة، هي في الشمال الشرقي من أوروبا، والتي أصبحت معروفة بشكل طبيعي بالغزو الإسكندنافي. لكن مدى المعرفة الحقيقية القليلة التي اكتسبها هذا الجزء من أوروبا، تثبت حقيقة أن رسام

الخرائط الـذي وضـع (السينوسـيفالي Cynocephali[9]) أو الرجـال ذوي رؤوس الـكلاب، بالقـرب مـن النرويـج، قـد يكـون اسـتمدّها مـن بعـض الروايـات المشوشـة عـن القـرود الهنديـة. بالقـرب منهـم وضـع (الغرافيـن Graphone)[10]، «أكثـر البشـر شـراً، الذيـن مـن بيـن أعمالهـم الشـريرة أنهـم اتخـذوا مـن جلـود أعدائهـم ملابـسَ لهـم ولخيولهـم». هنـا أيضـاً، وضـع ملجـأ السـبعة النائميـن (أصحـاب الكهـف) الذيـن عاشـوا أكثـر مـن أي وقـت مضـى كمعجـزة دائمـة لتحولهـم عـن العبـادة الوثنيـة. الشـكل المعطـى للجـزر البريطانيـة - كمـا سيُلاحظ يرجـع إلـى ضـرورة الحفـاظ علـى الشـكل الدائـري للعالـم المأهـول. وثمـة تفاصيـل أخـرى حـول إنجلتـرا لا مجـال لذكرهـا حاليـاً.

مـن الواضـح أن خرائـط مثـل (هيريفـورد)، لـن تكـون ذات فائـدة عمليـة للمسـافرين الذيـن يرغبـون فـي الانتقـال مـن بلـدٍ إلـى آخـر؛ فـي الواقـع، أنهـا لم تكـن مخصصـة لأي غـرض مـن هـذا القبيـل. لـم يُقصـد بالجغرافيـا أن تكـون بـأي حـالٍ مـن الأحـوال عِلْمـاً عَمَليـاً، لكنهـا وُظفـت فقـط لإشـعار الرجـال بالتعجـب، ودرسـها الرجـال أساسـاً مـن أجـل التعـرف علـى عجائـب العالـم، عندمـا رسـم (وليـام ويكهـام William of Wykeham)[11] قواعـده لزمـلاء وعلمـاء الكليـة الجديـدة (أُكسـفورد Oxford)، وأخرجهـم فـي أمسـيات الشـتاء الطويلـة ليشـغلوا أنفسـهم، «بالغنـاء، أو قـراءة الشـعر، أو بسـجلات الممالـك المختلفة، أو بعجائـب العالـم». ومـن هنـا تقريبـاً تمتلِـئ كل خرائـط العصـور الوسـطى بالصور لهـذه العجائـب التـي كانـت أكثـر أهميـة لـدى القليـل مـن النـاس الذيـن يمكـن أن يقرؤوهـا. بقـاء هـذا العُـرف الفضولـي فـي رسـم الخرائـط اسـتمر تقريبـاً إلـى بدايـة هـذا القـرن، عندمـا كانـت الأماكـن الفائضـة فـي المحيـط تتزيـن بصـور إبحـار السـفن الشـراعية أو تنبثـق منهـا وحـوش البحـر.

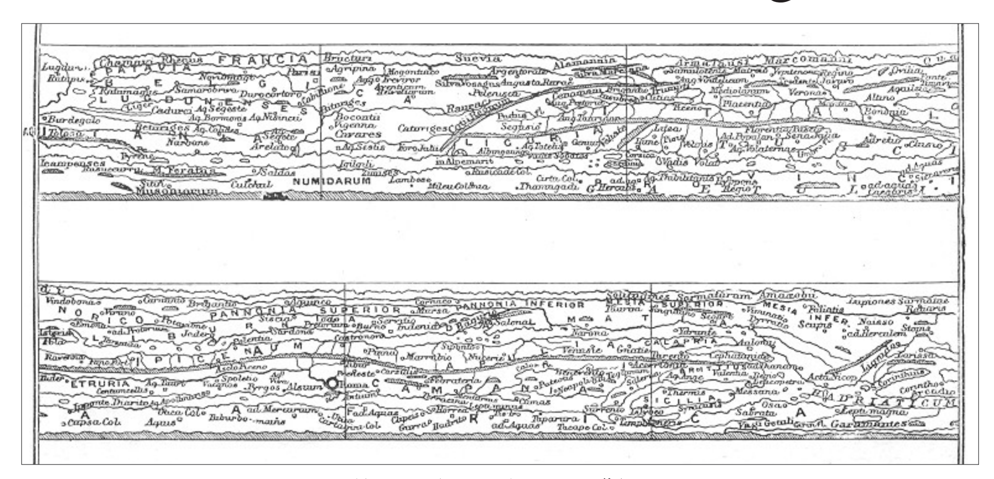
وعندمـا رغـب الرجـال بالترحـال، لـم يسـتخدموا مثـل هـذه الخرائـط، وإنمـا المسـالك، أو كتـب الطـرق التـي لـم تفصـح عـن إعطـاء شـكل البلـدان



خريطة «هيريفورد»

التي سيمرُّ المسافر من خلالها، لكنها أشارت فقط إلى المدن الرئيسة في الطرق الأكثر ارتياداً. وقد استُمِدَّت هذه المعلومات من العصور الكلاسيكية، فأمر أباطرة الرومان من وقتٍ لآخر بوضع مثل هذه الكُتب، ولا يزال ثمة خط سير شبه كامل للإمبراطورية، معروفٌ باسم مخطط (بيوتينجير Peutinger)[12]، من اسم التاجر الألماني الذي لفت انتباه العالم المتعلم إليه أولاً. وسترد إعادة استنتاج مركزة لاحقاً، منها سيتبين أنه لم تبذل أي محاولة لإعطاء أهمية لأي شيء أكثر من الطرق والمدن. وللأسف، فإن القسم الأول من الجدول، والذي بدأ من بريطانيا، قد تمزق، وحصلنا على ساحل (كنتيش Kentish)[13] فقط. وكانت هذه المسارات مفيدة بشكلٍ خاص، حيث كانت الرحلات الرئيسة للرجال في طبيعتها من أجل الحج. لكن هذه الرحلات غالباً ما تشتمل على نوع من السَّفَر التجاري، وفي الكثير من الأحيان يجتمع رجال الأعمال ورجال الدين بالحجّاج. وقد أُعطيت المعلومات الرئيسة عن أوروبا

الشرقية التي وصلت إلى الغرب، من خلال تعاقب الحجاج الذين زاروا فلسطين حتى وقت الحروب الصليبية. معرفتنا الرئيسة لجغرافية أوروبا تناهز خمسة قرون ما بين الأعوام (500 و1000 ميلادي) المعطاة في تقارير الحجاج المتعاقبين.



خريطة «بويتينغر» - الجزء الغربي

ويمكن اعتبار هذه الفترة بالعصر المظلم للمعرفة الجغرافية، حيث تم خلالها استبدال المفاهيم البرية - مثل تلك التي وردت في خريطة هيريفورد - لقياسات أكثرَ دقّةً من القُدَماء. والملفت للنظر، أنه حتى عصر كولومبوس، فإن المثقفين المتعلمين أبقوا على هذه المفاهيم، بدلاً من تعديلها بالمعرفة الإضافية المكتسبة خلال الفترة الثانية من العصور الوسطى، عندما تمكن الرحالة بجميع أنواعهم من الحصول على معلومات كثيرة وأوفى عن آسيا، وشمال أوروبا، وحتى - كما سيأتي - عن بعض الأجزاء من أمريكا.

وليس من المستغرب أبداً أن تكون هذه الفترة متخلفة جداً في المعرفة الجغرافية، لأن خريطة أوروبا نفسها، في انقساماتها السياسية، أُعيد ضبطها تماماً خلال هذه الفترة. فالأعوام الألف من التاريخ الذي انقضى بين

الأعوام (450 و1450م) كانت قد شُغلت بموجات متتالية من الغزو من وسط آسيا، وقطعت بشكلٍ شبه كامل التقسيمات القديمة للعالم.

في القرن الخامس، قامت ثلاث قبائل رُحَّل بغزو الإمبراطورية، من ضفاف نهر (ڤيستولا Vistula)[14]، و(الدنيبر Dnieper)[15]، ونهر (الڤولغا Volga)[16] بشكلٍ متعاقب. جاءت قبيلة الهون من نهر الڤولغا، في أقصى الشرق، تحت إمرة (أتيلا Attila)[17] الملقب بـ «**مطرقة الله**»، فدبّ الذعر في الإمبراطورية. وقام القوط الغربيون من نهر الدنيبر، بمهاجمة الإمبراطورية الشرقية؛ في حين أن قبائل (الڤاندال Vandal)[18] من نهر ڤيستولا، أخذوا الطريق المظفر خلال بلاد الغال وإسبانيا، وأسسوا لفترة إمبراطورية الڤاندال في شمال أفريقيا. كان من نتائج هذه الحركة؛ دفع العديد من القبائل الألمانية إلى فرنسا، وإيطاليا، وإسبانيا، وصولاً إلى بريطانيا. من هذه المرحلة في تاريخ العالم؛ نتمكن من تتبع بداية (إنجلترا)، كما تجوز تسميتها، مثلما أن غزو بلاد الغال من قبل الفرنجة في هذا الوقت يعني بداية التاريخ الفرنسي. وبحلول القرن الثامن امتدت مملكة الفرنجة في جميع أنحاء فرنسا، وشملت معظم وسط ألمانيا. بينما في يوم عيد الميلاد، العام (800 ميلادي)، تُوج (شارل العظيم Charles the Great)[19] في روما، من قبل البابا، إمبراطوراً للإمبراطورية الرومانية المقدسة التي أعلنت إحياء لأمجاد الإمبراطورية القديمة، ولكن قَسَّم حُكمها بين السلطة الزمنية التي يحتفظ بها الإمبراطور والقوة الروحية التي عقدت من قبل البابا.

أحد انقسامات إمبراطورية الفرنجة يستحق الاهتمام، لأنه أراح من مصيرها ومصير معظم دول أوروبا الغربية. مملكة (بورغوندي Burgundy)[20]، وهي دولة عازلة بين فرنسا وألمانيا، اختفت تماماً، ما عدا بقائها كاسم لنوع من الخمر. ولكن نتيجة لعدم وجود حدود طبيعية لها، كانت موضع نزاع بين فرنسا وألمانيا لفترة طويلة، ويمكن القول - إلى حدٍ ما

– إن الحرب الفرنسية البروسية كانت المرحلة الأخيرة في تاريخها حتى الوقت الحاضر. ووُجِدَت حالة مشابهة في شرق أوروبا، مملكة (بولندا kingdom of Poland)[21] التي كانت غير محددة بالتساوي في الشكل، وشَكَّلت موضع نزاع بين دول أوروبا الشرقية. وكما هو معروف، فقد اختفت كدولة مستقلة في العام (1795 ميلادي)، عندما أُوقفت أخيراً لتكون بمثابة منطقة عازلة بين روسيا وبقية أوروبا. وبعبارة عامة، بعد ترسخ القبائل الجرمانية في حدود الإمبراطورية، يمكن تلخيص تاريخ أوروبا، وبالتالي جغرافيتها التاريخية، على نحوٍ ما بالنضال الذي حدث من أجل حيازة بورغوندي وبولندا.

ولكن كانت ثمة فترة فاصلة هامة في الجنوب الغربي لأوروبا، والتي يجب أن تحظى باهتمامنا كعلامة للتغيير التاريخي في العالم في حالة من الحضارة. خلال القرنين السابع والثامن (تقريباً، بين 622 و 750م) انفجر سكان شبه الجزيرة العربية من العزلة التي كانت تسيطر عليهم منذ البداية، وألهمهم الحماس الديني المؤسس حديثاً من الإسلام، فبسطوا نفوذهم من الهند إلى إسبانيا، وعلى طول الشريط الساحلي الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط. وعندما استقروا، شرعوا في استعادة بقايا العِلْم اليوناني الروماني الذي كان قد فُقد في شمال ضفاف البحر الأبيض المتوسط. واستخدم المسيحيون في سوريا اللغة اليونانية لغتهم المقدسة، وبالتالي عندما أراد سلاطين بغداد أن يعرفوا شيئاً عن حكمة الإغريق، اتصلوا بالمسيحيين الناطقين بالسريانية لترجمة بعض الأعمال العلمية من اللغة اليونانية، أولاً إلى اللغة السريانية، ومنها إلى اللغة العربية. بهذه الطريقة حصلوا على معرفة الأعمال العظيمة لبطليموس، سواء في علم الفلك – والذي يعتبر من أهم و أعظم أعمالهم (المجسطي Almagest)[22] – أو في علم الجغرافيا، رغم أنه يمكن لأي شخص أن يفهم بسهولة التعديلات الكبيرة لبعض الأسماء الغريبة لبطليموس التي وردت

في المدونات، والتي تُرجمت أولاً إلى السريانية ثم إلى العربية. وسنرى لاحقاً بعض النسخ العربية لبطليموس.

فتوحات العرب أثَّرت على المعرفة الجغرافية بطريقة مزدوجة، من خلال إحداث الحروب الصليبية، وتجديد معارفهم من الغرب مع شرق آسيا حيث يملك العرب معرفة بجنوب شرق أفريقيا وأقصى حدٍ جنوباً حتى زنجبار وسوفالا، على الرغم من اختلاف وجهات نظر بطليموس فيما يتعلق بالأرض الجنوبية العظمى غير المعروفة، إلا أنهم يتصورون أنها تنتشر في المحيط الهندي نحو الهند. ويبدو أنه كانت لديهم بعض المعرفة الغامضة عن مصادر النيل. بالإضافة إلى معرفة العرب بسيلان، وجاوة، وسومطرة، وكانوا أول الناس معرفة بالاستخدامات المختلفة للكاكاو والجوز. وقام التُّجّار العرب أيضاً، بزيارة الصين في وقتٍ مبكرٍ من القرن التاسع الميلادي، ولدينا من رواياتهم بعض الأوصاف الأولى للصينيين، الذين وصفوهم بأنهم كانوا شعباً وسيماً، ومتفوقين في الجمال عن الهنود، بشعرٍ داكنٍ رفيع، ومميزات منتظمة، ويشبهون العرب تماماً. وسنرى لاحقاً، كيف كان من السهل نسبياً للمسلمين السفر من أحد أطراف العالم المعروف إلى الآخر، وذلك بسبب الوحدة الدينية في جميع أنحاء هذه المنطقة الشاسعة.

ربما ينبغي أن يُقال بعض الكلمات عن المؤلفات الجغرافية للعرب. وأحد أهم هذه المؤلفات، من تأليف (ياقوت Yacut)[23]، في شكلِ مُعجمٍ ضخمٍ، مُرتَّبٌ حسب الترتيب الهجائي. ولكن أعظم عملٍ جغرافيٍ للعرب هو من تأليف الجغرافي المعروف بـ (الإدريسي EDRISI)[24]، جغرافي الملك (روجر Roger)[25] ملك صقلية (1154ميلادي) الذي يصف العالم إلى حدٍ ما على طريقة بطليموس، ولكن مع إدخال تعديلات على بعض الاهتمامات. وهو يُقَسِّمُ العالم إلى سبعة شرائط أُفقية، ومعروفة باسم «المناخات»، والتي تمتد من خط الاستواء إلى الجزر البريطانية.

وتنقسم هذه الشرائط إلى أحد عشر قسماً، بحيث يكون العالم، في تصور الإدريسي، مثل لوحة الشطرنج، مُقَسَّمة إلى سبعة وسبعين مربعاً، ويتكون عمله من وصفٍ مُفَصَّلٍ لكل من هذه المربعات التي تُؤخذ واحداً تلو الآخر، ويجري عمل المناخ من خلالها كلها بانتظام، حتى يتمكن من الحصول على أجزاءٍ من فرنسا في المربعين الثامن والتاسع، وأجزاء أخرى في السادس عشر والسابع عشر. ولم يتم تكييف هذه الطريقة لإعطاء تصور واضح للبلدان المنفصلة، ولكن بالكاد كان هذا موضوع الإدريسي. عندما أراد العرب – أو في الواقع، من الكُتّاب القدامى أو العصور الوسطى – أن يصفوا أرضاً ما، فهم يكتبون عن القبيلة أو الأمة التي تسكن بها، وليس عن مواقع البلدان فيها. وبعبارة أخرى، فإنهم مزجوا بين الإثنولوجيا والجغرافيا.



العالم وفقاً «لابن حوقل»

ولكـن كان لجغرافيـة العـرب تأثيـرٌ ضئيـل أو لـم يكـن لهـا تأثيـرٌ علـى أوروبـا(*)، والتـي، بقـدر مـا ذهبـت الخرائـط، استمرت علـى أسـاس الهـوى بـدلاً مـن الحقيقـة حتـى حلـول وقـت (كولومبـوس Columbus)[26].

وفـي الوقـت نفسـه حدثـت حركـة أخـرى خـلال القرنيـن الثامـن والتاسـع الميلادييـن، مـا سـاعد فـي جعـل أوروبـا علـى ما هـي عليـه، وزاد إلـى حـدٍ كبيرٍ مـن المعرفـة المشـتركة لشـعوب شـمال أوروبـا. وللمـرة الأولـى منـذ اختفـاء الفينيقييـن، جـاءت قـوة بحريـة كبيـرة إلـى حيـز الوجـود فـي النرويـج، وخـلال بضعـة قـرون كانـت قـد أثـرت تقريبـاً علـى سـاحل البحـر الكامـل لأوروبـا. وهـم (الڤايكنـغ Vikings)[27]، أو جوالـو البحـر، الذيـن لزمـت سـفنهم الطويلـة مسـالكها فـي (ڤيكـس VIKS)، أو مضائـق النرويـج، فلقـد شـنّوا هجمـات عنيفة علـى طـول سـواحل أوروبـا، وفـي العديـد مـن الحـالات، شـكلوا حكومـات مسـتقرة، لذلـك أحدثـوا، وبطريقـة مـا، نوعـاً مـن الغـلاف الخارجـي لأوروبـا، يمنـع أي اهتـزاز لممتلكاتهـم. فـي (آيسـلندا Iceland)[28]، وفـي إنجلتـرا، وفـي آيرلنـدا، وفـي (نورمانـدي Normandy)[29]، وفـي (صقليـة Sicily)[30]، وعلـى القسـطنطينية (حيـث شـكلوا Varangi، أو هيئـة حـرس الإمبراطـور)، وكذلـك فـي روسـيا، ومنـذ فتـرة فـي الأرض المقدسـة ، أسـس الڤايكنـج أو النورمـان الممالـك التـي كان بينهـا تبـادل نشـيط فـي الزيـارات والمعرفـة.

والمؤكـد أنهـم قامـوا بتمديـد رحلاتهـم إلـى (غرينلانـد Greenland)[31]، وثمـة قـدرٌ كبيـرٌ مـن الأدلـة علـى الاعتقـاد بأنهـم سـافروا مـن غرينلانـد إلـى (لابـرادور Labrador)[32] و (نيـو فاونـد لانـد Newfoundland)[33]. فـي العـام (1001ميـلادي)، آيسـلندي اسـمه (بيـورن Biorn)*، إلـى غرينلانـد

(*) إن تأثير العلـوم العربيـة علـى أوروبـا، واضـح بـكل المقاييـس، واعترف بـه كثير من المستشـرقين الأوروبييـن، وخاصـة علـم الجغرافيـا العربـي، والنظريـات الجغرافيـة عنـد المسـلمين؛ قامـت علـى أسـس منهجيـة علميـة واقعيـة، وليسـت علـى الخيـال والهـوى. (**المُترجـم**).

(*) يشـير المؤلـف هنـا إلـى أنّ (Biorn) هـو المكتشـف لجزيـرة ڤاينلانـد، ولكـن لـم أجـد أي معلومـات بخصـوص هـذا الاسـم، قـد يكـون ثمـة خطـأ مـا، والمعلومـات الصحيحـة هـي أن المكتشـف هـو (ليـف Leif) الآيسـلندي ابـن المكتشـف (إيريـك الأحمـر) (**المُترجـم**).

لزيارة والده، مدفوعاً إلى المنطقة الجنوبية الغربية، وجاء إلى بلاد تُدعى (ڤاينلاند Vinland)(34)، يسكنها الأقزام، حيث اليوم فيها أقصر بثماني ساعات، والتي تتوازى تقريباً مع 50° شمالاً. (الإسكندنافيين The Norsemen)[35] استقروا هناك، وحتى أواخر (1121ميلادي) قام أسقف غرينلاند بزيارتهم، من أجل تحويلهم إلى المسيحية. لدينا سبب وجيه للشك في أن ڤاينلاند هذه كانت في البر الرئيس لأمريكا الشمالية، وبالتالي فإنّ الإسكندنافيون هم أول الأوروبيين في اكتشاف أمريكا. في وقتٍ مُتأخرٍ من العام (1380ميلادي)، زار رجلان فينيسيان، هما الأخوان (زينو Zeno)[36]، آيسلندا، اسمها (إستوتيلاند Estotiland)[37]، على بعد ألف ميل إلى الغرب من جزر (فارو Faroe)[38]، وجنوب غرينلاند، وذكرا بأنّ الناس هناك كانوا بحارة متحضرين وجيدين، على الرغم من عدم معرفتهم باستخدام البوصلة، بينما كان بعض الجنوبيين من آكلي لحوم البشر ومتوحشين، ولا يزال أبعد من الجنوب الغربي شعب آخر أكثر تحضراً، بنى أبناؤه المدن الكبيرة والمعابد، ولكنهم يقدمون الضحايا البشرية فيها. يبدو أنه كانت ثمة معرفة ضعيفة عن المكسيكيين.

الصعوبة الكبيرة في الاكتشاف البحري، سواء بالنسبة إلى القدماء أم الرجال في العصور الوسطى، كانت تتمثل في ضرورة المحافظة على البقاء بمقربة من الشاطِئ. حيث كانوا يعتمدون في تنقلاتهم بناء على الشمس خلال النهار، والنجم القطبي في الليل، ولكن إذا كانت السماء ملبدة بالغيوم بالكامل، فإنهم يقعون في ارتباكٍ تامٍ لمعرفة طريقهم. ومن هنا شكّل اكتشاف الاتجاه القطبي بواسطة الإبرة المغناطيسية أولوية لازمة لأي رحلة طويلة بعيدة عن اليابسة. ويبدو أن هذه الإبرة كانت معروفة للصينيين في العصور القديمة جداً، واستخدموها على سفنهم الشراعية في وقتٍ مبكرٍ من القرن الحادي عشر. ويبدو أنّ العرب الذين سافروا إلى سيلان وجاوة، قد تعلموا استخدامها من الصينيين، ولعلّ

بحـارة برشـلونة هـم أول مـن أخذوهـا منهـم وقدمـوا اسـتخدامها فـي أوروبـا. ويـرد أول ذكـر لذلـك فـي مقـالٍ عـن التاريـخ الطبيعـي مـن قبـل (ألكسـاندر نيـكام Alexander Neckam)[39]، وهـو أخٌ بالرضاعـة للملـك (ريتشـارد قلـب الأسـد Richard Coeur de Lion)[40]. ثمـة إشـارة أخـرى لهـا، فـي قصيـدة سـاخرة للشـاعر الغنائـي (غويـو بروفانـس Guyot provence)[41] (1190ميـلادي)، ينـص علـى أن البحـارة يمكـن أن يتوجهـوا إلـى نجـم الشـمال القطبـي دون أن يـروه، وذلـك باتبـاع اتجـاه إبـرة عائمـة علـى قشـة فـي حـوض مـن المـاء، بعـد أن تمّـت ملامسـتها بالمغناطيـس. علـى أيـةِ حـالٍ، يبـدو أنـه قـد تـم اسـتخدام هـذا الشـيء الصغيـر، لـدى (برونيتّـو لاتينـي Brunetto Latini)[42]، معلّـم (دانتـي Dante)[43]، عندمـا كان فـي زيـارة للسـير (روجـر بايكـون Roger Bacon) [44] العـام (1258ميـلادي)، إذ يـورد أنّ الراهـب قـد أظهـر لـه المغناطيـس وخصائصـه، ولكنـه أضـاف علـى أيـةِ حـالٍ أنـه اكتشـاف مفيـد، «ولا يجـرؤ بحـار علـى اسـتخدامه، لأنـه يخشـى فـي اعتقـاده أنـه سـحر». الواقـع أنّـه، فـي الشـكل الـذي تـم اسـتخدامه لأول مـرة فإنـه كان ذا فائـدة عمليـة قليلـة، لأنّ طريقـة موازنتـه لـم تكـن علـى محـور، وتحديـد تلـك النتيجـة لـم تكـن علـى الخريطـة، كمـا هـو مسـتخدم فـي الوقـت الحاضـر، حيـث أصبـح جـزءاً ضرورياً مـن معـدات البحـار. التحسـين العملـي فيـه منسـوب إلـى (فلاڤيـو جيوجـا Flavio Gioja)[45]، مـن قريـة (أمالفـي Amalfi)[46]، فـي بدايـة القـرن الرابع عشـر.

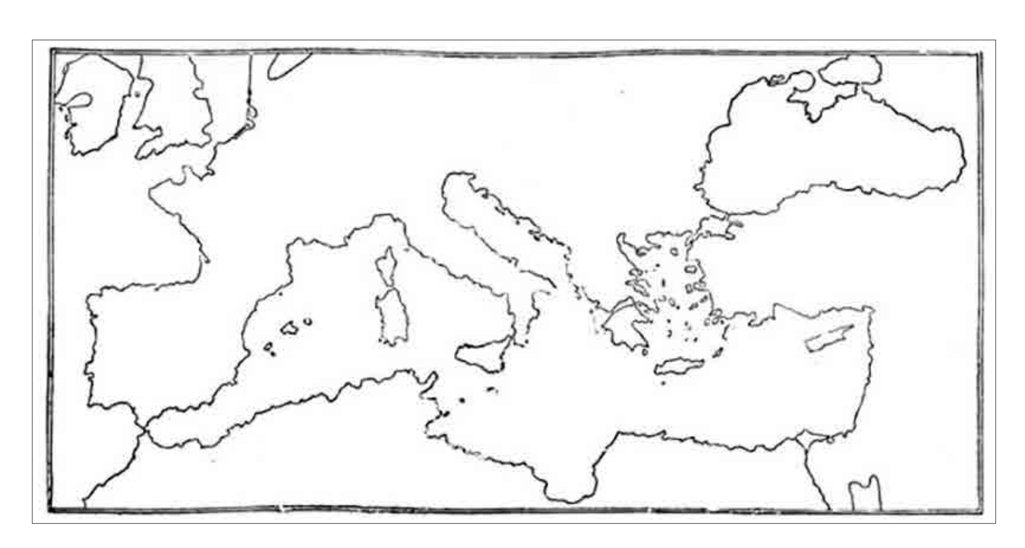
عندمـا دخلـت بوصلـة البحـارة حيـز الاسـتخدام العـام، و لوحظـت إشـاراتها مـن قبـل البحـارة البارعيـن فـي رحلاتهـم، كانـت هـي الطريقـة الأكثـر عمليـة فـي متنـاول اليـد لتحديـد المواقـع النسـبية للأراضـي المختلفـة. وكان علـى الجغرافييـن حتـى الآن (أي اليونانييـن والعـرب) أن يعتمـدوا علـى البيانـات المبهمـة لتحديـد المواقـع النسـبية فـي مسـارات التجـار والجنـود. ولكـن، مـع الاسـتعانة بالبوصلـة، لـم يكـن مـن الصعـب تحديـد الموقـع النسـبي مـن نقطـة إلـى أخـرى، فـي حيـن أن جميـع الالتفافـات فـي الطريـق يمكـن أن تكـون ثابتـة علـى الـورق دون صعوبـة

تُذكر. ونتيجة لذلك، في حين أن الرهبان المتعلمين كانوا راضين بمزيج من الأسطورة والخرافة التي رأينا أنّها قد شكلت أساس خرائطهم للعالم فإنّ بحارة البحر الأبيض المتوسط بنوا تدريجياً المخططات لهذا البحر والأراضي المجاورة له والتي تفاوتت ولكن في القليل من المواقع الحقيقية. عُرفت هذه الصيغة من المخططات باسم (بورتولانو Portulano)[47]، وهي لإعطاء المعلومات عن أفضل الطرق من الميناء إلى الميناء، وأظهر البارون (نوردنسكيولد Nordenskiold)[48] مؤخراً، كيف أن كل هذه البورتولانو اشتُقَّت من الخريطة الكاتالونية الوحيدة والتي قد فُقِدَت، ولكن لا شك في أنّها قد تكون جُمِعَت بين الفترة (1266) و(1291ميلادي) . ومع ذلك كان ثمة بعض المتعلمين الذين لم يكونوا قد تعالوا عن أخذ التعليمات من المعرفة العملية للبحارة. في العام (1339ميلادي)، كان أحد هؤلاء هو (أنجيلينو دولسيرت Angelino Dulcert)[49] من (مايوركا Majorca)[50]، الذي قدّم خريطة مفصلة للعالم على مبدأ بورتولانو، أعطى الشريط الساحلي – على الأقل البحر الأبيض المتوسط – الدقة الرائعة. وبعد ذلك بقليل في سنة (1375ميلادية)، قام يهودي الجزيرة نفسها، هو (كريسكيز Cresquez)[51]، بإجراء تحسين على هذا بإدخاله المعرفة المكتسبة حديثاً عن (كاثاي Cathay)[52]، أو الصين، في الجزء الشرقي من الخريطة، وذلك بفضل الرحالة الكبير (ماركو بولو Marco polo)[53]. وتنقسم خريطته المعروفة باسم الخريطة الكاتالونية (بسبب لغة التوثيق المنتشرة فوقها بشكلٍ غزير) إلى ثمانية شرائط أفقية، وعلى الصفحة السابقة نسخة مصغرة طبقَ الأصل، تُبين دقة استنساخ الشريط الساحلي للبحر الأبيض المتوسط في مخططات البورتولانو.

مع خرائط البورتولانو، عادت المعرفة الجغرافية مرة أخرى إلى خطوط التقدم، من خلال العودة إلى تمثيل الواقع، بإعطاء تمثيلٍ دقيقٍ للشريط الساحلي، حيث مكنت البحارة من المغامرة بلا خوف والعودة بأمان أكبر، في حين أنها أعطت وسيلة لتسجيل المزيد من المعرفة. وكما

سنرى، فقد ساعدت الأمير (هنري الملاح Prince Henry the Navigator)[54]، لبدء تلك السلسلة من البحوث الجغرافية التي أدت إلى الاكتشافات التي أغلقت العصور الوسطى، وبها قد نغلق إلى حدٍ ما التاريخ الجغرافي للعصور الوسطى، بقدر ما نصرح أن يكون فرعاً للمعرفة المنهجية.

يجب علينا الآن أن نعود إلى الوراء ونلخص بإيجاز الإضافات إلى المعرفة التي أدلى بها المسافرون والحجاج والتجار، وسجلت في شكل أدب الرحلات.



ساحل البحر المتوسط في خريطة البورتولانو

[Authorities: Lelewel, Gdographie du Moyen Age, 4 vols, and atlas, 1852; C R. Beazley, Dawn of Geography, 1897, and Introduction to Prince Henry the Navigator, 1895 ; Nordenskiold,Feriplus, 1897].



(هوامش الفصل الثالث)

(1) **يأجـوج ومأجـوج أو جـوج وماجـوج Gog and Magog**: اسـمان لشـعبين يظهـران فـي الكتـب الدينيـة اليهوديـة والمسـيحية والإسـلامية، بالإضافـة إلـى أعمـالٍ أدبيـة لاحقـة. تـرد هاتـان التسـميتان فـي سـفر التكويـن، أو فـي أمـورٍ متعلقـة بالأخرويـات، كمـا فـي سـفر حزقيـال والرؤيـة والقـرآن، فـي إشـارةٍ إلـى واحـدة مـن الأمـم، وفقـاً لنسـلٍ ينحـدر مـن يافـث ابـن نـوح عليـه السـلام. كمـا يغلـب علـى هاتيـن التسـميتين الغمـوض، فتـارةً تأتيـان علـى هيئـة أسـماء لأشـخاص أو شـعوب، وتـارة أخـرى كتسـمية لموقـعٍ جغرافـي.

(2) **غايـوس بلينيـوس سـكونديوس اشـتهر باسـم پلينـي الأكبـر Gaius Plinius Secundus** (عـاش خـلال 79م): مـؤرخ رومانـي، كتـب الكثيـر مـن الأعمـال التاريخيـة والفنيـة التـي لـم يتبـقَّ منهـا سـوى 37 مجلـدًا مـن التاريـخ الطبيعـي. علمًـا بـأن هـذا العمـل كان يُسـتخدم فـي العصـور الوسـطى، وقيمتـه الوحيـدة الآن هـي أنـه يكشـف عـن المعرفـة العلميـة خـلال فتـرة بلينـي الـذي يعتبـر أكبـر وأشـهر مؤرخـي الرومـان علـى الإطـلاق، إذ كان لكتاباتـه الجغرافيـة والتاريخيـة والطبيعيـة حيّـزٌ كبيـر بإثـراء الثقافـة الرومانيّـة فـي تلـك الحقبـة.

(3) **جايـوس يوليـوس سـولينيوس Gaius Julius Solinus**: مـؤرخ لاتينـي، نحـوي ومترجـم، قـد يكـون عـاش فـي أوائـل القـرن الثالـث. مؤلـف كتـاب «عجائـب الدنيـا» الـذي يحتـوي علـى وصـفٍ مختصـر للعالـم القديـم، مـع ملاحظـات علـى التاريـخ الاجتماعـي والدينـي والطبيعي، والجـزء الأكبـر منـه مأخـوذٌ مـن التاريـخ الطبيعـي لبلينـي وجغرافيـا بومبونيـوس ميـلا.

(4) **الأنثروبوفاغـي أو الأنثروبوفاغـوس The Anthropophagi**: نـوعٌ مـن الأجنـاس الأسـطورية لأكلـة لحـوم البشـر، ذكرهـم هيرودوتـس أولاً فـي تاريخـه بالأندروفاغـي، وكذلـك مؤلفـون آخـرون، وكذلـك الكاتـب المسـرحي ويليـام شكسـبير الـذي أظهـر الكلمـة الأولـى باللغـة الإنجليزيـة حوالـي العـام 1552م.

(5) **السـير جـون مانديڤيللـي Sir John Maundeville**: المؤلـف المفتـرض لسـفريات السـير جون مانديڤيللـي، وهـي مذكـرات سـفر نُشـرت للمـرة الأولـى بيـن العاميـن 1357و1371م، والنـص الباقـي هـو باللغـة الفرنسـية. وقـد اكتسـب العمـل شـعبيةً غيـر عاديـة، بمسـاعدة الترجمـات إلى العديـد مـن اللغـات الأخـرى. بالرغـم مـن طبيعتـه التـي لا يمكـن الاعتمـاد عليهـا للرحـلات

التـي يصفهـا، وغالبـاً مـا تكـون خياليـة، كان يسـتخدم كريسـتوفر كولومبـوس كمرجـع، وتأثـر بشـدة بكتـاب رحـلات ماركـو بولـو.

(6) **كوزمـاس إنديكوبلوسـتيس COSMAS INDICOPLEUSTES**: ونعنـي بـه «كوزمـاس الـذي أبحـر إلـى الهنـد»؛ والمعـروف أيضـاً باسـم كوزمـاس الراهـب الـذي كان تاجـراً يونانيـاً ثـم ناسـكاً مـن الإسـكندرية فـي مصـر. كان رحالـة مـن القـرن السـادس، قـام برحـلاتٍ عـدّة إلـى الهنـد، خـلال عهـد الإمبراطـور جسـتنيان. عملـه «الطوبوغرافيـا المسـيحية» يحتـوي علـى بعـض أقـدم وأشـمل خرائـط العالـم، وكان كوزمـاس تلميـذاً للبطريـرك السـوري الشـرقي أبـا الأول التابـع لكنيسـة الشـرق.

(7) **مابـا مونـدي mappa mundi**: المقصـود بهـا أيّ خريطـة أوروبيـة فـي العصـور الوسـطى للعالـم، وتختلـف هـذه الخرائـط مـن حيـث الحجـم والتعقيـد عـن الخرائـط التخطيطيـة البسـيطة التـي يبلـغ طولهـا 25 مليمتـراً أو أقـل عبـر خرائـط الحائـط التـي يبلـغ قطرهـا الأكبـر 3,5 أمتـار (11 قدمـاً 6 بوصـة)، والمصطلـح مسـتمدّ مـن الكلمـات اللاتينيـة فـي القـرون الوسـطى مابـا (القمـاش أو الرسـم البيانـي) ومونـدي (العالـم).

(8) **هيريفـورد Hereford**: هـي مدينـة الكاتدرائيـة، فـي مقاطعـة هيريفوردشـاير- إنجلتـرا. تقـع علـى نهـر واي، علـى بعـد 16 ميـلاً (26 كلـم) شـرق الحـدود مـع ويلـز، وعلـى بعـد 24 ميـلاً (39 كلـم) جنـوب غـرب ورسسـتر، وعلـى بعـد 23 ميـلاً (37 كلـم) شـمال غـرب غلوسسـتر.

(9) **السينوسـيفالي Cynocephali**: إنّ افتـراض وجـود بشـر لهـم رؤوس كلاب هـو مجـرد ظاهـرة أسـطورية مشـهود لهـا علـى نطـاقٍ واسـع، وواردة فـي العديـد مـن الثقافـات والمعتقـدات المختلفـة، كمـا يمكـن أن تُعـزى تقاريـر عـن هـذه الأنـواع بـرؤوس الـكلاب إلـى العصـور اليونانيـة القديمـة. فـي القـرن الخامـس قبـل الميـلاد كتـب الطبيـب اليونانـي كتسـياس تقريـراً مفصـلاً عـن وجـود السينوسـيفالي فـي الهنـد، والمعروفـة باسـم إنديـكا. وبالمثـل، ادّعـى الرحالـة اليونانـي ميغاسـثينيس أنـه يعـرف البشـر ذوي رؤوس الـكلاب فـي الهنـد، حيـث يعيشـون فـي الجبـال، وكانـوا يلبسـون جلـود الحيوانـات البريـة ويعيشـون مـن الصيـد. ويذكـر هيـرودوت أن الليبييـن القدامـى يدّعـون أن مثـل هـذه المخلوقـات تسـكن شـرق أراضيهـم.

(10) **الغرافيـن أو الغريفـون Gryphon**: مخلـوقٌ أسـطوري بجسـم وذيـل وسـاقيْ وخلفيـة أسـد، ورأس وأجنحـة نسـر، لأن الأسـد كان يعتبـر تقليديـاً ملـك الوحـوش، والنسـر ملـك الطيـور، وكان يعتقـد أن الغرافيـن مخلـوقٌ قـوي ومهيـب بشـكلٍ فريـد، وأنـه ملـك علـى جميـع المخلوقـات، وأنـه يحـرس الكنـوز والممتلـكات التـي لاً تقـدّر بثمـن.

(11) **وليـام ويكهـام William of Wykeham** (1320 أو 1324 – 1404م): كاتب وأسـقف وينشسـتر، ومستشـار إنجلتـرا. أسـس كليـة نيـو أكسـفورد، وكليـة نيـو كوليـج العـام 1379م، كمـا أسـس كليـة وينشسـتر فـي العـام 1382م.

(12) **الخريطـة البويتينجريـة Peutinger**: خريطـة شـبكة الطـرق فـي الإمبراطوريـة الرومانيـة، تـمّ الاحتفـاظ بهـا فـي المكتبـة الوطنيـة النمسـاوية فـي ڤيينـا، وهـي الخريطـة الأصلية التي يسـتند إليهـا، وتعـود فـي الغالـب إلـى القـرن الرابـع أو الخامـس الميـلادي، وكانـت الخريطـة التـي أعدّهـا أغريبـا فـي عهـد الإمبراطـور أوغسـطس. الخريطـة الحاليـة هـي عبـارة عـن نسـخة القـرن الثالـث عشـر، وتغطـي أوروبـا (دون أسـبانيا أو الجـزر البريطانيـة)، وشـمال أفريقيـا، وأجـزاء مـن آسـيا (الشـرق الأوسـط وبـلاد فـارس والهنـد).

(13) **كنتيـش Kentish**: منطقـة تقـع شـمال غـرب لنـدن- إنجلتـرا، فـي مقاطعـة لنـدن كامـدن، شـمال كامـدن تـاون.

(14) **نهـر ڤيسـتولا Vistula**: أطـول نهـر فـي بولنـدا، طولـه 1047 كلـم، ينبـع مـن جبـال كارباثيـان فـي جنوبـي بولنـدا، ثـم يتخـذ مجـرىً دائريـاً نحـو الشـمال، ليشـق بعدهـا مدينـة وارسـو، ثـم يصـب مـن خـلال فـروعٍ عـدّة فـي بحـر البلطيـق. تقـع مدينـة غدانسـك علـى قمـة أحـد فـروع هـذا النهـر، هـو فـرع نهـر توجـات، وتبحـر الـزوارق الخفيفـة علـى طـول النهـر حتـى مدينـة كراكـر. يتجمـد نهـر ڤيتسـولا لمـدة شـهرين إلـى ثلاثـة أشـهر فـي السـنة، وتربطـه القنـوات بـكلٍّ مـن نهـر الأوردو ونهـر الدنيبـر، وجميعهـا صالحـة للملاحـة، و يـروي نهـر ڤيسـتولا منطقـة تبلـغ مسـاحتها 000 ,192 كلـم2.

(15) **نهـر الدنيبـر Dnieper**: هـو أحـد أهـم الأنهـار فـي أوروبـا الشـرقية، ينبـع مـن مرتفعـات فـالادي فـي روسـيا، ثـم يعبـر روسـيا البيضـاء ومنهـا إلـى أوكرانيـا، فـي مدينـة دنيبروبتروفسـك، حيـث يصـب فـي البحـر الأسـود، ويبلـغ طولـه 2290 كلـم، وهـو رابـع أطـول نهـر فـي قـارة أوروبـا.

(16) **نهـر الڤولغـا Volga**: أطـول أنهـار أوروبـا وأغزرهـا. يقـع فـي الجـزء الغربـي الأوروبـي مـن روسـيا، ويختلـف اسـمه حسـب المنطقـة التـي يمـر فيهـا. يُعـدّ ممـراً مائيـاً هامـاً للنقـل البحـري داخـل روسـيا، ويصـب فـي بحـر قزويـن.

(17) **أتيـلا Attila** (حوالـي 406-453 م): حاكـم الهـون، مـن العـام 434 م. حتـى وفاتـه فـي مـارس 453 م. وغالبـاً مـا يُشـار إليـه باسـم أتيـلا هـون. كان أيضـاً زعيـم الإمبراطوريـة القبليـة التـي تتألـف مـن قبيلـة الهـون، القـوط الشـرقيين، وآلانـس وغيرهـا، علـى أراضـي أوروبـا الوسـطى والشـرقية.

(18) **الڤانـدال أو الونـدال Vandal**: إحـدى القبائـل الجرمانيـة الشـرقية. الونـدال شـعبٌ جرمانـي إسـكندنافي، لكـن معرفـة أصلهـم تحديـداً مختلـف فيهـا، ففـي العـام 455 م اسـتولى الونـدال علـى رومـا، وقامـوا بنهبهـا وتخريبهـا خرابـاً هائـلاً، ثـم قامـوا بغـزو شـمال أفريقيـا؛ وبعـد هزيمتهـم أمـام الرومـان اندمجـوا مـع سـكان شـمال أفريقيـا، وأصبحـوا تحـت سـيطرة الرومـان، وهـم حاليّـاً موجـودون فـي سـواحل أفريقيـا الشـمالية، ولا يُعـرف مـن هـم بالضبـط.

(19) **تشـارلز العظيم أو شـارلمان Charlemagne or Charles the Great** (2 أبريل 742/ 747/ 748 – 28 ينايـر 814م): ويصنـف بتشـارلز الأول، ملـك الفرنجـة فـي العـام 768م، وملـك اللومبـارد مـن العـام 774م، وإمبراطـور الرومـان فـي العـام 800م. قـام بتوحيـد الكثيـر مـن دول أوروبـا فـي وقـتٍ مبكـر خـلال العصـور الوسـطى، وكان أول إمبراطـور مُعتـرف بـه فـي أوروبـا الغربيـة منـذ سـقوط الإمبراطوريـة الرومانيـة الغربيـة قبـل ثلاثـة قـرون، وكانـت دولـة الفرنجـة الموسـعة التـي أسسـها شـارلمان تسـمى بالإمبراطوريـة الكارولنجيـة.

(20) **بورغونـدي أو بورغونـي Burgundy**: تأتـي التسـمية مـن البورغونديـين، وهـم قبيلـة جرمانيـة قديمـة اسـتقرت فـي المنطقـة خـلال العصـور الوسـطى المبكـرة. تعتبـر منطقـة بورغنـدي أكبـر مـن دوقيـة بورغونيـا القديمـة، وأصغـر مـن المنطقـة التـي كان دوقـات بورغونـدي يحكمونهـا، مـن هولنـدا الحديثـة إلـى حـدود أوفـرن.

(21) **مملكـة بولنـدا kingdom of Poland** (1385–1569م): دولـة بولنديـة نشـأت نتيجـة لاتحـاد كريـف بتوحيـد بولنـدا وليتوانيـا تحـت حكـم واحـد، ولاحقـاً تـم انتخـاب الملـوك مـن كلا الدولتيـن للأشـخاص أنفسـهم أو لأفـراد مـنً العائلـة المالكـة. تحـول الاتحـاد إلـى اتحـاد أقـرب بموجـب اتحـاد لوبليـن فـي العـام 1569م، تلتـه بعـد فتـرة وجيـزة نهايـة سـلالة ياغيلـون التـي حكمـت بولنـدا لقرنيـن مـن الزمـان.

(22) **كتـاب المجسـطي**: يُسـمّى ماثماتيـكا سينتاكسـيس، أي الأطروحـة الرياضيـة. هـو كتـابٌ فـي الفلـك والرياضيـات، ألّفـه العالـم الإغريقـي بطليمـوس، العـام 148م فـي الإسـكندرية، ويُعتقـد أنـه أقـدم كتـاب معـروف فـي الفلـك. ترجمـه إلـى العربيـة حنيـن بـن إسـحاق، ومـن الترجمـة العربيـة تمّـت ترجمتـه إلـى اللغـة اللاتينيـة ثـم إلـى غيرهـا مـن اللغـات الأوروبيـة، لـذا فـإن اسـم الكتـاب العربـي هـو المسـتخدم فـي التراجـم، حيـث يسـمى (Almagest) المأخـوذة مـن كلمـة المجسـطي العربيـة، وليـس الاسـم اليونانـي الأصلـي.

(23) **ياقـوت Yacut**: شـهاب الديـن أبـو عبـد اللـه ياقـوت بـن عبـد اللـه الحمـوي (574–626 هــ) أديـب ومؤلـف موسـوعات وخطّـاط مـن أصـل رومـي، اشـتغل فـي العلـم وأكثـر مـن دراسـة الأدب. أقـام فـي مدينـة بغـداد حتـى وفاتـهِ، ولقـد سـمى نفسـه «عبـد الرحمـن». أهـم مؤلفـات ياقـوت الحمـوي كتـاب «معجـم البلـدان» الـذي ترجـم وطبـع مـراتٍ عـدّة.

(24) **الإدريسـي EDRISI**: محمـد بـن محمـد بـن عبـد اللـه بـن إدريـس الحسـني الطالبـي، أبـو عبدالله (493–560 هــ/ 1100–1165 م)، عالـم مسـلم ومؤرخ، مـن كبار العلمـاء بالجغرافيا، ومـن مؤسسـي علـم الجغرافيـا، ولـد بسـبتة ونشـأ وتعلـم فـي قرطبـة، كمـا كتـب فـي الأدب والشـعر والنبـات، ودرس الفلسـفة والطـب والنجـوم فـي قرطبـة. اسـتخدمت مصوراتـه وخرائطـه فـي مختلـف كشـوف عصـر النهضـة الأوروبيـة، ولُقّـب بالصقلـي لأنـه اتخـذ مـن جزيـرة صقليـة موطنـاً لـه بعـد سـقوط الدولـة الإسـلامية، ولقـب بسـطرابون العـرب، نسـبة

إلـى الجغرافـي الإغريقـي الكبيـر سـطرابون، وكان مـن أبـرز الدارسـين فـي علـم الرياضيـات، ولقـد اختـرع علـم الهندسـة قديمًـا، قبـل أرخميـدس. تعلّـم فـي البيلـق وطـاف البـلاد، فـزار الحجـاز و تهامـة ومصـر، ووصـل إلـى سـواحل فرنسـا وإنجلتـرا، وسـافر إلـى القسـطنطينية وسـواحل آسـيا الصغـرى، وعـاش لفتـرةٍ فـي صقليـة، ونـزل فيهـا ضيفـاً علـى ملكهـا روجـر الثانـي، ولا نعـرف شـيئاً عـن نهايـة حياتـه ومـكان وفاتـه.

(25) **الملـك روجـر الثانـي Roger II** (22 ديسـمبر 1095– 26 فبرايـر 1154م): ملـك صقليـة وابـن كونـت صقليـة روجـر الأول. خلـف أخـاه سـيمون، وخلفـه ابنـه ويليـام الأول ملـك صقليـة. بـدأ حكمـه ككونـت لصقليـة فـي 1105م، وأصبـح لاحقـاً دوق بوليـا وكالابريـا (1127م) ومـن ثـم ملـكاً لصقليـة (1130م) حتـى وفاتـه فـي 1154م. نجـح روجـر فـي توحيـد جميـع فتوحـات النورمـان فـي إيطاليـا ضمـن مملكـةٍ واحـدة، مـع حكومـة مركزيـة قويـة. وأمـا عـن علاقتـه بالإدريسـي، فـلأن الأخيـر اختـار الانتقـال إلـى صقليـة بعـد سـقوط الحكومـة الإسـلامية، وكان الملـك النورمانـي فـي ذلـك الوقـت «روجـر الثانـي» محبـاً للمعرفـة. شـرح الإدريسـي لروجـر موقـع الأرض فـي الفضـاء، مسـتخدمًا فـي ذلـك بيضـةً لتمثيـل الأرض التـي شـبّهها بصفـار البيضـة المحـاط ببياضهـا، تمامـاً كمـا تهيـم الأرض فـي السـماء محاطـةً بالمجـرَّات.

(26) **كريسـتوفر كولومبـوس Christopher Columbus** (15 أكتوبـر 1451 – 20 مايـو 1506م): مـن أشـهر الرحالـة والمسـتعمرين الإيطاليـين، يُنسـب إليـه اكتشـاف العالـم الجديـد (أمريـكا). ولـد فـي مدينـة جنـوة الإيطاليـة، ودرس الرياضيـات والعلـوم الطبيعيـة (وربمـا الفلـك أيضـاً) فـي جامعـة بافيـا. عبـر المحيـط الأطلسـي ووصـل إلـى الجـزر الكاريبيـة فـي 12 أكتوبـر 1492 م، لكـن اكتشـافه أرض القـارة الأمريكيـة الشـمالية تـمّ فـي رحلتـه الثانيـة العـام 1498 م. بعـض الآثـار تـدل علـى وجـود اتصـال بيـن القارتيـن الأوروبيـة والأمريكيـة، حتـى قبـل اكتشـاف كولومبـوس تلـك الأرض بوقـتٍ طويـل. مـن شـخصيته اسـتوحي اسـم البلـد كولومبيـا.

(27) **الڤايكنـغ Vikings**: مُصطلـح يُطلـق علـى شـعوبٍ جرمانيـة نورديـة، وغالبـاً علـى ملاحـي السـفن وتجـار ومُحاربـي المناطـق الإسـكندنافية الذيـن هاجمـوا السـواحل البريطانيـة والفرنسـية وأجـزاء أخـرى مـن أوروبـا فـي أواخـر القـرن الثامـن إلـى القـرن الحـادي عشـر، وتسـمى بحقبـة الڤايكينـج، كمـا يسـتعمل علـى نحـوٍ أقـل للإشـارة إلـى سـكان المناطـق الإسـكندنافية عمومـاً؛ وتشـمل الـدول الإسـكندنافية كلاً مـن السـويد والدنمـارك والنرويـج وآيسـلندا.

(28) **آيسـلندا Iceland**: دولـة جزريـة أوروبيـة. تقـع آيسـلندا فـي شـمال المحيـط الأطلسـي، إلـى الجنـوب مباشـرةً مـن الدائـرة القطبيـة الشـمالية، والتـي تمـرّ عبـر جزيـرة غريمسـي

الصغيـرة الواقعـة قبالـة السـاحل الشـمالي لآيسـلندا. وخلافـاً لجزيـرة غرينلانـد المجـاورة، فـإن آيسـلندا تتبـع أوروبـا، وليس أمريـكا الشـمالية، بالرغـم مـن أنّهـا تقـع علـى الصفيحتيـن الجيولوجيتيـن لكلتـا القارتيـن. كان الزعيـم النرويجـي أنجولفـر أرنارسـون أول مـن اسـتوطن آيسـلندا بشـكلٍ دائـم فـي العـام 874م. قـام آخـرون بزيـارة الجزيـرة قبـل ذلـك، ومكثـوا فيهـا طـوال الشّـتاء. خـلال القـرون التاليـة اسـتوطن الجزيـرة مهاجـرون مـن الشـعوب الشـمالية والغاليـة. كانـت الجزيـرة، منـذ العـام 1262م حتـى العـام 1918م جـزءاً مـن الملكيـة النرويجيـة والدانمركيـة.

(29) **نورمانـدي Normandy**: إحـدى المناطـق الإداريـة فـي شـمال فرنسـا، وهـي مماثلـة تقريبـاً لدوقيـة نورمانـدي التاريخيـة. تنقسـم نورمانـدي إداريـاً إلـى خمسـة أقاليـم هـي: كالفـادوس، أور، المانـش، أورن، السـان البحريـة. تبلـغ مسـاحتها 30627 كلـم2، ويُطلـق علـى سـكانها اسـم النورمـان. تُعـدّ هـذه المنطقـة موطـن اللغـة النورمنديـة، وكانـت دوقيـة نورمانـدي التاريخيـة تضـمّ نورمانـدي الحاليـة، بالإضافـة إلـى مناطـق صغيـرة أصبحـت الآن جـزءاً مـن إقليمـي سـارت ومايـن.

(30) **صقليـة Sicily**: أكبـر جزيـرة فـي البحـر الأبيـض المتوسـط، ومنطقـة ذاتيـة الحكـم فـي إيطاليا. الجـزر الصغـرى حولهـا، مثـل الجـزر الإيوليـة هـي جـزءٌ منهـا. خـلال معظـم تاريخهـا، كانـت صقليـة موقعـاً اسـتراتيجياً حاسـماً، ويعـود ذلـك فـي جـزءٍ كبيـر لأهميتهـا فـي طـرق التجـارة المتوسـطية. اعتبـرت المنطقـة جـزءاً مـن ماجنـا غراسـيا ،حيـث وصـف شيشـرون «سـيراكوزا» بأنهـا أعظـم وأجمـل مدينـة فـي اليونـان القديمـة. أرخميـدس، وهـو أحـد أعظـم العلمـاء والرياضييـن فـي العالـم القديـم صقلـي الأصـل، ولـد فـي مدينـة سـيراكوزا.

(31) **غرينلانـد Greenland**: دولـة مسـتقلة مكونـة فـي المجـال الدنماركـي، بيـن المحيطيـن الشـمالي والجنوبـي، شـرق أرخبيـل القطـب الشـمالي الكنـدي. بالرغـم مـن كونهـا جغرافيـاً جـزءاً مـن قـارة أمريـكا الشـمالية، فـإن غرينلانـد ترتبـط سياسـياً وثقافيـاً بأوروبـا (وخصوصـاً النرويـج والدنمـارك، والقـوى الاسـتعمارية، فضـلاً عـن جزيـرة آيسـلندا القريبـة) لأكثـر مـن ألـف عـام. معظـم سـكانها هـم مـن الإنويـت الذيـن بـدأ أسـلافهم الهجـرة مـن البـرّ الرئيـس الكنـدي فـي القـرن الثالـث عشـر، واسـتقروا تدريجيـاً فـي جميـع أنحـاء الجزيـرة.

(32) **لابـرادور Labrador** : منطقـة تتبـع نيوفاوندلانـد، تبلـغ مسـاحتها 284،900 كلـم2. تقـع عنـد مصـب نهـر سـانت لورنـس، عاصمتهـا باتـل هاربـر، معظـم سـكانها هنـود الجونكويـن والإسـكيمو، وينتشـرون علـى طـول سـاحل الأطلنطـي.

(33) **جزيـرة نيـو فاونـد لانـد Newfoundland**: جزيـرة كنديـة بالقـرب مـن السـاحل الشـرقي لكنـدا، تشـكل مـع منطقـة لابـرادور فـي البـر الكنـدي مـا يعـرف بمقاطعـة نيوفاوندلانـد ولابـرادور، إحـدى مقاطعـات كنـدا، اكتشـفت العـام 1497 م علـى يـد جـون كابـوت.

(34) **ڤاينلانــد Vinland**: منطقــة علــى ســاحل أمريــكا الشــمالية التــي استكشــفها الڤايكنــغ الإســكندنافيون، حيــث زارهــا ليــف إريكســون للمــرة الأولــى فــي العــام 1000م، حوالــي خمســة قــرون قبــل رحلتــي كريســتوفر كولومبــوس وجــون كابــوت. كان ڤاينلانــد هــو الاســم الــذي أعطــي لأمريــكا الشــمالية، بقــدر مــا تــم استكشــافه مــن قبــل الفايكنــج، ويفتــرض أن تشــمل كلاً مــن نيــو فاونــد لانــد وخليــج ســانت لورانــس، وصــولاً إلــى شــمال شــرق نيــو برونزويــك (حيــث توجــد نباتــات الكــروم المســمّاة باســمها).

(35) **الإســكندنافيون Norsemen**: (مــن النورديــة القديمــة Norðmanðr نورذمانــذر) أيْ رجــال الشــمال، وحُرّفــت إلــى لغــاتٍ أوروبيــة عــدة. هــم خليــطٌ مــن شــعوب إســكندنافيا، اســتقروا فــي الدانمــرك والســويد والنرويــج. كانــوا ذوي أصــول جرمانيــة، تميزهــم ثقافتهــم الخاصــة، واعتادوا الملاحــة فــي بحــر البلطيــق وبحــر الشــمال، وإن لــم يكــن معظمهــم بحــارة، بــل مــن الفلاحيــن. أطلــق عليهــم أيضــاً اســم الڤايكنــغ، وإن كان هــذا المصطلــح يشــير إلــى الشــعوب النورمانيــة المســتقرة علــى الســواحل (ولاســيما بمــلاذات الفيــوردي المنخرطــة بأعمــال القرصنــة).

(36) **الأخــوان زينــو Zeno، وهمــا نيكولــو زينــو** (1326– 1402م)، **وأنطونيــو زينــو** (توفــي 1403م): مــن النبــلاء الإيطالييــن مــن ڤينيســيا (البندقيــة)، وهمــا مــن عائلــةٍ أرســتقراطية، عاشــا فــي النصــف الثانــي مــن القــرن الرابــع عشــر، واشــتهرا خــلال عصــر النهضــة باستكشــافهما ميــاه شــمال المحيــط الأطلســي والقطــب الشــمالي.

(37) **إســتوتيلاند Estotiland**: هــي المنطقــة التــي ظهــرت علــى خريطــة الأخويــن زينــو، حيــث تقــع لابــرادور وكيبيــك ونيــو فاونــد لانــد الآن علــى الخرائــط الملاحيــة. تــم إنشــاء خريطــة زينــو فــي أوائــل القــرن الخامــس عشــر مــن قبــل أنطونيــو زينــو.

(38) **جــزر فــارو Faroe Islands**: هــي أرخبيــل بيــن بحــر النرويــج وشــمال الأطلســي، فــي منتصــف المســافة بيــن النرويــج وآيســلندا، علــى بعــد 320 كلــم شــمال غــرب أســكتلندا، تبلــغ مســاحتها حوالــي 1400 كلــم2 (541 ميــلاً مربعــاً). جــزر فــارو هــي بلــد مســتقل داخــل مملكــة الدانمــرك.

(39) **ألكســندر نيــكام Alexander Neckam** (1157 – 1217م): أســتاذ وعالــم إنجليــزي، كان مدرّســاً لعلــم اللاهــوت فــي أكســفورد، ذكــر فــي كتابــه البوصلــة المغناطيســية كمســاعدة للملاحــة، ويعتبــر كتابــه عــن طبيعــة الأشــياء، وهــو مقدمــة مــن جزأيــن، تعليقــاً علــى كتــاب الكليــات.

(40) **ريتشــارد الأول Richard I** (8 ســبتمبر 1157 – 6 أبريــل 1199م): ملــك إنجلتــرا مــن 6 يوليــو 1189م حتــى وفاتــه، حكــم أيضــاً عــدداً مــن الدوقيــات النورمانديــة، وكان الثالــث مــن خمســة أبنــاء للملــك هنــري الثانــي مــن إنجلتــرا، ويُعــرف باســم ريتشــارد كــور دي ليــون أو ريتشــارد قلــب الأســد، بســبب ســمعته كقائــدٍ عســكري ومحــارب كبيــر.

(41) **غويــوت دي بروڤانــس Guiot de Provins، أو غويــو Guyot** (ولــد فــي بلــدة بروڤانــس حوالـي العـام 1150م – وتوفـي بعـد 1208م): كان شـاعراً ومغنيـاً فرنسـياً مـن بلـدة بروڤانـس فـي منطقـة الشـمبانيا، وهـو الكاتـب المزعـوم للمـواد المسـتخدمة مـن قبـل ولفـرام فـون إشـنباخ عـن الرومانسـية برزيڤـال.

(42) **برونيتّـو لاتينـي Brunetto Latini** (1220– 1294م): فيلسـوف لاتينـي، عالـم، وكاتـب عـدل ورجـل دولـة. كان برونيتّـو وصيـاً علـى دانتـي بعـد وفـاة والـده ومعلمـه.

(43) **دانتــي أليغييــري Dante Alighieri** (فلورنســا 1 يونيــو 1265– رافينــا 14 ســبتمبر1321م): شـاعر إيطالـي مـن فلورنسـا، يُعـرف عـادةً باسـم دانتـي. أعظـم أعمالـه «الكوميديـا الإلهيـة» المكونـة مـن ثلاثـة أقسـام: الجحيـم، المطهـر والفـردوس، وتُعتبـر البيـان الأدبـي الأعظـم الـذي أنتجتـه أوروبـا خـلال العصـور الوسـطى، وقاعـدة اللغـة الإيطاليـة الحديثـة، فهـي واحـدة مـن الأعمـال الرئيسـة لعمليـة الانتقـال مـن العصـور الوسـطى إلـى عصـر النهضـة الفكـري، وتعتبـر تحفـةً فـي الأدب الإيطالـي، وواحـدةً مـن قمـم الأدب العالميـة.

(44) **روجـر بايكـون Roger Bacon** (1214 – 1294م): ويُعرف أيضاً باسـم **Doctor Mirabilis** أي «المعلـم المُذهـل» باللاتينيـة. مـن أبـرز مفكـري العصـور الوسـطى، ورائـد العلـم التجريبـي الحديـث. نبـغ منـذ الصغـر، فتعلـم الرياضيـات والفلـك والبصريـات والكيميـاء واللغـات. كمـا اهتـم بتعلّـم السـحر والتنجيـم. درس الآداب بأكسـفورد وباريـس حيـث حصـل علـى الماجسـتير. ثـم حاضـر هنـاك حـول كتـب أرسـطو وشـروحاته التـي كانـت محظـورة حتـى عـام 1247.

(45) **فلافيـو جيوجـا أو جويـا Flavio Gioja** (1300 م): بحّـار ومُختـرع إيطالـي، يُعتقـد أنـه قبطـانٌ بحـري، كان لـه الفضـل التقليـدي فـي إكمـال بوصلـة البحـار، بتعليـق إبرتهـا علـى أرضيـةٍ مُرقمـة أشـارت إلـى الشـمال، كمـا أرفـق الإبـرة بمربـعٍ صغيـر، مـع غطـاء مـن الزجـاج.

(46) **أمالفــي Amalfi**: بلـدة ومدينـة فـي مقاطعـة سـاليرنو، فـي منطقـة كامبانيـا– إيطاليـا، علـى خليـج سـاليرنو. تقـع علـى مصـبّ وادٍ عميـق، عنـد سـفح مونتـي سـيريتو (1،315 متـراً/ 4،314 قدمـاً)، وتحيـط بهـا المنحـدرات الرائعـة والمناظـر السـاحلية. كانـت مدينـة أمالفـي عاصمـة الجمهوريـة البحريـة المعروفـة باسـم دوقيـة أمالفـي، وهـي قـوةٌ تجاريـة هامـة فـي المتوسـط، بيـن الأعـوام 839م وحوالـي 1200م.

(47) **بورتولانـوس portulanos** مـن اللفـظ اللاتينـي «**بورتـوس**»، وتعنـي «الميناء» أو **بورتولانـو**: هــي خرائـط بحريـة أوروبيـة قديمـة، أو رسـوم بيانيـة بحريـة، أمكـن اسـتخدام البوصلـة معهـا، حيـث يعـود تاريخهـا إلـى القـرون الثالـث عشـر والرابـع عشـر والخامـس عشـر، وكانـت وظيفتهـا توفيـر الاتجاهـات والمسـافات التقريبيـة بيـن الموانـئ الأوروبيـة والأفريقيـة الكبـرى.

(48) **البارون نيلس أدولف إريك نوردنسكيولد Nils Adolf Erik Nordenskiöld** (18 نوفمبر 1832 – 12 أغسطس 1901م): بارون فنلندي وسويدي، عالم جيولوجي، وعالم معادن، ومستكشف القطب الشمالي. كان من عائلة نوردنسكيولد الشهيرة السويدية- الفنلندية. ولد في هلسنكي في دوقية فنلندا الكبرى، عندما كانت جزءاً من الإمبراطورية الروسية، وفي وقتٍ لاحق، وبسبب نشاطه السياسي، اضطر للانتقال إلى السويد، حيث أصبح عضواً في برلمان السويد. قاد حملة فيغا على طول الساحل الشمالي لأوراسيا (1878–1879م)، وكان هذا أول عبور كامل للممر الشمالي الشرقي.

(49) **أنجيلينو دولسيرت Angelino Dulcert** (1339م): قد يكون أيضاً الشخص نفسه المعروف باسم أنجيلينو دي دالورتو، وكان اسمه الحقيقي أنجيلينو دي دولسيتو، أو دولسيتي، أو ربما أنجيلا دولسيت: رسام خرائط ميجوركي إيطالي.

(50) **مايوركا أو ميورقة Majorca**: من أكبر جزر إسبانيا، تقع في البحر المتوسط، وهي جزءٌ من أرخبيل جزر البليار، كغيرها من جزر البليار.

(51) **أبراهام كريسكيز Abraham Cresquez** (1325–1387م): رسام خرائط يهودي من القرن الرابع عشر، من بالما- مايوركا (جزء من تاج أراغون). يرجع الفضل إليه، بالتعاون مع ابنه جيهودا كريسكيس، بتأليف الأطلس الكاتالوني الشهير 1375م.

(52) **كاثاي Cathay**: هو الاسم الذي أطلقه الأوروبيون في العصور الوسطى على الصين، وبالذات على الجزء الشرقي من نهر يانغتسي، نقلاً عن ماركو بولو، ولا يزال يذكر أحياناً في القصائد، كما عند الشاعر تنيسون: «خمسون سنة في أوروبا أفضل من دهر في كاثاي».

(53) **ماركو بولو Marco polo** (ولد في 15 سبتمبر 1254م في البندقية – توفي في 8 يناير 1324م في البندقية): مُستكشف وتاجر من ڤينيسيا، كان هو وأبوه نيكولو وعمّه مافيو أول الأوروبيين الذين سلكوا طريق الحرير إلى الصين- والتي أطلق عليها اسم كاثاي- وكانت له علاقات دبلوماسية مع قوبلاي خان، أكبر ملوك إمبرطورية المغول وحفيد جنكيز خان، وقد دوّن رحلاته في كتابه «إل ميليوني»، وهو تصغير إيميليوني، اسم الشهرة لعائلة بولو- كما يدعى رحلات ماركو بولو.

(54) **الأمير هنري الملاح Prince Henry the Navigator** (مارس – 1394 نوفمبر 1460 م): أمير ومستعمر ورحالة برتغالي، هو الابن الثالث لجواو الأول، ملك البرتغال آنذاك، ومؤسس عائلة أفيز. لم يكن الأمير هنري نفسه بحاراً، لكنه حصل على هذا الاسم بسبب تنظيمه الرحلات التي اكتشفت أراضي جديدة، وينظر إليه بكونه الشخص الذي بدأ التوسع الاستعماري الأوروبي.



الفصل الرابع

رحلات العصور الوسطى



فـي العصـور الوسـطى – تلـك التـي كانـت فـي السـنوات الألـف بيـن اقتحـام البرابـرة للإمبراطوريـة الرومانيـة فـي القـرن الخامـس الميـلادي، واكتشـاف العالـم الجديـد فـي القـرن الخامـس عشـر الميـلادي- كانـت المراحـل الرئيسـة للتاريـخ التـي أثـرت علـى توسـيع معرفـة الإنسـان للعالـم: رحلـة الڤايكنـج فـي القرنيـن الثامـن والتاسـع، والتـي أشـرنا إليهـا مـن قبـل؛ والحـروب الصليبيـة فـي القرنيـن الثانـي عشـر والثالـث عشـر الميلاديـيـن؛ ونمـو الإمبراطوريـة المغوليـة فـي القرنين الثالـث عشـر والرابـع عشـر. فالمعرفـة الإضافيـة التـي حصـل عليهـا الڤايكنـج لـم تتمكـن مـن التغلغـل إلـى بقيـة أوروبـا؛ وتلـك التـي جلبتهـا الحـروب الصليبيـة، وأسـلافُها، والعديـد مـن رحـلات الحـج إلـى الأراضـي المقدّسـة، أعـادت إلـى أوروبـا الغربيـة المعرفـة المختزنـة فقـط فـي العصـور الكلاسـيكية القديمـة. لكـنّ امتـداد الإمبراطوريـة المغوليـة كان لـه تأثيـرٌ وأهميـة أكبـر علـى نطـاقٍ واسـع، وأسـفر عـن إضافـة المزيـد مـن المعرفـة حـول شـرق آسـيا، لـم يكـن الرومـان يمتلكونهـا، وكانـت قـد تفوقـت فقـط فـي الأزمنـة الحديثـة خـلال القـرن الحاضر.

نحـو بدايـة القـرن الثالـث عشـر، قـام (جنكيـز خـان Chinchiz Khan)[1]، زعيـم قبيلـة تتـار صغيـرة، بغـزو معظـم وسـط وشـرق آسـيا، بمـا فيهـا الصيـن. وتحـت قيـادة ابنـه (أوكـوداي Okkodai)[2]، تحـوّل هـؤلاء التتـار المغـول مـن الصيـن إلـى الغـرب، وفتحـوا أرمينيـا، كمـا أقدم أحـد جنرالاتهـم، واسـمه (باتـو Batu)[3]، على تدميـر جنـوب روسـيا وبولنـدا، واسـتولى علـى بودابسـت (العـام 1241ميـلادي)؛ وبـدا وكأن نبـوءة نهايـة العالـم قـد حـان أوان تحقيقهـا، وأنّ الأمـم القويـة، مـن يأجـوج ومأجـوج، قـد اندفعـت لتفـي بالكلمـات التنبؤيـة. غيـر أنّ أوكـوداي مـات

بشكلٍ مفاجِئ، واستدعيت هذه الجيوش للعودة. واستولى الإرهاب العالمي على أوروبا، وبصفته رئيساً للمسيحية، عزم البابا على إرسال سفراء إلى جنكيز خان العظيم، للتأكد من نواياه الحقيقية، فبعث براهبٍ يدعى (جون بلانو كاربيني John of Planocarpini)[4]، من مدينة (ليون Lyons)[5]، في العام (1245ميلادي)، إلى معسكر باتو (على نهر الڤولغا)، والذي نقله بدوره إلى بلاط الخان العظيم في مدينة (كاراكوريوم Karacorum)[6]، عاصمة إمبراطوريته التي لم يبقَ منها الآن إلا أثرٌ قليل على الضفة اليسرى من نهر (أورخون Orkhon)[7]، حوالي مائة ميل إلى الجنوب من بحيرة (بايكال Baikal)[8].

هنا، وللمرة الأولى، سمعوا عن مملكةٍ على الساحل الشرقي من آسيا لم يتمّ غزوها على يد المغول بعد، وكانت تُعرف من قبل باسم (كاثاي). تم الحصول على معلوماتٍ وافية عنها عن طريق الراهب الآخر، المدعو (وليام رويسبروك William Ruysbroek)[9]، أو Rubruquis، وهو فليمنكي الأصل، زار أيضاً كاراكوريوم سفيراً من قبل (القديس لويس St.Louis)[10]، وعاد إلى أوروبا في العام (1255ميلادي)، وأبلغ بعض معلوماته إلى (روجر بيكون)، حيث يقول: «**هؤلاء الكاثانيون Cathayans قليلو الرفقة، ويتحدث الكثيرون منهم من الأنف، وكما هو عموماً مع كل هؤلاء الناس الشرقيين، عيونهم ضيقة جداً، المال المتداول في كاثاي يتكوّن من قطعةٍ من ورق القطن، تُقاس بحوالي النخلة في الطول والعرض، مطبوعة عليها خطوطٌ معينة، تشبه ختم (مانغو خانKhan Mangou)، وهم ينفذون كتاباتهم بريشةٍ مثل الرسامين، ويفهمون من حرفٍ واحد رسائل عدة، ذلك لأنه يشكل كلمةً كاملة**». وهو يحدد أيضاً هؤلاء الكاثانيين مع (السيريس Seres)[11] القدماء. عرف بطليموس هؤلاء باعتبارهم يمتلكون الأرض التي يأتي منها الحرير، لكنه قد يكون سمع أيضاً عن (الصين القديمة Sinae)، وأخفق في تمييز إحداهما عن الأخرى. من المعتقد أنّ اسم الصين جاء إلى الغرب عن طريق رحلةٍ بحرية، تعديلاً

لاسـم (الملايـو Malay)[12]، فـي حيـن جـاءت أسـماء السـيريس والكاثائييـن عـن طريـق البـرّ، وبالتالـي تسـبب ذلـك فـي التشـويش بينهمـا.

الفرنسيسـكان الآخـرون اتبعـوا هـؤلاء، وأحدهـم، وهـو (جـون مونتيكورڤينو John Montecorvino)[13]، اسـتقرّ فـي (خانباليـق Khanbalig)[14] (المدينـة الإمبراطورية)، أو (بيكيـن Pekin)[15]، كرئيـسٍ للأسـاقفة، العـام (1358ميـلادي)، بينمـا سـافر الراهـب (أودوريـك بوردينـون Odoric Pordenone)[16]، مـن منطقـة (فريولـي Friuli)[17]، إلـى الهنـد والصيـن، بيـن العاميـن (1316ميـلادي و1330ميـلادي)، ونشـر قصـة رحلتـه التـي ملأهـا بالأكاذيـب المثيـرة للدهشـة، ومعظمهـا جـرى اقتباسـه بالكامـل عـن العمـل المنسـوب إلـى السـير جـون ماندوڤيللـي.

المعلومـات القليلـة المتداولـة مـن قبـل هـؤلاء الرهبـان الرحالـة تلاشـت، قبـل أن تتـمّ إعـادة المعرفـة الشـاملة والدقيقـة كلهـا تقريبـاً عـن شـرق آسـيا إلـى أوروبا، عـن طريـق ماركـو بولـو الڤينيسـي، الـذي أمضـى ثمانيـة عشـر عامـاً مـن حياتـه فـي الشـرق؛ إذ شـكّلت أسـفاره حقبـةً مهمـة فـي تاريـخ الاكتشـاف الجغرافـي، وتأتـي فـي المرتبـة الثانيـة بعـد رحـلات كولومبـوس.

فـي العـام (1260ميـلادي)، باشـر اثنـان مـن أعمامه، همـا (نيكولـو ومافيـو بولو Nicolo and Maffeo Polo)، بمشـروعٍ تجـاري بـدأه مـن مدينـة القسـطنطينية إلـى شـبه جزيـرة القـرم، وقامـا بعـد ذلـك بزيـارة مدينـة (بخـارى Bokhara)[18]، ومنهـا إلـى بـلاط الخـان العظيـم (كوبـلاي Kublai)[19]، الـذي اسـتقبلهم بحفـاوةٍ بالغـة، وأبـدى رغبتـه بإدخـال الحضـارة الغربيـة فـي الإمبراطوريـة المغوليـة الجديـدة، وأوكل إليهمـا إيصـال رسـالةٍ للبابـا مطالبـاً فيهـا بمائـة مـن حكمـاء الغربييـن لتعليم المنغولييـن الديـن المسـيحي والفنـون الغربيـة. عـاد الأخـوان إلـى موطنهمـا الأصلـي (ڤينيسـيا Venice)[20] «البندقيـة»، فـي العـام (1269ميـلادي)، لكنهمـا لـم يعثـرا علـى البابـا للامتثـال إلـى طلـب الخـان العظيـم؛ وهـو البابـا (كليمنـت الرابـع Clement IV)[21]، إذ كان قـد توفـي فـي العـام السـابق، ولـم يتـمّ تعييـن

خلفٍ له، فاضطرا للانتظار لبضع سنواتٍ حتى تمّ انتخاب (غريغوريوس العاشر Gregory X)[22] الذي استجاب بشكلٍ فاترٍ لمطالب الخان العظيم، وكلّف اثنين من الدومنيكان مرافقة الأخوين بولو اللذين اصطحبا معهما في هذه المناسبة ابن شقيقهما الصغير (ماركو)، وكان فتىً في السابعة عشرة من العمر، وانطلقوا في نوفمبر العام (1271ميلادي)، لكنهم سرعان ما ضلّوا رفقة الدومنيكان الذين فقدوا صوابهم وعادوا أدراجهم.

ذهبوا أولاً إلى مضيق (هرمز Ormuz)[23]، عند مصبّ الخليج العربي، ثم اتجهوا شمالاً عبر خراسان بلخ إلى نهر جيحون، ومنه إلى هضبة (باميرPomir)[24]، ومن ثم اجتازوا الصحراء الكبرى من (غوبي Gobi)[25]، ووصلوا أخيراً إلى كوبلاي، في شهر مايو/ أيار العام (1275ميلادي)، في مقرّه الصيفي في (كايبينغ فو Kaipingfu)[26]. بالرغم من أنهم لم ينفذوا له طلبه، استقبلهم الخان بطريقةٍ ودية، واحتفى بشكلٍ خاصٍ بماركو الذي اتخذه في خدمته الخاصة. ولقد تمّ العثور مؤخراً على سجلٍ ضمن السجلات الصينية، يشير إلى أنّه- في العام (1277ميلادي)- جرى ترشيح (ماركو بولو) مفوضاً من الدرجة الثانية لمجلس شورى الملك، وكان واجبه أن يسافر في مهمّات مختلفة إلى بلاد التبت الشرقية، وإلى كوشين الصين، وحتى إلى الهند. جمع الإخوة بولو ثروةً كبيرة، نتيجة إحسان الخان العظيم، لكنهم وجدوا أنه غير راغبٍ في السماح لهم بالعودة إلى أوروبا. تولى ماركو بولو العديد من المناصب المهمّة؛ لمدة ثلاث سنوات، وكان محافظاً للمدينة العظيمة (يانتشو Yanchau)[27]، وبدا أنه سوف يموت وهو في خدمة كوبلاي خان.

لكنّ الفرصة سنحت لهم أخيراً، فتمكنوا من الحصول على الإذن بالعودة إلى أوروبا، ذلك أنّ الخان الفارسي رغب في الزواج بأميرةٍ من أسرة الخان العظيم، كان قد تعلّق بها. وبما أنّ السيدة الشابة التي وقع عليها الاختيار لا يمكنها تحمّل مشاق الرحلة برّاً من الصين إلى بلاد فارس، تقرّر إرسالها

عـن طريـق البحـر فـي رحلـةٍ عبـر سـواحل آسـيا. ولأن (التتـار Tatars)[28] لـم يكونـوا بحـارةً جيديـن، حصـل الأخـوان بولـو وابـن أخيهمـا علـى الإذن بمرافقـة الأميـرة الشـابة فـي رحلـةٍ مليئـة بالمخاطـر، إلـى حـدٍّ مـا؛ وانطلقـوا فـي العـام (1292ميـلادي) مـن (زيتـون Zayton)[29]، وهـو مينـاء فـي (فوكيـن Fokien)[30]. وبعـد رحلـةٍ لأكثـر مـن عاميـن، عبـر السـاحل الجنوبـي لآسـيا، وصلـت السـيدة بسـلام إلـى المنـزل المقـدّر لهـا، مـع أنهـا- فـي نهايـة المطـاف- تزوَّجَـت بالابـن بـدلاً مـن والـده الـذي كان قـد لقـي حتفـه. بعـد ذلـك طلبـوا الإذن منهـا، وسـافروا عـن طريـق بـلاد فـارس إلـى بلادهـم التـي وصلوهـا فـي العـام (1295 ميـلادي). وعندمـا وصلـوا إلـى قصـر أسـلافهم مـن آل بولـو، بملابـس التتـار الخشـنة، رفـض أقاربهـم لبعـض الوقـت أن يصدّقـوا أنهـم كانـوا بالفعـل تجارهـم المفقوديـن منـذ زمـنٍ طويـل، لكـن «الثلاثـي بولـو» دعوهـم إلـى مأدبـةٍ، ارتـدوا فيهـا أفضـل مـا لديهـم مـن ثيـاب، وأعطـوا العبيـد ملابسـهم القديمـة. وفـي ختـام المأدُبـة، أحضـروا الثيـاب الرثـة التـي وصلـوا فيهـا لأول مـرة، وأخـذوا السـكاكين الحـادة، وبـدؤوا بتمزيـق طيـات الثيـاب، ليسـتخرجوا منهـا كميـاتٍ هائلـةً مـن الياقـوت الأحمـر الرمانـي الداكـن، والياقـوت الأزرق، والمـاس، والزمـرد، والتـي تشـكّل جميـع ممتلكاتهـم. هـذا العـرض غيَّـر بشـكلٍ فعـال مـن طابـع الترحيـب الـذي لقـوه مـن أقاربهـم الذيـن صـاروا مهتميـن بمعرفـة كيـف جـاؤوا بمثـل هـذه الثـروة.

فـي وصفـه لثـروة خـان العظيـم، اضطـر ماركـو بولـو- الـذي كان كبيـر المتحدثيـن فـي «الثلاثـي»- لاسـتخدام الرقـم «مليـون» للتعبيـر عـن مقـدار ثروتـه، وعـن عـدد النـاس الذيـن كان يحكمهـم، ويُعتبـر هـذا الجـزء مـن حكايـات المسـافرين المعهـودة، فأصبـح ماركـو بولـو معروفـاً بشـكلٍ عـامٍ مـن قبـل أصدقائه بأنـه «ميسـير ماركـو المليونـي».

لـم يكـن مثـل هـذا الاسـتقبال لرواياتـه قـد أمـدّ ماركـو بولـو بالتشـجيع الكافـي كـي ينقـل حكايـة أسـفاره الرائعـة. غيـر أنـه، فـي العـام الـذي وصـل إلـى ڤينيسـيا،

اندلعت حربٌ بين جنوة وملكة البحر الأدرياتيكي، فتمّ القبض عليه، و أُلقي به بالسجن في جنوى. هناك وجد سجيناً واحداً اعتبره كزميلٍ له، يدعى (روستيكانو بيزا Rusticano of Pisa)[31]، وهو رجلٌ يمتلك بعضاً العلم على أسلوب سلفه السير (توماس مالوري Thomas Malory)[32]، إذ كان قد كَرَّسَ الكثير من الوقت لإعادة كتابة النثريات والملخصات للعديد من الرومانسيات التي تتعلّق بالمائدة المستديرة، لكنه لم يكتبها باللغة الإيطالية (التي نادراً ما يقال إنها كانت معتمدة للأغراض الأدبية في تلك الأيام)، إنما باللغة الفرنسية، اللغة المشتركة للفروسية في جميع أنحاء أوروبا الغربية. أثناء وجوده في السجن مع ماركو بولو، دوَّن توماس- باللغة الفرنسية- رواية المسافر العظيم، واحتفظ بها كل الوقت. أُطلق سراح ماركو بولو في العام (1299ميلادي)، فعاد إلى ڤينيسيا، حيث توفي بعد سنوات قليلة، في 9 يناير/ كانون الثاني العام (1334ميلادي)، وهو تاريخ كتابة وصيته.

وهكذا، فإنّ الأسفار التي تمّ تفصيلها في كتاب ماركو بولو، بالرغم من أهميتها ودلالتها في تاريخ الاكتشاف الجغرافي، من المستحيل أن تعطي أيّ وصفٍ كافٍ عن هذا المكان. وعليه، قد يكفي أن نعطي ملخصاً لمقالاته المعطاة من قبل العقيد السير (هنري يول Henry Yule)[33]، والتي تُعدّ طبعةً من كتاب رحلاته، وبمثابة واحدٍ من أهم الآثار العظيمة المعتمدة في التعليم الإنجليزي، حيث يقول:

«كان أول مسافرٍ تتبع طريقاً عبر خط الطول الكامل لآسيا، حيث قام بتسمية ووصف المملكة، بعد المملكة التي رآها بأمّ عينيه: صحاري بلاد فارس، والهضاب المزهرة والوديان البرّية في (داخشتان)، واليشم التي تحمل أنهار خوتان، وسهوب منغوليا، مهد القوة التي كانت قد هدّدت في الآونة الأخيرة بابتلاع المملكة المسيحية، البلاط الجديد والرائع الذي أنشِئ بـ(خانباليق Cambaluc) ؛ وهو المسافر الأول للكشف عن الصين بجميع

ثرواتها واتساعها، وأنهارها العظيمة، ومدنها الضخمة، وصناعاتها الغنية، وحشود سكانها، وأساطيلها الواسعة التي تتسارع بشكلٍ لا يصدّق، والبحار والمياه الداخلية فيها؛ ليخبرنا عن الدول التي على حدودها، بكل غرابة أطوار شعوبها، وعن أساليب وعبادة شعوب التبت، بتعصّبهم الدنيء، وعن (بورما Burma)[34] ومعابدها الذهبية والتيجان الرنانة؛ وعن لاوس، بسيام، وكوشين الصين، واليابان، وثول الشرقية، مع لآلئها الوردية والقصور ذات الأسطح الذهبية؛ وهو أول من تحدّث عن هذا المتحف بالجمال والروعة، ولا يزال ينقصه حقه، وعن الأرخبيل الهندي، مصدر تلك المواد العطرية والنفيسة للغاية، والتي كانت غامضة المنشأ؛ وعن جاوة، لؤلؤة الجزر؛ وعن (سومطرة Sumatra)[35]، بملوكها العديدين، ومنتجاتها الغالية الغريبة، وأجناسها الآكلة للحوم البشر، والمتوحشين العراة من نيكوبار واندامان، وسيلان، وجزيرة الأحجار الكريمة، بجبلها المقدّس، وقبر آدم «عليه السلام»؛ والهند الكبرى، ليست كأرض أحلامٍ في خرافات الإسكندريين، ولكن كما شاهدتها واستكشفتها شخصياً، بما لديها من البراهمة الفاضلين، الزاهدين في الفاحشة، وألماسهم، والحكايات الغريبة عن اقتنائهم له، وقيعان بحرها من اللؤلؤ، والشمس القوية: البداية في وقت العصور الوسطى لإعطاء وصفٍ متميز عن الإمبراطورية المسيحية المعزولة عن الحبشة، والجزيرة شبه المسيحية (سوقطرى)[36]. لنتكلم- بالرغم من ذلك في الواقع، بشكلٍ مبهم- عن زنجبار، بزنوجها وعاجها، ومدغشقر الواسعة والبعيدة، المطلّة على المحيط المظلم من الجنوب، وعن حربائها نجم الروك والوحوش الأخرى، في المنطقة المقابلة عن بعد، وعن سيبيريا والمحيط المتجمّد الشمالي، وعن كلاب الزلاجات، والدببة البيضاء، وشعب (التونغوس Tunguses)[37] راكبي الرَّنّة».

ماركو بولو هو بالتالي واحدٌ من أكبر الأسماء في تاريخ الجغرافيا، وقد يكون ثمة شكٌّ في الواقع حول ما إذا كان أيّ مسافرٍ آخر قد أضاف على

نطاق واسع جداً إلى معرفتنا التفصيلية عن سطح الأرض. لكنً المؤكد أنّه- حتى عصر السيد (ستانلي)- لم يكن من رجلٍ على وجه الأرض قد زار مثله العديد من الأماكن المجهولة، والتي لم تكن معروفةً لأوروبا المتحضرة من قبل. وبالرغم من أنّ الأراضي التي اكتشفها مأهولة بالسكان، فإنّها كانت إلى وقتٍ قريب واقعةً في الفوضى، ومغلقةً أمام أيّ تأثيراتٍ حضارية. ولفترةٍ طويلة، لم يلِ هذه الاكتشافات أيّ شيء، وحتى الوقت الحاضر، استقبلت رواياته بالتشكيك، في الواقع، وهو نفسه كان يُعرف باسم «ماركو المليوني»، أكثر من ماركو بولو.



خريطة «فرا ماورو» **1457 Fra Mauro** م

كانت رحلات ماركو بولو واسعة النطاق، إلا أنّها لم تتجاوز المدى في نوعها، كي تُقارن بأعظم الرحالة العرب (محمد بن بطوطة Mohammed Ibn Batuta)[38]، وهو مواطنٌ من (طنجة Tangier)[39]، بدأ رحلاته في العام (1334ميلادي)، كجزءٍ من واجب المسلم لزيارة الأراضي المقدّسة في مكّة المكرّمة. وفي الإسكندرية التقى بحكيم عالمٍ يدعى (برهان الدين) أعرب له عن رغبته في السفر. وقال له برهانُ الدين: «يجب أن تقوم بزيارة أخي (فريد الدين) وأخي (ركن الدين) في (السند)، وأخي (برهان الدين) في الصين، وعندما تراهم ، قدّم لهم تحياتي». ويرجع ذلك أصلاً إلى حقيقة أنّ الأمراء التتار قد اعتمدوا الإسلام بدلاً من المسيحية، بعد فشل البابا غريغوري العاشر في إرسال المعلمين المسيحيين إلى الصين، وتمكّن ابن بطوطة في نهاية المطاف من أن يحيي جميع الإخوة الثلاثة لبرهان الدين. والواقع أنّه أدّى مهمةً استثنائية، إذ تمكّن من نقل تحيات الشيخ (كاوان الدين Kawan Eddin) الذي التقى به في الصين، لقريبٍ له مقيمٍ في السودان. خلال ثلاثين عاماً من أسفاره، زار الأراضي المقدسة و(أرمينيا Armenia)[40]، وشبه جزيرة القرم، والقسطنطينية (زارها ضمن مجموعة، مع أميرةٍ يونانية تزوجت أحد خانات التتار)، وبخارى، و(أفغانستان Afghanistan)[41]، و(دلهي Delhi)[42]، حيث وجد التكريم من الإمبراطور (محمد إنغلاك Mohammed Inghlak)[43]، الذي عيّنه قاضياً، وأرسله على رأس سفارة إلى الصين، في بادئ الأمر برّاً، ولكن- عندما وجد أنّ هذا الطريق خطيرٌ جداً- ذهب في نهاية المطاف من (كاليكوت Calicut)[44] عن طريق سيلان، وجزر (المالديف Maldives)[45]، وسومطرة، وزيتون، ثم ميناء الصين العظيم. بعدما اندلعت الحرب الأهلية، عاد من الطريق ذاته إلى كاليكوت، لكنه لم يجرؤ على مواجهة الإمبراطور، وذهب إلى هرمز ومكّة المكرّمة، وعاد إلى طنجة في العام (1349ميلادي)، وحتى ذلك الحين، لم يستنفد حبّه للسفر، فسرعان ما بدأ بإسبانيا، وجعل

طريقه عبر المغرب، وعبر الصحراء، إلى السودان؛ وسافر على طول نهر النيجر (الذي اعتبره نهر النيل)، وزار تيمبكتو، وعاد في نهاية المطاف إلى مدينة (فاس Fez)[46] في العام (1353ميلادي)، أي بعد ثمانيةٍ وعشرين عاماً من بداية رحلاته. كانت مصلحته الرئيسة هي إظهار المدى الواسع للإسلام في عصره، والوسائل التي قدمت العقيدة المشتركة للسفر الواسع النطاق. لكنّ رواية رحلاته كُتِبَت باللغة العربية، ولم يكن لها من تأثيرٍ على المعرفة الأوروبية التي لم تجد ما تتعلمه منه بعد ماركو بولو، إلا في ما يتعلّق بالسودان. ومعه يمكننا القول بإنصاف إنّ تاريخ الجغرافيا في العصور الوسطى قد انتهى. وبعد ثمانين عاماً من وفاته، بدأ الأمير هنري الملاح نشاطه، ومعه بدأ العصر الحديث.

وفي الوقت نفسه، أصبحت الهند معروفةً أكثر إلى حدٍّ ما، وذلك بشكلٍ أساسيٍ من خلال سفر الرهبان الرحالة الذين قصدوها في الأصل لزيارة ضريح القديس (توماس St.Thomas)[47] الذي كان من المفترض أنه استشهد في الهند. كما تنبغي الإشارة إلى الانتشار المبكر للكنيسة النسطورية في جميع أنحاء آسيا الوسطى. في وقتٍ مبكرٍ من القرن السابع الميلادي، بدأ المسيحيون السوريون الذين اتبعوا آراء نسطور بنشرها شرقاً، وأسسوا آراءهم في بلاد فارس وتركستان، وبذلك انتشرت حتى بيكين. كان ثمة إحياء مؤكد للنشاط التبشيري في ظلّ الخانات المغوليين، لكن الطبيعة المقيدة للّغة التي كُتبت بها تقاريرهم، حالت دون أن يكون لها أيّ تأثيرٍ على المعرفة الجغرافية، إلا في لغةٍ معينة تحظى ببعض الاهتمام. ولطالما أثار مصير القبائل العشر المفقودة من بني إسرائيل الاهتمام، ونشأت أسطورة أنّهم قد تحوّلوا إلى المسيحية، وهم موجودون بمكانٍ ما في الشرق تحت حكم الملك الذي كان كاهناً أيضاً، والمعروف باسم الكاهن (يوحنا John)[48]. في التقارير التي رفعها بعض الكهنة النسطوريين غرباً، قيل إن واحداً من أمراء المغول، اسمه

(أونـغ خـان Ung Khan)[49]، قـد اعتنـق المسـيحية، وفـي السـريانية بـدا هـذا شـيئاً مثـل حكايـة «جـون كوهيـن»، أو «الكاهـن»، والتـي تتطابـق مـع أسـطورة الكاهـن يوحنـا. ومنـذ فتـرةٍ طويلـة، كان أحـد هـذه المبـررات السـفر إلـى الشـرق، لاكتشـاف هـذه المملكـة المسـيحية؛ ومـع ذلـك، تأكـد لاحقـاً وجـود مثـل هـذه المملكـة المسـيحية فـي الحبشـة. وبسـبب وجهـات النظـر الخطـأ لبطليمـوس، يليـه العـرب، اعتُبـر امتـدادُ الحبشـة أبعـد نحـو الهنـد، وتـمّ تحديـد أرض الكاهـن يوحنـا فـي الحبشـة، وسـنرى لاحقـاً كيـف سـاعد هـذا الخطـأ فـي تقـدّم الاكتشـاف الجغرافـي.

الإضافـة الكلّيـة لهـذه الرحـلات مـن العصـور الوسـطى إلـى المعرفـة الجغرافيـة، تألّفـت أساسـاً فـي إضافـة قـدرٍ أكبـر مـن الأراضـي فـي الصيـن، وأرخبيـل اليابـان، أو (سـيبانغو Cipangu)[50]، إلـى خريطـة العالـم. تعـرض الخريطـة المصاحبـة مختلـف الأسـفار وأهميـة الرحـلات، وسـوف تُمَكِّنُ القـارِئ مـن فهـم كيـف أنّ دارسـي الجغرافيـا الذيـن أضافـوا إلـى تخمينـات بطليمـوس بامتـداد العالـم شـرقاً وغربـاً، المعـارف الجديـدة التـي حصلـوا عليهـا عـن طريـق ماركـو بولـو، قـد قلّصـوا المسـافة غربـاً بيـن أوروبـا وسـيبانغو، وبالتالـي إعـداد الرجـال لرحلـة كولومبـوس.

[Authorities: Sir Henry Yule, Cathay and the Way Thither, 1865; The Book of Ser Marco Polo, 1875].



(هوامش الفصل الرابع)

(1) **جنكيــز خــان Chinchiz Khan** (1165–1227م): مؤسـس وإمبراطـور الإمبراطوريـة المغوليـة التـي اعتبـرت أضخـم إمبراطوريـة فـي التاريـخ ككتلـةٍ واحـدة، بعـد وفاتـه، والتـي توسـعت بعـد قتلـه الملاييــن مــن سـكان البـلاد التـي يحتلهـا، ولقـد ارتكـب مجـازر كبيـرة بحـق المسـلمين، وبـرز بعـد توحيـده قبائـل رحـل لشـمال شـرق آسـيا. فبعـد إنشـائه إمبراطوريـة المغـول، وتسـميته بـ «جنكيزخـان»، هاجـم خانـات قراخيطـان والقوقـاز والدولـة الخوارزميـة وزيـا الغربيـة وإمبراطوريـة جيـن، وفـي نهايـة حياتـه كانـت إمبراطوريتـه قـد احتلّـت جـزءاً ضخمـاً مـن أواسـط آسـيا والصيـن.

(2) **أوكــوداي أو أوقطــاي Okkodai** (1186–1241م): أول خلفــاء جنكيــز خــان وثالــث أبنائــه (جوتشــي- شــقطاي-أوقطاي- تولــوي) مــن زوجتــه الإمبراطــورة بورتــه. تولــى حكــم الإمبراطوريــة المغوليــة مباشــرةً بعــد وفــاة جنكيــز خــان، فــي 18 أغســطس 1227م.

(3) **باتــو خــان Batu** (1207–1255م): المعـروف أيضـاً باسـم الخـان والقيصـر باتـو. كان حاكـم المغـول ومؤسـس القبيلـة الذهبيـة، وهـو ابـن جوشـي وحفيـد جنكيـز خـان. بعـد وفـاة أبنـاء جنكيـز خـان، أصبـح الأميـر باتـو الأكثـر احترامـاً، ودُعـي بالآغـا (الأخ الأكبـر) فـي الإمبراطوريـة المغوليـة.

(4) **جــون بلانــو كاربينــي John of Planocarpini** أو جيوفانــي دا بيــان ديــل كاربيــن Giovanni da Pian del Carpine (1185 – 1 أغسـطس 1252م): دبلوماسـي إيطالـي مـن القـرون الوسـطى، رئيس أسـاقفة ومستكشـف وأحـد أول الأوروبييــن الذيــن دخلـوا بـلاط الخـان الكبيـر للإمبراطوريـة المغوليـة. هـو مؤلـف أول تقريـر غربـي هـام عـن شـمال ووسـط آسـيا، وروسـيا، ومناطـق أخـرى تحـت الهيمنـة المغوليـة، وكان رئيـس صربيـا، ومقرهـا أنتيفـاري، مـن 1247 إلـى 1252م.

(5) **ليــون Lyons**: ثالـث أكبـر مدينـة مـن حيـث عـدد السـكان، بعـد مدينـة باريـس ومدينـة مارسـيليا، عاصمـة إقليـم الـرون ومنطقـة رون ألـب فـي جنـوب شـرق البـلاد. تقـع بيـن مدينتـي باريـس ومارسـيليا. تبعـد ليـون 470 كلـم عـن باريـس، ولقـد بنيـت فـي موقـع قـرب مصـب نهـر الـرون فـي البحـر، وأصبحـت عاصمـةً لبـلاد الغـال القديمـة، وتعتبـر فـي الوقـت الحاضـر أقـدم موقـع أثـري رومانـي بعـد رومـا ذاتهـا، وهـي تقـع علـى أعمـق نقطـة فـي وادي الـرون، وتعتبـر المدينـة عاصمـة الحريـر، حيـث اخترعـت فيهـا طريقـة الجـاكار فـي النسـيج، وهـي حاليـاً عاصمـة منطقـة الـرون ألـب، وتتمتـع بموقـع فريـد فـي وسـط أوروبـا، وهـي مدينـة كبيـرة تزخـر بالمصانـع والمؤسسـات التجاريـة والأسـواق.

(6) **كاراكوريوم Karacorum أو Karakorum**: كانت عاصمة الإمبراطورية المغولية بين العامين 1235 و1260م، وهي يوان الشمالية في القرنين 14-15. تقع أطلالها في الزاوية الشمالية الغربية لمقاطعة أوفوركانجي في منغوليا، بالقرب من بلدة خرخورين اليوم، وبالقرب من دير إردين زو، وهي جزءٌ من مواقع التراث الثقافي العالمي.

(7) **نهر أورخون Orkhon**: أحد أنهار منغوليا وأطولها، يبلغ طوله 1124 كلم.

(8) **بحيرة بايكال Baikal**: بحيرة عظيمة تقع جنوب سيبيريا في روسيا، وهي أعمق بحيرة مياه عذبة في العالم، يبلغ عمقها 1642 م، وتضم أكبر حجم للمياه العذبة السطحية في العالم، وهي أيضاً أقدم البحيرات في العالم، وقد تكونت قبل 25 مليون سنة تقريباً، نتيجة تحركات القشرة الأرضية، وثمة أنواع فريدة من الحيوانات البرية والبحرية التي تعيش فيها وبالقرب منها. يبلغ طول هذه البحيرة 395 ميلاً ومتوسط عرضها 3 أميال، ويصب فيها 336 نهراً، وهي مدرجة منذ العام 1996م على لائحة التراث العالمي لليونيسكو.

(9) **وليام رويسبروك William Ruysbroek**: مبشر ومستكشف فرنشيسكاني، معروفٌ أيضاً بأسماء أخرى: وليام روبروك William of Rubruk، وليام ڤان رويسبروك Willem van Ruysbroeck، وويليلموس دي روبروكيس Willielmus de Rubruquis. مؤلفه هو إحدى روائع الأدب الجغرافي في العصور الوسطى، مماثلة لمؤلفات ماركو بولو وابن بطوطة. ولد في روبروك- فلاندرز، وقام بالترحال إلى أماكن مختلفة من الإمبراطورية المغولية في آسيا، قبل عودته إلى أوروبا.

(10) **لويس التاسع (Louis IX) أو لويس القديس (Saint Louis)** (1214م-1270م): كان ملك فرنسا، وهو ابن لويس الثامن.

(11) **السيريس Seres**: شعب يقطنون في منطقة سيريكا Serica، أحد بلدان شرق آسيا التي عرفها الجغرافيون اليونانيون والرومان، وعادةً ما تؤخذ التسمية على أنها تشير إلى شمال الصين خلال فترات حكم أسر تشو، تشين، وهان، ويتم الوصول إليها عبر طريق الحرير البري.

(12) **الملايو Malay**: مجموعةٌ عِرقية من الشعوب الأسترونيزية، يعيشون في شبه جزيرة ملايو (ماليزيا حالياً) وفي جزيرة سومطرة (سنغافورة حالياً) وجزيرة سنغافورة وفي أقصى جنوب تايلاند، وعلى السواحل الجنوبية لبورما، وفي سواحل جزيرة بورنيو المقسمة بين إندونيسيا وماليزيا، ومن ضمنها بروناي ،وفي كالمنتان الغربية و سواحل سراوق وصباح ،ويسمي الملايون هذه الجزر بعالم ملايو.

(13) **جون مونتيكورڤينو John of Montecorvino** أو باللغة الإيطالية **جيوڤاني دا مونتيكورفينو Giovanni da Montecorvino** (1247-1328م): مُبشّر ورحّالة فرنشيسكاني إيطالي،

ورجـل دولـة، مؤسـس أقـدم البعثـات الكاثوليكيـة الرومانيـة فـي الهنـد والصيـن، ورئيـس أسـاقفة بكيـن، والبطريـرك اللاتينـي فـي الشـرق.

(14) **خانباليـق Khanbalig**: كانـت خانباليـق أو دادو عاصمـة لسـلالة يـوان، المركـز الرئيـس للإمبراطوريـة المغوليـة التـى أسسـها كوبـلاي خـان فـي مـا يُعـرف ببكيـن، عاصمـة الصيـن اليـوم. كانـت تقـع فـي وسـط بكيـن الحديثـة، فيمـا الأمانـة العامـة (زونغشـو شـنغ) تـدار مباشـرةً مـن المنطقـة الوسـطى مـن الإمبراطوريـة يـوان.

(15) **بكيـن أو بيجيـن** وهـو النطـق الصينـي للمدينـة ويعنـي **العاصمـة الشـمالية**، أمـا **بيكيـن** فهـو مصطلـح عائـد إلـى زمـن حمـلات التنصيـر الفرنسـية، قبـل أربعمائـة سـنة سـبقت تغيّـراً فـي النطـق بلغـة الماندريـن؛ هـي عاصمـة جمهوريـة الصيـن الشـعبية، ومـن أكبـر مدنهـا. تقـع بكيـن فـي الطـرف الشـمالي مـن سـهل شـمال الصيـن، ويعـود تاريخهـا إلـى فتـرة سـلالة «تشـو الغربيـة»، وكانـت تعـرف باسـم «جـي».

(16) **أودوريـك بوردينـون Odoric of Pordenone** (1286–1331م) المعـروف أيضـاً باسـم **أودوريكـو ماتيوسـي Odorico Mattiussi** أو **ماتيـوزي Mattiuzzi**: مُبَشِّـر ومُستكشـف إيطالـي فرنشيسـكاني، كانـت روايتـه لزيارتـه الصيـن مصـدرًا هامـاً لكتـاب جـون مانديڤيـل.

(17) **فريولـي Friuli**: منطقـة تقـع فـي شـمال شـرق إيطاليـا، لهـا هويتهـا الثقافيـة والتاريخيـة الخاصـة، وهـي تضـم الجـزء الأكبـر مـن المنطقـة المتمتعـة بالحكـم الذاتـي فـي فريولـي– فينيتسـياجوليـا، أي المقاطعـات الإداريـة فـي أودينـي وبوردينونـي وغوريزيـا، باسـتثناء تريسـتا.

(18) **بخـارى Bokhara**: عاصمـة ولايـة بخـارى، وتعـدّ خامـس مـدن أوزبكسـتان بعـدد السـكان. تقـع بخـارى علـى طريـق الحريـر، ولقـد اتسـمت بكونهـا مركـزاً تجاريـاً هامـاً، بالإضافـة إلـى كونهـا مركـزاً للدراسـة والثقافـة وعلـوم الديـن. الجـزء القديـم مـن المدينـة، والـذي يحتـوي علـى مسـاجد ومـدارس عتيقـة، تـم إعلانـه موقـع تـراث عالميـاً، من قبـل اليونسـكو. يتشـكل سـكان المدينـة مـن الطاجيـك الناطقيـن بالفارسـية والأوزبـك.

(19) **الإمبراطـور كوبـلاي خـان أو قوبـلاي خـان Kublai** (23 سـبتمبر 1215– 18 فبرايـر 1294م): هـو خامـس إمبراطـور للإمبراطوريـة المغوليـة، وإمبراطـور الصيـن. تولـى الحكـم خلفـاً لأخيـه مونكـو خـان، اشـتهر بعلاقاتـه الدبلوماسـية، وعُـرف عنـه أنـه كان واسـع الأفـق حـر الفكـر، بعيـداً عـن التعصـب، متسـامحاً مـع جميـع الأديـان، وقـد أمـر بترجمـة أجـزاء مـن القـرآن الكريـم والتـوراة والإنجيـل وتعاليـم بـوذا، كمـا اهتـم بالتجـارة ومهـد لهـا الطـرق، فازدهـرت فـي عصـره، واهتـم اهتمامـاً بالغـاً بحركـة العمـران.

(20) **ڤينيسـيا أو البندقيـة Venice**: هـي مدينـة فـي شـمال إيطاليـا، عاصمـة منطقـة ڤينيتـو، وتعـرف

بأسـماء عـدة: «ملكـة الأدرياتيكـي»، «مدينـة الميـاه»، «مدينـة الجسـور» و«مدينـة النـور». المدينـة عبـارة عـن مجموعـة جـزر متصلـة ببعضهـا البعـض عـن طريـق جسـور، وتطـل علـى البحـر الأدرياتيكـي. تعتبـر مـن أهـم المـدن الإيطاليـة وأكثرهـا جمـالاً، لمـا تتمتـع بـه مـن مبـانٍ تاريخيـة يعـود معظمهـا إلـى عصـر النهضـة فـي إيطاليـا، إلـى جانـب قنواتهـا المائيـة المتعـددة، مـا يجعلهـا فريـدةً مـن نوعهـا علـى مسـتوى العالـم. يقـع المركـز التاريخـي للمدينة علـى مسـاحة أربـع كلـم2 مـن اليابسـة، علـى 118 جزيـرة مـن منطقـة الفينيتـو الشـاطئية. المنظر الفريـد مـن نوعـه والكنـوز الفنيـة الموجـودة فيهـا تجعـل منهـا مدينـةً مميـزة فـي العالـم.

(21) **البابـا كليمنـت الرابـع Clement IV** واسـمه «**غـوي فوكويـز**»، والمعـروف أيضـاً باسـم «**غـي لـو غـروس**» (23 نوفمبـر 1190– 29 نوفمبـر 1268): كان أسـقف لـو بـوي خـلال الأعـوام 1257–1260م، ورئيـس أسـاقفة ناربـون (1259–1261م)، وكاردينـال سـابينا (1261– 1265)، والبابـا مـن 5 فبرايـر 1265م حتـى وفاتـه. كان انتخـاب البابـا قـد وقـع فـى مجمّـع عُقـد فـي بيروجيـا، واسـتمر لأربعـة أشـهر، وكان البابـا كليمنـت راعيـاً للعالميـن **تومـاس الأكوينـي وروجـر بيكـون**، ومشـجعاً لمؤلفاتهمـا التـي تضمنـت أطروحـات هامـة فـي البصريـات والمنهـج العلمـي.

(22) **البابـا غريغوريـوس العاشـر Gregory X** (1210–1276م): أصبـح بابـا رومـا خـلال الأعـوام 1271–1276م، وشـارك العـام 1270م فـي احـدى الحمـلات الصليبيـة. وفيمـا كان فـي عـكا، أبلـغ بنبـأ انتخابـه بابـا للكنيسـة الكاثوليكيـة. دعـا إلـى عقـد مجمّـع ليـون الثانـي فـي العـام 1274م، والـذي أعلـن فيـه وحـدة الكنيسـتين الشـرقية والغربيـة، لكـن أسـاقفة الكنيسـة الشـرقية سـرعان مـا أعلنـوا رفضهـم لهـذه الوحـدة.

(23) **مضيـق هرمـز Ormuz**: أحـد أهـم الممـرات المائيـة فـي العالـم وأكثرهـا حركـةً للسـفن. يقـع فـي منطقـة الخليـج العربـي، فاصـلاً مـا بيـن ميـاه الخليـج العربـي مـن جهـة، وميـاه خليـج عمـان وبحـر العـرب والمحيـط الهنـدي مـن جهـةٍ أخـرى، وهـو المنفـذ البحـري الوحيـد لـدول الخليـج.

(24) **هضبـة وجبـال باميـر Pamir Mountains**: تقـع فـي أواسـط القـارة الآسـيوية، محاطـة بمجموعـة مـن سلاسـلها الجبليـة الشـاهقة. تقـع هضبـة باميـر تحديـداً فـي أقصـى جنـوب شـرقي جمهوريـة كازاخسـتان، وتتقاسـمها جمهوريتـا طاجكسـتان وقيرغيزسـتان، وتدفـع باسـتطالاتٍ مهمـة باتجـاه الشـمال الغربـي لجمهوريـة الصيـن الشـعبية، وباتجـاه أقصـى شـمال شـرقي أفغانسـتان، ويحيـط بهـا شـمالاً وادي فرغانـه، وجنوبـاً كلٌّ مـن بحيـرة زوركول ووادي وخّـان الأعلـى الأفغانـي، وشـرقاً واديـا كشـغر، وغربـاً سـمرقند، وتتخـذ الهضبـة مظهـراً متطـاولاً يمتـد مـن الشـرق إلـى الغـرب علـى مسـافةٍ تصـل إلـى نحـو 400 كلـم، مقابـل 225 كلـم لأقصـى اتسـاع لهـا مـن الشـمال إلـى الجنـوب، وتبلـغ مسـاحتها الإجماليـة نحـو 8400 كلـم2، ومتوسـط ارتفاعهـا بيـن 4000 و5000م فـوق مسـتوى سـطح البحـر.

(25) **غوبـي Gobi**: صحـراء متراميـة الأطـراف، فـي الجـزء الشـرقي مـن وسـط آسـيا، تفصـل بيـن

منغوليـا الداخليـة ومنغوليـا الخارجيـة، وتتخـذ شـكل قـوس يبلـغ طولـه 1,600 كلـم، ويتـراوح عرضـه مـا بيـن 480 و960 كلـم، ومسـاحتها 1,300,000 كلـم2، وتشـهد توسـعاً سـريعاً.

(26) **كايبينـغ فـو Kaipingfu**: مدينـة علـى مسـتوى المحافظـة فـي مقاطعـة غوانغدونـغ الصينيـة، تقـع غـرب دلتـا نهـر اللؤلـؤ، وتـدار كجـزءٍ مـن مدينـة علـى مسـتوى محافظـة جيانغمـن.

(27) **يانتشـو Yanchau**: مدينـة صينيـة عريقـة، يمتـدّ تاريخهـا لقـرونٍ عديـدة قبـل الميـلاد، وتعتبـر جـزءاً هامـاً مـن الاقتصـاد الصينـي علـى مـرّ القـرون، حيـث كانـت طريقـاً أساسـياً لقوافـل الحريـر والذهـب والبضائـع الصينيـة المختلفـة.

(28) **التتـار Tatars**: يُرجـع كثيـرٌ مـن المؤرّخيـن أصـل التتـار إلـى مجموعـاتٍ عرقيّـة مغوليّـة استـوطنت بـلاد وسـط آسـيا، وتحديـدًا جنـوب شـرق بحيـرة بايـكال، فـي القرنيـن الخامـس والسـادس الميلادييـن، وقـد شـكّل التتـار المغـول قبيلـةً سـمّيت بالقبيلـة الذهبيّـة، حيـن اتحـدت مـع عرقيّـات أخـرى، كالأتـراك. والتّتـار تعبيـر غيـر محـدّد المعنـى بشـكلٍ دقيـق، حيـث أطلـق العـرب والمسـلمون هـذا اللفـظ علـى تلـك الجيـوش المغوليّـة التـي توجّهـت نحـو المشـرق مـن أجـل غـزوه واحتلالـه.

(29) **تشوانتشـو**: أو **مدينـة الزيتـون**: كمـا سـماها العـرب، مدينـة تجاريـة فـي مقاطعـة فوجيـن، وميـناء هـام علـى سـاحل بحـر الصيـن الجنوبـي، عنـد مصـبّ نهـر جـن.

(30) **فوكيـن Fokien**: الاسـم السـابق لمقاطعـة فوجيـن، وهـي مقاطعـة علـى السـاحل الجنوبـي الشـرقي مـن البـر الرئيـس للصيـن، تحدّهـا أربـع مقاطعـات هـي تشـجيانغ مـن الشـمال، وجيانغشـي مـن الغـرب، وتايـوان مـن الشـرق، وغوانغدونـغ مـن الجنـوب، وهـي واحـدةٌ مـن المحافظـات المتنوعـة ثقافيـاً ولغويـاً فـي الصيـن.

(31) **روسـتيكانو بيـزا Rusticano of Pisa** أو **روستيشـيلو دا بيسـا Rustichello da Pisa**: كاتـب إيطالـي عـاش فـي النصـف الثانـي مـن القـرن الثالـث عشـر وبدايـة القـرن الرابـع عشـر، اشـتهر بكتابـة سـجل رحـلات ماركـو بولـو المعروفـة باسـم إيميليـون.

(32) **السـير تومـاس مالـوري Sir Thomas Malory** (1415– مـارس 1471م): كاتـب إنجليـزي، مؤلـف أو مترجـم روايـة «الملـك آرثـر».

(33) **السـير هنـري يـول Sir Henry Yule** (1 مايـو 1820– 30 ديسـمبر 1889م): مستشـرق اسـكتلندي، نشـر العديـد مـن كتـب السـفر، بمـا فـي ذلـك الترجمـات لعمـل ماركـو بولـو وميرابيليـا مـن القـرن الرابـع عشـر، وكان أيضـاً مترجمـاً لمعجـم المصطلحـات الأنجلـو– هنديـة، بالتعـاون مـع آرثـر كـوك برنيـل.

(34) **بورمـا Burma** أو **ميانمـار Myanmar**: إحـدى دول شـرق آسـيا، تقـع علـى امتـداد خليـج البنغـال. تحـد بورمـا مـن الشـمال الشـرقي الصيـن، وتحدّهـا الهنـد وبنغلاديـش مـن الشـمال الغربـي، وتشـترك حـدود بورمـا مـع كل مـن لاوس وتايلانـد، أمـا حدودهـا الجنوبيـة فسـواحل

تطل على خليج البنغال والمحيط الهندي، ويمتدّ ذراع من بورما نحو الجنوب الشرقي في شبه جزيرة الملايو، وتنحصر أرضها بين دائرتي عشرة شمال الاستواء وثمانية وعشرين شمالاً، ولقد احتلت بريطانيا بورما في نهاية القرن التاسع عشر حتى استقلالها في العام 1948م، وتُعدّ يانغون (رانغون حالياً) أكبر مدنها، كما كانت العاصمة السابقة للبلاد.

(35) **سومطرة Sumatra**: سادس جزر العالم مساحةً، حوالي 470 ألف كلم2، وثالث جزر إندونيسيا حجماً، بعد بورنيو وبابوا. تقع جزيرة سومطرة في أقصى غربي الجزر الإندونيسية الرئيسة، وذلك إلى الشمال الغربي من جزيرة جاوه، وإلى الجنوب الغربي من شبه جزيرة الملايو.

(36) **سوقطرى Socotra**: هي أرخبيلٌ يمني مكون من أربع جزر على المحيط الهندي، قبالة سواحل القرن الأفريقي، بالقرب من خليج عدن، على بعد 350 كلم جنوب شبه الجزيرة العربية.

(37) **شعب التونغوس Tunguses**: هم من الشعوب التي تتكلم لغات التونغوسية، يعيشون في شرق سيبيريا وشمال شرق آسيا، وهم متميزون عن الشعبين التركي والمنغولي، ولا صلة لهم بهما. أول وصف نشر للشعب التونغوسي كان من قبل المسافر الهولندي إسحاق ماسا، في العام 1612م.

(38) **محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي**، المشهور بـ **ابن بطوطة** (ولد في 24 فبراير 1304– توفي في طنجة 1377م): رحالة ومؤرخ وقاضٍ وفقيه مغربي أمازيغي مسلم، لُقب بأمير الرحالة المسلمين، خرج من طنجة العام 725هـ، فطاف بلاد المغرب ومصر والسودان والشام والحجاز وتهامة ونجد والعراق وفارس واليمن وعمان والبحرين وتركستان وما وراء النهر والهند والصين وجاوة وبلاد التتار وأواسط أفريقيا، واتصل بالكثيرين من الملوك والأمراء، فكان يمدحهم ويستعين بهباتهم على أسفاره.

(39) **طنجة Tangier**: مدينة مغربية تقع شمال المملكة المغربية على ساحليْ البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي. تعدّ طنجة من بين أقدم مدن المغرب، أسسها الملك الأمازيغي سوفاكس ابن الأميرة طنجيس حوالي 1320 سنة قبل الميلاد، واستوطنها التجار الفينقيون في القرن الخامس قبل الميلاد، وسرعان ما تبوأت مركزاً تجارياً على سواحل البحر الأبيض المتوسط. ضمّتها الإمبراطورية الرومانية في القرن الأول قبل الميلاد، وأصبحت في العام 42 م عاصمة المقاطعة الرومانية (موريطانيا الطنجية). بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية استولى الفاندال على طنجة، وذلك في العام 429 م، حيث استولى عليها الملك «غايسيريك» وقام بجعلها عاصمةً لمملكة الفاندال ومنطلقاً لشنّ هجماته على أراضي الإمبراطورية الرومانية شرقاً، بعد أن قطنها نحو 80,000 من الفاندال . بعد انهيار مملكة الفاندال، سنة 534م، استولى البيزنطيون على المدينة التي فوض حكمها لمملكة القوط الغربيين بإسبانيا، وذلك باسم قيصر القسطنطينية، حتى فتحها الأمويون العام 702هـ.

(40) **أرمينيا Armenia**: بلد جبلي غير ساحلي يقع في القوقاز من أوراسيا ، عند ملتقى غرب آسيا وشرق أوروبا. تحدّها تركيا من الغرب وجورجيا من الشمال وجمهورية ناغورني كاراباخ وأذربيجان من الشرق، أما من الجنوب فتحدها إيران ومكتنف ناخيتشيفان الأذربيجاني. الاسم الأرمني الأصلي للبلاد هو (هايك)، وجرى تمديد الاسم في العصور الوسطى ليصبح هاياستان، بإضافة اللاحقة «ستان» الإيرانية التي تعني (الأرض).

(41) **أفغانستان Afghanistan**: رسمياً جمهورية أفغانستان الإسلامية، بلد غير ساحلي يقع داخل جنوب آسيا وآسيا الوسطى. تحدّها باكستان من الجنوب والشرق، وإيران من الغرب، وتركمانستان، وأوزبكستان، وطاجيكستان في الشمال، والصين في أقصى الشمال الشرقي، وتغطي أراضيها 652،000 كلم2 (252،000 ميل مربع)، ما يجعلها ضمن أكبر 41 دولة في العالم. يرجع تاريخ السكن البشري في أفغانستان إلى العصر الحجري القديم الأوسط، والموقع الاستراتيجي للبلد على طول طريق الحرير ربطه بثقافات الشرق الأوسط وأجزاء أخرى من آسيا. كانت الأرض تاريخياً موطناً لشعوبٍ مختلفة، وشهدت العديد من الحملات العسكرية، بما في ذلك تلك التي قام بها الإسكندر الأكبر، والعرب المسلمون، والمغول، والبريطانيون، والروس، والقوى الغربية في العصر الحديث.

(42) **دلهي Delhi**: ثاني أكبر مدينة هندية بعد مومباي، والثامنة عالمياً من حيث الكثافة السكانية، وهي العاصمة السياسية للدولة. تقع دلهي في شمال الهند على ضفاف نهر يمنا، ويقطنها حوالي 13 مليون نسمة، وهي مقر جامعة دلهي. تتمتع دلهي باستقلالٍ ذاتي، ولها برلمان منذ العام 1991م.

(43) **محمد بن توغلوك Muhammad bin Tughluq** (في متن الكتاب ورد الاسم كالتالي محمد إنغالاك Mohammed Inghlak): سلطان دلهي من العام 1325م حتى العام 1351م. كان الحاكم الأكبر بين سلالته، والابن الأكبر لغياث الدين توغلوك، التركي- الهندي، مؤسس سلالة توغلوك.

(44) **كاليكوت Calicut**: مدينة في جنوب الهند، تقع في ولاية كيرالا على ساحل مالابار، وتبعد حوالي 380 كلم شمال عاصمة الولاية ثيروفانانثابورام. عُرفت خلال العصور الوسطى باسم مدينة التوابل، وهي عاصمة سابقة لإحدى الممالك القديمة في الهند، وكانت مدينة مهمة خلال القرن السابع الميلادي، بالنسبة إلى التجار العرب، وتعتبر مدينة ناشطة في توفير الوظائف في الهند، وهي مدينة مهمة في مجال تجارة التوابل والبن والمطاط وجوز الهند والقطن والمنسوجات.

(45) **جزر المالديف Maldives**: مجموعة جزر صغيرة تقع في قارة آسيا في المحيط الهندي، وهي دولة مسلمة، يمر عليها خط الاستواء جنوباً، وكان العرب قديماً يسمونها ذيبة المَهَل أو محلديب، ويُرجح أنه قد تم تحريف هذا اللقب فأصبح يُنطق مالديف.

(46) **فـاس Fez**: رابـع أكبـر مـدن المملكـة المغربيـة. تشـكل مدينـة فـاس جـزءاً أساسـياً مـن التـراث الوطنـي المغربـي، ويعـود تاريخهـا إلـى القـرن الثانـي الهجـري، عندمـا قـام إدريـس بـن عبـد اللـه، مؤسـس دولـة الأدارسـة العـام 172 هــ، الموافـق للعـام 789 م، ببنـاء مدينـةٍ علـى الضفـة اليمنـى لنهـر فـاس، وفـدت إليهـا عشـرات العائـلات العربيـة مـن القروييـن ليقيمـوا أول الأحيـاء فيهـا، والـذي عـرف باسـم عـدوة القروييـن، كمـا وفـد إليها الأندلسـيون الذيـن أرغمـوا علـى الهجـرة مـن الأندلـس ليكوّنـوا حـي عـدوة الأندلسـيين. وكان ثمـة حيّ خـاص لليهـود، هـو حـي «المـلاح». بعـد وفـاة إدريـس الأول بعشـرين سـنة، أسـس ابنـه إدريـس الثانـي المدينـة الثانيـة علـى الضفـة اليسـرى مـن النهـر. وقـد ظلـت المدينـة مقسـمة هكـذا إلـى أن دخلهـا المرابطـون، فأمـر يوسـف بـن تاشـفين بتوحيـد طرفيهـا وجعلهمـا مدينـة واحـدة، فصـارت القاعـدة الحربيـة الرئيسـة فـي شـمال المغـرب للـدول المتتاليـة التـي حكمـت المنطقـة، بالإضافـة إلـى كونهـا مركـزاً دينيـاً وعلميـاً فـي شـمال أفريقيـا، وأسسـت فيهـا جامعـة القروييـن العـام 859م، والتـي كانـت مقصـد الطـلاب مـن جميـع أنحـاء العالـم الإسـلامي ومـن أوروبـا. كانـت مدينـة فـاس إحـدى ركائـز الصـراع بيـن الأموييـن فـي الأندلـس والفاطميين الذيـن حكمـوا مصـر وليبيـا وتونـس، وظلـت تحـت سـيطرة الأموييـن فـي الأندلـس لمـدةٍ تزيـد عـن الثلاثيـن عامـاً، تمتعـت خلالهـا بالازدهـار الكبيـر.

(47) **القديـس تومـا** بالإنجليزيـة (**تومـاس**) ويُدعـى أيضـاً يهـوذا تومـا ديديمـوس (توفـي 72م): هو أحـد رسـل المسـيح الاثنـى عشـر، وقـد ورد ذكـره فـي قائمـة أسـماء الرسـل فـي الأناجيـل الإزائيـة (متـى – مرقـس – لوقـا) وفـي سـفر أعمـال الرسـل، ولـم تتحـدث الأناجيـل الإزائيـة عنـه أكثـر مـن ذلـك، علـى العكـس مـن إنجيـل يوحنـا.

(48) **الكاهـن يوحنـا Prester John**: هـو البطريـرك المسـيحي الأسـطوري، قيـل أنـه كان يحكـم آسـيا الوسـطى أو إثيوبيـا فـي القـرون الوسـطى، وقـد حيكـت حـول أعمالـه وصفاتـه الكثيـر مـن الحكايـات، وانشـغل الكثيـر مـن الرحالـة فـي البحـث عنـه، والكثيـر مـن الباحثيـن الحديثيـن فـي أصـل أسـطورته.

(49) **أونـغ خـان Ung Khan** ويسـمى أيضـاً **توغـرول Togrhul** (1130–1203م): كان أونـغ خـان شـقيق الـدم لأب جنكيـز خـان، والـده يسـوجي. فـي العـام 1188م وافـق علـى التحالـف مـع جنكيزخـان، وواصـل الاثنـان تحالفهمـا علـى مـدى العقـد المقبـل، وانضمـا مـع قوات جورشـد لغـارة التتـار فـي العـام 1196م. انضـم أونـغ خـان إلى جنكيـز لهزيمـة جاموخـا، واقتـرح مصاهرة أونـغ خـان الـذي رفـض الأمـر فـي البدايـة، قبـل أن يعـود ويوافـق علـى التحالـف بقصـد نصـب كميـن لجنكيزخـان وقتلـه، لكـن هـذا الأخيـر هـرب وأعـاد تجميـع قواتـه، وهـزم قـوات أونـغ خـان بشـكل حاسـم فـي أكتوبـر 1203م. هـرب أونـغ، لكنـه قتـل علـى يـد جنـود نيمـان. كان أونـغ خـان مسـيحياً نسـطورياً، وهـو أحـد القـادة المرتبطيـن بأسـطورة الكاهـن جـون.

(50) **سـيبانغو Cipangu** أو **زيبانغـو Zipango**: هـو الاسـم القديـم الـذي أطلقـه الأوروبيـون علـى اليابـان خـلال العصـور الوسـطى.

الفصل الخامس

الطرق والتجارة



لقد أجرينا مسارات بحوثنا عبر العصور القديمة والعصور الوسطى، حتى عشية الاكتشافات الكبرى في القرنين الخامس عشر والسادس عشر للميلاد، وأشرنا تقريباً إلى ما عرفه الرجال عن الأرض خلال تلك الفترة الطويلة، وكيف عرفوه. ولكن لا يزال يتعيّن علينا النظر في أيّ طريقةٍ وصلوا إلى عِلْمِهِم، ولماذا طلبوا ذلك ؟ إلى حدٍّ، قد نكون أجبنا عن السؤال الأخير، عند تعاملنا مع التقدّم في الغزو، لكنّ الرجال لم يقوموا بالفتح لمجرّد الغزو، ولا يزال يتعيّن علينا النظر في الفوائد المادية المترتّبة على الحرب. ومرةً أخرى، عندما يواصل الرجال حروبهم من أجل الاكتشاف، فإنّه يجب عليهم أن يتقدّموا إلى الجزءِ الأكبر، على طول الطُّرق المضروبة لهم من قبل مواطني تلك البلاد التي ينوون فتحها؛ وعندما ينجحون في حروبهم، فغالباً ما يجب عليهم أن يدعموا قاعدة حُكمهم، من خلال خلق وسائل جديدة وأكثر ملاءمةً للاتصال، لوضع هذه البلاد قريبة منهم.. ولا يزال أمامنا مناقشة الطرق في العوالم القديمة والعصور الوسطى، والتجارة التي كانت تُستخدم فيها تلك الطرق، بشكلٍ أساسي.

وللوصول إلى مقاصدنا، قد نحدد بكلّ سهولةٍ طريقاً ما، باعتباره الوسيلة الأكثر مُلاءمةً للاتصال بين مدينتين، وهذا يعني منطقياً أنّ المدن كانت موجودةً قبل وجود الطرق. وعند إجراء استقصاءٍ أوفى لأيٍّ من الطرق المعيّنة، سيكون من الضروري أن نبدأ بالبحث عن سبب تجميع البشر لمساكنهم في بعض البقاع المعيّنة؟ ففي البداية، كانت تجمّعات

البشـر قـد جُعِلَـتْ بصـورة رئيسـة أو كلّيـة لأغـراضٍ دفاعيـة؛ وأولـى المـدن هـي تلـك التـي يمكـن الدفـاع عنهـا بسـهولة، بفضـل موقعهـا الطبيعـي، مثـل أثينـا أو القـدس؛ ثـم مـرةً أخـرى، كان للدوافـع الدينيـة تأثيرهـا- فـي معظـم الأحيـان- فـي العصـور المبكـرة، وكانـت المـدن سـتنمو حـول المعابـد أو الأديـرة، لكـنّ اعتبـارات سـهولة الوصـول إليهـا سـرعان مـا تتحكـم فـي اختيـار المسـتوطنات، ولأجـل ذلـك أُقيمـت المـدن علـى الأنهـار، وخصوصـاً فـي معابـر الأنهـار، مثـل (وستمنسـتر Westminster)[1]، أو فـي الموانِـئ المحميّـة بشـكلٍ جيّـدٍ، مثـل مدينـة (نابولـي Naples)[2]، أو فـي وسـط منطقـة، كمدينـة (نورمبـرغ Nuremberg)[3] أو مدينـة (ڤيينـا Vienna)[4]، والتـي من شـأنها أن تُشـكل الأماكـن الأكثـر ملاءمـةً للاجتمـاع وتبـادل السـلع. وسـواءٌ أكانـت علـى النهـر، أم علـى شـاطِئ البحـر، فـإنّ أفضـلَ وسـيلةٍ للاتصـال سـتكون عـن طريـق السـفن أو القـوارب. ولكـن بمجـرد إنشـاء هـذه المـدن، سـيكون مـن الضـروري ربطهـا بعضهـا ببعـض مـن خـلال الطـرق البرّيـة، وسـيتحدَّدُ هـذا بشـكل رئيـس عـن طريـق موقـع الأرض. وحيـث تتداخـل الجبـال، فـإنّ التفافـاً كبيـراً يجـب أن يتـمّ، كمـا هـي الحـال- علـى سـبيل المثـال- حـول جبـال البرانـس. وإذا مـا تداخلـت الأنهـار، فإنّـه يجـب البحـث عـن المعابـر، وقـد يتـمّ بنـاء مدينـةٍ جديـدة فـي المـكان الأكثـر مُلاءمـةً للعُبـور. وحالمـا يؤسـس طريـقٌ مـا معتـرف بـه بيـن كلٍّ مـن المكانيـن، فـإنّ الغرائـز المحافظـة للبشـر سـتُبقيه فـي الوجـود، بالرغـم مـن العثـور علـى طريـقٍ أفضـل بعـد ذلـك.

تأثيـر الاتصـالات المائيـة يكتسـي الأهميـة القُصـوى فـي تحديـد حالـة المـدن فـي الأوقـات المبكـرة. المـدن التـي فـي زوايـا الخُلجـان، مثـل مدينـة (الملائكـة Archangel)[5]، و(ريغـا Riga)[6]، وڤينيسـيا (البندقيـة)، و(جنـوة Genoa)[7]، ونابولـي، و(تونـس Tunis)[8]، و(البصـرة Bassorah)[9]، و(كلكوتـا Calcutta)[10]، فمـن الطبيعـي أن تكـون النقـاط المركزيـة للتجـارة فـي الخليـج. أمـا علـى الأنهـار، فسـتكون البُقعـة المناسـبة حيـث ينتهـي المـدّ والجـزر، مثـل

(لنـدن London)[11]، أو فـي المنعطفـات البـارزة لنهـر، أو فـي نقـاط الاتصـال مـع الروافـد، مثـل (كوبلينتـز Coblentz)[12] أو (الخرطـوم Khartoum)[13]. بشكلٍ تقريبـي يجـد المـرء دائمـاً المـدن الهامـة فـي طرفـيْ شـبه الجزيـرة، مثـل (هامبـورغ Hamburg)[14] و(لوبيـك Lubeck)[15] وڤينيسـيا (البندقيـة) وجنـوة. وإذا كان مـن المسـتصوب- للأغـراض البحريـة- أن تكـون ثمـة محطةٌ على رأس شـبه الجزيـرة، لتسـيطر علـى كلّ ألسـنة البحـر، كمـا فـي (تشـيربورغ Cherbourg)[16]، و(سيڤاسـتوبول Sevastopol)[17]، أو (جبـل طـارق Gibraltar)[18]، عندئـذٍ سـوف تتشَـكَّلُ الطـرق بسـهولة، عبـر قاعـدة شـبه الجزيـرة، وإلـى نقطتهـا القصـوى.

فـي بـادئ الأمـر؛ فـإنّ سـكان أيّ مدينـة وحيـدة سـيعتبرون الآخريـن كلّهـم بمثابـة أعـداءٍ لهـم، لكنهـم سـيجدون- بعـد فتـرةٍ مـن الزمـن- أنّـه مـن الملائـم تبـادل بعـض الأشـياء الضروريـة مـع جيرانهـم، وبهـذه الطريقـة تبـدأ التجـارة، فتصبـح الأسـواق أرضـاً محايـدة، ولبعـض الوقـت توضـع العـداوات المتبادلـة جانبـاً أمـام المصلحـة المشـتركة، وقـد يحـدث، فـي الكثيـر مـن الأحيـان، أن يتـمّ اختيـار نـواحٍ علـى خـط الحـدود بيـن الدولتيـن كأماكـن لتبـادل البضائـع، مـا يـؤدّي فـي نهايـة المطـاف إلـى وجـود مدينـةٍ جديـدة. ومـع ازديـاد الاتصال التجـاري، فـإنّ عـدم إمكانيـة الوصـول إلـى المـدن المتحصنـة علـى المرتفعات سـيؤدي إلـى إهمالهـا مـن المسـتوطنات، فـي الوديـان أو علـى جانبـيْ النهـر؛ وكقاعــدةٍ عامــة، ينتقــون طــرق الوديــان أو الأرض المســتوية لمســارهم الطبيعـي. بيـد أنـه- للأغـراض العسـكرية- قـد يكـون مـن الضـروري، فـي بعـض الأحيـان، الابتعـاد عـن طـرق الوديـان، وكمـا سـنرى، فـإنّ الطـرق الرومانيـة لـم تعـطِ هـذه المتطلبـات أيّ اعتبـار.

الاتصـال الأسـبق بيـن الأمـم، كمـا رأينـا، كان مـن قِبـل الفينيقييـن عـن طريـق البحـر، حيـث أسّسـوا محطـاتٍ تجاريـة، أو أراضـيَ محايـدة للتجـارة، فـي المواضـع المناسـبة علـى طـول سـواحل البحـر الأبيـض المتوسـط، وسَـرعان مـا تبعهـم الإغريـق، وحـذوا حذوهـم فـي منطقـة بحـر إيجـه والبحـر

الأسود. ولكن، في وقتٍ مبكرٍ، وكما علمنا من الكتاب المقدّس، أُنشِئت طُرق القوافل بين مصر وسوريا وبلاد ما بين النهرين، وفي وقتٍ لاحقٍ تمّ تمديدها في عمق آسيا. أما في أوروبا، فكان الرومان هم كبار بُناة الطرق، واستحقّت روما أهمّيتها في العالم القديم لموقعها المركزي، بالبداية في إيطاليا، ثم في كل البحر الأبيض المتوسط، فهي تجمع بين مختلف المزايا اللازمة لبلدة، إذ كانت في مُنعطف النهر، ولكن يمكن الوصول إليها من البحر، وجعلت تِلالها الطبيعية من الممكن الدفاع عنها بسهولة، كما وجد هانيبال أنها ستكلّفه الكثير، بينما جعلها موقعها المركزيّ في سهل اللاتين المنتجع الطبيعي لجميع التجار اللاتينيين؛ وسرعان ما وجد الرومان أنّه من الضروري الاستفادة من الموقع المركزي، من خلال جعل أنفسهم في متناول بقية إيطاليا، وشرعوا ببناء تلك الطرق الرائعة التي دامت، في معظم الحالات، بفضل بنائها الصلب، وكلمة «البناء» هي المناسبة للاستخدام هنا. وفي ما يتعلق بالطريق الروماني، فهو في الحقيقة جدارٌ واسعٌ، بُني في خندقٍ عميقٍ، وذلك من أجل الوصول إلى المستوى المطلوب لسطح الأرض، وكل حركة مرور، مهما بلغت، لا يمكنها أن تؤثر على هذا التركيب الصَّلب. وحتى يومنا هذا، يمكن العثور في جميع أنحاء أوروبا على آثارٍ من الطرق الرومانية التي بُنيت قبل حوالي ألفي عام. وكلما امتدت الإمبراطورية الرومانية، شكلت هذه الطرق إحدى الوسائل الرئيسة التي مَكَّنَت لُوردات العالم من الحفاظ على فتوحاتهم، عن طريق وضع الفيلق في نقطةٍ مركزية، حيث تتلاقى العديد من هذه الطرق، ليتمكنوا من الضرب بسرعة في أيّ اتجاه، وبالتالي إخضاع البلاد. وبطبيعة الحال، تمّ بناءُ محطاتٍ على طول هذه الطرق، وإلى يومنا هذا، تتبع العديد من الطرق السريعة الرئيسة في أوروبا مسار الطرق الرومانية القديمة. حضارتنا الحديثة هي- إلى حدٍّ كبير- نتيجةٌ لهذه الشبكة من الطرق، ويمكننا أن نميّز بوضوحٍ

الاختلاف في ثقافةِ الأمّة التي لم تكن مثل هذه الطرق موجودةً فيها، كما هي الحال في روسيا و(المجر Hungary)[19]، على النقيض من غرب أوروبا، حيث شكلت أفضل وسيلة للاتصال. غير أنه- في جوار هذه الطرق- تمّ الحصول على أكبر قدرٍ من المعلومات عن مواقع المدن، والانقسامات بين الشعوب، وعلى خريطةٍ مرسومة، مثل تلك التي قُدِّمَت سابقاً عن الطرق الرومانية الرئيسة في العصور القديمة، لتعطينا أيضاً- إذا جاز التعبير- مخطط بحثٍ عن المعرفة الجغرافية التي لُخِّصَت في العمل الكبير لبطليموس.

لكن الأهمية في التطور المستقبليّ للمعرفة الجغرافية، تكمن بدرجةٍ أكبر في طرق القوافل الكبرى في آسيا، والتي علينا الآن أن نوجّه اهتمامنا إليها. آسيا هي عبارةٌ عن قارةٍ من الهضاب تبلغ ذروة ارتفاعها في سهوب البامير، والتي دُعيت بشكلٍ ملائمٍ من قِبل سُكانها بـ «سقف العالم». وإلى الشرق من هذه السهوب، أربع سلاسل جبليةٍ عظيمةٍ امتدت بشكلٍ تقريبيّ، على طولٍ يوازي خط العرض جنوب جبال (الهيمالايا Himalayas)[20]، وجبال (الكوين لون Kuen Lun)[21]، و(تيان شان Thian Shan)[22]، و(آلتاي Altai)[23] إلى الشمال. وبين جبال الهيمالايا وكوين لون، تقع هضبة التبت الكبيرة التي تنحدر على شكل طريقٍ مسدود في نهاية طرفها الغربي في (كشمير Kashmir)[24]. بين كوين لون وشان تيان، لدينا سهوب غوبي المنغولية التي تمتدّ غرباً من (كاشغر Kashgar)[25] و(ياركاند Yarkand)[26]، في حين أنّه، بين تيان شان وآلتاي، لدينا سهوب (القيرغيز Kirghiz)[27] العظيمة. ومن الواضح وجود اثنين فقط من هذه الطرق الممكنة بين شرق وغرب آسيا، هما: الأول الطريق بين كوين لون وتيان شان عبر كاشغر وبخارى، والثاني جنوب آلتاي، ويُحاذي شمال البحيرات الكبرى (بالكاش Balkash)[28]، وبحر (آرال Aral)[29]، وبحر (قزوين Caspian)[30]، إلى الجنوب من روسيا؛ الأول سيؤدّي إلى البصرة أو هرمز،

ومـن هنـاك عـن طريـق البحـر، أو البـر، حـول بـلاد العـرب، إلـى الإسـكندرية، فيمـا الطريـق الآخـر والأطـول يصـل إلـى أوروبـا عـن طريـق القسـطنطينية. الاتصـالات بيـن جنـوب آسـيا وأوروبـا سـتكون، بشـكلٍ رئيـس، عـن طريـق البحـر، وعلـى طـول سـاحل الهنـد، والاسـتفادة مـن الريـاح الموسـمية مـن سـيلان إلـى (عـدن Aden)[31]، ومـن ثـم عـن طريـق البحـر الأحمـر. وبالتالـي فإنّـه مـن الطبيعـي أن تكـون الإسـكندرية، و(الموصـل Mussul)[32]، وهرمـز، مـن المراكـز الرئيسـة للتجـارة الشـرقية، فـي حيـن أن الاتصـال مـع المنغولييـن أو مـع الصيـن سـوف يسـتمرّ علـى طـول الطريقيـن المذكوريـن أعـلاه، واللذيـن يبـدو أنهمـا كانـا موجوديـن عبـر كلّ العصـور التاريخيـة. ومـن خـلال هـذه الطـرق الأخيـرة، وصـل آل بولـو ورحالـة العصـور الوسـطى الآخـرون إلـى تلـك البـلاد البعيـدة (مملكـة كاثـي). ولكـن، كمـا نعـرف مـن رحـلات ماركـو بولـو، يمكـن أيضـاً الوصـول إلـى الصيـن عـن طريـق رحلـةٍ بحريـة. وبالنسـبة إلـى جميـع الأغـراض العمليـة فـي أواخـر العصـور الوسـطى، عندمـا تحطّمـت الإمبراطوريـة المغوليـة، وحركـة المـرور مـن خـلال منتصـف آسـيا غيـر الآمنـة، فـإنّ التواصـل مـع الشـرق أصبـح عـن طريـق الإسـكندرية.

والآن، مـن المهـمّ لبحثنـا الحالـي إدراك كـم كانـت أوروبـا، بعـد الحـروب الصليبيـة، تعتمـد علـى منطقـة الشـرق فـي غالبيـة كماليـات الحيـاة. فـلا شـيء تنتجـه أنـوال أوروبـا يمكـن أن يسـاوي حريـر الصيـن، وقمـاش كاليكـو مـن الهند، والشـاش مـن الموصـل. وجـاءت المجوهـرات الأساسـية التـي زيّنـت تيجـان الملـوك والنبـلاء، والزمـرد، والتوبـاز، والياقـوت، والمـاس، كلّهـا مـن الشـرق، وبشـكلٍ رئيـسٍ مـن الهنـد. وقـد اشـتقت كلّ العلـوم الطبيـة فـي العصـور الوسـطى مـن العـرب الذيـن جلبـوا معظـم أدويتهـم مـن بـلاد العـرب أو الهنـد. وحتـى البخـور الـذي أُحْـرِقَ علـى المذابـح التـي لا حصـر لهـا فـي أوروبـا الرومانيـة الكاثوليكيـة، كان لا بـد للتجـار مـن الحصـول عليـه وعلـى كل هـذه المـواد مـن بـلاد الشـام. أمـا بالنسـبة إلـى العديـد مـن الحِـرف اليدويـة الأكثر دقـةً، فـكان لا بد

للفنانيـن مـن الحصـول علـى أفضـل المـواد الخاصـة بهـم مـن التُّجّـار الشَّـرقيين: مثـل (الشـيلاك shellac)[33] لطـلاء الأظافـر، أو المصطكـى لألـوان الفنانيـن (اللـون الجامبوجـي «صبغـة صفـراء» مـن كمبوديـا، ولـون الألترامارينـي مـن الّـلازورد)؛ فـي حيـن أنـه غالبـاً مـا يكـون مـن الضـروري- فـي ظـل ظـروف القـرون الوسـطى- اللجـوء إلـى المسـك أو (الجـاوي opopanax) مـن الشـرق، لمواجهـة الروائـح الناتجـة عـن العـادات الصحيـة السـيئة للغـرب الأوروبـي. ولكـن، قبـل كلّ شـيء، فالتوابـل كانـت ضروريـة للصحـة فـي الغالـب، ومرغوبـاً فيهـا بالتأكيـد لتتبيـل الطعـام المملـح لفصـل الشـتاء، والسـمك المملـح للصـوم الكبيـر، وكان الأوروبيـون يعتمـدون فـي ذلـك علـى توابـل الجـزر الآسـيوية. وفـي العمـل الكبيـر للكاتـب (ريتشـارد هاكلـوت Hakluyt Richard)[34]، بعنـوان «الرحـلات والمِلاحـات الإنجليزيـة»، يقـدّم فـي مجلـده الثانـي قائمـةً مكتوبـة مـن قبـل تاجـر حلـب (ويليـام باريـت William Barrett)[35]، فـي العـام (1584ميـلادي)، عـن الأماكـن التـي جـاءت منهـا المـواد الغذائيـة الرئيسـة للتجـارة الشـرقية، وسـوف يكـون مثيـراً للاهتمـام تقديـم مجموعـةٍ مختـارة مـن قائمـة حسـابه الطويـل.

(**الفُصُـوْص**) مـن (جـزر الملـوك Maluco)، و(تارينـات Tarenate)، و(أمبوينا Amboyna)، عـن طريق (جـاوا Java).

(**جَوزُ الطِّيب**) من جزيرة (باندا Banda).

(**قِشْرة جوز الطيب**) من جزيرة باندا، وجاوا، و(ملقا Malacca).

(**فُلْفُل المائدة**) من (مالابار Malabar).

(**القِرْفَة Cinnamon**)(*) من (سيلان Seilan).

(**الكُرْكُم Spicknard**) من (زندي (Zindi) (Scinde و(لاهور Lahor).

(*) ورد خطـأ فـي هـذه الكلمـة، حيـث ذكرهـا المؤلـف باسـم (Sinnamon)، وتـم تصحيحهـا بالكلمـة (Cinnamon) (**المترجـم**).

(الزَّنْجَبِيْــلُ السّــوْرَاتي) مــن (ســورات Sorat) (ســورة) داخــل (كامبايــا Cambaia) (خليــج البنغــال).

(المَرجانُ الشرقي Corall) من مالابار.

(مِلْحُ الأَمُوْنْياكا Ammoniacke) من زندي و(كامبايا Cambaia).

(الكَافُور Camphora) من (بريميو Brimeo) (بورنيو) بالقرب من الصين.

(الُّلوبان المُرّ Myrah) من شبه الجزيرة العربية.

(البُوراكْس Borazo) من كامبايا ولاهور.

(الرّوڤيا أو الروبيا Ruvia)، من (شالانجي Chalangi).

(حجر الشَّب Allumme) من الصين والقسطنطينية.

(الجَّاوي Oppopanax) من بلاد فارس.

(العُود Lignum Aloes) من كوشين، والصين وملقا.

(راتِنْجُ الّلاك Laccha) من (بيغو Pegu) و(بالاغوات Balaguate).

(فِطْرُ الغَارَيْقُون Agaricum) من ألمانيا.

(المقل Bdellium) من شبه الجزيرة العربية.

(التَّمْرُ الهِنْدِي Tamarinda) من (البصرة Bassorah) (Balsara).

(الزَّعْفَــران Saffron) (Safran) مــن البصــرة وبــلاد فــارس، وكذلــك مــن (ســوقطرى Secutra).

(جوز القَيء Nux Vomica) من مالابار.

(دم التنين Sanguis Draconis) من (سوقطرى).

(المِسْك Musk) من (تارتاري Tartarie) عن طريق الصين.

(صبغة النِّيلي Indico) من (زندي Zindi) و(كامبايا Cambaia).

(الحرير الممتاز Silkes Fine) من الصين.

(زيت الخُروع Castorium) من Almania.

(المُصْطَكَى Masticke) من (سيو Sio).

(الأَفْيُون Oppium) من (بوجيا Pugia) أو (بيغو Pegu) وكامبايا.

(التُّمور Date) من شبه الجزيرة العربية والإسكندرية.

(السِّينا Sena) من مكّة المكرّمة.

(الصَّمْغُ العربي Gumme Arabicke) من (يافا Zaffo or Jaffa).

(راتِنْجُ اللّودَانُوم Ladanum) من (قبرص Cyprus) و(كانديا Candia).

(اللّازورد Lazzudis) من بلاد فارس.

(طِلاء الذَّهَب Auripigmentum) من أماكن كثيرة في تركيا.

(الرَّاوَند Rubarbe) من بلاد فارس والصين.

هذه ليست سوى بضعة اختيارات من القائمة التي ذكرها باريت، لكنها تُشير بما فيه الكفاية إلى عددٍ كبير من الكماليات المنزلية، وحتى الضروريات التي استمدت من آسيا في العصور الوسطى. كان العرب، بشكلٍ عمليّ، مُحتكرين لهذه التجارة، ونادراً ما كان بإمكان أوروبا أن تُقدّم شيئاً في مقابل هذا، ما عدا الذهب والفضة، وكان ثمة استنزافٌ مستمر للمعادن الثمينة من الغرب الأوروبي إلى الشرق، ما جعل السلاطين والخُلفاء أثرياء بشكلٍ مستمر، وبلغت الأمور ذروتها في عظمة (سليمان العظيم Solomon the Magnificent)[36]، وكانت الإسكندرية عملياً مركز كلّ هذه التجارة، ووجدت معظم دول أوروبا أنّه من الضروري إنشاء محطاتٍ تجارية في تلك المدينة، لحماية مصالح تجارها الذين سعوا إلى جميع الكماليات الشرقية في مينائها، وقد

زارها (بنيامين توديلا Benjamin of Tudela)[37]، وهو يهوديّ، حوالي العام (1172ميلادي)، وأعطاها الوصف التالي:

«المدينة تجارية إلى حدٍّ بعيدٍ جداً، وتتيح سوقاً ممتازاً لجميع الدول، حيث يلجأ جميع الناس من الممالك المسيحية إلى الإسكندرية، من (فالنسيا Valencia)[38]، و(توسكانا Tuscany)[39]، ولومباردي، و(بوليا Apulia)[40]، وأمالفي، وصقلية، و(راغوڤا Raguvia)[41]، و(كاتالونيا Catalonia)[42]، وإسبانيا، و(روسيلون Roussillon)[43]، وألمانيا، و(ساكسونيا Saxony)[44]، والدنمارك، وإنجلترا، و(فلاندرز Flandres)[45]، و(هينولت Hainault)[46]، ونورماندي، وفرنسا، و(بويتو Poitou)[47]، و(أنجو Anjou)[48]، وبوروغندي، و(ميديانا Mediana)[49]، و(بروفانس Provence)(50)، وجنوة و(بيزا Pisa)[51]، و(غاسكوني Gascony)[52]، و(آراغون Arragon)[53]، و(ناڤار Navarre)[54]. ومن الغريب أن تلتقي بالمسلمين من الأندلس، و(الغارڤ Algarve)[55] «وهي المنطقة الغربية من البرتغال» وأفريقيا والجزيرة العربية، وكذلك من البلدان نحو الهند، و(إشبيليا Savila)[56]، والحبشة والنوبة واليمن وبلاد ما بين النهرين، وسوريا، إلى جانب اليونانيين والأتراك... يستوردون من الهند كلّ أنواع التوابل التي يتم شراؤها من قِبل التجار المسيحيين. والمدينة مليئة بالنشاط، و لكل أمّةٍ منطقة إقامة خاصة بها أو (نزل) هناك».

من بين كل هذه الدول، كان للإيطاليين أقصر رحلة للوصول قبلهم إلى الإسكندرية، وبذلك وقعت التجارة الشرقية عملياً في أيديهم قبل نهاية القرن الثالث عشر. وفي أمالفي وبيزا، كانت أول الموانِئ الرئيسة، كما رأينا، في أمالفي، حيث أول معرفة وإتقان لبوصلة البحارة. ولكن سرعان ما تقدمت اثنتان من المدن البحرية الواقعة في رؤوس اثنين من البحار المحيطة بإيطاليا إلى الأمام، نظراً لمزايا موقعهما الطبيعي: جنوة وڤينيسيا

(البندقيـة)، تنافسـت كلٌّ منهمـا مـع الأخـرى لفتـرةٍ طويلـة، بهـدف احتـكار هـذه التجـارة، لكـن الرحلـة مـن ڤينيسـيا كانـت مباشـرةً أكثـر. وبعـد فتـرةٍ مـن الزمـن، كان لا بـد لجنـوة مـن أن تكتفـي بالتجـارة مـع القسـطنطينية، وبالطريـق البـرّي الشـمالي للصيـن. ومـن فينيسـيا نُقِلـت التَّوابـل، والمجوهـرات، والعطـور، والمـواد المجلوبـة مـن الشـرق إلـى الشـمال، مـن خـلال (أوغسـبورغ Augsburg)[57] ونورمبـرغ إلـى (أنتويـرب Antwerp)[58] و(بـروج Bruges)[59] وقرى(هانـز Hanse)[60]، لتتلقـى منهـا الذهـب الـذي كانـت مصائـد الأسـماك قـد اكتسـبته، ومعـه السـلع النسـيجية، وتُرسِـل إنجلتـرا صوفهـا إلـى إيطاليـا، مـن أجـل لتتمتـع بتوابـل وعطـور الشـرق.

كان ثـراء وأهميـة ڤينيسـيا يتمثـلان بشـكلٍ كُلّـي فـي احتـكار التجـارة الشـرقية المربحـة. وبحلـول القـرن الخامـس عشـر، وسّـعت هيمنتهـا علـى طـول الـوادي السـفلي مـن (بـو Po)[61]، وفـي (دالماشـيا Dalmatia)[62]، وأجـزاء مـن (موريـا Morea)[63]، و(كريـت Crete)[64]، حتـى تحصَّلـت أخيـراً، فـي العـام (1489ميـلادي)، علـى امتـلاك قبـرص، وأصبـح لديهـا بالتالـي المحطـات علـى طـول الطريـق مـن حلـب والإسـكندرية، إلـى الشـمال مـن البحـر الأدرياتيكـي. ولكـن مـا إن بـدا أنّهـا قـد وصلـت إلـى ذروة ازدهارهـا- عندمـا كانـت (ألـدي Aldi) المطابـع الرئيسـة فـي أوروبـا، و(بيلينـي Bellini)[65] كان قـد بـدأ بالمدرسـة الڤينيسـية العظيمـة لفـن الرسـم - حتـى تقـدّم منافـسٌ قـويّ إلـى الواجهـة، وبـدأ ببـطء إعـداد طريقـةٍ جديـدة للمنافسـة فـي التجـارة الشـرقية بكاملهـا تقريبـاً، فـي القـرن الخامـس عشـر الميـلادي... مـع هـذه الطريقـة يبـدأ عصـرٌ عظيـم مـن الاكتشـاف الجغرافـيّ الحديـث.

[Authorities: Heyd, Commerce du Levant, 2 vols. 1878].



(هوامش الفصل الخامس)

(1) **وستمنستر Westminster**: منطقة وسط لندن، داخل مدينة وستمنستر، وهي جزء من ويست إند، على الضفة الشمالية لنهر التايمز.

(2) **نابولي Naples** بمعنى «**المدينة الجديدة**»: هي عاصمة المنطقة الإيطالية كامبانيا، وثالث أكبر بلدية في إيطاليا، بعد روما وميلانو.

(3) **نورمبرغ Nuremberg**: مدينة على نهر بيغنيتز وعلى قناة نهر الدانوب الرئيسة في ولاية بافاريا الألمانية، في المنطقة الإدارية فرانكونيا الوسطى، على بعد حوالي 170 كلم (110 أميال) شمال ميونخ، وهي ثاني أكبر مدينة في بافاريا (بعد ميونخ)، وأكبر مدينة في فرانكونيا.

(4) **ڤيينا Vienna**: العاصمة وأكبر مدينة في النمسا، وواحدة من ولايات النمسا التسع. فيينا هي المدينة الرئيسة في النمسا، ومركزها الثقافي والاقتصادي والسياسي، والمدينة السابعة لناحية عدد السكان، ضمن حدود المدينة في الاتحاد الأوروبي.

(5) **مدينة الملائكة Archangel** بالروسية **أرخانجيلسك Arkhangelsk** والمعروفة أيضاً باللغة الإنجليزية باسم الملائكة: هي المدينة والمركز الإداري في أرخانجلسك أوبلاست، شمال روسيا الأوروبية، تقع على ضفتي نهر دفينا الشمالي بالقرب من مصبه إلى البحر الأبيض. تمتدّ المدينة على أكثر من 40 كلم (25 ميلاً) على طول ضفاف النهر. كانت مدينة الملائكة الميناء الرئيسي للروس في القرون الوسطى وأوائل العصر الحديث، حتى العام 1703م.

(6) **ريغا Riga**: هي عاصمة لاتفيا وأكبر مدنها، وأكبر مدينة في دول البلطيق. تقع على خليج ريغا، عند مصب دوغافا، وتغطي أراضيها 17 , 307 كلم2 (60 , 118 ميلاً مربعاً) وتقع بين مترٍ واحد وعشرة أمتار (3 أقدام و3 بوصات و 32 قدماً و10 بوصات) فوق مستوى سطح البحر، على سهلٍ رملي مسطح.

(7) **جنوة Genoa**: عاصمة منطقة ليغوريا الإيطالية، وسادس أكبر مدن إيطاليا.

(8) **تونس Tunis**: بلادٌ في شمال أفريقيا، تغطي 165،000 كلم2 (64،000 ميل مربع)، وهي النقطة الشمالية في القارة الأفريقية، تحدّها الجزائر من الجنوب إلى الغرب والجنوب

الغربي، وليبيا من الجنوب الشرقي، والبحر الأبيض المتوسط من الشمال والشرق. اسم تونس مستمدّ من العاصمة التونسية التي تقع على الساحل الشمالي الشرقي لتونس.

(9) **البصرة Bassorah**: مدينة عراقية تقع على شط العرب بين الكويت وإيران، وهي الميناء الرئيس للعراق، بالرغم من أن لا إمكانية لها للوصول إلى المياه العميقة التي يتم التعامل معها في ميناء أم قصر.

(10) **كلكوتا Calcutta**: عاصمة ولاية البنغال الغربية الهندية، تقع على الضفة الشرقية لنهر هولي، وهي المركز التجاري والثقافي والتعليمي الرئيس في الهند الشرقية، وميناء كلكتا هو أقدم ميناء في الهند، وميناء النهر الرئيس الوحيد فيها.

(11) **لندن London**: العاصمة والمدينة الأكثر اكتظاظاً بالسكان في إنجلترا والمملكة المتحدة. تقع لندن على نهر التايمز، جنوب شرق جزيرة بريطانيا العظمى، وكانت مستوطنة رئيسة لمدة ألفي سنة. تأسست لندن من قبل الرومان الذين أطلقوا عليها اسم (**لونديniوم Londinium**). قلب لندن القديم، مدينة لندن، تحتفظ إلى حد كبير حدودها 12 ,1 ميلاً مربعاً (9 ,2 كم) في القرون الوسطى.

(12) **كوبلينتز Coblentz** أو **كوبلنز Koblenz**: مدينة ألمانية تقع على ضفتي نهر الراين عند التقائه بنهر موسيل، يوجد فيها نصب الإمبراطور «وليام الأول» ممتطياً صهوة جواده.

(13) **الخرطوم Khartoum**: هي العاصمة وأكبر مدينة في دولة السودان، تقع عند التقاء النيل الأبيض بالنيل الأزرق. الموقع الذي يجتمع فيه النيلان يعرف باسم «المقران» (الالتقاء)، ويستمر النيل الرئيس بالتدفق شمالاً نحو مصر والبحر الأبيض المتوسط.

(14) **هامبورغ Hamburg**: ثاني أكبر مدينة في ألمانيا. يعكس الاسم الرسمي تاريخ هامبورغ كعضو في الرابطة الهانزية التي تعود إلى القرون الوسطى، وهي مدينة إمبراطورية حرة في الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ومدينة دولة، وواحدة من ولايات ألمانيا الـ 16. قبل توحيد ألمانيا العام 1871م، كانت دولةً ذات سيادة كاملة، قبل التغييرات الدستورية في العام 1919م.

(15) **لوبيك Lubeck**: مدينة ألمانية في شليسفيغ هولشتاين، شمال ألمانيا، وأحد الموانئ الرئيسة في ألمانيا. على نهر تريف، كانت المدينة الرائدة في الرابطة الهانزية، وبسبب العمارة القوطية، جرى اعتمادها من قبل اليونسكو كموقع للتراث العالمي. الجزء القديم من لوبيك يقع على جزيرة محاطة بنهر تريف. الذي تربطه قناة إلب لوبيك بنهر إلبه. وثمة نهر هام آخر بالقرب من وسط المدينة هو نهر واكينيتز، يربط لوبيك بهامبورغ والدنمارك.

(16) **تشيربورغ- أوكتيفيل Cherbourg-Octeville**: مدينة وبلدة سابقة تقع في الطرف الشمالي من شبه جزيرة كوتنتين في مقاطعة مانش، شمال غرب فرنسا، وهي مقاطعة

فرعيــة مــن إدارتهــا، تشــكلت رســمياً عندمــا ضمّــت إلــى بلديــة شــيربورغ وكتيفيــل فــي 28 فبرايــر 2000م. يحظــى مينــاء شــيربورج بحمايــة مــن خــلال موقعــه بيــن لاهــاي وفــال دي ســاير، وكانــت المدينــة موقعــاً اســتراتيجياً علــى مــر القــرون، متنــازع عليهــا بيــن الإنجليــز والفرنســيين. كانــت شــيربورج نقطــة توقــف للبطــولات المرموقــة عبــر الأطلنطــي فــي النصــف الأول مــن القــرن العشــرين، وكانــت الهــدف الرئيــس للقــوات الأمريكيــة خــلال غــزو النورمانــدي فــي العــام 1944م.

(17) **سيفاســتوبول Sevastopol** أو تقليديــاً **سيباســتوبول**: هــي أكبــر مدينــة فــي شــبه جزيــرة القــرم، وميـنــاء رئيــس علــى البحــر الأســود. تــدار المدينــة حاليــاً كمدينــةٍ اتحاديــة فــي الاتحــاد الروســي، بعــد ضــمّ القــرم مــن قبــل روســيا فــي العــام 2014م، بالرغــم مــن أن أوكرانيــا ومعظــم الــدول الأعضــاء فــي الأمــم المتحــدة لا تــزال تعتبــر سيفاســتوبول مدينــةً ذات وضــعٍ خــاص داخــل أوكرانيــا.

(18) **جبــل طــارق Gibraltar**: هــو إقليــم مــا وراء البحــار البريطانيــة، يقــع علــى الطــرف الجنوبــي مــن شــبه الجزيــرة الآيبيريــة، وتبلــغ مســاحته 7 ,6 كلــم2 (6 ,2 أميــال مربعــة) وتشــترك حدوده الشــمالية مــع إســبانيا. صخــرة جبــل طــارق هــي المعلــم الرئيــس فــي المنطقــة، وفــي ســفحها منطقــة مكتظــة بالســكان تضــم أكثــر مــن 000 30 مــن ســكان جبــل طــارق والجنســيات الأخــرى. فــي الســابق، اســتولت قــوةٌ أنجلــو- هولنديــة علــى جبــل طــارق مــن إســبانيا، فــي العــام 1704م، خــلال حــرب الخلافــة الإســبانية نيابــةً عــن مطالبــة هابســبورغ بالعــرش الإســباني. تــمّ التنــازل عــن الإقليــم لاحقــاً إلــى بريطانيــا العظمــى «إلــى الأبــد»، بموجــب معاهــدة أوترخــت 1713م. خــلال الحــرب العالميــة الثانيــة كان جبــل طــارق قاعــدةً هامــة للبحريــة الملكيــة لأنــه يســيطر علــى الدخــول والخــروج إلــى البحــر الأبيــض المتوســط الــذي لا يبعــد ســوى ثمانيــة أميــال (13 كلــم)، وهــذا المضيــق البحــري لا يــزال مهمــاً اســتراتيجياً حتــى يومنــا هــذا، فنصــف التجــارة البحريــة فــي العالــم تمــر عبــره. واليــوم يعتمــد اقتصــاد جبــل طــارق إلــى حــدٍّ كبيــر علــى الســياحة، والمراهنــات عبــر الإنترنــت، والخدمــات الماليــة، وخدمــات إعــادة تزويــد الســفن بالوقــود.

(19) **المجــر Hungary**: جمهوريــة برلمانيــة وحدويــة فــي أوروبــا الوســطى، تغطّــي مســاحةً قدرها 93،030 كلــم2 (35،920 ميــلاً مربعــاً)، وتقــع فــي حــوض الكاربــات، وتحدهــا ســلوفاكيا مــن الشــمال، رومانيــا مــن الشــرق، صربيــا مــن الجنــوب، كرواتيــا مــن الجنــوب الغربــي، ســلوفينيا مــن الغــرب، النمســا مــن الشــمال الغربــي، وأوكرانيــا مــن الشــمال الشــرقي. تعتبــر المجــر التــي يبلــغ عــدد ســكانها نحــو 10 ملاييــن نســمة، دولــة عضــواً متوســطياً فــي الاتحــاد الأوروبــي. اللغــة الرســمية هــي المجريــة، وهــي اللغــة الأوراليــة الأكثــر انتشــاراً علــى نطــاقٍ واســع فــي العالــم. عاصمــة المجــر وأكبــر مدنهــا هــي بودابســت، وهــي مركــز اقتصــادي كبيــر، ومصنفــة كمدينــة عالميــة رائــدة.

(20) **الهيمالايا Himalayas**: سلسلة جبال في آسيا، تفصل سهول شبه القارة الهندية عن هضبة التبت.

(21) **جبال كونلون Kuen Lun**: واحدة من أطول سلاسل الجبال في آسيا، تمتد لأكثر من 3000 كلم (1،900 ميل)، وبمعنىً أوسع، فإنها تشكل الحافة الشمالية للهضبة التبتية جنوب حوض تاريم.

(22) **تيان شانThian Shan** ، وهذا يعني جبل السماء أو الجبل السماوي: هي نظامٌ كبير من السلاسل الجبلية الواقعة في آسيا الوسطى. أعلى قمة في تيان شان هي جنجيش تشوكوسو، بارتفاع حوالي 7،439 متر (24406 قدم)، وأدنى نقطة لها هي منخفض توربان الذي يقع عند مستوى 154 م (505 قدم) تحت مستوى سطح البحر.

(23) **آلتاي Altai**: سلسلة جبال في وسط وشرق آسيا، حيث تجتمع في روسيا والصين ومنغوليا وكازاخستان معاً، وحيث توجد منابع نهريْ إرتيش وأوب. يقع الطرف الشمالي الغربي منها في النطاق عند 52ْ شمالاً وبين 84ْ و 90ْدرجة شرقاً (حيث تندمج مع جبال سايان في الشرق) وتمتد من الجنوب الشرقي من هناك إلى حوالي 45ْ شمالاً و 99ْ شرقاً، حيث تصبح تدريجياً أقلّ، وتندمج في هضبةٍ عالية من صحراء غوبي.

(24) **كشمير Kashmir**: المنطقة الجغرافية الشمالية لشبه القارة الهندية. حتى منتصف القرن التاسع عشر، كان مصطلح «كشمير» يشير فقط إلى وادي كشمير بين جبال الهيمالايا الكبرى وسلسلة بير بانجال، واليوم تشير إلى منطقة أكبر، تشمل إقليم جامو وكشمير الذي تديره الهند (مقسم إلى جامو وكشمير ولاداخ)، وإقليم آزاد كشمير الذي تسيطر عليه باكستان، وجيلجيت بالتستان، والأقاليم الصينية التي تديرها أكسي تشين و ترانس كاراكورام.

(25) **كاشغر Kashgar**: هي واحة المدينة في شينجيانغ، بجمهورية الصين الشعبية، وواحدة من مدن غرب الصين، تقع بالقرب من الحدود مع أفغانستان وقيرغيزستان وباكستان وطاجيكستان. يعود تاريخ كاشغر إلى أكثر من 2000 عام، كما كانت بمثابة مركز تجاري ومدينة ذات أهمية استراتيجية على طريق الحرير بين الصين والشرق الأوسط وأوروبا.

(26) **مقاطعة ياركاند Yarkand** أو (**شاش ياركانت Shache Yarkant**): مقاطعة في منطقة شينجيانغ أويغور الذاتية الحكم، في الصين، وتقع على الحافة الجنوبية لصحراء تاكلاماكان في حوض تاريم، وهي واحدة من 11 مقاطعة تدار تحت ولاية كاشغار. كانت ياركاند مقراً لمملكة بوذية قديمة في الفرع الجنوبي من طريق الحرير.

(27) **قرغيز Kirghiz** وتعرف باسم **كيرغيزيا**، وحديثاً باسم قيرغيزستان: بلد غير ساحلي، مع تضاريس جبلية. دولة ذات سيادة في آسيا الوسطى، تحدّها كازاخستان من

الشمال، أوزبكستان من الغرب والجنوب الغربي، طاجيكستان من الجنوب الغربي، والصين من الشرق. عاصمتها وأكبر مدينة فيها هي بيشكيك.

(28) **بحيرة بالكاش أو بلخاش Balkhash**: واحدة من أكبر البحيرات في آسيا، والخامسة عشرة على مستوى بحيرات العالم. تقع في آسيا الوسطى، جنوب شرق كازاخستان، وتنتمي إلى حوض إندورهيك المشترك بين كازاخستان والصين، مع جزءٍ صغير في قيرغيزستان. يتصرف الحوض في البحيرة عبر سبعة أنهار، أهمّها نهر إيلي.

(29) **بحر آرال Aral** ويعني (**بحر الجزر**): يقع في آسيا الوسطى، بين الجزء الجنوبي من كازاخستان وشمال أوزبكستان. حتى الربع الثالث من القرن العشرين كان رابع أكبر بحيرة مالحة في العالم، حيث يحتوي كل ليتر فيه على 10 غرام من الملح، يغذيه نهرا أمو داريا وسير داريا، ويصل إلى البحر من خلال الجنوب والشمال. في الستينيات، قررت الحكومة السوفياتية تحويل مسار تلك الأنهار كي تتمكن من ريّ المنطقة الصحراوية المحيطة بالبحر، لدعم الزراعة بمياهها، بدلاً من تزويد حوض بحر آرال بها.

(30) **بحر قزوين Caspian**: أكبر المياه الداخلية المغلقة على الأرض، حسب المنطقة، ويُصنّف على نحوٍ آخر كأكبر بحيرة في العالم أو بحر كامل. وهو في حوض إندورهيك (حوض دون تدفقات) يقع بين أوروبا وآسيا، وتحدّه كازاخستان من الشمال الشرقي، روسيا من الشمال الغربي، أذربيجان من الغرب، إيران من الجنوب، وتركمانستان من الجنوب الشرقي.

(31) **عدن Aden**: مدينة وميناء في اليمن، تقع على طريق شرق البحر الأحمر (خليج عدن)، على بعد 170 كلم (110 أميال) شرق باب المندب. يقع ميناء عدن الطبيعي القديم في حفرةٍ بركانية خاملة تشكل الآن شبه جزيرة انضمت إلى البرّ الرئيس لبرزخٍ منخفض.

(32) **الموصل Mussul**: مدينة عراقية ومركز محافظة نينوى وثاني أكبر مدينة في العراق، يرجح من جهةٍ أخرى أن تكون الكلمة ذات أصل عربي بمعنى «ما يوصل بين شيئين»، لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل لأنها تصل بين نهري دجلة والفرات.

(33) **الشيلاك أو اللك shellac**: هو الراتنج الذي تفرزه إناث حشرة اللاك التي تعيش على الأشجار في غابات الهند وتايلاند. تتمّ معالجته وبيعه كرقائق جافة أو ذائبة في الإيثانول، لجعل الشيلاك سائلاً.

(34) **ريتشارد هاكلويت Hakluyt Richard** (1553 – 23 نوفمبر 1616م): كاتب إنجليزي، معروفٌ بتشجيعه الاستعمار الإنجليزي لأمريكا الشمالية، من خلال مؤلفاته.

(35) **ويليام باريت William Barrett** (توفي 1584م): كان القنصل الإنجليزي في حلب.

(36) **ســليمان الأول Solomon the Magnificent** (6 نوفمبـر 1494م – 6 سـبتمبر 1566م): السلطان التركي العثماني المعروف باسم سليمان العظيم في الغرب وسليمان القانوني أو سليمان المُشَرِّع في دولته. كان السلطان العاشر والأطول حكماً في الإمبراطورية العثمانية، من العام 1520م حتى وفاته في العام 1566م.

(37) **بنيامين توديلا Benjamin of Tudela** (مملكة نافار، 1130– قشتالة 1173م) كان رحالة يهودياً من القرون الوسطى، زار أوروبا وآسيا وأفريقيا في القرن الثاني عشر. قدّم وصفاً حياً لغرب آسيا سبق به ماركو بولو بمائة سنة. كان ذا علم واسع ومعرفة كبيرة باللغات. يعتبر بنيامين توديلا شخصية رئيسة في الجغرافيا في العصور الوسطى والتاريخ اليهودي.

(38) **فالنسيا Valencia**: تقع على الساحل الشرقي لإسبانيا، وهي عاصمة مجتمع فالنسيا المتمتع بالحكم الذاتي، وثالث أكبر مدينة في إسبانيا، بعد مدريد وبرشلونة.

(39) **توسكانا Tuscany**: منطقة في وسط إيطاليا، تبلغ مساحتها حوالي 23،000 كلم2 (8،900 ميل مربع) ويبلغ عدد سكانها حوالي 3،8 مليون نسمة (2013م)، عاصمتها الإقليمية هي فلورنسا (فيرنز).

(40) **بوليا Apulia**: منطقة في جنوب إيطاليا المتاخمة للبحر الأدرياتيكي من الشرق، والبحر الأيوني من الجنوب الشرقي، ومضيق أوترانتو وخليج تارانتو إلى الجنوب، وتضم حوالي 1945 كلم2 (4669 ميلاً مربعاً).

(41) **راغوڤا Raguvia** (هكذا ورت في النص): بلدة صغيرة في مقاطعة بانيفيس، في شمال شرق ليتوانيا.

(42) **كاتالونيا Catalonia**: مجتمع مستقل في إسبانيا، يقع على أقصى الشمال الشرقي من شبه الجزيرة الآيبيرية، ويتكون من أربع مقاطعات: برشلونة، جيرونا، لييدا وتاراجونا. العاصمة وأكبر مدينة هي برشلونة.

(43) **روسيلون Roussillon**: واحدة من المقاطعات التاريخية للإمارة السابقة لكاتالونيا، المقابلة تقريباً إلى القسم الفرنسي الجنوبي من بيرينيه أورينتاليس (البرانس الشرقية)، وقد يشار إليها أيضا بكاتالونيا الشمالية أو كاتالونيا الفرنسية.

(44) **ولاية ساكسونيا الحرّة Saxony**: دولة اتحادية غير ساحلية في ألمانيا، متاخمة للولايات الاتحادية في براندنبورغ وساكسونيا –أنهالْت وتورينجيا وبافاريا، بالإضافة إلى دول بولندا (سيليزيا السفلى ولوبوس فوافوديشيبس) وجمهورية التشيك. عاصمتها درسدن، وأكبر مدنها لايبزيغ. ساكسونيا هي العاشرة الأكبر في ولايات ألمانيا الست عشرة، وتبلغ مساحتها 413 ,18 كلم2. يمتدّ تاريخ ولاية ساكسونيا لأكثر من ألف عام، ولقد كانت دوقية ومملكة في القرون الوسطى.

(45) **فلانـدرز Flandres**: الجـزء الشـمالي الناطـق بالهولنديـة مـن بلجيـكا، بالرغـم مـن وجـود تعريفـات عـدّة متداخلـة، بمـا فيهـا التعريفـات المتعلقـة بالثقافـة واللغـة والسياسـة والتاريـخ، وهـي واحـدة مـن المجتمعـات والمناطـق اللغويـة فـي بلجيـكا.

(46) **هينولـت Hainault**: منطقـة الضواحـي فـي لنـدن بـورو ريبريـدج، شـمال شـرق لنـدن، تقـع علـى بعـد 5 ,12 أميـال (1 ,20 كلـم) شـمال شـرق شـارينغ كـروس. فـي العـام 1965م، تـمّ جمـع المنطقـة بمنطقـة واحـدة مـع لنـدن، وأصبحـت جـزءاً مـن لنـدن الكبـرى، وهـي مجـاورة للحـزام الأخضـر متروبوليتـان، يحدّهـا مـن الشـرق هاينولـت فوريسـت كانتـري بـارك، ومـن الشـمال الأرض المفتوحـة والحـدود مـع منطقـة الغابـات إبينـغ مـن إسـكس.

(47) **بويتو Poitou** بالفرنسية (**بواتو**): كانت مقاطعة في وسط غرب فرنسا، عاصمتها بواتييه.

(48) **أنجـو Anjou**: مقاطعـة تاريخيـة مـن فرنسـا، تمتـدّ علـى نهـر اللـوار. كانـت عاصمتهـا أنجـرس، وهـي قريبـة مـن أبرشـية أنجـرس، تحدّهـا بريتانيـا مـن الغـرب، ميـن مـن الشـمال، توريـن مـن الشـرق، وبويتـو مـن الجنـوب. سـكان أنجـو معروفـون باسـم الأنجيفييـن. خـلال العصـور الوسـطى، كانـت مقاطعـة أنجـو إرثـاً بـارزاً للتـاج الفرنسـي.

(49) **ميديانـا Mediana**: موقـعٌ أثـري هـام مـن الفتـرة الرومانيـة المتأخـرة، يقـع فـي الضاحيـة الشـرقية لمدينـة نيـش الصربيـة. فـي العـام 1979م، تمّـت إضافـة ميديانـا إلـى قائمـة المواقـع الأثريـة ذات الأهميـة الاسـتثنائية التـي تحميهـا جمهوريـة صربيـا.

(50) **بروڤانـس Provence**: منطقـة جغرافيـة ومقاطعـة تاريخيـة فـي جنـوب شـرق فرنسـا، تمتـد مـن الضفـة اليسـرى مـن نهـر الـرون السـفلي مـن الغـرب، حتـى الحـدود الإيطاليـة مـن الشـرق، يحدّهـا البحـر الأبيـض المتوسـط مـن الجنـوب، وأكبـر مدينـة فـي المنطقـة هـي مرسـيليا.

(51) **بيـزا Pisa**: مدينـة فـي منطقـة توسـكانيا وسـط إيطاليـا، تمتـد علـى نهـر أرنـو، قبـل أن تفـرغ فـي بحـر ليغوريـا، وهـي عاصمـة مقاطعـة بيـزا. مـع أن بيـزا معروفـة فـي جميـع أنحـاء العالـم ببرجهـا المائـل (بـرج جـرس كاتدرائيـة المدينـة)، إلا أنهـا تحتـوي علـى أكثـر مـن 20 كنيسـة تاريخيـة أخـرى، والعديـد مـن القصـور مـن القـرون الوسـطى والجسـور المختلفـة عبـر أرنـو.

(52) **غاسـكوني Gascony**: منطقـة فـي جنـوب غـرب فرنسـا التـي كانـت جـزءاً مـن «مقاطعـة غويـن وجاسـكوني»، قبـل الثـورة الفرنسـية. التمييـز بيـن غويـن وغاسـكوني غيـر واضـح، والبعـض ينظـر إليهـا علـى أنهـا متداخلـة، فـي حيـن يعتبرهـا غاسـكوني جـزءاً مـن غويـن.

(53) **مملكـة أراغـون Arragon**: كانـت مملكـة القـرون الوسـطى والمبكـرة الحديثـة فـي شـبه الجزيـرة الأيبيريـة فـي إسـبانيا. ينبغـي عـدم الخلـط بينهـا وبيـن التـاج الأكبـر فـي أراغـون، والـذي يشـمل أيضـاً أقاليـم أخـرى- إمـارة كاتالونيـا (التـي تضـم مقاطعـة برشـلونة والمقاطعـات الكاتالونيـة الأخـرى)، ومملكـة ڤالنسـيا، ومملكـة مايـوركا، والممتلـكات

الأخـرى التـي هـي حاليـاً جـزءٌ مـن فرنسـا وإيطاليـا واليونـان – التـي كانـت أيضـاً تحـت حكـم ملـك أراغـون- لكنهـا كانـت تُـدار بشـكلٍ منفصـلٍ عـن مملكـة أراغـون.

(54) **ناڤـار Navarre**: رسـمياً مجتمـع تشـارترد بناڤـار، وهـو مجتمـع مسـتقل ومحافظـة في شـمال إسـبانيا، علـى الحـدود مـع مجتمـع الباسـك المسـتقل، ولاريوخـا La Rioja، وأراغـون فـي إسـبانيا ونوفيل-أكيتيـن فـي فرنسـا. العاصمـة هـي بامبلونـا (أو إيرونيـا فـي الباسـك).

(55) **الغـارڤ Algarve**: هـي المنطقـة الجنوبيـة مـن البرتغـال القاريـة، تبلـغ مسـاحتها 4،997 كلم2 (1،929 ميـلاً مربعاً).

(56) **سـيڤيل Savila** أو **إشـبيلية**: العاصمـة وأكبـر مدينـة بمنطقـة الحكـم الذاتـي فـي الأندلـس ومقاطعـة سـيڤيل الإسـبانية. تقـع علـى سـهل نهـر غوادالكيفيـر، والاسـم الرومانـي للمدينـة هـو هيسـباليس. تضـم المدينـة القديمـة التـي تبلـغ مسـاحتها 4 كلـم2 (ميـلان مربعـان)، ثلاثـة مواقـع للتـراث العالمـي لليونسـكو: مجمـع قصـر الـكازار والكاتدرائيـة والأرشـيف العـام للجـزر الهنديـة. يقـع مينـاء سـيڤيل علـى بعـد حوالـي 80 كلـم مـن المحيـط الأطلنطـي.

(57) **أوغسـبورغ Augsburg**: مدينـة فـي سـوابيا، بافاريـا، ألمانيـا، كانـت المدينـة الإمبراطوريـة الحـرة لأكثـر مـن 500 سـنة. أوغسـبورغ هـي منطقـة حضريـة وموطـن لمؤسسـات لانكريـس أوغسـبورغ، وهـي ثالـث أكبـر مدينـة فـي بافاريـا (بعـد ميونيـخ ونيورمبـرغ). أوغسـبورغ هـي ثالـث أقـدم مدينـة فـي ألمانيـا، أسسـها الرومـان وسُـمِّيت باسـم الإمبراطـور الرومانـي أوغسـطس.

(58) **أنتويـرب Antwerp**: مدينـة فلمنكيـة فـي بلجيـكا، عاصمـة مقاطعـة أنتويـرب فـي مجتمـع فلانـدرز، وهـي الثانيـة بعـد بروكسـل.

(59) **بـروج Bruges**: العاصمـة وأكبـر مدينـة فـي مقاطعـة فلانـدرز الغربيـة بالمنطقـة الفلمنكيـة فـي بلجيـكا، شـمال غـرب البـلاد.

(60) **الرابطـة الهانزيـة Hanse**: المعروفـة أيضـاً باسـم هانـز أو هانـزا، كانـت كونفدراليـة تجاريـة ودفاعيـة تكوّنـت مـن النقابـات التجاريـة، وتطـورت مـن عـددٍ قليـل مـن المـدن الألمانيـة الشـمالية فـي أواخـر القـرن الحـادي عشـر، لتهيمـن علـى التجـارة البحريـة فـي بحـر البلطيـق لمـدة ثلاثـة قـرون علـى طـول سـاحل أوروبـا الشـمالية. امتـدت مـن بحـر البلطيـق إلـى بحـر الشـمال، خـلال العصـور الوسـطى المتأخـرة، وانخفضـت ببـطء بعـد العـام 1450م. كان الاسـم هانـز الـذي كتـب لاحقـاً باسـم هانـزا هـو المعنـى الألمانـي لكلمـة (قافلـة)، وتـم تطبيـق هـذه الكلمـة علـى مجموعـات مـن التجـار المسـافرين بيـن المـدن الهانزيـة، سـواء عـن طريـق البـر أم البحـر. للمـدن الهانزيـة نظامهـا القانونـي الخـاص بهـا.

(61) **نهـر بـو Po**: هـو نهـر يتدفـق شـرقاً عبـر شـمال إيطاليـا، علـى بعـد 652 كلـم (405 أميـال) أو 682 كلـم (424 ميـلاً)، وينحـدر مـن نبـعٍ ينزلـق مـن تـلال حجريـة فـي بيـان ديـل ري، وهـو مـكان مسـطح علـى رأس فـال بـو، تحـت وجـه شـمال غـرب مونفيـزو (فـي جبـال الألـب الكوتيـة). ينتهـي بـو بدلتـا تسـقط فـي البحـر الأدرياتيكـي بالقـرب مـن البندقيـة. بـو هـو أطـول نهـر فـي إيطاليـا، وأوسـع نقطـة لعرضـه هـي 503 م (1،650 قدمـاً).

(62) **دالماتيـا Dalmatia** أو **دالماشـيا**: واحـدة مـن المناطـق التاريخيـة الأربـع فـي كرواتيـا، بالإضافـة إلـى سـلافونيا وأسـتريا. دالماتيـا هـي حـزامٌ ضيـق مـن الشـاطئ الشـرقي للبحـر الأدرياتيكـي، يمتـد مـن جزيـرة راب فـي الشـمال إلـى خليـج كوتـور فـي الجنـوب، وتتـراوح المناطـق النائيـة (الدلماسـية زاغـورا) بيـن عـرض خمسـين كيلومتـراً فـي الشـمال، وبضعـة كيلومتـرات فقـط فـي الجنـوب؛ وهـي مغطـاة بجبـال ديناريـك الوعـرة، وفيهـا 79 جزيـرة موازيـة للسـاحل، وأكبـر مدنهـا سـبليت.

(63) **موريـا Morea**: اسـم شـبه جزيـرة البيلوبونيـز فـي جنـوب اليونـان، خـلال العصـور الوسـطى وأوائـل العصـر الحديـث، ولقـد اسـتخدم للمقاطعـة البيزنطيـة المعروفـة باسـم ديسـبوتات موريـا، والتـي سـميت مـن قبـل الدولـة العثمانيـة بإيالـة موريـا.

(64) **كريـت Crete**: أكبـر الجـزر اليونانيـة، وخامـس أكبـر جزيـرة فـي البحـر الأبيـض المتوسـط، بعـد صقليـة وسـردينيا وقبـرص وكورسـيكا. كريـت وعـدد مـن الجـزر والجـزر المحيطـة تشـكل منطقـة كريـت، عاصمتهـا وأكبـر مدنهـا هيراكليـون.

(65) **جيوڤانـي بيلينـي Giovanni Bellini** (1430– 26 نوفمبـر 1516م): رسّـام عصـر النهضـة الإيطاليـة، وقـد يكـون مـن أشـهر أفـراد عائلـة بيلينـي مـن الرسـامين الڤينيسـيين. والـده جاكوبـو بيلينـي، وشـقيقه جنتيـل بيلينـي، ويعـرف جيوفانـي بأنـه أحـدث ثـورةً فـي اللوحـة الڤينيسـية، وفـي تحولهـا نحـو أسـلوبٍ أكثـر حسـية، مـن خـلال اسـتخدامه الواضـح للصبغـات الفاخـرة والتظليـل المفصـل؛ وكان لـه تلويـن أكثـر بذخـاً وطلاقـة، كمـا كان للمناظـر الطبيعيـة للسـماء تأثيـرٌ كبيـر علـى مدرسـة اللوحـة البندقيـة، وخصوصـاً علـى تلميذيـه جيورجيـون وتيتيـان.



الفصل السادس

إلى جزر الهند شرقاً
الأمير هنري، وفاسكو دا جاما



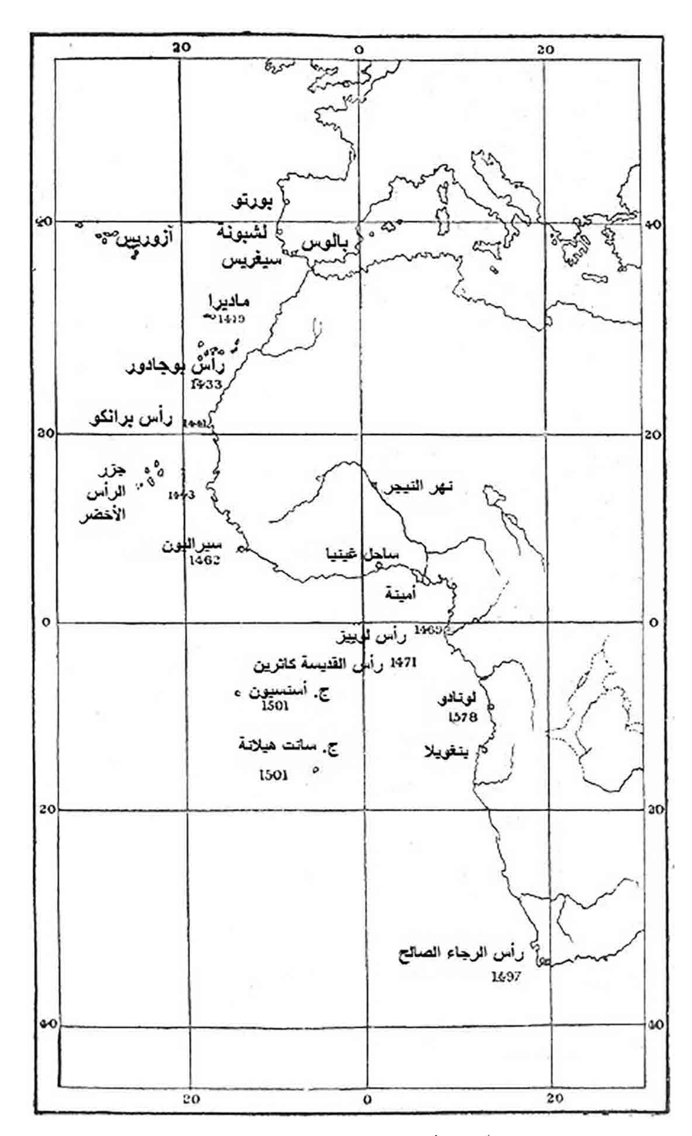
حتى القرن الخامس عشر كان سُكّان شبه الجزيرة الإيبيرية قد انشغلوا بصورةٍ رئيسة في دفع بطيءٍ لإرجاع مدّ الغزو الإسلامي[*] الذي انتشر تقريباً في جميع أنحاء البلاد من العام (711 ميلادي) فصاعداً. وكانت التنهيدة الأخيرة للمغاربة في إسبانيا قد لُفِظَتْ في العام (1492ميلادي)، وهو عام صنع عهدٍ جديد، سواء في التاريخ أم الجغرافيا؛ غير أنّ البرتغاليين، على الجانب الغربي من شبه الجزيرة، كانوا قد خلَّصوا أراضيهم من المغاربة، في وقتٍ أسبق من ذلك التاريخ بكثير، أكثر من (200) سنة سابقة، بالرغم من أنهم وجدوا صعوبةً في الحفاظ على استقلالها عن المملكة المجاورة لقشتالة. وتمّ صدّ محاولةٍ للملك (خوان Juan)[1] ملك قشتالة للاستيلاء على البلاد من قِبل (جواو João)[2]، وهو ابنٌ غير شرعيّ للملك السابق للبرتغال، أصبح ملكاً في العام (1385 ميلادي)، وحرر البرتغال من كلّ خطرٍ على جانب قشتالة، بانتصاره في معركة (الجوباروتّا Aljubarrota)[3]، ثم تزوج من (فيليبا Philippa)[4]، ابنة (جون غاونت John of Gaunt)[5]، وكان مقدّراً لابنه الثالث (هنري الملاح) أن يكون وسيلةً لإحداث ثورةٍ في وجهات نظر الرجال من العالم المأهول بالسكان. وكان أول من أظهر حماسته وهمّته في احتلال «سبتة»، قبالة جبل طارق، وقت معركة (أجينكورت Agincourt)[6] العام (1415 ميلادي)، وهذا يعني أنه غرز، لأول مرة، الراية البرتغالية على الساحل

(*) هنا يستخدم المؤلف مصطلح كلمة: (**المحمدي**)، واستبدلناها بمصطلح كلمة: الإسلامي (**المترجم**).

المغاربي. هذا الاتصال بالمغاربة قد يكون أول ما أوحى للأمير هنري بفكرة زرع محطاتٍ تجارية مُحَصَّنَة مماثلة بين مسلمي الهند؛ ولكن، أياً يكن السبب، فقد بدأ منذ حوالي العام (1418ميلادي) بتكريس كلّ أفكاره وتركيز انتباهه على إمكانية الوصول إلى الهند بطريقةٍ أخرى، من خلال الطرق المعروفة، ولهذا الغرض أسَّسَ لنفسه بقعةً على النتوء الصخري (ساغرز Sagres)[7]، وهي أبعد بقعةٍ غربيّ قارة أوروبا.

هنا أنشأ مرصداً، ومعهداً لتدريب الملّاحين نظرياً وعملياً، واستدعى علماء الفلك ورسامي الخرائط والبحّارة المهرة، وتطلّب ذلك بناء سُفُنٍ أقوى وأكبر، لغرضٍ مُخصصٍ للاستكشاف. لقد أتقن اعتماد الإسْطِرلاب (السلف الساذج لآلة السدس الحديثة) الذي يمكن بواسطته تحديد خط العرض ببعض الدقة، وكان قد جهز جميع سفنه بالبوصلة، والتي بموجبها يتمّ تحديد وجهتهم بالضبط؛ وأحضر من مايوركا (التي كانت، كما سبق أن ذكرنا، مركزاً لصنع الخرائط العملية في القرن الرابع عشر) شخصاً يُدعى (ميستري جاكمي Mestre Jacme)[8]، «وهو رجلٌ ماهرٌ جداً في فنّ الملاحة، وفي صُنع الخرائط والمعدّات» وبمساعدته، مع أشخاصٍ آخرين بلا شك، كرّس نفسه لدراسة المشكلة في إمكانية القيام برحلةٍ بحرية إلى الهند، حول الساحل الأفريقي.

لقد رأينا أنّ بطليموس، وبحذرٍ علميّ حقيقي، قد ترك امتداد أفريقيا إلى الجنوب غير محدد، لكن إراتوسثينيس، والعديد من الجغرافيين الرومان، حتى بعد بطليموس، لم يكونوا راضين بمثل هذه اللاأدرية، لكنهم افترضوا بشكلٍ واضح أنّ الساحل الأفريقي يمتدّ بشكلٍ نصف دائريّ من القرن الأيمن لأفريقيا، جنوب البحر الأحمر، الذين كانوا ملمّين بمعرفته، وحول الشاطِئ الشمالي الغربي، قرب ما نُطلق عليه اليوم مُصطلح (المغرب Morocco)[9]. إذا كانت هذه هي الحقيقة، فإنّ



التقدّم المُحرز في اكتشاف البرتغال

رحلةً على المحيط على طول هذا الامتداد للشاطِئ ستكون أقصر من رحلةٍ عبر البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، في حين أنّه- بطبيعة الحال- لن تكون ثمة حاجةٌ لنزولهم في برزخ السويس، وبالتالي فإنّ الكُتّاب الذين قلّلوا من النِّسَب الحقيقية لأفريقيا، افترضوا أنّ قارةً أخرى

تقـع فـي الجنـوب منهـا، والتـي كانـت، بأيـةِ حـالٍ، فـي المنطقـة الإسـتوائية الملتهبـة، وغيـر الصالحـة تمامـاً للسُّـكنى.

كان السـاحل الشـمالي الغربـي لأفريقيـا معروفـاً فـي أيـام الأميـر هنـري، حتـى رأس (بوجـادور Cape Bojador)[10]، ويبـدو أنّ البحّـارة النورمـان قـد تقدّمـوا إلـى مـا بعـد (الـرأس نـون Cape Non)[11]، أو (نـان Nun)، الـذي كان قـد سُـمّي هكـذا لأنـه كان مـن المتصـور أن لا شـيء يوجـد بعـده، وبالتالـي فـإنّ المشـاكل التـي كان ينبغـي علـى الأميـر هنـري حلّهـا، هـي مـا إذا كان سـاحل أفريقيـا يتجـه بشـكلٍ حـادٍّ إلـى الشـرق بعـد رأس بوجـادور، أو مـا إذا كانـت أفـكار القدمـاء عـن المنطقـة الملتهبـة غيـر القابلـة للسُّـكنى سـيتمّ إثباتهـا بشـكلٍ حقيقـي. حـاول الأميـر هنـري حـلّ هـذه المشـاكل عـن طريـق إرسال–سـنةً بعـد الأخـرى– البعثـات علـى طـول السـاحل الشـمالي الغربـي لأفريقيـا، وكل واحـدةٍ منهـا تجـاوزت إلـى أبعـد مـن سـابقتها. فـي البدايـة كُوفِـئ وفقـاً لاكتشـافه– أو إعـادة اكتشـافه– جـزر (ماديـرا Madeira)[12] فـي العـام (1420ميـلادي)، عـن طريـق (جـواو غونسـالڤيز زاركـو João Gonsalvez Zarco)[13]، وهـو أحـد الإقطاعييـن مـن عائلتـه. ولبعـض الوقـت كان قـد حظـي باحتـلال هـذه الجزيـرة المجـاورة لجزيـرة (بورتـو سـانتو Porto Santo)[14]، والتـي، بالرغـم مـن ذلـك، قـد خُرِّبَـت مـن قبـل الأرانـب الطليقـة عليهـا. وزُرِعَـت كـروم العنـب المجلوبـة مـن (بورغونـدي) علـى جزيـرة ماديـرا، وهـي تُشَـكِّلُ الصناعـة الرئيسـة فـي الجزيـرة حتـى يومنـا هـذا. فـي العـام (1435ميـلادي) كان قـد عبـر رأس بوجـادور، وفـي العـام (1441ميـلادي) اكتشـف (رأس برانكـو Cape Branco)[15]. وبعـد عاميـن تـمّ الوصـول إلـى الـرأس الأخضـر وعبـوره من قبـل المستكشـف (نونـو تريسـتاو Nuno Tristão)[16]، وللمرة الأولـى كانـت ثمـة دلائـل علـى أنّ السـاحل الأفريقـي يميـل متجهـاً إلـى الشـرق. وبحلـول ذلـك الوقـت، أصبـح رجـال الأميـر هنـري متآلفيـن مـع المواطنيـن على طـول الشـاطِئ، ومـا لا يقـلّ عـن ألـفٍ منهـم قـد جـرى جلبهـم وتوزيعهـم بيـن

النُّبلاء البرتغاليين، كغلمانٍ وخدم. في العام (1455ميلادي)، قام رجلٌ ڤينيسي، يدعى (ألڤيز كاداموستو Cadamosto Alves)[17]، برحلةٍ ثانية إلى أقصى الجنوب، لأغراضٍ تجارية، وزوّده الأمير برأس المال، واتفق معه على تحقيق نصف الأرباح، بناءً على النتائج، ووصلوا إلى مصبّ نهر (غامبيا Gambia)[18]، لكنهم وجدوا أنّ المواطنين المحليين عدائيون. هنا، ولأول مرة، فَقَدَ الملاحون الأوروبيون رؤية النجم القطبي، ورأوا كوكبة البرج الرائعة للصليب الجنوبي. أما الاكتشاف الأخير الذي قُدّم خلال حياة الأمير هنري، فكان في جزر الرأس الأخضر، من قِبل أحد نُقبائه، (ديوغو غوميز Diogo Gomez)[19]، في العام (1460ميلادي)، وهي سنة وفاته ذتها. كما قُدّمت الاكتشافات المتتالية، ودُوِّنت من قبل رسامي خرائط الأمير هنري على (البورتولانو portulanos)[20]. وقبل وفاته، أرسل ملك البرتغال إلى راهبٍ ڤينيسي، وهو (فرا ماورو Fra Mauro)[21]، بتفاصيل كلّ الاكتشافات حتى ذلك الوقت، ليتمّ تسجيلها على خرائط مابّا موندي.

وهكذا، استمرّ ذلك الحافز المُعطى بالتحقق الصبور للساحل الأفريقي، من قِبل الأمير هنري، لفترةٍ طويلة بعد وفاته. ففي سنة (1471ميلادي) اكتشف (فرناندو دي بو Fernando de Poo)[22] الجزيرة التي تحمل اسمه الآن، بينما- في العام نفسه- قام المستكشف (بيدرو دي إسكوبار Pedro de Escobar)[23] بعبور خط الإستواء. وأينما حَطَّ المستكشفون البرتغاليون، فإنّهم تركوا بصماتٍ تدلّ على وجودهم، في البداية من خلال نصبهم الصُّلبان، ومن ثمّ نحتهم شعار الأمير هنري على الأشجار، «موهبة القيام بعملٍ جديد»، وأخيراً اعتمدوا طريقة نصب الأعمدة الحجرية التي يعلوها الصليب، والمنقوشة عليها أسلحة الملك واسمه، وتُسمّى هذه الركائز (بادراوز padraos)[24]. وفي العام (1484ميلادي)، قام (دييغو كام Diego Cam)[25]، وهو فارسٌ من أسرة الملك، بوضع واحدةٍ من هذه الركائز

عند مصبّ النهر الكبير الذي سُمّي بالتالي باسم (ريو دو بادراو Rio do Padrao)، وكان يُطلق عليه من قِبل المواطنين اسم (زائير Zaire)، ويُعرف اليوم باسم نهر (الكونغو Congo)[26]. رافق ديغو كام في هذه الحملة، (مارتن بيهايم Martin Behaim)[27]، من مدينة نورمبرغ، الذي يحتفل به العالم في التاريخ الجغرافي باعتباره السجل الأخير من وجهات النظر القديمة، أنظر (ص 115).

وفي تلك الأثناء، وردت من أحد المبعوثين من الملوك المحليين، والذي زار البلاط البرتغالي، وردت معلومات بأنه- في أقصى شرق البلدان التي اكتشفت حتى الآن- ثمة ملكٌ مسيحيّ عظيم، ما أعاد للأذهان تقليد العصور الوسطى حول الكاهن يوحنا. وفقاً لذلك، صمّم البرتغاليون على القيام بمحاولةٍ مزدوجة، عن طريق البحر والبر، للوصول إلى هذا الملك. وعن طريق البحر، أرسل الملك سفينتين تحت قيادة المستكشف (بارثولوميو ديازBartholomew Diaz)[28]، بينما بعث عن طريق البرّ، في السنة التالية، رجلين ضالعين باللغة العربية، هما: (بيدرو دي كوڤيلهام Pedro di Covilham)[29] و(أفّونسو دي بايبا Affonso de Payba)[30]. وصل كوڤيلهام إلى عدن، وأخذ من هناك سفينةً إلى كاليكوت، ليكون أول برتغالي يُبحر في المحيط الهندي، ثم عاد إلى (سوفالا Sofala)[31]، وحصل على أنباءٍ عن (جزر القمرIslands of the Moon)[32]، والتي تُعرف الآن باسم (مدغشقر Madagascar)[33]. بهذه المعلومات عاد إلى القاهرة، حيث وجد سُفراء من جواو، واثنين من اليهود، هما أبراهام من (باجة Beja)[34] ويوسف من (لاميجو Lamejo)[35]، وكان هؤلاء قد عادوا بمعلومةٍ مفادها أنّ السفن التي أبحرت أسفل ساحل غينيا وصلت بالتأكيد إلى نهاية أفريقيا. وعندما وصلوا في المحيط الشرقي الذي ينبغي أن يسألوا فيه عن سوفالا وجزر القمر، عاد كوڤيلهام إلى البحر الأحمر، ووجد طريقه إلى الحبشة، حيث تزوج واستقر هناك، وأصبح يرسل من وقتٍ لآخر بالمعلومات للبرتغال التي أعطت الأوروبيين أفكارهم الأولى عن بلاد الحبشة.

وهكـذا، فـإنّ الرحلـة عـن طريـق البـر بحثـاً عـن الكاهـن يوحنـا كانـت ناجحـةً تمامـاً، فـي حيـن تـمّ الحصـول علـى معلومـاتٍ معيّنـة تعطي فـي الوقت نفسـه آمـالاً بالرحلـة عـن طريـق البحـر، وهـذا بـدوره كان قـد مهّـد الطريـق لنجـاح- علـى سـبيل المثـال- رحلـة ديـاز، حيـث قـام بالـدوران حـول الـرأس المعـروف الآن باسـم (رأس الرجـاء الصالـح Cape of Good Hope)[36]- لأنّ مـن اقتـرح منحـه هـذا الاسـم، بـدلاً مـن اسـم «رأس العواصـف Stormy Cape» أو (Cabo Tormentoso)، هـو الملـك (جـواو João)[37]- وعلـى أيـة حـال- ثمـة اعتـرافٌ بـأنّ رحلـة ديـاز قـد وضعـت الختـم علـى كلّ التوقعـات التـي كانـت لـدى الأميـر هنـري قبـل سـبعين عامـاً، وبـدأت سلسـلة استكشـافاته، وأعطتـه الاسـم الأكثـر حظـاً ويمنـاً الـذي عُـرف بـه إلـى الآن.

لسـببٍ مـا، لـم يَتَّضـح لدينـا بشـكلٍ كافٍ، لـم تجـرَ أيـة محاولـةٍ أخـرى لمـا يقـرب مـن عشـر سـنواتٍ، لتنفيـذ الإتمـام النهائـيّ لخطـة الأميـر هنري بإرسـال بعثـةٍ أخـرى. فـي تلـك الأثنـاء، كمـا سـنرى، غـادر كولومبـوس البرتغـال، بعدمـا تـمّ إجـراء محاولـةٍ عاديـة مـن قبـل الملـك، لتنفيـذ خطتـه الجديـدة للوصـول إلـى الهنـد دون مسـاعدته. وكنتيجـةٍ عادلـة، فـإنّ رحلـة استكشـاف غربيـة إلـى جـزر الهنـد (كمـا كان يعتقـد فـي ذلـك الوقـت) قـد أُنجـزت بنجـاح مـن قِبـل كولومبـوس، فـي خدمـة الملـوك الكاثوليـك فـي إسـبانيا، فـي العـام (1492ميـلادي)، ومـن شـأن ذلـك أن يفـرض، بشـكلٍ طبيعـي، التـردد علـى أيّ محاولـةٍ للوصـول إلـى الهنـد، عـن طريـق المسـار الأكثـر تعقيـداً مـن الملاحـة السـاحلية علـى طـول سـواحل أفريقيـا، والـذي أثبـت فـي النهايـة أنّ العمليـة كانـت أطـول ممـا كان يعتقـده الأميـر هنـري. بعـد ثـلاث سـنوات مـن اكتشـاف كولومبـوس مـات الملـك (جـواو João)، ولـم يوافـق ابنـه وخليفتـه (إيمانويـل Emmanuel)[38] علـى الأسـلوب التقليـدي البرتغالـي للوصـول إلـى الهنـد، حتـى السـنة الثالثـة مـن حكمـه.

وبحلول ذلك الوقت أصبح واضحاً، من رحلة كولومبوس الثانية، أن الكثير من الصعوبات في طريق الوصول إلى جزر الهند هي أكثر مما كان يُعتقد. وبعد عامٍ من عودته من رحلته الثانية في العام (1496ميلادي)، قرّر الملك إيمانويل، مرةً أخرى، تناول الطريقة القديمة، وكلَّف (ڤاسكو دا جاما Vasco da Gama)[39]- وهو رجلٌ نبيل من حاشيته- بمحاولة التوجه شرقاً في الطريق إلى الهند، مع ثلاث سفن تحمل حوالي ستين رجلاً. وبالفعل، شجّع مشروع كولومبوس الجريء في البحار المجهولة هذه المرة على ظهور مشاريع جريئةٍ مماثلة في بلدانٍ أخرى؛ وبدلاً من أن يُبحر منحدراً بمحاذاة الساحل على الامتداد الكامل للساحل الغربي لأفريقيا، اتجه فاسكو دا جاما مباشرةً إلى جزر الرأس الأخضر، ومنها خرج إلى المحيط، حتى وصل إلى الخليج المعروف باسم (سانت هيلانة St.Helena)[40]، الواقع إلى الشمال قليلاً من رأس الرجاء الصالح.

لفترةٍ من الوقت، كان فاسكو دا جاما قد احتار في محاولته الدوران حول الرأس، بسبب الرياح الجنوبية الشرقية القوية التي تضرب هناك باستمرار، خلال موسم الصيف. غير أنّه، في نهاية المطاف، انطلق في رحلته الساحلية على طول الشواطئ الشرقية لأفريقيا، وفي كلّ بقعة مناسبة كان يُنزل بعض بحارته، لإجراء تحقيقات حول كوفيلهام وبلاط الكاهن يوحنا؛ ليجد أن كلّ الموانئ مسكونةٌ من قِبل المغاربة المتعصبين الذين- حالما اكتشفوا أنّ زوارهم كانوا من المسيحيين- حاولوا إيذاءهم، ورفضوا تزويدهم بالمرشدين كي يواصلوا رحلتهم إلى الهند من جديد. حدث هذا في (موزامبيق Mozambique)[41]، وفي جزيرة (كيلوا Quiloa أو Kilwa)[42]، وفي (مومباسا Mombasa)[43]، ولم يكد فاسكو دا جاما يصل إلى (ميليندا Melinda)[44]، حتى تمكن من الحصول على المؤن، وعلى مُرشدٍ يُدعى (ماليمو كانا Malemo Cana)[45]، وهو هندي من (جوزيرات Guzerat)[46]، كان على درايةٍ تامة بالرحلة إلى كاليكوت. وفي

ظل قيادته، انطلق أسطول ڤاسكو دا جاما من ميليندا إلى كاليكوت في ثلاثةٍ وعشرين يوماً، وهنا تعرَّض (زامورين Zamorin)[47]، أو ملك البحر، بأسلوب الكراهية ذاته مع زواره المسيحيين. في ذلك المكان، أدرك التجار المسلمون في لحظةٍ، مدى التنافس الخطير الذي تنطوي عليه الزيارة البرتغالية، باحتكارها التجارة الشرقية، وتصوّروا أنّ ڤاسكو دا جاما وأتباعه هم مجرّد قراصنة. وبالرغم من ذلك، ومن خلال سلوكه الثابت، تمكن ڤاسكو دا جاما من الإفلات من مكائد منافسيه التجاريين، وأقنع الزامورين بكونه حليفاً إيجابياً للملك البرتغالي.

مكتفياً بهذه النتيجة، ركب البحر مرةً أخرى. وبعد زيارة ميليندا، البقعة الصديقة الوحيدة التي وُجِدَت على الساحل الشرقي لأفريقيا، عاد إلى لشبونة، في سبتمبر/ أيلول العام (1499ميلادي)، بعدما أمضى ما لا يقل عن سنتين في رحلته، ولقيه الملك إيمانويل بالإحسان العظيم، وعيّنه أميراً للبحار في جزر الهند.

تكمن أهمية رحلة ڤاسكو دا جاما في النظرة إليها من قِبل الأشخاص الذين هدّدت احتكارهم التجاري، أي الڤينيسيين (البنادقة)، وسُلطان مصر. ويروي المؤرخ الإخباري الڤينيسي (بريولي Priuli)[48]، قائلاً: «**عندما وصلت هذه الأخبار إلى ڤينيسيا، تأثرت المدينة كلّها تأثرت بهذا الأمر إلى حدٍّ كبير، وظلَّت مُنذهلة، و اعتبرتها كأسوءأ الأخبارِ التي وصلتها**». كما بدا في الواقع أنّه تنبأ بسقوط الإمبراطورية الڤينيسية. وكان سلطان مصر قد تحرّك بدوره، فاستمدّ المصدر الأكبر لثرواته من ضريبة الخمسة في المائة الذي فَرَضه على جميع البضائع التي تدخل منطقة سيادته، وعشرة في المائة على كل السلع المصدّرة منها. حتى ذلك الوقت، قامت بين ڤينيسيا ومصر كلّ أنواع وأساليب المشاحنات، لكنّ هذا الخطر المشترك جمعهما؛ فأبدى السلطان لڤينيسيا حرصه على ضرورة العمل المشترك من أجل إبعاد التجارة الجديدة؛ لكنّ مصر كانت بلا

قـوةٍ بحريـة، ولـم تكـن فـي الواقـع تملـك الخشـب المناسـب لبنـاءِ السـفن، فأخـذت ڤينيسـيا علـى عاتقهـا عنـاء نقـل الأخشـاب إلـى القاهـرة، لتحملهـا الجمـال مـن هنـاك إلـى السـويس، حيـث يتـمّ إعـداد أسـطولٍ صغيـرٍ، للهجـوم علـى البرتغالييـن عنـد زيارتهـم القادمـة للمحيـط الهنـدي.

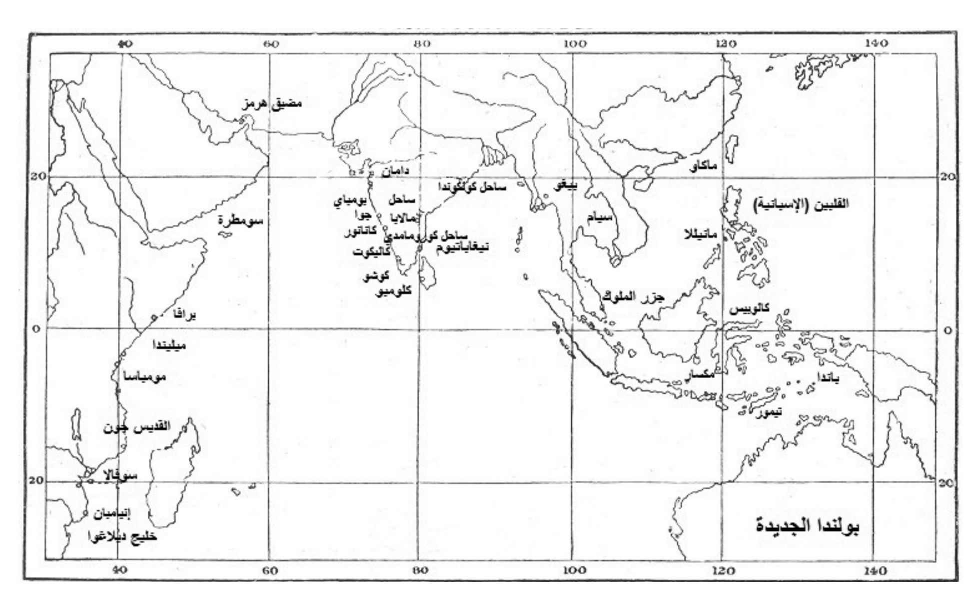
وفـي تلـك الأثنـاء، أَتْبَـعَ البرتغاليـون رحلـة ڤاسـكو دا جامـا البحريـة بمحاولـةٍ أخـرى، كانـت أكثـر أهميـةً، فـي طريقتهـا. ففـي العـام (1500ميلادي) أرسـل الملـك مـا لا يقـلّ عـن ثـلاث عشـرة سـفينة، تحـت قيـادة (بيـدرو ألڤاريـز كابـرال Pedro Alvarez Cabral)[49] ومعـه الفرنشيسـكان، لغـرض التبشـير، ومائـة واثنـي عشـر رجـلاً مُقاتـلاً لترهيـب المسـلمين فـي المحيـط الهنـدي، وقـرّر التوجـه فـي مسـارٍ غربـاً أكثـر مـن ڤاسـكو دا جامـا. وعندمـا وصـل إلـى (17 درجـة) جنـوب الخـط، قـام باكتشـاف الأرض التـي اسـتولى عليهـا باسـم البرتغـال، وتدعـى (سـانتا كـروز Santa Cruz)[50]. الصليـب الحقيقـي الـذي نُصِـبَ بتلـك المناسـبة لا يـزال محفوظـاً فـي البرازيـل، ورسـا كابـرال علـى الأرض المعروفـة اليـوم بهـذا الاسـم. والحقيقـة أنّ واحـداً مـن أصحـاب كولومبـوس، هـو (بينـزون Pinzon)[51]، كان قـد رسـا سـابقاً علـى سـاحل البرازيـل، قبـل كابـرال، لكـنّ الواضـح مـن تجربتـه تلـك- بغـض النظـر عـن كولومبـوس- أنّ البرتغالييـن كانـوا سيكتشـفون العالـم الجديـد عاجـلاً أم آجـلاً. ومـع ذلـك ، تجـدر الإشـارة إلـى أنّـه، عنـد ذكـر هـذا، كمـا يفعـل معظـم المؤرخيـن، يُسـقطون مـن اعتبارهـم حقيقـة أنّ البحـارة- باسـتثناء كولومبـوس- لايزالـون يواصلـون الطريقـة القديمـة للملاحـة السـاحلية علـى طـول الشـاطِئ، فكأنّهـم لـم يغـادروا العالـم القديـم.

فَقَـد كابـرال العديـد مـن سـفنه والكثيـر مـن رجالـه. ومـع أنّـه عـاد إلـى أرض الوطـن بحمولـةٍ ثمينـة، فلـم يُعتبـر ذلـك نجاحـاً، وأُرسِـل ڤاسـكو دا جامـا مجـدداً، مـع أسـطولٍ كبيـر فـي العـام (1502ميـلادي)، غـزا بـه زاموريـن

كاليكـوت، وحصـل علـى الكنـوز الثمينـة. وفـي رحـلاتٍ ثانويـة، اكتشـف البحـارة البرتغاليـون جـزر سـانت هيلانـة، وجزيـرة (أسينشـون Ascension)[52]، وجـزر (سيشـيل Seychelles)[53]، وسـوقطرى، و(تريسـتان دا كونـا Tristan da Cunha)[54]، وجـزر المالديـف، ومدغشـقر.

وفـي الوقـت نفسـه، كان الملـك إيمانويـل قـد تبنّـى الطريقـة الڤينيسـية للاسـتعمار، والتـي تمثلـت فـي إرسـال نائـب رئيـس القضـاة لـكلٍّ مـن مسـتعمراته، لمـدة عاميـن، تكـون مهمتـه خلالهمـا أن يشـجع علـى التجـارة وجمـع الجزيـة؛ وعلـى نحـوٍ مماثـل، عيّـن إيمانويـل نائـب الملـك لتجارتـه الشـرقية. وفـي العـام (1505ميلادي) اسـتقرّ (فرانسيسـكو دي ألميـدا Francisco de Almeida)[55] فـي سـيلان، بهـدف احتـكار تجـارة القرفـة فـي ذلـك المـكان.

لكـنّ (أفونسـو دي ألبوكيـرك Affonso de Albuquerque)[56] كان مـن أعظـم نـواب الملـوك البرتغالييـن، فاسـتولى علـى منصـب (جـوا Goa) المهـم، علـى البـرّ الرئيـس للهنـد، والـذي لا يـزال يعـود إلـى البرتغـال، وميـنـاء هرمـز،



جزر الهند البرتغالية

الـذي رأينـا سـابقاً أنّـه كان أحـد مراكـز التجـارة الشـرقية. والأهـم مـن ذلـك هـو الاسـتيلاء علـى جـزر الملـوك، أو جـزر التوابـل التـي تـمّ اكتشـافها فـي العـام (1511 ميـلادي)، بعـد أن اسـتولى البرتغاليـون علـى (ملقـا Malacca)[57]. خـلال العـام (1521 ميـلادي) كان البرتغاليـون قـد تمكنـوا مـن حيـازة كامـل جـزر التوابـل، وقبضـوا بالتالـي علـى تجـارة التوابـل تمامـاً فـي أيديهـم، فكانـت النتيجـة ارتفاعـاً سـريعاً بالأسـعار فـي الأسـواق الأوروبية، فسـعر الرطـل الواحد مـن الفلفـل فـي نهايـة القـرن الخامـس عشـر- علـى سـبيل المثـال- كان يبلـغ حوالـي 17سـنتاً، ومـن العـام (1521 ميـلادي) ومـا بعـده، ارتفـع متوسـط سـعره ليصبـح حوالـي 25سـنتاً، إلـى جانـب غالبيـة المكونـات التـي يمكـن أن تجعـل مـن الطعـام أكثـر لـذةً. إلا أن أحـد الظـروف التـي ألقـت بالاحتـكار فـي أيـدي البرتغاليـن، كانـت الاسـتيلاء علـى مصـر فـي العـام (1521 ميـلادي)، علـى يـد الأتـراك تحـت حكـم السـلطان العثمانـي (سـليم الأول Selim I)[58]، الـذي كان مـن شـأنه- بطبيعـة الحـال- أن عطـل مسـار التجـارة عبـر الطريـق القديـم، مـن خـلال الإسـكندرية. ومـن الصيـن تـمّ التعـرّف إلـى سـهولة الوصـول لجـزر الملـوك، وفـي نهايـة المطـاف إلـى اليابـان، وبالتالـي قبـض البرتغاليـون لفتـرةٍ مـن الوقـت بزمـام أيديهـم علـى كل التجـارة الشـرقية، والتـي اعتمـدت عليهـا أوروبـا فـي أكثـر كمالياتهـا.

كمـا رأينـا، فـاز البرتغاليـون برقبـة الجـواد فقـط؛ إذا اسـتخدمنا التعبيـر الرياضـي فـي سـباق التنافـس علـى ملكيـة جـزر التوابـل. ففـي السـنة نفسـها التـي حصلـوا علـى حيازتهـا، وصـل (ماجـلان Magellan)[59]- وهـو فـي طريقه حـول العالـم - إلـى الفيليبيـن، فـي غضـون بضـعِ مئـاتٍ مـن الأميـال منهـا، وأبحـرت سـفينته (ڤيكتوريـا Victoria)، مـن خلالهـا تلـك السـنة. والواقـع أنّ العـام (1521ميـلادي) يُعتبـر عامـاً حاسـماً فـي اكتشـاف العالـم، إذ أنّ الإسـبان والبرتغاليـين (الدولتيـن اللتيـن حاولتـا الوصـول إلـى جـزر الهنـد شـرقاً وغربـاً) وصلـوا إلـى تحقيـق أهدافهـم وغاياتهـم، أي جـزر التوابـل، فـي ذلـك العـام

نفسه، في حين أن إغلاق تجارة مصر وقع في الوقت المناسب لتتحوّل التجارة وتُصبح في أيدي البرتغاليين. وأخيراً ، فإن العام (1521ميلادي) تميّز بموت الملك إيمانويل، عاهل البرتغال الذي- تحت رعايته- تمّ الانتهاء من أعمال الأمير هنري الملّاح.

هنا لا بد أن نتوقع الأمور من جديد. فحالما جرى الإعلان عن اكتشاف العالم الجديد، نُوشِدَ البابا لتحديد الحصص النسبية لإسبانيا والبرتغال في الاكتشافات التي توالت بشكلٍ واضحٍ على رحلة كولومبوس البحرية، من خلال مرسومه المؤرخ بتاريخٍ 4 / مايو (1493ميلادي)، فمَنح (ألكسندر السادس Alexander VI)[60] كل الاكتشافات نحو الغرب لإسبانيا، وبشكلٍ مفهوم، ترك كل الشرق يعود إلى البرتغال، وكان الخط الفاصل قد رُسِمَ بشكلٍ وهميٍ من القطب إلى القطب، ويمر حوالي (مائة فرسخ) غرب جزرٍ (الآزورAzores)[61] وجزر الرأس الأخضر، والتي كان من المفترض، في الجغرافية غير الدقيقة في ذلك الوقت، أن تكون في خط الطول ذاته. في السنة التالية، طالب الملك البرتغالي بإعادة النظر في موقع الراية، وكان من شأن هذا أن يبعده بشكلٍ كامل عن كلّ المكتشفات في العالم الجديد، ويؤدي من ثمّ إلى تحويلٍ خط ترسيم الحدود (270 فرسخاً) نحو الغرب، أو بمسافة (110 , 1 ميلاً) إلى الغرب من الرأس الأخضر. من خلال صدفةٍ غريبة، وفي غضون ست سنوات، كان كابرال قد اكتشفت البرازيل التي تقع ضمن هذه النقطة من الزاوية المقطوعة بالراية من أمريكا الجنوبية. هل كان الأمر عن طريق الصدفة؟ أم قد يكون كابرال توجه لاتخاذ هذا المسار بشكلٍ غير عاديٍ نحو الغرب، كي يتأكد مما إذا كانت ثمة أرضٌ تقع ضمن الادعاءات البرتغالية؟ في أيّ حال، لقد تم اكتشاف جزر التوابل، وبقي علينا أن نناقش ما إذا كان خط ترسيم الحدود- عندما استمر على الجانب الآخر من الكرة الأرضية- قد جلبهم داخل الحدّ الإسباني أو «دائرة النفوذ البرتغالية»، كما ينبغي

لنـا أن نقـول فـي الوقـت الحاضـر. وبواسـطة فرصـةٍ غريبـة، كان أن وُجـدوا قريبيـن جـداً مـن الخـط. ونتيجـة الخرائـط غيـر الدقيقـة فـي تلـك الفتـرة، أتـاح موضـوعٌ ظريـف وقـوع مشـاجرةٍ بيـن المفوضيـن البرتغالييـن والإسـبان الذيـن اجتمعـوا فـي (بطليـوس Badajos)[62] لتحديـد هـذه المسـألة، ولـم يتركـوا لتقريـر هـذا الأمـر أن يتـمّ عـن طريـق المجلس العسـكري، إنمـا عـن طريـق الميثـاق العائلـي.. ففـي العـام (1529ميـلادي)، تنـازل (تشـارلز الخامـس Charles V)[63] لشـقيقه فـي القانـون، ملـك البرتغـال، عـن أيّ حقـوقٍ كانـت لـه فـي جـزر الملـوك، لقـاء مبلـغٍ قـدره (350000) قطعـة ذهبيـة، فـي حيـن احتفـظ لنفسـه بالفيليبيـن التـي أصبحـت إسـبانيةً، منـذ ذلـك الحيـن.

بهـذه الطريقـة، أصبـح المحيـط الهنـدي- لجميـع الأغـراض التجاريـة- بحيـرةً برتغاليـة، خـلال القـرن السـادس عشـر الميـلادي، كمـا سـيتبين مـن الخريطـة السـابقة، والتـي تُظهـر محطـات التـداول للبرتغالييـن علـى طـول شـواطِئ المحيـط، لكنهـا تمتلـك احتكارهـا لمـدة خمسـين سـنة فقـط. واعتباراً مـن العـام (1580ميـلادي)، أصبحـت التيجـان الإسـبانية والبرتغاليـة متحـدةً علـى رأس (فيليـب الثانـي Philip II)[64]؛ وبحلـول الوقـت الـذي اسـتعادت فيـه البرتغـال اسـتقلالها، فـي العـام (1640ميـلادي)، كان منافسـون جـدد قـد ظهـروا للتنافـس معهـا هـي وإسـبانيا، فـي احتـكار التجـارة الشـرقية.

[Authorities: Major, Prince Henry the Navigator, 1869; Beazeley, Prince Henry the Navigator, 1895; F. Hummerich, Vasco da Gama, 1896].

(هوامش الفصل السادس)

(1) **خـوان الأول John I** أو **جـون الأول** (24 أغسـطس 1358- 9 أكتوبـر 1390م): كان ملـك تـاج قشـتالة منـذ 1379م حتـى 1390م، وهـو ابـن هنـري الثانـي وزوجتـه خوانـا مانويـل، وكان آخـر ملـك فـي قشـتالة يتلقـى التتويـج الرسـمي.

(2) **جــواو الأول João** (11 أبريـل 1357- 14 أغسـطس 1433م): كان ملـك البرتغـال والغـارف فـي الفتـرة 1385–1433م. ويُشـار إليـه فـي البرتغـال باسـم «الطيـب» أو «الذاكـرة السـعيدة»، وأحيانـاً باسـم «النـذل»! معتـرفٌ بـه أساسـاً لـدوره فـي الحفـاظ علـى اسـتقلال مملكـة البرتغـال عـن مملكـة قشـتالة. وكجـزءٍ مـن جهـوده للحصـول علـى الأراضـي البرتغاليـة فـي أفريقيـا، أصبـح أول ملـك فـي البرتغـال يحمـل لقـب «سـيد سـبتة».

(3) **معركـة ألجوباروتّـا Aljubarrota**: التـي وقعـت بيـن الإسـبان والبرتغالييـن فـي القـرن الرابـع عشـر الميـلادي، وهـي- كمـا يذكرهـا التاريـخ- معركـة وقعـت يـوم 14 أغسـطس 1385م فـي نواحـي مدينـة الجوباروتّـا فـي وسـط البرتغـال، وكانـت الحـرب جـزءاً مـن حـروب الخلافـة البرتغاليـة الأولـى التـي انتصـر فيهـا الأميـر جـواو وأصبـح ملـك البرتغـال ومؤسـس أسـرةٍ جديـدة حكمـت البرتغـال لثلاثـة قـرون (1385–1580م)، وكانـت بدايـة هـذه الأسـرة أزمـة فـي الخلافـة، وكذلـك نهايتهـا، وتولـى فيهـا قيـادة الجيـش البرتغالـي «جـواو» أميـر فرسـان أفيـز، وهـو ابـن غيـر شـرعي لوالـده العاشـق بيتـر الأول ملـك البرتغـال، مُدَعَّمـاً بالجيـش الإنجليـزي، بينمـا قـاد الجيـش القشـتالي خـوان الأول، ملـك قشـتالة، والأميـرة بياتريـس مـن البرتغـال ،الابنـة الوحيـدة لوالدهـا الملـك فردينانـد الأول ملـك البرتغـال، وكان معـززاً بوحـدات مـن الجيـش الفرنسـي.

(4) **فيليبـا لانكسـتر Philippa of Lancaster** (31 مـارس 1360- 19 يوليـو 1415): هـي ملكـة البرتغـال مـن 1387 حتـى 1415م، بزواجهـا مـن الملـك البرتغالـي جـواو الأول. ولـدت فيليبـا للعائلـة المالكـة فـي إنجلتـرا، وحصـل زواجهـا علـى معاهـدة ويندسـور، وأنجبـت العديـد مـن الأولاد الذيـن أصبحـوا يعرفـون فـي البرتغـال باسـم «جيـل إلوسـتريوس».

(5) **جـون غاونـت John of Gaunt، دوق لانكسـتر الأول** (6 مـارس 1340- 3 فبرايـر 1399م): كان نبيـلاً إنجليزيـاً وعضـواً فـي بيـت بلانتاجينيـت، وهـو الثالـث مـن خمسـة أبنـاء للملـك إدوارد الثالـث مـن إنجلتـرا فيليبـا مـن هاينولـت، دعـي «جـون غاونـت» لأنـه ولـد فـي مدينـة غنـت، ثـم حرفـت باللغـة الإنجليزيـة إلـى غاونـت.

(6) **معركـة أجينكـورت Agincourt**: كانـت معركـة حـرب المائـة عـام التـي أسـفرت عـن انتصـار الإنجليـز. وقعـت فـي 25 أكتوبـر 1415م (يـوم القديـس كريسـبين) فـي مقاطعـة سـانت بـول، أرتـوا، علـى بعـد حوالـي 40 كلـم جنـوب كاليـه (تعـرف اليـوم بــ أزينكـورت فـي شـمال فرنسـا)، وكانـت واحـدةً مـن أهـم الانتصـارات الإنجليزيـة فـي الصـراع، بالإضافـة إلـى معركتـي كريسـي (1346م) وبواتييـه (1356م)، فيهـا انتصـرت إنجلتـرا فـي منطقـة أجينكـورت علـى الجيـش الفرنسـي المتفـوق عـدداً، فبـدأت فتـرةٌ جديـدة فـي الحـرب التـي هيمنـت عليهـا النجاحـات العسـكرية الإنجليزيـة.

(7) **سـاغرز Sagres**: يقـع هـذا النتـوء الصخـري فـي أقصـى جنـوب غـرب أوروبـا القاريـة، فـي الغـارف الجنوبيـة مـن البرتغـال، ويتميـز باثنيـن مـن الهيـاكل الجيومورفولوجيـة: كيـب سـانت فنسـنت ونقطـة سـاغريس التـي تشـكل انتقـالاً بيـن المناطـق السـاحلية الشـرقية ومناطـق الـزوال، ويتميـز بمنحـدراتٍ عاليـة تـؤدي إلـى منصـة تتـراوح مـا بيـن 10–50 متـراً (160 قدمـاً) –200 متـر (330–660 قدمـاً) (فـي الشـمال).

(8) **ذكـره المؤلـف فـي الكتـاب باسـم Mestre Jacme**، ولكـن بعـد البحـث عـن ترجمتـه وجدنـاه باسـم **ميسـتري جاكومـي Mestre Jácome** أو **جاكومـي دي مايـوركا Jácome de Mallorca**: هـو اسـم رسـام خرائـط غيـر مشـهور، استشـهد بـه فـي تأريـخ عصـر النهضـة البرتغالـي، ويُعتقـد بـأن هنـري المـلاح اسـتدعاه لنشـر المعرفـة الخرائطيـة والملاحيـة فـي البـلاط البرتغالـي، حوالـي العـام 1420م.

(9) **المغـرب Morocco**: المعروفـة رسـمياً باسـم المملكـة المغربيـة، دولـة ذات سـيادة تقـع فـي منطقـة المغـرب العربـي فـي شـمال أفريقيـا. جغرافيـاً، يتميـز المغـرب بجبـال داخليـة وعـرة، ومسـاحات كبيـرة مـن الصحـراء وسـاحل طويـل يمتـدّ علـى طـول المحيـط الأطلسـي والبحـر الأبيـض المتوسـط.

(10) **الـرأس بوجـادور Cape Bojador**: هـو رأس علـى السـاحل الشـمالي للصحـراء الغربيـة: 26 ° 07 ′ 37 ″ N، 14 ° 29 ′ 57 ″ W، وقـد اسـتمدّت المقاطعـة المحيطـة بـه اسـمها أيضـاً مـن الـرأس (مقاطعـة بوجـادور)، وهـو يظهـر علـى الخرائـط الملاحيـة بالاسـم البرتغالـي الأصلـي «كابـو بوجـادور»، إنمـا تكتـب أحيانـاً «كيـب بوجـدور»، بالرغـم مـن عـدم وجـود إشـارات إلـى هـذا الاسـتخدام فـي المراجـع الجغرافيـة القياسـية، ولعـلّ الاسـم يعـود إلـى التسـمية العربيـة «أبـو الخطـر».

(11) **هـو الـرأس تشـونار Cape Chaunar** ، أو **رأس أورسـيغ Cap Uarsig**، أو **رأس نـون Cape Nun**: رأس علـى سـاحل المحيـط الأطلسـي مـن أفريقيـا، فـي جنـوب المغـرب، بيـن ترفيـا وسـيدي إفنـي. بحلـول القـرن الخامـس عشـر، اعتبـره العـرب والأوروبيـون مكانـاً لا يمكـن بلوغـه، مـا أدى إلـى تسـميته بالـرأس «لا» باللغـة البرتغاليـة. رأس تشـونار هـو الحد السـاحلي الشـمالي الحقيقـي للصحـراء، وبسـبب وقوعـه بالقـرب مـن رأس بوجـادور، غالبـاً مـا يطلـق عليـه هـذا الاسـم بالخطـأ.

(12) **ماديرا Madeira**: أرخبيل برتغالي يقع في شمال المحيط الأطلسي، جنوب غرب البرتغال.

(13) **جـواو غونسـالفيز زاركـو João Gonsalvez Zarco** (1390– 21 نوفمبـر 1471م): كان مُستكشـفاً ومُسـتعمراً برتغاليـاً، اهتـم بالمسـتوطنات وأنشـأها فـي جـزر ماديـرا، وعيّـن أول قبطـان بفونشـال مـن قبـل هنـري المـلاح.

(14) **جزيـرة بورتـو سـانتو Porto Santo**: جزيـرة برتغاليـة فـي المحيـط الأطلسـي غـرب أوروبـا وأفريقيـا، تقـع فـي أقصـى الشـمال الشـرقي مـن أرخبيـل ماديـرا، وتبعـد عنـه 43 كلـم (27 ميـلاً) شـمال شـرق جزيـرة ماديـرا.

(15) **الـرأس برانكـو Cape Branco** ويُعـرف أيضـاً باسـم **بونتـا دو سيكسـاس Ponta do Seixas**: هـو رأس علـى سـاحل المحيـط الأطلسـي مـن ولايـة باراييـا، شـرق البرازيـل، يشـكل النقطـة الشـرقية للقـارات الأمريكيـة، علـى بعـد حوالـي 8 كلـم (5 أميـال) جنـوب شـرق جـواو بيسـوا، عاصمـة الولايـة.

(16) **نونـو تريسـتاو Nuno Tristão** (1446): مُستكشـف ومُسـتعمر برتغالـي، وتاجـر رقيـق، عـاش فـي القـرن الخامـس عشـر، وكان يُعتقـد تقليديـاً أنـه أول أوروبـي يصـل إلـى منطقـة غينيـا حتـى غينيـا بيسـاو، حيـث بـدأت بيـن البرتغـال وشـعوب تلـك المنطقـة علاقـة تجاريـة واسـتعمارية اسـتمرت حتـى العـام 1974 (لكـن المؤرخيـن الأكثـر حداثـة يعتقـدون أنـه لـم يتجـاوز نهـر غامبيـا).

(17) **ألڤيـز كاداموسـتو Cadamosto Alves** أو **ألڤيـد دا كادا موسـتو Alvide da Ca› da Mosto** (1432– 18 يوليـو 1488م): تاجـر رقيـق ومُستكشـف ومُسـتعمر إيطالـي، كان قـد اسـتؤجر مـن قبـل الأميـر البرتغالـي هنـري المـلاح، وأجـرى رحلتيـن معروفتيـن إلـى غـرب أفريقيـا بيـن العاميـن 1455م و 1456م، يرافقـه الكابتـن أنطونيوتـو أوسـوديمار. يرجـع الفضـل إلـى كاداموسـتو ورفاقـه فـي اكتشـاف جـزر الـرأس الأخضـر والنقـاط الواقعـة علـى طـول سـاحل غينيـا، مـن نهـر غامبيـا إلـى نهـر جيبـا (فـي غينيـا بيسـاو)، وهـي أكبـر قفـزة فـي اكتشـافات هنـري، منـذ العـام 1446م. روايـات رحلـة كاداموسـتو، بمـا فـي ذلـك ملاحظاتـه التفصيليـة لمجتمعـات غـرب أفريقيـا، أثبتـت قيمـةً لا تقـدر بثمـن للمؤرخيـن.

(18) **نهـر غامبيـا Gambia** : مـن أهـم الأنهـار فـي أفريقيـا عمومـاً، وفـي شـمال غـرب القـارة خصوصـاً، حيـث يمتـد النهـر لمسـافة 1130 كلـم (700 ميـل) مـن منبعـه فـي هضبـة فوتـا جالـو الواقعـة فـي شـمال غـرب غينيـا، ليصـب فـي المحيـط الأطلسـي عنـد مدينـة بانجـول، عاصمـة غامبيـا.

(19) **ديوغـو غوميـز Diogo Gomez** (1420– 1500م): مـلاح ومستكشـف وكاتـب برتغالـي. كان ديوغـو غوميـز خادمـاً ومستكشـفاً للأميـر البرتغالـي هنـري المـلاح، وقـد أملـى مذكراتـه فـي وقـت متأخـر مـن حياتـه لمارتـن بهيـم، وهـي روايـة لا تقـدر بثمـن (إن لـم تكـن متناقضـة أحيانـاً) للاكتشـافات البرتغاليـة تحـت رعايـة الأميـر هنـري المـلاح، وأحـد المصـادر الرئيسـة

التـي اسـتخدمها المؤرخـون. قـام ديوغـو باستكشـاف نهـر غامبيـا وصعـوده، وباكتشـاف بعـض جـزر الـرأس الأخضـر.

(20) **بورتولانـوس portulanos** مـن اللفـظ اللاتينـي «**بورتـوس**» ، وتعنـي «**الميناء**» أو **بورتولانـو**: هـي مخططـات بحريـة أوروبيـة قديمـة، أو رسـوم بيانيـة بحريـة، أمكـن معهـا اسـتخدام البوصلـة، ويعـود تاريخهـا إلـى القـرون الثالـث عشـر والرابـع عشـر والخامـس عشـر، كانـت وظيفتهـا توفيـر الاتجاهـات والمسـافات التقريبيـة بيـن الموانـئ الأوروبيـة والأفريقيـة الكبـرى.

(21) **فـرا مـاورو Fra Mauro** (توفـي 1464م): هـو رسّـام خرائـط إيطالـي عـاش فـي جمهوريـة ڤينيسـيا (البندقيـة)، كـوّن خريطـةً أكثـر تفصيـلاً ودقـةً للعالـم حتـى ذلـك الوقـت، تسـمى بخريطـة فـرا مـاورو.

(22) **فرنانـدو دي بـو Fernando de Poo**، المعـروف أيضـاً باسـم **فيرنـاو بـو Fernão Pó**: مـلاح ومُستكشـف ومُسـتعمر برتغالـي، قـام باستكشـاف سـاحل غـرب أفريقيـا فـي القـرن الخامـس عشـر. اكتشـف جـزراً فـي خليـج غينيـا حوالـي العـام 1472م، واحـدة منهـا كانـت تحمـل اسـمه حتـى منتصـف التسـعينيات، وتسـمى اليـوم بيوكـو، وهـي جـزء مـن غينيـا الاسـتوائية. كمـا أطلـق اسـمه علـى أماكـن أخـرى فـي الكاميـرون المجـاورة: قريـة فيرنانـدو بـو، البرتغـال؛ وقريـة فرنانـدو بـو. لا يعـرف عـن سـيرته وحياتـه سـوى القليـل، وكان مـن بيـن عـدد مـن الملاحيـن الذيـن استكشـفوا خليـج غينيـا خـلال تلـك الفتـرة، نيابـةً عـن الملـك ألفونسـو الخامـس البرتغالـي. يعتبـر فيرنانـدو بـو أول مستكشـف أوروبـي يكتشـف السـاحل الجنوبـي الغربـي لأفريقيـا، وقبلـه اعتقـد الأوروبيـون أن أفريقيـا جزيـرة كبيـرة.

(23) **بيـدرو دي إسـكوبار Pedro de Escobar**، المعـروف أيضـاً باسـم **بيـرو إسـكوبار Pêro Escobar**: مـلاح ومُسـتعمر برتغالـي فـي القـرن الخامـس عشـر، اكتشـف سـاو تومـي (21 ديسـمبر 1471م)، وأنوبـون (1 ينايـر 1472م)، وبرينسـيبي (17 ينايـر 1472م). تـم اختيـاره للإبحـار مـع ديوغـو كاو فـي رحلتـه الأولـى العـام 1482م، وكذلـك كقبطـان للسـفينة بيريـو الشـهيرة، فـي أول بعثـةٍ لڤاسـكو دا غامـا العـام 1497م، للإبحـار مباشـرةً مـن أوروبـا إلـى الهنـد. وكان أيضـاً فـي رحلـة اكتشـاف بيـدرو ألفاريـس كابـرال للبرازيـل العـام 1500م.

(24) **بـادراوز padraos**: هـو عبـارة عـن صليـب حجـري كبيـر مـدرج، مـع معطـف مـن الأسـلحة البرتغاليـة التـي كانـت توضـع كجـزء للادعـاء بملكيـة الأرض مـن قبـل العديـد مـن المستكشـفين البرتغالييـن، خـلال العصـر البرتغالـي للاكتشـاف. ومـن المستكشـفين البارزيـن المعروفيـن الذيـن اشـتهروا بنصبهـا: ديوغـو كاو، بارتولوميـو ديـاز، ڤاسـكو دا غامـا و ألفاريـس.

(25) **ديغـو كام Diego Cam**، المعـروف أيضـاً باسـم **ديوغـو كاو Diogo Cão**: مُستكشـف ومُسـتعمر برتغالـي، وواحـد مـن أبـرز الملاحيـن فـي عصـر الاكتشـاف. قـام برحلتيـن بالإبحـار علـى طـول السـاحل الغربـي لأفريقيـا، فـي ثمانينيـات القـرن الخامـس عشـر،

واستكشـف نهـر الكونغـو وسـواحل أنغـولا وناميبيـا الحاليـة.

(26) **نهـر الكونغـو The Congo River**: ثانـي أطـول نهـر فـي أفريقيـا، بعـد النيـل، وثانـي أكبـر نهـر فـي العالـم مـن حيـث حجـم تصريـف الميـاه (بعـد الأمـازون)، وأعمـق نهـر فـي العالـم بأعمـاقٍ مقاسـة تتجـاوز 220 متـراً (720 قدمـاً). يبلـغ طـول نهـر الكونغـو- تشامبشـي حوالـي 4700 كلـم (2،920 ميـلاً)، مـا يجعلـه تاسـع أطـول نهـر، ويقـاس طـول نهـر الكونغـو- إلـى جانـب نهـر لولابـا- بـ 4،370 كلـم (2،715 ميـلاً)، وهـو يعبـر خـط الاسـتواء مرتيـن، ويبلـغ مجمـوع مسـاحة حـوض الكونغـو حوالـي 4 ملاييـن كلـم2، أي 13 ٪ مـن مسـاحة اليابسـة الأفريقيـة بكاملهـا.

(27) **مارتـن بيهايـم Martin Behaim** (6 أكتوبـر 1459- 29 يوليـو 1507م): بحّـار وفنـان وكوزموغرافـي وفلكـي وفيلسـوف وجُغرافـي ألمانـي، ومُستكشـف فـي خدمـة الملـك جـون الثانـي. كانـت خرائطـه مؤثـرة فـي عصـر الاكتشـاف، وهـو أقـدم عالـم أنتجتـه مدينـة نورمبـرغ الإمبراطوريـة.

(28) **بارثولوميـو ديـاز Bartholomew Diaz** (1450- 29 مايـو 1500م): مُستكشـف ومُسـتعمر برتغالـي، ونبيـل مـن العائلـة الملكيـة البرتغاليـة. أبحـر حـول الطـرف الجنوبـي مـن أفريقيـا فـي العـام 1488م، ووصـل إلـى المحيـط الهنـدي مـن المحيـط الأطلسـي، وهـو أول أوروبـي يفعـل هـذا.

(29) **بيـدرو دي كوفيلهـام Pedro di Covilham**، ويُكتـب فـي بعـض الأحيـان **بيـرو دي كوفيلهـاو Pero de Covilhão** (1460 - بعـد 1526م)، كان دبلوماسـياً ومُستكشـفاً برتغاليـاً، وهـو مواطن مـن كوفيلهـا، فـي بيـرا. فـي حياتـه المبكـرة ذهـب إلـى قشـتالة ودخـل فـي خدمـة دون خـوان دي غوزمـان، شـقيق إنريـك دي غوزمـان، دوق المدينـة الثانيـة سيدونيا. وفـي وقـتٍ لاحـق، عندمـا اندلعـت الحـرب بيـن قشـتالة والبرتغـال، عـاد إلـى بلـده، وعمـل أولاً كسـائس، ثـم كمرافـق لألفونسـو الخامـس البرتغالـي وخليفتـه جـون الثانـي البرتغالـي.

(30) **أفّونسـو دي بايبـا Affonso de Payba** ويُكتـب أيضـاً **أفونسـو بايڤـا Afonso Paiva** (1490 أو 1491م): مُستكشـف ومُسـتعمر برتغالـي، كان فـي خدمـة الملـك جـواو الثانـي الـذي أرسـله فـي العـام 1487م كرفيـق لبيـدرو دي كوفيلهـام، فـي رحلـةٍ خفيـة إلـى الشـرق، لجمـع المعلومـات عـن الطـرق التجاريـة. توفـي أفونسـو بالطاعـون فـي مـكانٍ مـا مـن إثيوبيـا، بعـد عاميـن ونصـف العـام، دون أن يكـون قـادراً علـى إرسـال تقاريـر عـن حملتـه. كان بيـدرو دي كوفيلهـام أكثـر حظـاً وأكمـل المهمـة، بالرغـم مـن أنـه لـم يعـد إلـى البرتغـال.

(31) **سـوفالا Sofala**: معروفـةٌ فـي الوقـت الحاضـر باسـم **نوڤـا سـوفالا**، كانـت الميـناء البحـري الرئيـس لمملكـة موينموتابـا التـي كانـت عاصمتهـا فـي جبـل فـورا، وهـي تقـع علـى ضاحيـة سـوفالا، فـي مقاطعـة سـوفالا- الموزامبيـق. أسسـها تجـار أفريقيـا والمحيـط الهنـدي المرتبطـون بالريـاح الموسـمية، بمـا فـي ذلـك التجـار السـواحيليون والصوماليـون والبحـارة.

(32) **جـزر القمـر Islands of the Moon** أو **كومـوروز Comoros**: أرخبيـل مـن الجـزر البركانيـة التـي تقـع قبالـة السـاحل الجنوبـي الشـرقي لأفريقيـا، إلـى الشـرق مـن موزامبيـق وشـمال غـرب مدغشـقر. وتُعـدّ جزيـرة بانـك دو جيسـر وجـزر غلوريوسـو جـزءاً مـن الأرخبيـل.

(33) **مدغشــقر Madagascar**، أو **جمهوريــة مدغشــقر**، الاســم القديــم لهــا الجمهوريــة المالاجاشــية: هــي دولــة جزريــة فــي المحيــط الهنــدي قبالــة الســاحل الجنوبــي الشــرقي لأفريقيــا، والجزيــرة الرئيســة. اســمها أيضــاً مدغشــقر، وهــي رابــع أكبــر جزيــرة فــي العالــم.

(34) **باجة Beja**: مدينة وبلدية في منطقة ألينتيخو- البرتغال.

(35) **لاميجـو Lamejo**: مدينـة وبلديـة فـي فيسـيو، فـي منطقـة نورتـي مـن دورو، شـمال البرتغـال. تقـع علـى ضفـاف نهـر بالسـيماو.

(36) **رأس الرجـاء الصالـح Cape of Good Hope**: هـو رأس صخـري علـى السـاحل الأطلسـي لشـبه جزيـرة كيـب، جنـوب أفريقيـا. مـن المفاهيـم الخاطئـة الشـائعة أن رأس الرجـاء الصالح هـو الطـرف الجنوبـي لأفريقيـا، وكان هـذا الفهـم يسـتند إلـى الاعتقـاد الخاطـئ بـأن الـرأس كان نقطـة الانقسـام بيـن المحيطيـن الأطلسـي والهنـدي.

(37) **جـون الثانـي John II** أو **جـواو الثانـي João II** (3 مـارس 1455- 25 أكتوبـر 1495م): الأميـر المثالـي، ملـك البرتغـال والغـارف (1477/ 1481-1495 م.) وهـو معـروف بإعادتـه تأسـيس قوة العـرش البرتغالـي، وتنشـيط الاقتصـاد البرتغالـي، وتجديـد استكشـاف بـلاده لأفريقيـا والشـرق.

(38) **مانويــل الأول Manuel I** أو **إيمانويــل Emmanuel** (31 مايــو 1469- 13 ديســمبر 1521م): الملقـب بالسـعيد، ملـك البرتغـال والغـارف، كان ابـن فردينانـد، دوق فيسـيو، مـن زوجتـه إنفانتـا بياتريـس مـن البرتغـال. يرتبـط اسـمه بفتـرة حضـارة برتغاليـة تميـزت بإنجـازاتٍ هامـة فـي الشـؤون السياسـية والفنـون. بالرغـم مـن صغـر حجمهـا وعـدد سـكانها، ومقارنـةً بالقـوى البريـة الكبـرى فـي أوروبـا، تمكنـت البرتغـال- خـلال عهـد مانويـل- مـن الحصـول علـى إمبراطوريـة فـي الخـارج ذات أبعـادٍ كبيـرة، نتيجـة اهتمـام هـذا الملـك بحركـة الاكتشـاف الجغرافـي.

(39) **ڤاســكو دا جامــا Vasco da Gama** (1460 – 24 ديســمبر 1524م): مُستكشـف ومُسـتعمر برتغالـي، وأول أوروبـي يصـل إلـى الهنـد عـن طريـق البحـر. كانـت رحلتـه الأولـى إلـى الهنـد فـي الفتـرة مـن 1497 إلـى 1499م، وهـو أول مـن ربـط أوروبـا وآسـيا بطريـق المحيـط، وربـط بيـن المحيـط الأطلسـي والمحيـط الهنـدي، وبالتالـي ربـط بيـن الغـرب والشـرق. اكتشـاف دا جامـا للطريـق البحـري إلـى الهنـد كان إنجـازاً كبيـراً، وفتـح الطريـق أمـام عصـر الإمبرياليـة العالميـة والبرتغالييـن لإنشـاء إمبراطوريـة اسـتعمارية طويلـة الأمـد فـي آسـيا.

(40) **سـانت هيلانـة أو سـانت هيلينـا : Saint Helena** جزيـرة تقـع فـي المحيـط الأطلسـي، تابعـة لبريطانيـا. سـميت نسـبة إلـى القديسـة هيلينـا، وتتميـز بأنهـا جزيـرة بركانيـة.

(41) **موزامبيــق Mozambique**: رســمياً جمهوريــة موزمبيــق، وهــي دولــة فــي جنــوب شــرق

أفريقيـا، يحدّهـا المحيـط الهنـدي مـن الشـرق، تنزانيـا مـن الشـمال، مـلاوي وزامبيـا مـن الشـمال الغربـي، زيمبابـوي مـن الغـرب، سـوازيلاند وجنـوب أفريقيا مـن الجنـوب الغربـي، وتفصلهـا قنـاة موزامبيـق عـن مدغشـقر مـن الشـرق. عاصمتهـا وأكبـر مدنهـا هـي مابوتـو (المعروفـة باسـم «لورينسـو ماركيـس» قبـل الاسـتقلال).

(42) **جزيـرة كيلـوا Quiloa**، وتُعـرف **بكيلـوا كيسـواني Kilwa Kisiwani**: تقـع علـى السـاحل الشـرقي لأفريقيـا، علـى المحيـط الهنـدي، وتتبـع لجمهوريـة تنزانيـا. يفصـل الجزيـرة عـن بقيـة الأرض التنزانيـة مضيـقٌ بحـريّ عرضـه 3 كلـم. هاجـر العـرب إلـى مدينـة كيلـوا منـذ العصـر الأمـوي، واسـتوطنوها وتـردَّدوا عليهـا للتجـارة بالبضائـع بيـن شـبه الجزيـرة العربيـة وشـرق أفريقيـا، وخالطـوا سـكانها الأصلييـن وتعلَّمـوا لغتهـم، مـا أدى إلـى نشـر اللغـة العربيـة التـي تحـوَّرت لاحقـاً إلـى السـواحيلية، وإلـى انتشـار الديـن الإسـلامي بيـن أهـل المدينـة. ومـع توافـد العـرب المستمر، أخـذت المدينـة فـي الازدهـار والتطـور، وأصبحـت مـن أعظـم مرافـئ شـرق أفريقيـا. تـم اعتمـاد كيلـوا كيسـيواني مـن قبـل اليونسـكو، كموقـعٍ للتـراث العالمـي.

(43) **مومباسـا Mombasa**: مدينـة علـى سـاحل كينيـا، وثانـي أكبـر مدينـة فـي البـلاد، بعـد العاصمـة نيروبـي، وهـي مركـز سـياحي إقليمـي هـام. تقـع مومباسـا علـى المحيـط الهنـدي علـى السـاحل الشـرقي لكينيـا ومقاطعـة مومباسـا ومقاطعـة السـاحل السـابقة، مـا جعلهـا مركـزاً تجاريـاً تاريخيـاً، ولقـد خضعـت لسـيطرة العديـد مـن البلـدان، بسـبب موقعهـا الاسـتراتيجي.

(44) **ميلينـدي Melinde**، وليـس كمـا ذكرهـا المؤلـف (Melinda)، وتسـمى أيضـاً مالينـدي Malindi: مدينـة كينيـة تقـع فـي خليـج ميلينـدي، علـى مصـب نهـر غالانـا، علـى سـاحل المحيـط الهنـدي، وهـي عاصمـة منطقـة ميلينـدي، وتقـع علـى بعـد 120 كلـم مـن مومباسـا.

(45) **ماليمـو كانـا Malemo Cana**: هـو اسـم المـلاح المسـلم الذي سـاعد ڤاسـكو دا غامـا للوصول إلـى الهنـد، بـدءاً مـن ميلينـدي، وعـاش بيـن القرنين الخامس عشـر والسـادس عشـر.

(46) **جوزيـرات Guzerat**، أو **غوجـارات Gujarat**: ولايـة فـي غـرب الهنـد، تبلـغ مسـاحتها 196،024 كلـم2 (75،685 ميـلاً مربعـاً) مـع خـط سـاحلي يبلـغ طولـه 1،600 كلـم (990 ميـلاً)، ومعظمهـا يقـع فـي شـبه جزيـرة كاثيـاوار. تحدّهـا ولايـة راجسـتان مـن الشـمال، ماهاراشـترا مـن الجنـوب، ماديـا براديـش مـن الشـرق، وبحـر العـرب ومقاطعـة السـند الباكسـتانية مـن الغـرب. عاصمتهـا غانديناغـار، فـي حيـن أن أكبـر مدنهـا هـي أحمـد آبـاد. غوجـارات هـي المـكان الأصلـي للشـعب الناطـق باللغـة الغوجاراتيـة فـي الهنـد.

(47) **سـاموثيري الكاليكوتـي Zamorin of Calicut**: هـو **زاموريـن كاليكـوت**. الزاموريـن هـو اللقـب الملكـي الوراثـي الـذي اسـتخدمه حـكام الهنـد فـي مملكـة القـرون الوسـطى (كوزيـه كـود أو كاليكـوت)، علـى سـاحل مالابـار (كيـرالا حاليـاً)، وهـي واحـدة مـن المراكـز

التجاريـة الأكثـر أهميـةً فـي جنـوب الهنـد.

(48) **جيرولامـو بريولـي Girolamo Priuli** (1476–1547م): نبيـل ومـؤرخ ڤينيسـي، تجنّـب مسـؤوليات الحيـاة العامـة، لكنـه احتفـظ بمذكـراتٍ شـخصية مفصلـة: يوميـات جيرولامـو بريولـي هـي مـن المصـادر الخاصـة الأوليـة لتاريـخ جمهوريـة البندقيـة، خـلال النصـف الثانـي مـن القـرن الخامـس عشـر والنصـف الأول مـن القـرن السـادس عشـر، العصـر الذهبـي للبندقيـة.

(49) **بيـدرو ألڤاريـز كابـرال Pedro Álvarez Cabral** (1467 أو 1468– 1520م): نبيـل برتغالـي، وقائـد عسـكري ومـلاح ومُسـتعمر ومُستكشـف، يعتبـر مكتشـف البرازيـل. قـام كابـرال بـأول استكشـافٍ كبيـر للسـاحل الشـمالي الشـرقي لأمريـكا الجنوبيـة، وادعـى ملكيتـه باسـم البرتغـال، فـي حيـن أن تفاصيـل حيـاة كابـرال المبكـرة غيـر واضحـة، والمعـروف فقـط أنـه جـاء مـن عائلـةٍ نبيلـة، وحصـل علـى تعليـمٍ جيـد. تـمّ تعيينـه لرئاسـة بعثـةٍ استكشـافية إلـى الهنـد، فـي العـام 1500م، فـي أعقـاب طريـق ڤاسـكو دا غامـا الـذي افتتحـه حـول أفريقيـا؛ وكان الهـدف مـن الرحلـة العـودة بالتوابـل القيّمـة، وإنشـاء علاقـاتٍ تجاريـة فـي الهنـد، لتجـاوز احتـكار تجـارة التوابـل التـي كانـت فـي أيـدي التجـار العـرب والتـرك والإيطالييـن. يعتبـر كابـرال أول قبطـان يلمـس أربـع قـارات، مـا أدى إلـى الحملـة الأولـى التـي وحـدت أوروبـا وأفريقيـا وأمريـكا وآسـيا.

(50) **سـانتا كـروز Santa Cruz**: مدينـة علـى سـاحل وسـط كاليفورنيـا. قبـل وصـول الجنـود الإسـبان والمبشـرين والمسـتعمرين، فـي أواخـر القـرن الثامـن عشـر، كانـت مقاطعـة سـانتا كـروز موطنـاً للأواسـواس الأصلييـن؛ فـي حيـن غالبـاً مـا تُسـتخدم سـانتا كـروز لوصـف السـكان الأصلييـن فـي المنطقـة، وهـو اسـمٌ معمّـم للجماعـات المتنوعـة الكثيـرة التـي عاشـت فـي المنطقـة الممتـدّة مـن سـان فرانسيسـكو إلـى خليـج مونتيـري. وفـي وقـتٍ سـابق، كان يشـار إلـى هـذه القبائـل المتنوعـة والعديـدة فـي هـذه المنطقـة قبـل الإسـبان بــ «ككواسـتانوان».

(51) **ڤيسـنتي يانيـز بينـزون Vicente Yanez Pinzon** (1462–1514م): مـلاح ومُستكشـف ومُسـتعمر إسـباني، شـارك فـي اكتشـاف أمريـكا، وهـو أول الملاحيـن الأوروبييـن الذيـن وصلـوا إلـى البرازيـل، والأصغـر سـناً مـن بيـن الإخـوة بينـزون. أبحـر مـع كريسـتوفر كولومبـوس فـي رحلتـه الأولـى إلـى العالـم الجديـد، فـي العـام 1492م، كمـا كان قبطـان المركـب الشـراعي النينـا. اكتشـف سـواحل الطـرف الشـمالي مـن البرازيـل، فـي كانـون الثانـي 1500م، قبـل ثلاثـة أشـهر مـن وصـول بيـدرو ألڤاريـز كابـرال إليهـا.

(52) **جزيـرة أسينشـون Ascension Island**، أو **جزيـرة الصعـود**: جزيـرة بركانيـة معزولـة، 7° 56 (جنـوب خـط الاسـتواء فـي جنـوب المحيـط الأطلسـي. تبعـد حوالـي 1600 كلـم عن سـاحل أفريقيـا، و 2250 كلـم (1،400 ميـل) عـن سـاحل البرازيـل، وهـي فـي منتصـف الطريـق تقريبـاً

بيـن قـرن أمريـكا الجنوبيـة وأفريقيـا.

(53) **جــزر سيشــيل Seychelles**: رســمياً جمهوريــة سيشــيل، وهــي أرخبيــل وبلــد فــي المحيـط الهنـدي. دولــة واقعــة فــي 115 جزيــرة، عاصمتهــا فيكتوريــا، وتقــع علــى بعــد 1500 كلــم شــرق البــرّ الرئيــس لشــرق أفريقيــا.

(54) **جــزر تريســتان دا كونــا Tristan da Cunha**: مجموعــة أرخبيــلات مــن الجــزر البعيــدة فــي جنــوب المحيــط الأطلســي، تبعــد 2816 كلــم (1750 ميــلاً) عــن جنــوب أفريقيــا، و3360 كلـم (2088 ميـلاً) عـن أمريـكا الجنوبيـة، وتعتبـر هـذه الجـزر تابعـة لإقليـم مـا وراء البحـار سـانت هيلينـا البريطانيـة، والتـي تبعـد عنهـا 2173 كلـم (1350 ميـلاً) إلـى الشـمال، ويتكـون الإقليـم مـن الجزيـرة الرئيسـة التـي سـميت تريسـتان دا كونـا، ويبلـغ طولهـا مـن الشـمال إلـى الجنـوب 27 , 11 كلـم (00 , 7 ميـل).

(55) **فرانسيســكو دي ألميــدا Francisco de Almeida**، المعــروف أيضــاً باســم «**فرانسيســكو العظيــم**» (1450–1 مـارس 1510م): نبيـل وجنـدي ومُسـتعمر ومُستكشـف برتغالـي، ميـز نفسـه كمستشــارٍ للملــك يوحنــا الثانــي، أثنــاء الحــروب ضــد المغاربــة وفتــح غرناطــة فــي العــام 1492م. فـي العـام 1505م، تـمّ تعيينـه أول حاكـم ونائـب للملـك فـي ولايـة الهنـد البرتغاليـة. يرجـع الفضـل إلـى ألميـدا فـي تكريـس الهيمنـة البرتغاليـة فـي المحيـط الهنـدي، مـع انتصـاره فـي معركـة ديـو البحريـة العـام 1509م. قبـل أن يعـود ألميـدا إلـى البرتغـال، فقـد حياتـه فـي العـام 1510م، كمـا قتـل ابنـه لورينسـو دي ألميـدا فـي فـراكاس، مـن قبـل السـكان المحليين.

(56) **أفونســو دي ألبوكيــرك Affonso de Albuquerque**، وينطــق اســمه أحيانــاً **ألفونصــو** (1453 – 16 ديسـمبر 1515م): جنـرال ومُسـتعمر برتغالـي، ملقـب بــ«الفاتـح الكبيـر»؛ رجـل دولـة، وبانــي الإمبراطوريــة. قــدّم أفونســو الخطــة البرتغاليــة الكبــرى الثلاثيــة لمكافحــة الإســلام ونشـر المسـيحية وتأميـن تجـارة التوابـل، مـن خـلال تأسـيس إمبراطوريـة آسـيوية برتغاليـة. مــن إنجازاتــه أنــه كان أول أوروبــي مــن عصــر النهضــة يعبــر الخليــج العربــي، ويقــود أول رحلــة مــن قبــل أســطول أوروبــي فــي البحــر الأحمــر. تعتبــر أعمالــه العســكرية والإداريــة عمومــاً مــن بيــن أكثــر الأعمــال حيويــةً لبنــاء وتأميــن الإمبراطوريــة البرتغاليــة فــي الشــرق، والشـرق الأوسـط، وطـرق التوابـل بأوقيانوسـا الشـرقية.

(57) **ســلطنة ملقــا Malacca**: ســلطنة ملاويــة، بــات مركزهــا يعــرف بــ ملقــا، ماليزيــا، تأسّســت فــي العــام 1400م تقريبــاً، مــن قبــل الســلطان باراميســوارا الــذي كان يعــرف أيضــاً باســم إســكندر شــاه.

(58) **ســليم الأول Selim I** (1470– 1520م): مـن سـلاطين الإمبراطوريـة العثمانيـة، مـن 1512 إلـى 1520م. تميّـز حكمـه بالتوسـع الهائـل فـي الإمبراطوريـة، ولا سـيما غـزوه السـلطنة المملوكية بكاملهـا، بيـن العاميـن 1516م و 1517م، بمـا فـي ذلـك بـلاد الشـام والحجـاز وتهامـة ومصـر نفسـها. عشـية وفاتـه العـام 1520م، امتـدت الإمبراطوريـة العثمانيـة حوالـي 576،900 ميـل مربـع (1،494،000 كلـم2)، بعدمـا نمـت بنسـبة سـبعين فـي المائـة خـلال حكمـه.

(59) **فرنانـدو ماجـلان** : بالبرتغاليـة **Fernão de Magalhães** بالإسـبانية **Fernando de Magallanes** (واردة فـي النـص **Magellan**) (1480م تقريبـاً– 27 أبريـل 1521م): رحالـة ومُستكشـف برتغالـي، ولـد فـي سـبروزا، شـمال البرتغـال، ثـم حصـل بعـد ذلـك علـى الهوية الإسـبانية، نتيجـة خدمتـه الملـك الإسـباني كارلـوس الخامـس فـي الإبحـار غربـاً، بحثـاً عـن طريـقٍ إلـى جـزر التوابـل، وهـي جـزر الملـوك فـي إندونيسـيا.

(60) **البابـا ألكسـندر السـادس Alexander VI** (1 ينايـر 1431– 18 أغسـطس 1503م): كان البابـا مـن 11 أغسـطس 1492م حتـى وفاتـه، وهـو أحـد البابـاوات الأكثـر إثـارةً للجـدل فـي عصـر النهضـة، ويرجـع ذلـك إلـى اعترافـه بأنـه أبٌ للعديـد مـن الأبنـاء، مـن عشـيقته.

(61) **جــزر الآزور Azores**: رسـمياً تعتبـر آزور مـن المناطـق المتمتعـة بالحكـم الذاتـي فـي البرتغـال، وهـي أرخبيـلٌ يتكـون مـن تسـع جـزر بركانيـة فـي شـمال المحيـط الأطلنطـي، علـى بعـد 1360 كلـم غـرب البرتغـال القاريـة، وحوالـي 1،643 كلـم (1،021 ميـلاً) غـرب لشـبونة، فـي البرتغـال القاريـة، ويبعـد حوالـي 1507 كلـم (936 ميـلاً) مـن السـاحل الأفريقي، وحوالـي 1،925 كلـم (1،196 ميـلاً) جنـوب شـرق نيـو فاونـد لانـد– كنـدا.

(62) **بطليـوس Badajos** أو **باداخـوز Badajoz**: عاصمـة مقاطعـة باداخـوز، فـي الحكـم الذاتـي مـن إكسـتريمادورا– إسـبانيا، وتقـع بالقـرب مـن الحـدود البرتغاليـة، علـى الضفـة اليسـرى لنهـر غواديانـا.

(63) **تشــارلز الخامــس Charles V** (24 فبرايـر 1500– 21 سـبتمبر 1558م): كان حاكمـاً للإمبراطوريـة الإسـبانية، جَمَـع تحـت حكمـه أراضـي واسـعة فـي غـرب ووسـط وجنـوب أوروبـا، والمسـتعمرات الإسـبانية فـي الأمريكيتيـن وآسـيا؛ ونتيجـةً لذلـك، امتـدت مجالاتـه إلـى مـا يشـمل أربعـة ملاييـن كلـم2، وكان أول مـن وصفهـا بأنهـا «الإمبراطوريـة التـي لا تحدّهـا الشـمس أبـداً».

(64) **فيليـب الثانـي Philip II** (21 مايـو 1527– 13 سـبتمبر 1598م): أطلـق عليـه اسـم «**الحكيـم**». كان ملـك إسـبانيا فـي الفتـرة مـن 1556 إلـى 1598م، وشـملت إمبراطوريتـه الأراضـي فـي كلّ قـارة، بمـا فـي ذلـك تلـك المسـماة علـى اسـمه الفيليبيـن. خـلال فتـرة حكمـه، وصلـت إسـبانيا إلـى ذروة نفوذهـا وقوتهـا، ويسـمى عصـره هـذا أحيانـا بالعصـر الذهبـي، وقـد صيـغ التعبيـر القائـل: «الإمبراطوريـة التـي لا تحدّهـا الشـمس أبـداً» خـلال زمـن حكـم فيليـب، ليعكـس مـدى هيمنتـه.

الفصل السابع

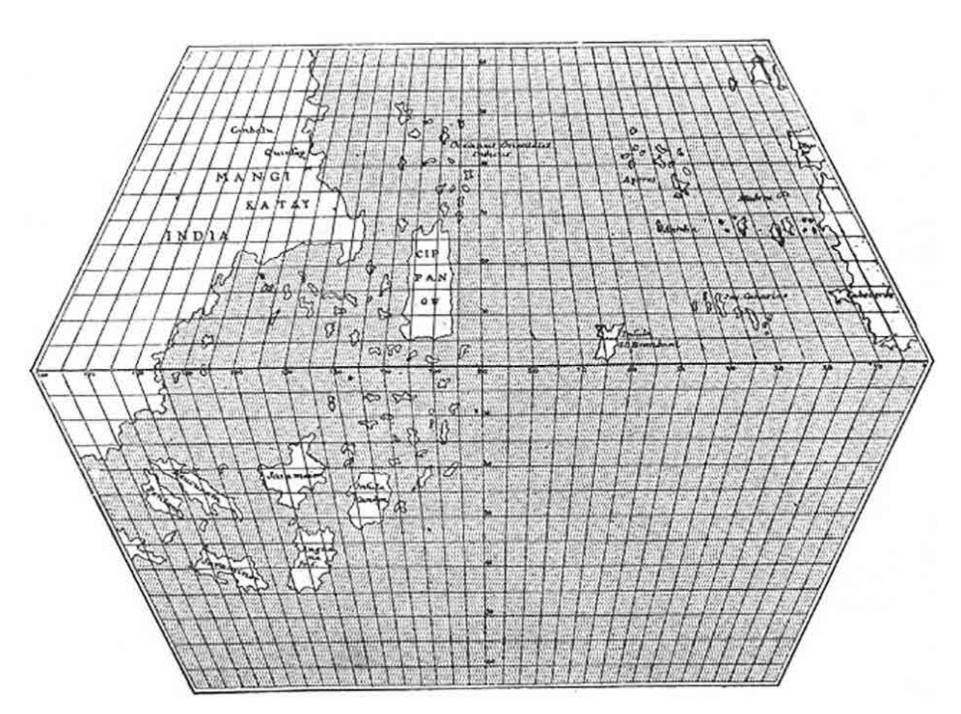
إلى جزر الهند غرباً - الطريق الإسبانية
كولومبوس وماجلان



فـي حيـن كـرّس البرتغاليـون- بثبـاتٍ بطـيء- مـا يقـرب مـن قـرنٍ لتنفيـذ فكـرة الأميـر هنـري للوصـول إلـى جـزر الهنـد بالطريـق الشـرقي، فـإنّ فكـرةً بسـيطة، لكنهـا جريئـة، اسـتولى عليهـا بحـارٌ جنـوي، كان يهـدف إلـى تحقيـق الغـرض نفسـه بالإبحـار غربـاً. وكمـا رأينـا،كان القدمـاء قـد اعترفـوا بتكـوّر جسـم الأرض، وكان (إراتوسـثينيس) قـد اعتـرف بإمكانيـة الوصـول إلـى الهنـد عـن طريـق الإبحـار غربـاً، لكـنّ بعـض التقاليـد المعيّنـة لليونانييـن والإيرلندييـن وضعـت الجـزر الغامضـة بعيـداً إلـى الغـرب فـي المحيـط الأطلسـي، وكان الفيلسـوف العظيـم (أفلاطـون Plato)[1] قـد تخيّـل بـلاداً اسـمها (أطلنطـس Atlantis)[2]، بعيـداً فـي المحيـط الهنـدي، حيثُمـا تجهـز الرجـال مـع كل الهدايـا مـن الطبيعـة. آراء القدمـاء هذه جذبـت الأنظـار وأثارت انتبـاه المتعلميـن، إثـر اختـراع الطباعـة وإحيـاء العلـوم، عندمـا بـدأت الروائـع اليونانيـة التـي يمكـن الوصـول إليهـا باللغـة اللاتينيـة بالظهـور، وبصـورةٍ رئيسـة مـن قِبـل الإغريـق الهاربيـن مـن القسـطنطينية التـي اسـتولى عليهـا الأتـراك فـي العـام (1453ميـلادي)؛ ولقـد طُبِعَـت جغرافيـة (بطليمـوس) فـي رومـا فـي العـام (1462ميـلادي)، ومـع الخرائـط فـي العـام (1478ميـلادي). ولكـن حتـى مـن دون خرائـط، فـإنّ الحسـاب الـذي كان قـد أُدلـي بـه عـن طـول العالـم المعـروف، يميـل إلـى تقصيـر المسـافة بيـن البرتغـال وأقصـى الهنـد بحوالـي (2500 ميـلاً). ومنـذ ذلـك الوقـت، أضافـت رحـلات ماركـو بولـو إلـى أوروبـا معرفـة المـدى الواسـع مـن (كاثـاي) والجـزر البعيـدة مـن زيبانغـو (اليابـان)، مـا مـن شـأنه أن يُقلّـل المسـافة مـرة ثانيـة بــ (1500ميـل). كمـا كان لـدى الجغرافييـن اليونانييـن- إلـى حـدٍّ مـا- اعتقـادٌ غيـر كافٍ عـن

الاستدارة الكاملة للكرة الأرضية، وبالتالي كان يبدو لهم أنّ زيبانغو لم تكن تبعد أكثر من (4000 ميل) إلى الغرب من البرتغال، كما اعتبروا أنّ جزر الآزور لن تكون أبعد من ذلك بكثير خارج الساحل مما كانت عليه في الحقيقة، لذا قد يبدو من السهل، بالنسبة إلى عقلٍ مُتحمّسٍ، أن يتمّ الوصول إلى بلاد الهند الأبعد عند اجتياز (3000 ميل) من المحيط.

كانت هذه هي الفكرة التي سيطرت على عقل كريستوفر كولومبوس الذي ولد في جنوة، العام (1446ميلادي)، من أبوين متواضعين، وكان والده يعمل حائكاً. ويبدو أنه قد حصل على المعرفة الكافية التي تُمكّنه من دراسة أعمال السابقين والقدماء في الترجمات اللاتينية. لكنه، في سنواته الأولى، كرّس اهتمامه للحصول على المعرفة العملية في الملاحة



خريطة توسكانيللي (المُرَمَّمَة)

البحرية. وفي عصره، كما سبق أن رأينا، كانت البرتغال مركزاً للمعرفة الجغرافية، وكان هو وشقيقه (بارتولوميو Bartolomeo)[(3)]، وبعد رحلاتٍ عدة إلى الشمال والجنوب، قد استقرا أخيراً في (لشبونة Lisbon)[(4)]، شقيقه كصانعٍ للخرائط، وهو كبحّارٍ عمليّ. وكان ذلك حوالي العام (1473ميلادي)، وبعد ذلك بوقتٍ قصيرٍ تزوّج من ابنة الحاكم المحليّ (فيليبا مونيز Felipa Moñiz)[(5)] ابنة (بارتولوميو بيرستريلّو Bartolomeo Perestrello)[(6)]، وهو إيطالي في خدمة ملك البرتغال، وكان لبعض الوقت محافظاً لمدينة ماديرا.

في تلك الأثناء، صودف أن انتشرت شائعةٌ في البرتغال، مفادها أنّ فيلسوفاً إيطالياً، اسمه (توسكانيللي Toscanelli)[(7)]، قد طرح وجهات نظره الخاصة بإمكانية القيام برحلةٍ بحريةٍ غربيةٍ إلى كاثاي، أو الصين؛ وكان الملك البرتغالي، خلال ذلك، قد عيَّن الراهب (مارتينيز Martinez)[(8)]، وخصَّصَه لمعرفة وجهاتِ النظر التي طرحها توسكانيللي، والتي أعطيت في رسالةٍ مؤرخة بتاريخ 25 يونيو/ حزيران (1474ميلادي). ويبدو أنّ كولومبوس، وبشكلٍ مستقل تماماً، قد سمع كولومبوس بهذه الشائعة، وتقدّم إلى توسكانيللي، في ردّه على رسالته كرجل أعمالٍ جيد، حيث اختصر جوابه بإعطائه نسخةً من الرسالة التي كان قد كتبها لمارتينيز مؤخراً، والتي كانت أكثر أهميةً وأكثر فائدةً. أرسل توسكانيللي عرضاً لخريطةٍ تُظهر ساعات (أو درجات) المسافة المحتملة بين إسبانيا وكاثي غرباً، مع إضافة المعلومات التي قدّمها ماركو بولو عن وجهات النظر غير الصحيحة لبطليموس حول اتساع العالم المسكون، فخفّض توسكانيللي المسافة من جزر الآزور إلى 52°، أو (3120 ميلاً). وغالباً ما أعرب كولومبوس عن امتنانه لخريطة توسكانيللي ولحسن توجيهها؛ وكما سنرى، فلقد اعتمد عليها بشكلٍ وثيقٍ للغاية، سواء في القيادة، أم في تقدير المسافة التي يتعيّن عليه اجتيازها. وللأسف فُقِدَت هذه الخريطة،

غيـر أنّـه- مـع قائمـة المواقـع الجغرافيـة، ومـع خطـوط الطـول والعـرض التـي تأسّسـت عليهـا- فـإنّ الجغرافييـن الحديثيـن قـادرون علـى اسـتعادتها فـي بعـض التفاصيـل، وقـد أمكـن إدراج رسـمٍ مُبَسَّـط لهـا هنـا، كأعظـم وثيقـةٍ هامـة فـي مسـيرة كولومبـوس.

بالتأكيـد، سـواء أكانـت لديـه فكـرة الوصـول إلـى الهنـد عـن طريـق الرحلـة غربـاً أم لا، فهـو علـى كل حـالٍ قـد تبنّـى وجهات نظـر لتوسـكانيللي بـكل حماسـة، وكَرَّسَ حياتـه كلّهـا منـذ تلـك المرحلـة فصاعـداً لمحاولـة تحملّهـا فـي هـذه العملية.

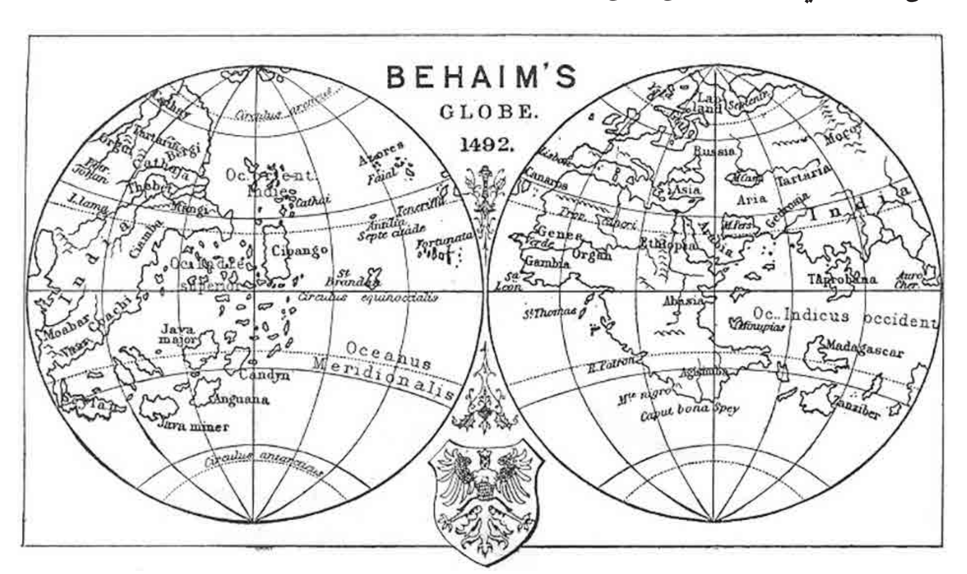
قـام كولومبـوس بجمـع كلّ المعلومـات التـي يمكنـه أن يحصـل عليهـا حـول الجـزر الأسـطورية فـي المحيـط الأطلسـي، وجزيـرة القديـس (برانـدن Brandan)[9]، حيـث وجـد القديـس الإيرلنـدي أنّ جميـع الموتـى سـعداء، وجزيـرة (أنتيـلا Antilla)[10] المتخيّلـة مـن قِبَـل الآخريـن، بمدنهـا السـبع، فجَمَـع كلّ القيـل والقـال ممـا كان يسـمعه عـن الجثـث الغامضـة المطروحـة أرضـاً علـى جـزر الكنـاري، وعـن جنسٍ مـن الرجـال غيـر المعروفيـن لأوروبا، مـن خـلال قصبـة خيـزران ضخمـة وُجـدت علـى شـواطئ الجـزر ذاتهـا، ومـن الواضـح أنّـه قـد تـمّ نحتهـا مـن قبـل رجـالٍ مهـرة. ومـا يبعـث علـى الغرابـة هـو أنّ هـذه القطـع كانـت مـن الأدلّـة التـي تقابـل بشـكلٍ منطقـيّ كينونـة وجود طريـقٍ غربـيّ إلـى جـزر الهنـد مـن عدمـه، لأنّهـا تشـير إلـى وجـود جنـسٍ غيـر معـروف. ولكـن، بالنسـبة إلـى عقـلٍ متحمّـسٍ مثـل كولومبـوس، فـإن أيّ شـيءٍ سـوف يسـاعده فـي تأكيـد فكرتـه الثابتـة، وبالتالـي، يسـتطيع دائمـاً الإجابـة بـأنّ هـذه العلامـات الماديـة كانـت مـن الجزيـرة المجهولـة «زيبانغـو» التـي كان ماركـو بولـو قـد وصفهـا قائـلاً أنّهـا تقـع علـى مسـافةٍ مـن شـواطِئ كاثـاي.

قـام كولومبـوس أولاً بالتقـرب مـن الملـك البرتغالـي الـذي كان يقيـم فـي أرضـه، والـذي كانـت سياسـته التقليديـة موجهـةً إلـى الاستكشـاف البحـريّ. لكـنّ الملـك البرتغالـي كان- علـى مـدى نصـف قـرن- قـد اتَّبَـعَ طريقـةً أخـرى

للوصـول إلـى الهنـد، وكان لا يميـل إلـى تنـاول فكـرةٍ مبتكـرة مـن شـخصٍ غريـب، مـن شـأنه أن يغيّـر مـن اسـتمرار سياسـتهم القائمـة منـذ فتـرة طويلـة علـى الإبحـار بمحـاذاة السـواحل السـفلية لأفريقيـا. فـي أيـة حـالٍ، أعطيـت لـه جلسـة اسـتماع، لكـن التقريـر كان غيـر مناسـب، وكان لا بـدّ لكولومبـوس مـن تحويـل أنظـاره إلـى مـكانٍ آخـر. كان ثمـة تقليـدٌ بـأنّ العاهـل البرتغالـي ومستشـاريه يعتقـدون أنّ لديهـم المزيـد مـن الأفـكار، أكثـر ممـا يملـك كولومبـوس فـي البدايـة، وحاولـوا سـرّاً وضعهـا موضـع التنفيـذ، لكـن الرُّبّـان الـذي عهـدوا إليـه بقيـادة الرحلـة المقترحـة فَقَـد شـجاعته، بمجـرّد أن تـوارت الأرض عـن أنظـاره، وعـاد بحكـمٍ سـلبيّ علـى مخطـط الرحلـة. ومـن غيـر المعـروف مـا إذا كان هـذا الأمـر قـدْ تسـبّب فـي إحبـاط كولومبوس، حين سـمع بـه، لكننـا نجـده فـي العـام (1487 ميـلادي) يحـاول الحصـول علـى المسـاعدة مـن البـلاط الإسـباني، ومنـذ ذلـك الوقـت، وعلـى مـدى السـنوات الخمـس التاليـة، كان منهمـكاً فـي محاولتـه حـثّ الملـك الكاثوليكـي فـي إسـبانيا، (فردينانـد Ferdinand)[11] و(إيزابيـلا Isabella)[12]، السَّـماح لـه بتنفيـذ خطتـه المبتكـرة للوصـول إلـى جـزر الهنـد؛ لكـنّ العمليـات النهائيـة لطـرد المغاربـة مـن إسـبانيا كانـت قـد اسـتحوذت علـى كلّ اهتمامهـم الإسـبان واسـتهلكت جميـع رؤوس أموالهـم، فعـاد كولومبـوس مـن جديـد إلـى الشـعور باليـأس، وكان علـى وشـك التخلّـي عـن كلّ أمـلٍ بالنجـاح فـي إسـبانيا، عندمـا قـدّم أحـد المموليـن الكبـار، وهـو يهـودي تحَـوَّل إلـى المسـيحية، يدعـى (لويـس دي سـانتاغول Luis de Santaguel)[13]، عرضـاً لإيجـاد وسـائل للرحلـة، فتـمّ اسـتدعاء كولومبـوس.

فـي التاسـع عشـر مـن أبريل/ نيسـان (1492ميـلادي)، تـمّ توقيـع البنـود التـي اسـتلمها كولومبـوس مـن الملـوك الإسـبان، وسـندات ملكيـة الأدميـرال ونائـب الملـك لجميـع الأراضـي التـي قـد تُكتشـف، وكذلـك حقّهـم بالعُشْـر مـن الجزيـة التـي تُجنـى منهـا. ويـوم الجمعـة فـي الثالـث مـن أغسـطس/

آب، مـن العـام نفسـه، أبحـر كولومبـوس فـي ثـلاث سـفن، هـي (سـانتا ماريـا Santa Maria) (سـفينة القائـد)، و(البنتـا Pinta)، و(نينـا Nina)، وانطلـق مـن مينـاء (بالـوس Palos)[14]. بدايـة الرحلـة كانـت الإبحـار إلـى جـزر (الكنـاري Canary)[15] التـي غادرهـا فـي السـادس مـن سـبتمبر/ أيلـول، وقـاد سـفنه باتجـاه الغـرب. فـي الثالـث عشـر مـن ذلـك الشـهر، لاحـظ كولومبـوس أن إبرة البوصلـة تشـير إلـى الشـمال مباشـرةً، وبالتالـي لفـت انتباهـه تغيّـر اتجاههـا. قبـل الحـادي والعشـرين مـن سـبتمبر/ أيلـول، تمـرّد رجالـه وحاولـوا إجبـاره



كرة «بيهايم» الجغرافية 1492م.

علـى العـودة، لكنـه أقنعهـم بالاسـتمرار. وبعـد أربعـة أيـام سُـمِعَتْ صيحـةٌ تقـول: «اليابسـة.. اليابسـة»! أبقـت الجميـع فـى حالـةٍ معنويـةٍ مرتفعـة لأيـامٍ عـدّة؛ وفـي الأول مـن أكتوبـر/ تشـرين الأول، شُـوهِدت أعـدادٌ كبيـرة مـن الطيـور. خـلال ذلـك الوقـت، كان كولومبـوس قـد حسـب أنـه قطـع مسـافة (710 فرسـخاً) مـن جـزر الكنـاري؛ وإذا كانـت زيبانغـو تقـع فـي ذلـك الموقـع الـذي أشـارت إليـه خريطـة توسـكانيللي، فإنـه يجـب أن يكـون قريبـاً منهـا، إذ كان يُحسـب فـي تلـك الأيـام أنّـه يمكـن للسـفينة أن تقطـع أربـع عُقَـد فـي

الساعة، في المتوسط، وكحسابٍ تقديريّ، ما من شأنه أن يعطي مسافة حوالي (100 ميل) في اليوم، وبالتالي فإنّ كولومبوس اعتقد أنه تجاوز أكثر من (3100 ميل) التي كان يظنّ أنها المسافة الواقعة بين جزر الآزور واليابان؛ والمقدّرة بحوالي ثلاثةٍ وثلاثين يوماً. الأيام الأولى من أكتوبر جعلت كولومبوس يحتفظ بشجاعته أكثر، مع رؤيته الإشارات المختلفة التي تدلّ على اقترابه من اليابسة، وهي الطيور البرية وفروع الأشجار، بينما- في الحادي عشر من أكتوبر/ تشرين الأول- وعند غروب الشمس، بدؤوا بقياس العمق، ووجدوا القاع؛ وعند الساعة العاشرة، كان كولومبوس يجلس في مؤخرة سفينته حين رأى نوراً، وهي أول إشارةٍ مؤكدة على قرب اليابسة، بعد خمسةٍ وثلاثين يوماً، وبصورةٍ تقريبية توازي تقديرات كولومبوس الذي تأكد له انطباعٌ بأنه كان يقترب من الأرض الغامضة زيبانغو. صباح اليوم التالي، هبطوا على جزيرةٍ سُمّيت من قِبل مواطنيها باسم (غواناهاين Guanahain)، وأطلق عليها كولومبوس اسم (سان سلڤادور San Salvador)[16]، وقد جرت تسميتها لاحقاً بجزيرة (واتلينغ Watling)، وكان أول استفسارٍ له هو عن مصدر تلك الصفائح الذهبية الصغيرة التي رآها في آذان المواطنين، فأجابوه بأنهم جلبوها من الغرب، وهنا تأكد له انطباعٌ آخر، وهو الإبحار باتجاه الغرب، فوصلوا إلى (كوبا Cuba)[17]، وبعد ذلك حلّوا في (هاييتي Hayti)[18] (سانت دومينغو St.Domingo)... لكنّ السفينة (سانتا ماريا) غرقت، وصمّم كولومبوس على العودة، لينقل الأخبار الجيدة، بعدما ترك بعض رجاله داخل حصنٍ في هاييتي، وجُعلت رحلة العودة في السفينة (نينا) بأقصر وقت حتى جزر الآزور، ولكن بعد ذلك ظهرت العواصف الشديدة؛ وفي الخامس عشر من مارس/ آذار من العام (1493ميلادي)، كان كولومبوس قد وصل إلى ميناء (بالوس)، بعد غيابٍ دام سبعة أشهر ونصف الشهر، حيث كان الجميع يعتقدون أنه وسفنه قد اختفوا.

بطبيعة الحال، جرى استقباله بحماسةٍ كبيرة من قبل الإسبان، وبعد دخوله بشكلٍ رسميّ إلى (برشلونة)، قدّم لفرديناند وإيزابيلا خزائن الذهب والتحف التي جلبها معه من بعض مواطني تلك الجزر التي زارها.. ومن هنا بدؤوا على الفور بتجهيز أسطولٍ أكبر بكثير، يتكوّن من سبع سفن بدأت رحلتها من ميناء (كاديز Cadiz)[19]، في الخامس والعشرين من سبتمبر/ أيلول العام (1493ميلادي)، وأخذت مساراً أبعد باتجاه الجنوب، ولكن كولومبوس وصل مرةً أخرى إلى الجزر التي تُعرف حالياً باسم جزر الهند الغربية. وأثناء زيارته هاييتي، وجد أنّ الحصن الذي تركه قد جرى تدميره، ولا وجود لأيّ أثرٍ لرجاله الذين تركهم فيه. هنا نجد أنه من غير المجدي أن نسهب في سرد تلك المشاحنات البائسة التي وقعت بسبب هذه الحادثة ورحلات كولومبوس اللاحقة، والتي أدت لعودته إلى إسبانيا مهاناً ومكبلاً بالسلاسل، والأجدى بنا فقط أن نقول : إنَّه في رحلته الثالثة، في العام (1498ميلادي)- مَرَّ على (ترينيداد Trinidad)[20]، وشاهد سواحل أمريكا الجنوبية التي كان من المفترض أن تكون منطقة الجنة الأرضية، والتي كانت قد وُضِعَت بخرائط العصور الوسطى في أقصى الشرق من العالم القديم. وفي رحلته الرابعة، العام (1502ميلادي)، رسا على البرّ الرئيس، وأبحر بمحاذاة الساحل على طول شواطئ أمريكا الوسطى، بالقرب من (بنما Panama)[21]. وبعد الكثير من خيبات الأمل، مات كولومبوس في 20 مايو/ أيار (1506ميلادي)، في بلدة (ڤالدوليد Valladolid)[22]، مُعتقداً، بقدر ما يمكننا الحكم على ذلك حتى يوم وفاته، أنّ ما اكتشفه هو كان الطريق الغربيّ إلى الهند، بالرغم من أن شاهد قبره الفاخر يشير إلى العكس من ذلك :

«إلى قشتالة وإلى ليون»

« كولون(*) قدّم عالماً جديداً»

(*) كان الاسم الإسباني لـ «**كولومبوس**» هو «**كريستوڤال كولون**» (**المؤلف**).

حتى ذلك اليوم، يبدو خطؤه الذي احتفظ به كشيءٍ مُقَدَّس في الاسم الذي أعطيناه لجزر الأنتيل الواقعة باتجاه الريح، بأنها هي (جزر الهند الغربية)، وبكلماتٍ أخرى: فإنّ الجزر التي وصلوا إليها بالطريق المتجه غرباً، لم تكن جزر الهند، في كلّ الأحوال، بل كانت تقع في أقصى الشرق منها.

حتى ولو كان كولومبوس قد اكتشف طريقاً جديداً إلى الهند البعيدة، فهو لا يستطيع - كما مرّ ذكره، أن يدَّعي أيّ حقٍّ له في أنّه أول من بدأ هذه الفكرة، حتى في التفاصيل، والتي كان قد اتخذها من توسكانيللي. لكنّ دعواه الحقيقية هي في كونه أعظم وأول من تجاسر على عبور البحار المجهولة دون أن يبحر بالملاحة الساحلية بمحاذاة اليابسة، وكانت سابقته هذه هي السبب المباشر لجميع الاكتشافات الرائعة التي تلت رحلاته السابقة. كما رأينا، فإنّ كلّاً من ڤاسكو دا جاما وكابرال قد ابتعدا عن الطريق الساحلي البطيء، وكانوا بتلك الوسائل قادرين، بنحوٍ كامل، على تنفيذ أفكار الأمير هنري. ولكن، بينما استغرقت الطريقة البرتغالية، بالإبحار بمحاذاة الساحل، ما يقرب من قرنٍ للوصول إلى رأس الرجاء الصالح، فإنّها احتاجت ثلاثين عاماً من مغامرة كولومبوس الأولى الإبحار حول العالم كله.

كان الهدف الأول لخلفائه هو التأكد بمزيدٍ من الوضوح مما إذا كان كولومبوس قد اكتشفه. فمباشرةً بعد رحلة كولومبوس الثالثة، في العام (1498ميلادي)، وبعد أنباء عن مرور ڤاسكو دا غاما الناجح إلى جزر الهند، بات من الضروري اكتشاف مضيقٍ ما يقود من «جزر الهند الغربية» إلى الهند نفسها، فقام رجلٌ إسبانيّ نبيل، اسمه (أوخيدا Hojeda)[23]، كان قد جهّز حملةً على نفقته الخاصة، ومعه مُرشدٌ إيطاليّ يُدعى (أمريكو ڤسبوتشي Amerigo Vespucci)[24]، للإبحار على متن السفينة، وحاول مرةً أخرى العثور على مضيقٍ يؤدّي إلى الهند قرب (ترينيداد). بطبيعة الحال

لـم ينجحـا، لكنهمـا أبحـرا علـى طـول السـاحل، وهبطـا علـى السـاحل الشـمالي لأمريـكا الجنوبيـة، ونتيجـة بعض التشـابه، أسـمياه بـ (ليتـل ڤينيـس Little Venice) (ڤنزويـلا Venezuela)[25]. وفـي العـام التالـي، كمـا رأينـا، ومتابعـة لفاسـكو دا جامـا، عثـر كابـرال علـى البرازيـل، والتـي انتهـت إلـى أن تكـون ضمـن «دائـرة النفـوذ» البرتغالـيّ، علـى النحـو الـذي حـدّده خـط ترسـيم الحـدود.

ولكـن، بعـد الأشـهر الثلاثـة السـابقة لرسـوّ كابـرال علـى سـاحل البرازيـل، كان أحـد رفـاق كولومبـوس فـي رحلتـه الأولـى، وهـو (ڤيسـنت يانيز بينـزون)، قـد رَسـا علـى سـاحل البرازيـل، ثمانـي درجـات إلـى الجنـوب مـن الخـط، ومـن هنـاك شـقّ طريقـه باتجـاه الشـمال، سـعياً إلـى الحصـول علـى الممـرّ الـذي مـن شـأنه أن يـؤدّي إلـى جـزر الهنـد الغربيـة، فاكتشـف مصـب نهـر (الأمـازون Amazon)[26]، لكنـه فَقَـد اثنتيـن مـن سـفنه، وعـاد إلـى ميناء بالوس الـذي وصلـه فـي سـبتمبر مـن العـام (1500ميـلادي).

خلـق اكتشـاف قـارةٍ مجهولـة وغيـر معروفـة حتـى الآن جنـوب الخـط اهتمامـاً كبيـراً. وبعـد فتـرةٍ وجيـزة مـن عـودة كابـرال، أُرسـل أمريكـو ڤسبوتشـي فـي العـام (1501ميـلادي) مـن قِبـل ملـك البرتغـال، كرُبَّـان للأسـطول الـذي وجـب عليـه استكشـاف الأراضـي الجديـدة التـي اكتشـفها كابـرال، ومطالبتهـا باسـم التـاج البرتغالـي، وكانـت تعليماتـه التأكـد مـن مقـدار مـا كان يقـع ضمـن خـط ترسـيم الحـدود. وصـل ڤسبوتشـي إلـى السـاحل البرازيلـي فـي (كيـب سـانت روكـي Cape St.Roque)[27]، ثـم استكشـفه كلّـه بدقّـة، وصـولاً إلـى نهـر (لابلاتـا La Plata)[28] الـذي كان يقـع بعيـداً جـداً لأن يكـون ضمـن المجـال البرتغالـي. اندفـع أمريكـو ورفاقـه نحـو الجنـوب الشـرقي، حتـى وصلـوا إلـى جزيـرة (سـانت جورجيـا St.Georgia)[29]، (1200 ميـلاً) إلـى الشـرق مـن الـرأس (كيـب هـورن Cape Horn)[30]، حيـث اقتادتهمـا البـرودة والجليـد العائـم إلـى الـوراء، فعـادوا إلـى لشـبونة، بعـد أن ذهبـوا أبعـد مايكـون جنوبـاً، وفقـاً لعصرهـم.


أمريكو ڤسبوتشي

رحلة أمريكو هذه ألقت ضوءاً جديداً على طبيعة هذا الاكتشاف الذي أدلى به كولومبوس، فبينما كان يعتقد أنه قد اكتشف طريقاً إلى الهند، ووصل إلى أبعد من الهند، أظهر أميركو ورفاقه وجود أرضٍ لم تكن معروفةً، تداخلت بين اكتشافات كولومبوس وجزر التوابل المطلوبة منذ فترةٍ طويلة، على أبعد من الهند. في وصف اكتشافاته، يقول أمريكو أنهم غامروا إلى حدٍّ أوحى بأنهم شكلوا عالماً جديداً. كما أشار بروفيسور ألماني، يُدعى (مارتن والدزيمولر Martin Waldseemüller)[31]، الذي كتب مقدّمةً لعلم أوصاف الكون في العام (1506ميلادي)، تضمّنت تقريراً لاكتشافات أمريكو، إلى أنّ هذا العالم الجديد ينبغي أن يُسمّى من بعده بـ (أميريكا AMERICA)، بعد مماثلته بآسيا وأفريقيا وأوروبا. ولفترةٍ طويلة، كانت القارة التي نعرفها اليوم باسم أمريكا الجنوبية، تُسمّى - ببساطة - بالعالم الجديد، وكان من المفترض أن تُضمّ إلى الساحل الشرقي لآسيا. في بعض الأحيان، استعمل اسم أمريكا بشكلٍ غير مناسبٍ تماماً، منذ أن كانت رحلة أمريكو التي ترسخت قطعاً في تلك الأراضي الجديدة التي تمّ اكتشافها في الواقع بواسطة الطريق الغربي. وعندما جرى التأكد كذلك من أنّ ارتباط هذه الأرض الجديدة لم يكن بآسيا، ولكن بقارةٍ أخرى كبيرة مثلها، تميّزت كلتا الأرضين الجديدتين بأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية.

فـي أيـة حـالٍ، كان قـد اتضـح مـن اكتشـاف أمريكـو أنّ الطريـق غربـاً إلـى جـزر التوابـل يجـب أن يكـون مـن خـلال، أو الـدوران حـول هـذا العالـم الجديـد الـذي اكتشـفه رجـلٌ برتغالـيّ نبيـل، اسـمه فرنانـدو ماجـلان، كان مقدّراً لـه اكتشـاف العمليـة الممكنـة لهـذا الطريـق، وكان قـد خـدم فـي موطنـه الأم تحـت القائـد (ألميـدا) والنبيـل (ألبوكيـرك)، فـي جـزر الهنـد الشـرقية، وكان حاضـراً عندمـا تـمّ الاسـتيلاء علـى (ملقـا) فـي العـام (1511ميـلادي). ومـن ذلـك المينـاء، بُعِـثَ مـن قِبـل ألبوكيـرك بثـلاث سـفنٍ، لزيـارة جـزر التوابـل المشـهورة البعيـدة، فقامـوا بزيـارة جزيـرة أمبويانـا وجـزر (بانـدا Banda)[32]، وتعلّمـوا مـا يكفـي عـن وفـرة ورخـص التوابـل فـي الجـزر، وأدركـوا أهميتهـا. ولكـن، تحـت إشـراف ألبوكيـرك الـذي أرسـلهم كبعثـةٍ استكشـافية فقـط، وعـادوا إليـه تاركينهـا وراءهـم، علـى أيـة حـال، كان واحـدٌ مـن أعظـم أصدقـاء ماجـلان، هـو (فرانسيسـكو سـيرّاو Francisco Serrao)[33] الـذي اسـتقرّ فـي جزيـرة تيرنيـت، يقـوم مـن وقـتٍ لآخـر بإرسـال تقاريـر متوهجـة عـن (جـزر الملـوك Moluccas)[34] إلـى صديقـه ماجـلان. وفـي غضـون ذلـك، عـاد إلـى البرتغـال، وكان قـد وُظّـف علـى رحلـةٍ استكشـافية إلـى المغـرب. فـي أيـة حال، لـم يكـن يلقـى معاملـةً حسـنة مـن قِبـل العاهـل البرتغالـيّ، وصمّـم علـى تركـه والخدمـة عنـد الملـك الإسـبانيّ تشـارلز الخامـس، بالرغـم مـن أنـه وضـع عليـه شـرطاً لدخولـه فـي خدمتـه، هـو أنّـه ينبغـي عليـه ألا يقـوم بـأيّ اكتشـافاتٍ داخـل حـدود ملـك البرتغـال، أو بـأيّ شـيءٍ مـن شـأنه أن يمـس مصالحـه.

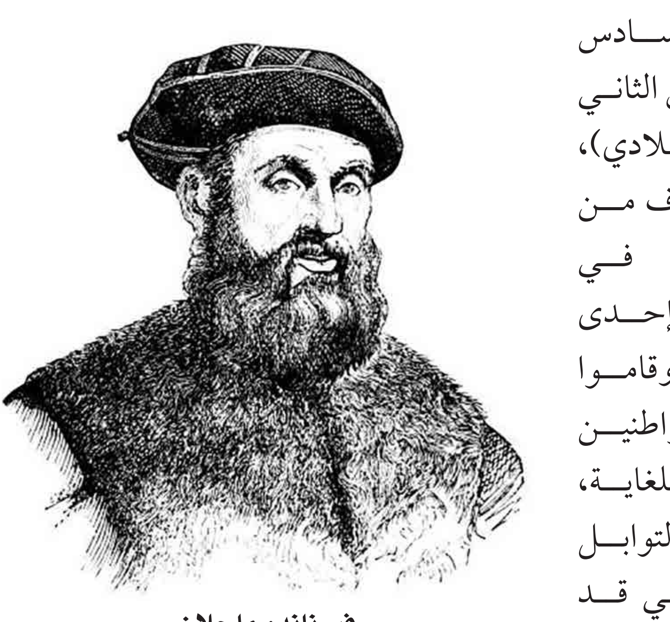
كان ذلـك فـي العـام (1517ميـلادي)، ومضـت سـنتان قبـل أن يبـدأ ماجـلان رحلتـه الشـهيرة، فقـد صَـوَّرَ للإمبراطـور أنـه مقتنـعٌ بوجـود المضيـق الـذي مـن شـأنه أن يـؤدّي إلـى المحيـط الهنـدي، إلـى أبعـد مـن عالـم أمريكـو ڤسبوتشـي الجديـد وجـزر التوابـل التـي كانـت وراء خـط ترسـيم الحـدود وداخـل مجـال النفـوذ الإسـباني. ثمـة بعـض الأدلـة علـى أنّ السـفن التجاريـة الإسـبانية التـي تداولـت التجـارة بشـكلٍ سـرّيٍّ، للحصـول علـى الخشـب البرازيلـي، قـد

شاهدت بالفعل ذلك المضيق الذي أُطْلِقَ عليه في ما بعد اسم مضيق ماجلان؛ ومن المؤكد أنّ هذا المضيق قد تمّ عرضه على (كرة شونر السماوية Schoner's globes)[35] بتاريخ (1515ميلادي) و(1520ميلادي)، في وقتٍ سابقٍ لاكتشاف ماجلان له. كانت البرتغال تُدرك تماماً المخاطر التي تُهدّد احتكارها لتجارة التوابل- والتي ترسخت بشدة- بسبب وجود فرانسيسكو سيرّاو في تيرنيت، وفَعَلَت كلّ ما في وسعها لثني الإمبراطور تشارلز من إرسال تلك البعثة المهدِّدة لها، لافتةً إلى أنها ستنظر إلى السماح بالبدء بتلك الرحلة الاستكشافية باعتباره عملاً غير ودّيّ. وبالرغم من هذا، استمرّ الإمبراطور في ذلك المشروع، ويوم الثلاثاء، الموافق لتاريخ 20 سبتمبر/ أيلول من العام (1519ميلادي)، انطلق أسطولٌ من خمس سفن، هي: ترينيداد، وسانت أنطونيو، وكونسيبسيون، وڤيكتوريا، وسانت ياغو، تحرسها مجموعةٌ غير متجانسة من الإسبان، والبرتغاليين، والباسك، والجنويين، والصقليين، والفرنسيين، والفلمنكيين، والألمان، واليونانيين، والنابوليين، والكورفيين، والزنوج، والملاويين، وإنجليزيّ واحد هو (السيد «أندرو Andrew» من مدينة بريستول Bristol)[36]، انطلقوا من إشبيلية ليبدؤوا بأهمّ رحلةٍ استكشافية لم يسبق لها مثيل. كانت الكراهية بين الإسبان والبرتغاليين كبيرةً لدرجة أنّ السخط اندلع بينهم منذ البداية تقريباً. وبعد مصبّ نهر لابلاتا الذي تمّ استكشافه بعناية، للتأكد مما إذا لم يكن هو بالفعل بداية ممرٍّ يعبر إلى العالم الجديد، اندلع تمرّدٌ في الثاني من أبريل/ نيسان من العام (1520ميلادي)، في ميناء (سانت جوليان St.Julian)[37]، حيث كانوا قد صمّموا على القيام به في فصل الشتاء. ولا ريب في أنّه- في هذا الوقت -كان البحارة يدركون أنّ وقت المواسم قد انعكس في نصف الكرة الأرضية الجنوبي. أظهر ماجلان حزماً ومهارة كبيرين في مواجهة هذا التمرد، وتعامل مع زعمائه المباشرين ما بين إعدامٍ ونفي. وفي الثامن عشر من أكتوبر/ تشرين الأول استأنف رحلته؛ وفي غضون ذلك، لاحظ عادات وتقاليد السكان

الأصليين الخاصة بهم، من حيث طولهم الهائل، وأغطية أقدامهم غير المألوفة، فأطلق عليهم اسم (الباتاغونيون Patagonians)[38]. في غضون ثلاثة أيام كانوا قد وصلوا إلى مدخل المضيق الذي لا يزال يحمل اسم ماجلان، وبحلول ذلك الوقت، فُقِدت واحدةٌ من السفن، هي سانت ياغو، فبقيت معه أربعٌ فقط من سفنه، هي: ترينيداد، وڤيكتوريا، وكونسيبسيون، وسانت أنطونيو التي بدأت بالمرور عبر المضيق. كان ثمة العديد من التعرجات والانقسامات في المضيق؛ ولدى وصوله إلى أحد المفترقات، بعث ماجلان بالسفينة سانت أنطونيو لاستكشاف ذلك، في حين واصل مساره مع ثلاث سفنٍ أخرى على طول الطريق المباشر. كان قبطان سانت أنطونيو أحد المتمردين السابقين، فأقنع الطاقم بأن يغتنموا هذه الفرصة ليديروا ظهورهم عائدين، ذلك أنه- عندما وصل ماجلان إلى المكان المعيّن للالتقاء به، لم يتمكن من التحقّق من أية أخبار عن السفينة المفقودة التي اتجهت مباشرةً إلى البرتغال. عقد ماجلان العزم على مواصلة بحثه، وقال بتصميم:«سأواصل، حتى لو وصل بي الأمر إلى حدّ أكلِ السيور الجلدية من أشرعة السفينة»، ولقد أمضى ثمانيةً وثلاثين يوماً للعبور من خلال المضيق، وبعد ذلك بأربعة أشهر واصل مساره عبر المحيط الذي، بسبب هدوئه، دعاه باسم (الباسفيكي Pacific) (المحيط الهادِئ). أخذوا مسار الشمال الغربي بطبيعة الحال، وبالتالي، ومن خلال فرصةٍ غريبة، عثروا على بضع جزرٍ صغيرة غير مأهولة طوال رحلتهم بكاملها، من خلال البحر الذي نعرفه الآن تنتشر فيه الجزر المأهولة التي لا حصر لها. وفي السادس من مارس/ آذار من العام (1520ميلادي)، كانوا قد شاهدوا جزر (لادرونز Ladrones)[39]، وحصلوا على المؤنِ التي اشتدت حاجتهم إليها، لكنّ داء الأسقربوط انتشر بينهم بشكلٍ خطير، ومات الرجل الإنجليزي الوحيد على متن السفينة في لادرونز، ومن هناك ذهبوا إلى الجزر المعروفة الآن باسم جزر (الفيليبين

(Philippines)[40]، حيث رحّب بهم أحد الملوك بشكلٍ إيجابيّ للغاية. وكمكافأةٍ له، قام ماجلان بالمشاركة بإحدى نزاعاته المحلية، وسقط في معركةٍ غير متكافئة في جزيرة (ماكتان Mactan)[41]. وفي السابع والعشرين من أبريل/ نيسان من العام (1521ميلادي)، واصلت السفن الثلاث مسارها إلى جزر الملوك، ولكن تبيّن أنّ السفينة كونسيبسيون غير صالحة للإبحار، فاضطروا لسحبها إلى الشاطِئ وإحراقها. وحين وصلوا إلى (بورنيو Borneo)[42]، تمّ تعيين (خوان سيباستيان ديل كانو Juan Sebastian del Cano)[43] قائداً للسفينة فيكتوريا.

أخيراً، في السادس من نوفمبر/ تشرين الثاني من العام (1521 ميلادي)، وصلوا إلى الهدف من رحلتهم، ورسوا في جزيرة تيدور، إحدى جزر الملوك، وقاموا بالمتاجرة مع المواطنين بشروطٍ ميسرة للغاية، وانشغلوا بتحميل التوابل وجوز الطيب التي قد سافروا لأجلها بعيداً إلى هذا الحد؛ لكنهم، عندما حاولوا استئناف رحلتهم عائدين باتجاه الوطن، تبيّن أنّ السفينة ترينيداد غير صالحة للإبحار هي الأخرى، فتقرر أن تنطلق السفينة ڤيكتوريا، بعد هبوب الرياح الموسمية الشرقية الدافعة لها، وهذا ما حصل. وبعد رحلةٍ معتادة حول رأس الرجاء الصالح، وصلت قبالة مرفأ إشبيلية يوم الإثنين



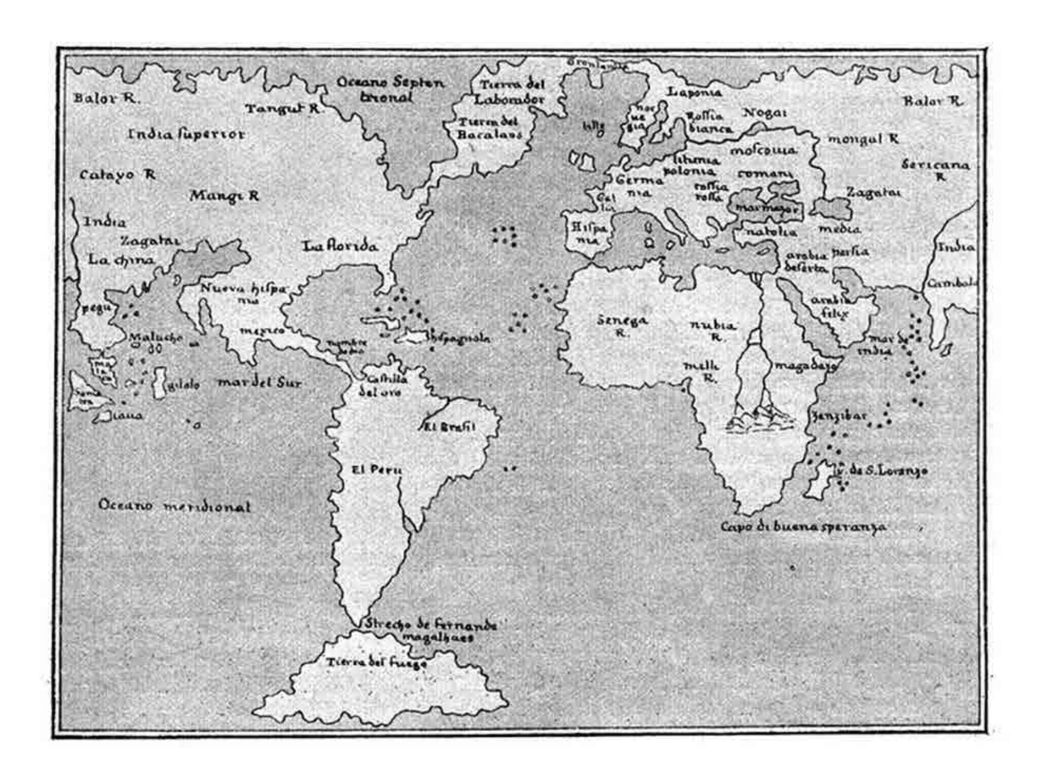
فيرناندو ماجلان

الثامن من شهر سبتمبر/ أيلول من العام (1522ميلادي)، أي بعد ثلاث سنوات إلا اثني عشر يوماً من تاريخ مغادرتها إسبانيا، ومن الرجال المائتين والسبعين الذين كانوا قد بدؤوا رحلتهم مع الأسطول، عاد فقط ثمانية عشر رجلاً على ظهر السفينة ڤيكتوريا. وفقاً لحساب السفينة، كانوا قد وصلوا يوم الأحد السابع، و لبعض الوقت شكّل حساب هذا اليوم لغزاً محيراً، وبالتالي فُقِد.

وفي غضون ذلك، كانت السفينة ترينيداد، التي كانوا قد تركوها وراءهم في جزر الملوك، قد حاولت الإبحار عائدةً إلى بنما، ووصلت كأقصى حدّ إلى 43° شمالاً. وفي مكانٍ ما حوالي خط الطول 175° غرباً، خذلتهم مؤونتهم، وكان لا بد لهم من العودة إلى جزر الملوك، حيث تّم احتجازهم بشكل عمليّ كقراصنة، وعن طريق أسطولٍ من السفن البرتغالية التي أُرسِلَتّ خصيصاً لمنع تدخل الإسبان في احتكار البرتغاليين لتجارة التوابل، تمّ ضبط طاقم ترينيداد وأخذهم أسرى، وفي نهاية المطاف وصل أربعةٌ منهم فقط إلى إسبانيا من جديد، بعد العديد من المغامرات، ويمكن أيضاً إدراج ثلاثة عشر آخرين من ضمن الناجين من الأسطول، كانوا قد نزلوا في جزر كيب دي فيردي من السفينة ڤيكتوريا، بحيث يصبح العدد خمسةً وثلاثين، من أصل مائتين وسبعين من مجموع البحارة الأوائل الذين داروا حول الكرة الأرضية.

تكتسب هذه الرحلة أهميةً فريدة، عندما يُنظر إليها من وجهة نظر الاكتشاف الجغرافي، إذ إنها أثبتت بشكلٍ حاسمٍ مسألة وجود عالمٍ جديدٍ مستقلّ تماماً عن قارة آسيا. وعلى وجه الخصوص، كانت الرحلةً المتأخرة للسفينة ترينيداد (التي قلّ ما لُوحِظَت) قد أظهرت وجود رُقعةٍ واسعة من المحيط شمال خط الاستواء وشرق آسيا، في حين أنّ رحلةً سابقة أظهرت الامتداد الهائل للمحيط إلى الجنوب من خط الاستواء.

وبعـد الجولـة البحريـة للسـفينة ڤيكتوريـا، اتضـح للكوزموغرافييـن أنّ العالـم أكبـر بكثيـر ممـا كان القدمـاء يتصـورون، أو بالأحـرى، يمكـن للمـرء أن يقـول إنَّ آسـيا كانـت أصغـر ممـا كان الكُتَّـاب فـي العصـور الوسـطى يعتقـدون. الإصـرار العنيـد الـذي أبـداه ماجـلان فـي تنفيـذ فكرتـه، أثبـت فـي النهايـة وجهـة نظـره التـي تشـكل إحـدى مبـررات رفعـه إلـى مرتبـةٍ أعظـم مـن كولومبـوس الـذي حملتـه رحلتـه الشـهرية بشـكلٍ تـام ليعتقـد أنـه سـيعثر علـى الأراضـي وفقـاً لخريطـة توسـكانيللي. وبعـد ماجـلانٍ، كمـا سـيتضح لاحقـاً، صـارت الخطـوط السـاحلية للعالـم برُمَّتـه معروفـةً تقريبـاً، باسـتثناء الدائـرة القطبيـة الشـمالية وأسـتراليا.



العالم وفقاً لبطليموس... من العام 1548 م

كان لإمبراطـور مسـروراً بشـكلٍ طبيعـيٍ بنتيجـة الرحلـة، حتـى أنـه منـح ديل كانــو معاشــاً تقاعديــاً، وشــعار النبالــة، كتــذكارٍ لخدماتــه، وكانــت العبــارات المرســومة علــى الهبــة بليغــةً جــداً، وهــي: عــودان مــن القرفــة متقاطــران وموافقــان لشــكل صليــب (ســولتير saltire)[44]، وثــلاث حبــات مــن جــوز الطيـب واثنتـا عشـرة حبـة مـن القرنفـل، وعلـى الـدرع الرئيسـة، صـورة قلعـة، وعلـى قمّتهـا الكـرة الأرضيـة التـي تحمـل شـعاراً مكتوبـةً عليـه العبـارة التاليـة باللاتينية: «أنـت أول مـن قـام بالـدوران حولـي»، ويسـنده تمثـالان، همـا ملـكان ملاويـان متوّجـان، يمسـكان بيديهمـا الأخرييـن جـذع التوابـل الأصلـي. أمـا القلعـة، بطبيعـة الحـال، فترمـز إلـى مدينـة قشـتالة، لكـنّ بقيـة الشـعار ترمـز إلى نعـت هـذه الرحلـة المهمـة كسـببٍ رئيـسٍ للاطمئنـان لزيـارة جـزر التوابـل. وكمـا رأينـا، فـي أيـة حـال، اسـتعاد البرتغاليـون علـى الفـور موقعهـم فـي جـزر الملـوك، بعـد مغـادرة السـفينة ڤيكتوريـا. وبعـد سـبع سـنوات، تخلّـى شـارل الخامـس عـن أيّ ادعـاءاتٍ امتلكهـا عـن طريـق زيـارة ماجـلان.

إلا أنّـه- ولفتـرةٍ طويلـة لاحقـة، كان الإسـبان لا يزالـون يتطلّعـون بعيـون الشــوق إلــى جــزر التوابــل، وكان أفــراد عائلــة (فيوجــر Fuggers)[45]، وهــم مــن كبــار المصرفييــن فــي أوغســبورغ، كانــوا قــد موّلــوا العاهــل الإســباني، قــد حاولــوا طويــلاً الحصــول علــى ملكيــة الـــ (بيــرو Peru)[46]، لهــدفٍ مــن الصعــب إخفــاؤه، وهــو جعلهــا «نقطــة الانطــلاق» التــي يمكــن مــن خلالهــا القيــام بمحاولــةٍ جديــدة للحصــول علــى ملكيــة جــزر الملــوك، وثمــة تطابــقٌ حديــث ســوف يحــدث بــلا شــك لــدى القــارِئ.

وبالتالـي، تميّـزت ثـلاث مراحـل فـي الاكتشـاف المتعاقـب وترسـيم حـدود العالـم الجديـد :

(1) فـي بـادِئ الأمـر، تصـوّر كولومبـوس أنـه قـد وصـل فعـلاً إلـى زيبانغـو أو اليابـان، وأنّـه حقّـق الهـدف مـن رحلتـه.

(2) أمريكو ڤسبوتشي، ومن خلال إبحاره على السواحل السفلية لأمريكا الجنوبية، تأكد من وجود أرضٍ مجهولة ضخمة، تدخل بين اكتشافات كولومبوس وجزر التوابل المطلوبة منذ فترةٍ طويلة.

(3) ماجلان يُثبت هذه الفكرة، بعبوره آلاف الأميال جنوب المحيط الهادِئ، قبل الوصول إلى جزر الملوك.

ولا تزال ثمة المرحلة الرابعة التي اكتشفت تدريجياً، بأن الشمال الغربي لأمريكا لم يكن مرتبطاً بآسيا، إنما تمّ التوصل إلى هذه المرحلة بشكلٍ تدريجيّ، وتحدَّدت أخيراً برحلات كلٍّ من المستكشف بيرينغ والقبطان كوك.

[Authorities: Justin Winsor, Christopher Columbus, 1894; Guillemard, Ferdinand Magellan, 1894].



(هوامش الفصل السابع)

(1) **أفلاطــون Plato** (428/ 427 أو 424/ 423- 348/ 347 ق.م): هــو فيلســوف اليونــان فــي العصــور الكلاســيكية، ومؤســس الأكاديميــة الفلســفية فــي أثينــا، أول مؤسســة للتعليــم العالــي فــي العالــم الغربــي. يُعتبــر علــى نطــاقٍ واســع الشــخصية الأكثــر أهميــةً فــي تطويــر الفلســفة، ولاســيما التقاليــد الغربيــة، بخــلاف غالبيــة معاصريــه الفلاســفة. ويُعتقــد أن أقــدم مخطوطــة موجــودة يعــود تاريخهــا إلــى حوالــي 895 م، أي بعــد 1100 ســنة مــن وفــاة أفلاطــون، مــا يجعــل مــن الصعــب معرفــة مــا إذا كان قــد كتبهــا بنفســه.

(2) **أطلنطــس Atlantis**، أو «جزيــرة أطلــس»: جزيــرة خياليــة ذُكــرت ضمــن روايــة عــن غطرســة الأمــم، فــي أعمــال أفلاطــون: تيمــاوس وكريتيــاس، حيــث تمثــل القــوة البحريــة الخصــم الــذي حاصــر «أثينــا القديمــة». وفــي القصــة، صــدّت أثينــا هجــوم أطلنطــس، بالعكــس مــن أي دولــة أخــرى فــي العالــم الغربــي (المعــروف)، وتختتــم القصــة بســقوط أطلنطــس، بتأييــدٍ مــن الآلهة، وغرقهــا فــي المحيــط الأطلســي. بالرغــم مــن أهميتهــا البســيطة فــي عمــل أفلاطــون، كان لقصة أطلنطــس تأثيــرٌ كبيــر علــى الأدب. تــمّ تنــاول أطلنطــس فــي أعمــالٍ طوباويــة، مــن قبــل العديــد مــن كُتّــاب عصــر النهضــة، ونتيجــةً لذلــك، أصبحــت أطلنطــس كلمــة تــرد فــي المواضيــع التــي تتنــاول دراســة تاريــخ الحضــارات المفقــودة.

(3) **بارتولوميــو كولومبــوس Bartholomew Columbus** (فــي النــص Bartolomeo) (1461م- 1515م): مُستكشــف ومُســتعمر إيطالــي، مــن جنــوة الإيطاليــة، هــو الشــقيق الأصغر لكريســتوفر كولومبــوس. ولــد بارتولوميــو فــي جمهوريــة جنــوة، وكان رســام خرائــط فــي لشــبونة التــي كانــت المركــز الرئيــس لرســم الخرائــط فــي ذلــك الوقــت.

(4) **لشــبونة Lisbon**: العاصمــة وأكبــر مدينــة فــي البرتغــال، وهــي عاصمــة غــرب أوروبــا القاريــة، والوحيــدة علــى طــول ســاحل المحيــط الأطلســي. تقــع فــي شــبه الجزيــرة الآيبيريــة الغربيــة، علــى المحيــط الأطلســي ونهــر تاغــوس.

(5) **فيليبــا مونيز بيريســتريلو (في النــص Filipa Moniz Perestrelo (Moñiz** (1455 م- 1484م): نبيلــة برتغاليــة مــن جزيــرة بورتــو ســانتو، فــي ماديــرا- البرتغــال، وهــي زوجــة كريســتوفر كولومبــوس الــذي تزوجهــا فــي العــام 1479م، فــي فيــلا باليــرا علــى الجزيــرة.

(6) **بارتولوميــو بيرســتريلو Bartolomeu Perestrello** (1395م- 1457م): مــلاح ومُستكشــف ومُســتعمر برتغالــي، كان أميــر وحاكــم جزيــرة بورتــو ســانتو، ويزعــم أنــه اكتشــف وســكن

جزيرة بورتو سانتو (1419م) مع جواو غونكالفيس وزاركو وتريستاو وفاز تيكسيرا، إلا أن بعض المؤرخين يعارضون رواية مشاركته في الاكتشاف.

(7) **باولو دال بوزو توسكانيللي Paolo dal Pozzo Toscanelli** (1397م- 10 مايو 1482م): مُنجّم وعالم رياضيات وكوزموغرافي إيطالي ولد في فلورنسا، للطبيب دومينيكو توسكانيللي. لا توجد معلومات دقيقة عن تعليمه وخلفية حياته، لكنه كان من الشخصيات المركزية في التاريخ الفكري والثقافي لعصر النهضة بفلورنسا، في سنواته الأولى. في العام 1474م أرسل توسكانيللي رسالة وخريطة لمراسله البرتغالي فيرناو مارتينز، وهو كاهن في كاتدرائية لشبونة، تتضمن تفاصيل مخطط للإبحار غرباً، للوصول إلى جزر التوابل وآسيا.

(8) **الراهب مارتينيز Martinez**: لم نعثر له على ترجمة (**المترجم**).

(9) **سانت براندن St.Brandan**: جزيرة وهمية، أو جزيرة أسطورية، يُفترض أنها تقع في شمال الأطلسي، في مكانٍ ما غرب شمال أفريقيا. سمّيت باسم سانت براندان الذي أسس دير كلونفيرت والمدرسة الرهبانية، ويقال أنه قد تم اكتشافها من قبل القديس وأتباعه، أثناء سفرهم عبر المحيط.

(10) **جزيرة أنتيلا Antilla**: جزيرة وهمية، زُعم أثناء القرن الخامس عشر للاستكشاف بأنها تقع في المحيط الأطلسي، بعيداً غرب البرتغال وإسبانيا.

(11) **فرديناند الثاني Ferdinand II** (10 مارس 1452م- 23 يناير 1516م): ويُدعى بالكاثوليكي. كان ملك صقلية من العام 1468م، وملك أراغون من العام 1479م حتى وفاته. نتيجة زواجه من إيزابيلا الأولى، أصبح ملك قشتالة، وبعد حربه مع فرنسا، أصبح ملك نابولي، وجمع نابولي مع صقلية بشكلٍ دائم، وللمرة الأولى منذ العام 1458م. وفي العام 1512م أصبح ملك نافار. يشتهر فرديناند بدوره في اكتشاف العالم الجديد في الأمريكيتين، حيث قام هو وإيزابيلا، في العام 1492م، برعاية الرحلة الأولى لكريستوفر كولومبوس (1451-1506م)، وفي تلك السنة أيضاً خاض الحرب الأخيرة مع غرناطة التي شطبت آخر دولة إسلامية في شبه الجزيرة الإيبيرية وكل أوروبا الغربية.

(12) **إيزابيلا الأولى Isabella I** (22 أبريل 1451م- 26 نوفمبر 1504م): حكمت كملكة لقشتالة من العام 1474م حتى وفاتها. أصبح زواجها من فرديناند الثاني من أراغون أساس التوحيد السياسي لإسبانيا، تحت قيادة حفيدها تشارلز الأول. بعد صراعٍ من أجل المطالبة بحقها في العرش، أعادت تنظيم النظام الحكومي، وأصبح لإصلاحاتها التي أجرتها مع زوجها فرديناند الثاني نفوذٌ يمتدّ خارج حدود ممالكها الموحدة. المعروف عن إيزابيلا وفرديناند نفي المسلمين واليهود خارج الأندلس، ودعم وتمويل كريستوفر كولومبوس في رحلته (1492م) التي أدّت إلى افتتاح العالم الجديد، وإقامة إسبانيا كأول دولةٍ عالمية السلطة هيمنت على أوروبا والكثير من العالم، لأكثر من

قـرنٍ مـن الزمـان. فـي العـام 1974م لقبـت إيزابيـلا بلقـب «الكاثوليكيـة» مـن قبـل البابـا ألكسـندر السـادس، كخادمـة للـه مـن قبـل الكنيسـة الكاثوليكيـة.

(13) **لويـس دي سـانتانغول Luis de Santaguel** (توفـي 1498م): يهـودي مُعَمَّـد، ووزيـر الماليـة لـدى فردينانـد الثانـي، وهـو الـذي أقنـع إيزابيـلا الأولـى بدعـم رحلـة كريسـتوفر كولومبـوس فـي العـام 1492م.

(14) **بالـوس دي لا فرونتيـرا Palos de la Frontera**: بلـدة وبلديـة تقـع فـي مقاطعـة هويلفـا، جنـوب غـرب إسـبانيا، فـي منطقـة ذاتيـة الحكـم، علـى بعـد 13 كلـم (8 أميـال) مـن عاصمـة المقاطعـة هويلفـا، وهـي الأكثـر شـهرةً، لكونهـا المـكان الـذي أبحـر منـه كولومبـوس.

(15) **جـزر الكنـاري Canary Islands**: أرخبيـل ومدينـة مسـتقلة ذاتيـاً، تقـع علـى المحيـط الأطلسـي، علـى بعـد 100 كلـم (60 ميـلاً) غـرب المغـرب. جـزر الكنـاري هـي مـن المناطـق الخارجيـة للاتحـاد الأوروبـي، وإحـدى المناطـق الثمانـي التـي تعتـرف الحكومـة الإسـبانية فيهـا علـى وجـه الخصـوص بالجنسـية التاريخيـة. جـزر الكنـاري هـي المنطقـة الأبعـد جنـوب إسـبانيا، وأكبـر أرخبيـل فـي منطقـة ماكارونيزيـا.

(16) **جزيـرة سـان سـلڤادور San Salvador** (المعروفـة باسـم جزيـرة واتلينـغ منذ ثمانينيـات القرن السـادس حتـى العـام 1925م): جزيـرة ومنطقـة فـي جـزر البهامـا، ويُعتقـد علـى نطـاقٍ واسـع أنـه- خـلال رحلـة كريسـتوفر كولومبـوس الأولـى إلـى العالـم الجديـد- كانـت جزيـرة سـان سـلفادور هـي أول أرض شـاهدها وزارهـا فـي 12 أكتوبـر/ تشـرين الأول 1492م؛ وأطلـق عليهـا اسـم سـان سـلفادور، علـى اسـم المسـيح المخلـص.

(17) **كوبـا Cuba**: بلـد يضـمّ جزيـرة كوبـا، فضـلاً عـن جزيـرة لا يوفنتـود وعـددٍ مـن الأرخبيـلات الصغيـرة. تقـع كوبـا فـي منطقـة البحـر الكاريبـي الشـمالية، حيـث يلتقـي البحـر الكاريبـي بخليـج المكسـيك والمحيـط الأطلسـي، وتقـع جنـوب ولايـة فلوريـدا الأمريكيـة وجـزر البهامـا، غـرب هايتـي وشـمال جامايـكا. هافانـا هـي العاصمـة وأكبـر مدنهـا، وتشـمل المـدن الرئيسـة الأخـرى سـانتياغو دي كوبـا وكاماغـوي. كوبـا هـي أكبـر جزيـرة فـي منطقـة البحـر الكاريبـي، وتبلـغ مسـاحتها 884 109 كلـم2 (42 426 ميـلاً مربعـاً) وهـي ثانـي أكبـر جزيـرة بعـد هسـبانيولا.

(18) **هاييتـي Hayti**: هـي مسـتعمرة سـانت دومينيـك الفرنسـية، فـي جـزر الكاريبـي مـن هيسـبانيولا. كان الفرنسـيين قـد وضعـوا أنفسـهم علـى الجـزء الغربـي مـن جـزر هيسـبانيولا وتورتوغـا، بحلـول العـام 1659م، وفـي معاهـدة ريسـويك (1697م) اعترفـت إسـبانيا رسـمياً بالسـيطرة الفرنسـية علـى جزيـرة تورتوغـا والثلـث الغربـي مـن جزيـرة هيسـبانيولا. فـي العـام 1791م، بـدأ العبيـد وبعـض السـكان مـن لـون سـانت دومينغـو تمـرداً ضـد السـلطة الفرنسـية، وأصبحـوا متماسـكين مـع الحكـم الفرنسـي، بعـد إلغـاء الـرق فـي المسـتعمرة العـام 1793م،

وكانت فرنسا تسيطر على كامل هيسبانيولا، من 1795م حتى 1802م، عندما اندلع تمردٌ جديد. انسحبت القوات الفرنسية الأخيرة من الجزء الغربي من الجزيرة في أواخر العام 1803م، وأعلنت المستعمرة في وقتٍ لاحق استقلالها باسم (هايتي)، اسمها الأصلي، في العام التالي.

(19) **كاديز Cadiz** أو بالعربية **قادس**: هي مدينة وميناء في جنوب غرب إسبانيا، وعاصمة مقاطعة قادس. واحدة من الثماني التي تشكل مجتمع الحكم الذاتي في الأندلس، وهي أقدم مدينة مأهولة بالسكان في إسبانيا، وإحدى أقدمها في أوروبا الغربية؛ تأسست من قبل الفينيقيين، وكانت الميناء الرئيس للبحرية الإسبانية، منذ انضمام البربونات الإسبان في القرن الـ 18.

(20) **ترينيداد Trinidad**: كبرى الجزيرتين الرئيستين ترينيداد وتوباغو، تقع على بعد 11 كلم (6,8 أميال) قبالة الساحل الشمالي الشرقي لفنزويلا، وعلى الجرف القاري لأمريكا الجنوبية. بالرغم من أنها- من الناحية الجغرافية- جزءٌ من قارة أمريكا الجنوبية، إلا أنه غالباً ما يشار إليها بأنها جزيرةٌ إلى أقصى الجنوب في منطقة البحر الكاريبي. تبلغ مساحتها 768,4 كلم2 (841,1 ميلاً مربعاً)، وهي أيضا سادس أكبر جزر الهند الغربية.

(21) **بنما Panama**: بلد في أمريكا الوسطى، تحدّها كوستاريكا من الغرب، كولومبيا (في أمريكا الجنوبية) من الجنوب الشرقي، البحر الكاريبي من الشمال، والمحيط الهادئ من الجنوب، وتُعد العاصمة بنما سيتي أكبر مُدنها.

(22) **ڤالدوليد Valladolid**، بالعربية «بلد الوليد»: هي مدينة في إسبانيا، تقع عند ملتقى نهري بيسويرغا وإسغويفا. تتكون البلدة القديمة من مجموعة متنوعة من المنازل التاريخية والقصور والكنائس والساحات والسبل والحدائق، وتشمل المتحف الوطني للنحت، ومتحف الفن المعاصر فناء هيريريانو، أو المتحف الشرقي، فضلاً عن منازل خوسيه زوريلا وسرفانتس التي تُفتح كمتاحف.

(23) **ألونسو دي أوخيدا Alonso de Ojeda** (1468، وبعض المصادر تقول 1466م- 1515م): ملاح ومُستكشف ومُستعمر إسباني، سافر عبر غوايانا وفنزويلا وترينيداد وتوباغو وكوراساو وأروبا وكولومبيا، ويشتهر بتسميته «فنزويلا» التي استكشفها خلال حملتيه الأولين، لأنه كان أول أوروبي يزور غوايانا وكولومبيا وبحيرة ماراكايبو، وبعد ذلك قام بتأسيس سانتا كروز (لا غويريتا).

(24) **أميركو ڤيسبوتشي Amerigo Vespucc** (في النص أمريكو ڤسبوتشي Amerigo Vespucci) (9 مارس 1454م- 22 فبراير 1512م): مُستكشف ومُستعمر ومَلاح ورسّام خرائط إيطالي، أظهر لأول مرة أنّ البرازيل وجزر الهند الغربية لا تمثل ضواحي شرق آسيا، كما ظنَّ كولومبوس في البداية، لكنها تشكل أرضاً منفصلة تماماً وغير معروفة حتى

الآن لشعوب العالم القديم. اسم «الأمريكيتين» مستمدٌّ من اسم أمريكوس، النسخة اللاتينية من الاسم الأول لڤيسبوتشي.

(25) **ڤنزويلا Venezuela**: رسمياً جمهورية فنزويلا البوليفارية، وهي جمهورية اتحادية تقع على الساحل الشمالي لأمريكا الجنوبية، تحدّها كولومبيا من الغرب، البرازيل في الجنوب، غيانا في الشرق، جزر كاريك أبريك الهولندية في الشمال، وجزر ترينيداد وتوباغو في الشمال الشرقي، وتغطي فنزويلا 415 916 كلم2 (835 353 ميلاً مربعاً)، وللبلاد تنوّعٌ بيولوجي عالٍ للغاية.

(26) **نهر الأمازون Amazon**: أعظم نهر في أمريكا الجنوبية، وأكبر نهر من حيث حجم تصريف المياه وتدفقها ومنطقة حوضها في العالم، وثاني أطول نهر في العالم، ويبلغ طوله الكلي (تمّ قياسه من منابع نهر أوكايالي- أبوري ماك في جنوب البيرو- على بعد 4000 ميل على الأقل) 6،400 كلم، ما يجعله أقصر قليلاً من نهر النيل، لكنه لا يزال يعادل المسافة من مدينة نيويورك إلى روما، ومصدره الغربي مرتفع في جبال الأنديز، على بعد 100 ميل (160 كلم) من المحيط الهادئ، ومصبه في المحيط الأطلسي، على الساحل الشمالي الشرقي للبرازيل.

(27) **كيب سانت روكي Cape St.Roque**: هو الرأس الواقع في الطرف الشمالي الشرقي من البرازيل، على بعد 51 كلم شمال ناتال، في ولاية ريو غراندي دو نورتي في البرازيل، وهو «نقطة» على منحنى ساحل البر الرئيس البرازيلي الأقرب إلى قارة أفريقيا.

(28) **نهر ريو دي لا بلاتا Río de la Plata** (ويُسمى أيضاً **نهر الفضة**): هو النهر والمصب الذي شكله التقاء نهري أوروغواي وبارانا، ويفرغ في المحيط الأطلسي، وهو على شكل قمع على الساحل الجنوبي الشرقي من أمريكا الجنوبية. واعتماداً على الجغرافيا، يمكن اعتبار نهر ريو دي لا بلاتا نهراً أو مصباً أو خليجاً أو بحراً هامشياً. بالنسبة إلى أولئك الذين يعتبرون أنه نهر- كما هي الحال في معظم الأرجنتين وأوروغواي- فهو أوسع نهر في العالم، ويبلغ طوله حوالي 290 كلم (180 ميلاً)، ويتوسع بحوالي 2 كلم (2, 1 ميل) من مصدره، وإلى حوالي 220 كلم (140 ميلاً) في مصبه، وهو يشكل جزءاً من الحدود بين الأرجنتين وأوروغواي.

(29) **سانت جورج St. George** (في النص سانت جورجيا St.Georgia): هي جزيرة قبالة فلوريدا بانهاندل في خليج المكسيك الشمالي.

(30) **كيب هورن Cape Horn**: هو الرأس الواقع في أقصى جنوب أرخبيل تييرا ديل فويغو جنوب تشيلي، ويقع على جزيرة هورنوس الصغيرة. وبالرغم من أن كيب هورن ليس النقطة الأقصى جنوباً في أمريكا الجنوبية (وهي جزر دييغو راميريز)، إلا أنه يمثل الحدود الشمالية لممر دريك، حيث يلتقي المحيط الأطلسي والمحيط الهادئ.

(31) **مارتـن والدزيمولـر Martin Waldseemüller** (11 سـبتمبر 1470م– 16 مارس 1520م): رسَّـام خرائـط ألمانـي، يرجـع إليـه هـو وماتيـاس رينغمـان الفضـل فـي أول اسـتخدام مسـجل لكلمـة أمريـكا، علـى خريطـة العـام 1507م. تكريمـاً للمستكشـف الإيطالـي أميركو ڤيسبوتشـي.

(32) **جـزر بانـدا Banda**: مجموعـة مـن عشـر جـزر بركانيـة صغيـرة فـي بحـر بانـدا، علـى بعـد 140 كلـم (87 ميـلاً) جنـوب جزيـرة سـيرام، وحوالـي 2000 كلـم (1،243 ميـلاً) شـرق جـاوة، وهـي جـزءٌ مـن مقاطعـة مالوكـو الإندونيسـية، والمدينـة الرئيسـة فيهـا هـي باندانيـرا. حتـى منتصـف القـرن التاسـع عشـر، كانـت جـزر بانـدا المصـدر الوحيـد فـي العالـم لجـوز الطيـب والتوابـل.

(33) **فرانسيسـكو سـيرّاو Francisco Serrao** (توفـي 1521م): مُستكشـف ومُسـتعمر برتغالـي، وابـن عـم فردينانـد ماجيـلان. كانـت رحلتـه فـي العـام 1512م أول رحلـة إبحـار أوروبيـة معروفـة فـي شـرق مـالاكا، عبـر إندونيسـيا الحديثـة وجـزر الهنـد الشـرقية. أصبـح مرتبطـاً بالسـلطان بيـان سـيرولا، حاكـم تيرنيـت، ليصبـح مستشـاره الشـخصي، وظـل فـي تيرنيـت حيـث توفـي فـي الوقـت نفسـه الـذي توفـي فيـه ماجـلان.

(34) **جـزر مالوكـو أو جـزر الملـوك Malacca** (فـي النـص Moluccas): هـي أرخبيـل فـي أندونيسـيا، تقـع علـى امتـداد هالماهيـرا داخـل المنطقـة المتداخلـة مـع بحـر مالـوكا. جغرافيـاً، تقـع شـرق سـولاويزي، غـرب غينيـا الجديـدة، وشـمال وشـرق تيمـور. كانـت الجـزر أيضـاً الجوهـر التاريخـي لجـزر التوابـل المعروفـة لـدى الصينييـن والأوروبييـن، لكـن هـذا المصطلـح شـمل فـي العـادة المناطـق المجـاورة الأخـرى، مثـل سـولاويزي.

(35) **كـرات يوهانـس شـونر**: سلسـلة مـن الكـرات التـي قدّمهـا يوهانـس شـونر (1477–1547م) للمـرة الأولـى فـي العـام 1515م، واثنـان مـن هـذه النمـاذج باقيـان حتـى اليـوم، واحـد لـدى متحـف هيستوريشـس فـي فرانكفـورت، والآخـر فـي هيرزوجيـن آنـا آماليـا بيبليوثيـك، فـي فايمـار. لا شـك فـي أن شـونر كان علـى درايـة بالكـرة الأرضيـة التـي قدّمهـا (مارتـن بيهايـم) فـي نورمبـرغ العـام 1492م، ويمكـن العثـور علـى المضيـق بيـن الطـرف الجنوبـي مـن أمريـكا والأرض إلـى الجنـوب فـي عالـم شـونر، قبـل «اكتشـافه الرسـمي» مـن قبـل فردينانـد ماجيـلان فـي العـام 1520م.

(36) **بريسـتول Bristol**: مدينـة ومقاطعـة فـي جنـوب غـرب إنجلتـرا، يحدّهـا مـن الشـمال سومرسـت، ومـن الجنـوب غلوسسترشـير، ومدينتـا بـاث وغلوسسـتر مـن الجنـوب الشـرقي والشـمال الشـرقي.

(37) **سـانت جوليـان St.Julian**: مينـاء طبيعـي فـي باتاغونيـا بمقاطعـة سـانتا كـروز الأرجنتينيـة. فـي أيـام السـفن الشـراعية شـكل نقطـة توقـف 180 كلـم (112 ميـلاً) جنـوب بويرتـو ديسـيادو (ميـنـاء ديزايـر).

(38) **الباتاغونيون Patagonians**: هم من الشعوب التي سكنت باتاغونيا، وقد لاحظ أوائل المستكشفين الأوروبيين في باتاغونيا أن السكان الأصليين في المنطقة كانوا أطول من متوسط طول الأوروبيين في ذلك الوقت، ما دفع بعضهم إلى الاعتقاد بأن الباتاغونيين كانوا عمالقة.

(39) **جزر لادرونيز Ladrones Islands** أو **جزر الماريانا: Mariana Islands** وهو اسم إسباني يعني «جزر اللصوص»، وتختلف بالمسمى عن جزر ماريانا الشمالية التي سميت على اسم ماريانا ملكة إسبانيا .

(40) **جزر الفيليبين islands of the Philippines**: يضم أرخبيل الفيليبين حوالي 7641 جزيرة تتجمّع في ثلاث مجموعات: الجزر الرئيسة لوزون، فيساياس، وميندناو، ولم تتمّ بعد تسمية أكثر من 5 آلاف جزيرة في الأرخبيل.

(41) **ماكتان Mactan**: جزيرة مكتظة بالسكان، تقع على بعد بضعة كيلومترات من جزيرة سيبو في الفيليبين، وهي جزءٌ من مقاطعة سيبو، تنقسم إلى مدينة لابو لابو وبلدية كوردوفا، وتغطي حوالي 65 كلم2 (25 ميلاً مربعاً).

(42) **بورنيو Borneo**: ثالث أكبر جزيرة في العالم، وأكبر جزيرة في آسيا. في المركز الجغرافي البحري لجنوب شرق آسيا، وبالنسبة إلى الجزر الإندونيسية الرئيسة، تقع شمال جاوة، وغرب سولاويسي، وشرق سومطرة.

(43) **خوان سيباستيان ديل كانو Juan Sebastian del Cano** (1476م– 4 أغسطس 1526م): مُستكشف ومُستعمر إسباني، من الباسك أصلاً، هو الذي أكمل أطول رحلة على الأرض. بعد وفاة ماجيلان في الفيليبين، تولى كانو قيادة السفينة ڤيكتوريا من جزر الملوك إلى سانلوكار دي باراميدا في إسبانيا.

(44) **سولتير Saltire**: شكلٌ من أشكال الصليب، يسمى أيضاً صليب القديس أندرو، وهو رمز وشعار بشكل حرف X الروماني.

(45) **عائلة فيوجر Fuggers**: عائلة ألمانية كانت مجموعة من مصرفيي التجارة الدولية وأصحاب رؤوس الأموال البارزين تاريخياً بأوغسبورغ في أوروبا، في القرن السادس عشر.

(46) **بيرو Peru**: بلد في غرب أمريكا الجنوبية، يحدّه من الشمال الإكوادور وكولومبيا، من الشرق البرازيل، من الجنوب الشرقي بوليفيا، من الجنوب شيلي، ومن الغرب المحيط الهادئ. البيرو بلد بالغ التنوّع البيولوجي، مع سهولٍ قاحلة في منطقة المحيط الهادئ الساحلية في الغرب، تمتدّ إلى قمم جبال الأنديز، وتمتد عمودياً من الشمال إلى الجنوب الشرقي من البلاد، حتى الغابات الاستوائية المطيرة وحوض الأمازون في الشرق مع نهر الأمازون.



الفصل الثامن

إلى جزر الهند شمالاً
الطرق الإنجليزية، الفرنسية، الهولندية، والروسية



كانـت لاكتشـاف العالـم الجديـد عواقـب أكثـر أهميـةً نسـبياً لمختلـف الـدول فـي أوروبـا. وحتـى تلـك الفتـرة، كانـت المراكـز الرئيسـة لأكثـر مـن ألفـي سـنة حـول شـواطئ البحـر الأبيـض المتوسـط. وكمـا رأينـا، فـإنّ مدينـة ڤينيسـيا (البندقيـة)، بموقعهـا المركـزي وتجارتهـا الواسـعة نحـو الشـرق، أصبحـت مركـز العالـم، خـلال العصـور الوسـطى الأخيـرة. ولكـن بعـد كولومبـوس، وإلـى حـدٍّ مـا بعـد ماجـلان، تبيّـن للـدول الأوروبيـة الواقعـة علـى المحيـط الأطلسـي أنّهـا كانـت أقـرب إلـى العالـم الجديـد، وإلـى حـدٍّ مـا، أقـرب إلـى جـزر التوابـل التـي يمكنهـم أن يصلـوا إليهـا بـكل وسـيلة عـن طريـق السـفن، بـدلاً مـن الحاجـة إلـى دفـع رسـوم الشـحن البـرّي الباهظـة الثمـن. وأصبحـت الآن طـرق التجـارة عبـر ألمانيـا مهملـة، وفـي كل حـال، هـي الوحيـدة فـي القـرن الحالـي التـي قـد تعافـت مـن الضربـة التـي تلقتهـا باكتشـاف الطـرق البحريـة الجديـدة التـي لـم تتمكـن مـن الانضمـام إليهـا. غيـر أن إنجلتـرا وفرنسـا والـدول الأدنـى كانـت قـد وعدتهـا بحصـةٍ مسـتقبلية فـي التجـارة وشـؤون العالـم عمومـاً، لـم تكـن تمتلكهـا حتـى حينـه، فيمـا كان البحـر المتوسـط مركـز التجـارة. وإذا كانـت الهنـد سـيتم الوصـول إليهـا عـن طريـق البحـر، فهـم كانـوا تقريبـاً فـي موقـع محظـوظ كالبرتغـال أو إسـبانيا. وحالمـا تـمّ اكتشـاف الطـرق الجديـدة، حاولـت الـدول الشـمالية الاسـتفادة منهـا، بالرغـم مـن مرسـوم التقسـيم الـذي سَـخِرَ الملـك الفرنسـي منـه، والـذي لـم يكـن لـدى الإنجليـز البروتسـتانت والهولندييـن سـببٌ لاحترامـه. فـي غضـون ثـلاث سـنوات مـن عـودة كولومبـوس مـن رحلتـه البحريـة الأولـى، قـام الملـك (هنـري السـابع Henry VII)[1] بتكليـف المستكشـف

(جـون كابـوت John Cabot)[2] – وهـو ڤينيسـي مسـتقرّ فـي بريسـتول مـع أبنائـه الثلاثـة– لمحاولـة القيـام برحلـةٍ إلـى جـزر الهنـد، مـن الممـرّ الشـمالي الغربـي. ويبـدو أنـه قـد أعـاد اكتشـاف (نيوفاوندلانـد Newfoundland)[3] فـي العـام (1497 ميـلادي)، ثـم فـي العـام التالـي، أخفـق فـي العثـور علـى ممـرٍّ هنـاك، وأبحـر تقريبـاً علـى السـاحل أسـفل أمريـكا الشـمالية، وصـولاً إلـى (فلوريـدا Florida)[4].

فـي العـام (1534 ميـلادي) تفقّـد (جـاك كارتييـه Jacques Cartier)[5] نهـر (سـانت لورانـس St.Lawrence)[6]، وتمّـت متابعـة الاكتشـافات فـي وقـتٍ لاحـقٍ مـن قِبَـل (صمويـل دي شـامبلين Samuel de Champlain)[7] الـذي اكتشـف بعـض البحيـرات الكبـرى بالقـرب مـن نهـر سـانت لورانـس، وأنشـأ الحكـم الفرنسـي فـي (كنـدا Canada)[8]، أو (أكادي Acadie)[9]، كمـا كانـت تُسـمى.

وفـي الوقـت نفسـه، قـام الإنجليـز بمحاولـةٍ ثانيـة للوصـول إلـى جـزر الهنـد، مـن الممـرّ الشـمالي، ولكـن هـذه المـرة باتجـاه الشـرق. (سيباسـتيان كابـوت Sebastian Cabot)(10)، الـذي كان قـد عُيِّـنَ كبيـر قباطنـة إنجلتـرا مـن قبـل الملـك (إدوارد السـادس Edward VI)[11]، وجـه رحلـة استكشـاف فـي العـام (1553 ميـلادي)، تحـت قيـادة السـير (هيـو ويلوغبـي Hugh Willoughby)[12]. واحـدة فقـط مـن هـذه السـفن، كان القبطـان (المستشـار ريتشـارد Richard Chancellor)[13] علـى متنهـا، نجـت مـن تلـك الرحلـة، ووصلـت إلـى جـزر الملائكـة، فذهـب مـن هنـاك بـرّاً إلـى (موسـكو Moscow)[14]، حيـث تـمّ اسـتقباله بحظـوةٍ مـن قِبَـل قيصـر روسـيا (إيڤـان الرهيـب Ivan the Terrible)[15]، غيـر أنّـه غـرق فـي طريـق عودتـه، قبـل أن تُكتـب لـه أيّ محاولـةٍ للوصـول إلـى كاثـاي عـن طريـق البحـر.

يبـدو أن الممـرّ الشـمالي الغربـي كان علـى موعـدٍ أفضـل مـن ذلـك الـذي فـي الشـمال الشـرقي. ففـي العـام (1576 ميـلادي) بـدأ (مارتـن فروبيشـر Martin

Frobisher)[16] رحلة استكشاف، بعدما بعدما حظي بشرف التحية من الملكة (إليزابيث Elizabeth)[17]، عندما كان مارّاً بـ(غرينتش Greenwich)[18]، ووصل إلى غرينلاند، ومن ثم (لابرادور Labrador)[19]. وفي رحلةٍ بحرية لاحقة في العام التالي، اكتشف المضيق المسمّى باسمه، وأخذ الموافقة على مشروعه من السير (همفري جلبرت Sir Humphrey Gilbert)[20]، كما منحته الملكة إليزابيث، هو وشقيقه (أدريان Adrian)[21]، امتياز الوصول إلى ممرّ الصين وجزر الملوك من الشمال الغربي، أو الطريق الشمالي، بدلاً من الشمال الشرقي. في الوقت نفسه، تمّ منحه براءة اكتشاف أراضٍ غير مأهولة من قِبل الأمراء المسيحيين، وإنشاء مستعمرة في (سانت جونز St.John›s)[22]، نيوفاوندلاند. ولكن، أثناء رحلة العودة، وبالقرب من جزر الآزور، اختفت «فرقاطة» السير همفري (وهي قاربٌ صغير يتسع لعشرة رجال)، بعدما سُمع نداء: «الشجاعة يا أولادي.. نحن نقترب من السماء عن طريق البحر كما عن طريق البر»! حدث هذا في العام (1583 ميلادي).

بعد سنتين، أُرسلت بعثةٌ أخرى من قِبل تجار لندن، تحت إمرة المستكشف (جون ديڤيسJohn Davis)[23]، الذي اكتشف في هذه الرحلة، وفي اثنتين من الرحلات اللاحقة، العديد من الممرات المتجهة غرباً، والتي كفلت أمل العثور على ممرّ الشمال الغربي، إلى جانب المضيق الذي يحمل اسمه. ومن المرجَّح أنّه- في رحلته الثالثة في العام (1587 ميلادي)- قد مرّ عبر الممرّ الذي سُمّي الآن باسم هدسون، ولم تتمّ متابعة اكتشافاته لمدة عشرين عاماً، عندما جرى إرسال (هنري هدسون Henry Hudson)[24] في العام (1607 ميلادي)، مع طاقمٍ من عشرة رجالٍ وصبيّ، فوصل إلى (سبيتزبرغين Spitzbergen)[25]، إلى 80° شمالاً. وفي العام التالي، وصل إلى القطب الشمالي (المغناطيسي)، الذي كان يقع في 22 , 75 ° N، وكان اثنان من رجاله محظوظين بما فيه الكفاية لرؤية حورية البحر أيضاً، أو لعلّهما شاهدا امرأةً من الإسكيمو في قارب

الكاياك. وفي رحلةٍ ثالثة، في العام (1609 ميلادي)، اكتشف المضيق والخليج الذي يحمل اسمه الآن، ولكن تمّ تركه على الشاطِئ من قِبل طاقمه، ولم يُسمع عنه شيءٌ بعد ذلك، وكان قد سبق له أن أمضى فترةً من الوقت في خدمة الهولنديين، وأرشدهم إلى النهر المسمّى باسمه (نهر هدسون) الذي تقع عليه مدينة (نيويورك New York)[26] اليوم. كان مسار الاكتشافات الإنجليزية في الشمال قد اكتمل برحلة (ويليام بافن William Baffin)[27] في العام (1615 ميلادي)، ما أدى إلى اكتشاف الأرض المسمّاة باسمه، فضلاً عن العديد من الجزر في الشمال الأمريكي.

وفي الوقت نفسه، شارك الهولنديون في أعمال الاكتشاف نحو الشمال، وثاروا ضد استبداد فيليب الثاني الذي كان- في تلك الآونة- ملكاً على كلٍّ من إسبانيا والبرتغال. في البداية، حاولوا تبنّي طريقٍ لا يجعلهم يصطدمون بأسيادهم القُدامى، وفي ثلاث رحلات، بين العامين (1594 و1597 ميلادي)، حاول (ويليام بارنتز William Barentz)[28] المرور من الشمال الشرقي، تحت رعاية الدول العامة، واكتشف (جزيرة شيري Cherry Island)[29]، واقترب من سبيتزبيرجين، لكنه فشل في الهدف الرئيس من بحثه.. بات اهتمام الهولنديين موجهاً منذ ذلك الحين فصاعداً، نحو الاستيلاء على الطريق البرتغالي، بدلاً من ايجاد طريقٍ جديدٍ لأنفسهم.

السبب الذي جعلهم قادرين على القيام بذلك؛ هو النموذج الغريب من العداوة في التاريخ. ونتيجة سلسلةٍ من حالات الزواج المقصودة التي خطّط لها فرديناند في أراغون؛ ضُمَّ التاج البرتغالي وجميع ممتلكاته إلى إسبانيا، في العام (1580 ميلادي)، تحت حكم فيليب الثاني. وبعد عامٍ واحد، تراجعت المقاطعات الشمالية الهولندية عن الولاء لإسبانيا، فصارت لهم بالتالي الحرية في الهجوم ليس على السفن والمستعمرات الإسبانية فحسب، بل أيضاً على تلك التي كانت تنتمي سابقاً إلى البرتغال. وفي وقتٍ مبكرٍ من العام (1596 ميلادي)، دار (كورنيليوس

هوتمـان Cornelius Houtman)[30] حـول رأس الرجـاء الصالـح، وزار سـومطرة و(بانتـام Bantam)[31]. وخـلال الخمسين عامـاً التاليـة، حـلّ الهولنديـون محـل البرتغاليين فـي العديـد مـن ممتلكاتهـم الشـرقية؛ وفـي العـام (1614 ميـلادي) اسـتولوا علـى (ملقـا)، وبهـا تمّـت السـيطرة علـى جـزر التوابـل. وبحلـول العـام (1658 ميـلادي) حصلـوا علـى حيـازة كاملـة لسـيلان. فـي وقـتٍ سـابقٍ لذلـك بكثيـر، أي فـي العـام (1619 ميـلاديً)، قامـوا بتأسـيس (باتاڤيـا Batavia)[32] فـي جـاوة، وجعلوهـا مركـزاً لممتلكاتهـم الهنديـة الشـرقية، كمـا لا تـزال حتـى يومنـا هـذا.

فـي بـادِئِ الأمـر، حـاول الإنجليـز أن يُقلِّـدوا الهولندييـن فـي سياسـتهم الهنديـة الشـرقية، فتأسسـت شـركة الهنـد الشـرقية الإنجليزيـة مـن قبـل إليزابيـث، فـي العـام (1600 ميـلادي). وفـي وقـتٍ مبكـرٍ مـن العـام (1619 ميـلادي) اضطُـر الهولنديـون للسـماح لهـم بـأن يأخـذوا حصـةً ثالثـة مـن عوائـد جـزر التوابـل. ومـن أجـل القيـام بذلـك، اسـتقرّ العديـد مـن المزارعيـن الإنجليـز فـي جزيـرة أمبويانـا. ولكـن، فـي غضـون أربـع سـنوات، وصلـت المنافسـات التجاريـة إلـى ذروتهـا، بـأن قتـل الهولنديـون بعـض هـؤلاء التجـار الإنجليـز، واقتـادوا الباقيـن مـن تلـك الجـزر. ونتيجـةً لذلـك، صبّـت الشـركة الإنجليزيـة اهتمامهـا علـى البـرّ الرئيـس مـن الهنـد نفسـها، حيـث سـرعان مـا حصلـت علـى ملكيـة كلٍّ مـن (مـادراس Madras)[33] و(بومبـاي Bombay)[34]، وتركـت جـزر المحيـط الهنـدي، بالمقـام الأول، فـي حيـازة الهولنديين؛ وسـنرى لاحقـاً أثـر ذلـك علـى تاريـخ الجغرافيـا. امتلاكهـا جـزر الهنـد الشـرقية يرجـع إلـى أن الهولندييـن كانـوا عمليـاً هـم المكتشـفين لأسـتراليا، ولقـد تركـت إحـدى نتائـج سياسـة الهنـد الشـرقية الهولنديـة آثارهـا حتـى يومنـا هـذا. وفـي العـام (1651 ميـلادي)، قامـوا بإنشـاء مسـتعمرةٍ فـي رأس الرجـاء الصالـح، سـقطت فـي أيـدي الإنجليـز خـلال الحـروب النابليونيـة، عندمـا امتلـك (نابوليـون Napoleon)[35] هولنـدا.

وفـي الوقـت ذاتـه، لـم يتغـاضَ الإنجليـز عـن إمكانيـات الممـرّ الشـمالي الشـرقيّ.. إن لـم يكـن للوصـول إلـى جـزر التوابـل، فلكـي يكـون- فـي كل الأحـوال- وسـيلةً للاسـتفادة مـن الطريـق البـرّي إلـى الصيـن، والـذي احتكرتـه جنـوة حتـى الآن. فـي العـام (1558 ميـلادي)، تـمّ إرسـال رجـلٍ إنجليـزيّ نبيـل- اسـمه (أنثونـي جينكينسـون Anthony Jenkinson)[36] - سـفيراً إلـى قيصـر موسـكوڤي، وسـافر مـن مُوسـكو إلـى بُخـارى، لكنـه لـم يكـن موفّقـاً بشـكلٍ جيـد فـي مشـروعه، فـكان علـى إنجلتـرا أن تكـون مقتنعـةً لبعـض الوقـت بتلقّـي بضائعهـا الهنديـة والصينيـة مـن الأسـاطيل التجاريـة الڤينيسـية، كمـا فـي السـابق، لكنهـم فـي النهايـة لـم يجـدوا سـبباً يمنعهـم مـن إقامـة علاقـاتٍ مباشـرة مـع الشـرق، فتأسسـت شـركةٌ مـن التجـار فـي بـلاد الشـام، فـي العـام (1583 ميـلادي)، لفتـح اتصـالاتٍ مباشـرة مـع حلـب و(بغـداد Bagdad)[37] وهرمـز و(غـوا Goa)[38]، لكنهـم فشـلوا فـي المكانيـن الأخيريـن، بسـبب غيـرة البرتغالييـن، فقامـوا بترتيبـاتٍ لعبـور أرخـص البضائـع الشـرقية إلـى إنجلتـرا. وفـي العـام (1587 ميـلادي)، كانـت آخـر سـفينة تجاريـة ڤينيسـية مـن نـوع (آرغوسـي argosy)[39]، وهـي سـفينةٌ عظيمـة تـزن 1100 طـن، قـد تحطمـت قبالـة جزيـرة (وايـت Wight)[40]. ومـن هـذه اللحظـة، أجـرى الإنجليـز مشـاريعهم التجاريـة مـع الشـرق، وكان احتـكار ڤينيسـيا والبرتغـال فـي نهايتـه.

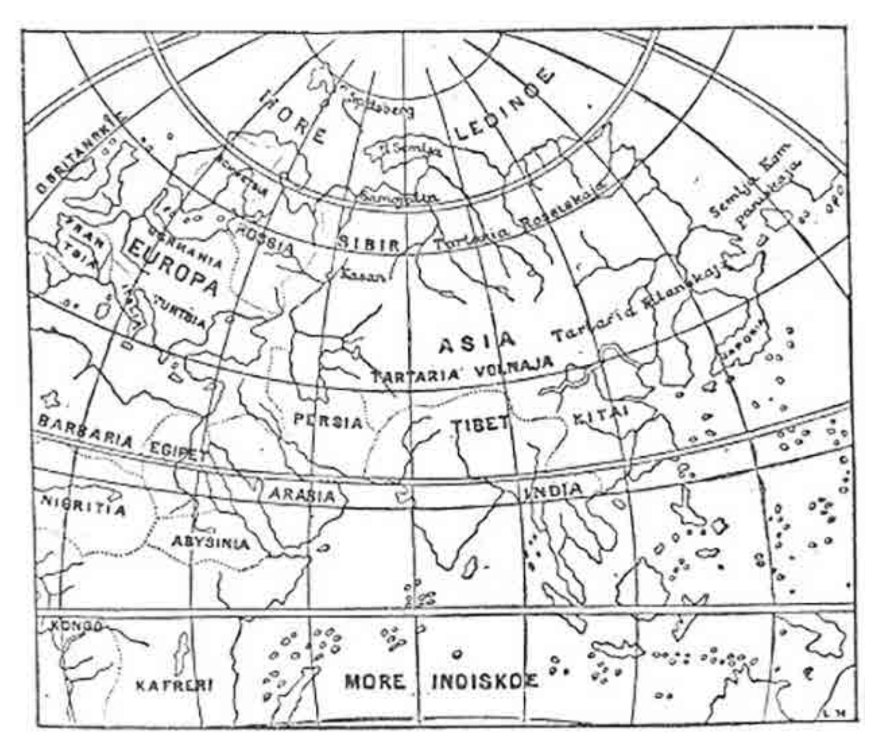
لكـن رحـلات المستشـار جينكينسـون إلـى بـلاط موسـكو كانـت لهـا تأثيـراتٌ بعيـدة المـدى. فالـروس أنفسـهم شَـغَلهم التفكيـر فـي الاسـتفادة مـن قربهـم مـن إحـدى الطـرق الأكثـر شـهرةً فـي الشـرق الأقصـى. وبعـد فتـرةٍ وجيـزة مـن زيـارة جينكينسـون، بـدأ القيصـر إيڤـان الرهيـب بتوسـيع سـيطرته شـرقاً، حيـث أرسـل فـي البدايـة عـدداً مـن القـوات لمرافقـة التاجـر

الروسـي (سـتروغونوف Strogonof)[41]، وصـولاً إلـى نهـر (أوبـي Obi)[42]، بحثـاً عـن حيـوان السـمور[*]. وكان مـن بيـن القـوات سـلاحٌ مـن سـتة آلاف مـن القـوزاق، بقيـادة (ڤاسـيلي يرمـاك Vassili Yermak)[43]، الـذي وجـد التتـار لقمـةً سـائغة، فقـرر فـي البدايـة إقامـة مملكـةٍ جديـدة لنفسـه. وفـي العـام (1579 ميـلادي) نجـح فـي التغلـب علـى التتـار وبلدتـم الرئيسـة (سـيبير Sibir)[44]، بالقـرب مـن (توبولسـك Tobolsk)[45]؛ لكنـه وجـد صعوبةً فـي الاحتفـاظ بمركـزه، وعـزم علـى العـودة إلـى ولائـه للقيصـر، شـرط أن يحصـل علـى الدعـم الـذي مُنِـحَ لـه بسـهولة، ومُنـذ ذلـك الحيـن، اندفـع الـروس بشـكلٍ مُطَّـردٍ إلـى تلـك البـلاد المجهولـة فـي شـمال آسـيا، حيـث سُّـميت بلـدةٌ صغيـرة غزاهـا يرمـاك علـى اسـمه، ويـكاد لا يوجـد لهـا أيّ أثـرٍ اليـوم. وفـي وقـتٍ مبكـرٍ مـن العـام (1639 ميـلادي)، وصلـت إلـى المحيـط الهـادِئ- تحـت قيـادة (كوبيلـوف Kupilof)[46]- قـوةٌ تـمّ إرسـالها مـن ميـناء (يوكوتـز Yakutz)[47]، علـى نهـر (لينـا Lena)[48]. وفـي العـام (1643 ميـلادي) وصلـت إلـى نهـر (آمـور Amur)[49]، وأصبـح الـروس لأول مـرة علـى اتصـالٍ بالصينييـن، وبالتالـي تـمّ الحصـول علـى طريقـةٍ جديـدة للوصـول إلـى كاثـاي، فـي حيـن اكتسـبت الجغرافيـا معرفـةً عـن مـدى امتـداد شـمال آسـيا. وفـي الوقـت نفسـه تقريبـاً، فـي العـام (1648 ميـلادي)، تـمّ الوصـول إلـى المحيـط المتجمّـد الشـمالي، علـى الشـواطِئ الشـمالية لــ (سـيبيريا Siberia)[50]، وأبحـر أسـطولٌ بقيـادة قـوزاق ديشـينف مـن (كوليمـا Kolyma)[51]، ليصـل إلـى المضيـق المعـروف باسـم مضيـق (بيرينـغ Behring)[52]. وفـي جميـع الأحـوال، لـم تنقـضِ 50 سـنة، حتـى كان الـروس قـد وصلـوا إلـى كامتشـاتكا، فـي العـام (1696 ميـلادي).

بالرغـم مـن وصـول المعرفـة التـي اكتسـبتها هـذه الحمـلات الجريئـة

(*) حيـوان السـمّور مـن فصيلـة الثدييـات، يتبـع جنـس الخـز مـن فصيلـة العرسـيات، يتـم صيـده للحصـول علـى فـروه غالـي الثمـن، والـذي لا يـزال سـلعةً كماليـة حتـى يومنـا هـذا (**المترجم**).

المتعاقبة باتجاه الشمال والشرق، لا يزال من غير المؤكد ما إذا كانت سيبيريا لم تنضمّ إلى الجزء الشمالي من العالم الجديد الذي اكتشفه كولومبوس وأمريكو. وفي العام (1728 ميلادي)، كان (بُطرس الكبير Peter the Great)[53] قد أرسل بعثةً تحت قيادة (ڤيتوس بيرينغ Vitus Behring)[54]– وهو دنماركي كان في الخدمة الروسية– بهدفٍ سريعٍ للتأكد من هذه النقطة، فوصل إلى كامتشاتكا، وبنى هناك سفينتين حسب توجيهات القيصر، وبدأ في رحلته شمالاً، مبحراً بمحاذاة الساحل على طول الأرض. وعندما وصل إلى أقلّ من 67° شمالاً،لم يجد أرضاً في الشمال أو الشرق، وتصوّر أنه وصل إلى نهاية القارة. والواقع أنه كان في دائرة 30 ميلاً من الساحل الغربي لأمريكا، إنما يبدو أنه لم يكن على بيّنةٍ من هذا، كونه مقتنعاً فقط بحلّ مشكلةٍ



الخريطة الروسية لآسيا... 1737م

خاصة وُضِعَت أمامه من قِبل القيصر؛ ومن ثم فإنّ المضيق الذي اكتشفه بيرينغ، وبالرغم من عدم معرفته بأنه مضيق، أصبح منذ ذلك الحين معروفاً باسمه. وفي العام (1741 ميلادي)، قام بيرينغ مرةً أخرى برحلةٍ استكشافية للتأكد من المسافة إلى شرق أمريكا، وفي غضون أسبوعين، بات على مرأىً من جبلٍ شامخٍ أطلق عليه اسم جبل (سانت إلياس St. Elias)[55]. أثناء هذه الرحلة، مات بيرينغ نفسه، على الجزيرة التي سميت باسمه أيضاً، وكان قد حل أخيراً العلاقة بين العالمين الجديد والقديم.

ومع ذلك، فإنّ هذه الرحلات من قبل بيرينغ، تنتمي إلى مرحلة استكشافٍ متأخرة أكثر من تلك التي عالجناها في الفصول الثلاثة السابقة، فلقد أجريت استكشافاته بشكلٍ أساسي لأغراضٍ علمية، وحلّ مشكلةً علمية، في حين أنّ جميع الدراسات الأخرى، من إسبانية وبرتغالية وإنجليزية وهولندية، توجهت إلى غايةٍ واحدة، هي الوصول إلى جزر التوابل وكاثاي. بدأ البرتغاليون البحث بطريقةٍ بطيئة، وذلك بالسير ببطء على ساحل أفريقيا؛ ومن خلال تبنيهم فكرة كولومبوس الجريئة، ومحاولتهم تطبيقها بالطريق الغربي، وتحت تصور ماجلان الأكثر جرأةً، نجح الإسبان بالقدر ذاته في الوصول إليها بهذه الطريقة، بينما سعى الإنجليز والفرنسيون للحصول على الممرّ الشمالي الغربي لجزر الملوك، في حين حاول الإنجليز والهولنديون بالطريق الشمالي الشرقي. وفي كلا الاتجاهين، منعتهم الحواجز الجليدية في الشمال من النجاح. وكما سنرى، تمّ تأجيل استكمال الممرّ الشمالي الغربي في القرن الحالي للمستكشف (ماكلور Maclure)[56]، والشمال الشرقي للمستكشف (نوردنسكيولد Nordenskiold)[57]، اللذين أبحرا بدوافع مختلفة تماماً عن تلك التي جَلَبَت لأول مرة الملّاحين من إنجلترا وفرنسا وهولندا، إلى داخل الدائرة القطبية الشمالية.

وكانت النتيجة الصافية لجميع هذه المحاولات، من قِبل دول أوروبا، لنزع احتكار التجارة الشرقية من الفينيسيين؛ هي إضافة المعرفة إلى الجغرافيا، بوجود عالمٍ جديد يتداخل بين الشواطِئ الغربية لأوروبا، والشواطِئ الشرقية لآسيا. ولا يزال يتعيّن علينا أن نتعلّم الوسائل التي اكتُشِفَ بها العالم الجديد، والذي استكشفته الأمم الأوروبية وامتلكته.

[Authorities: Cooley and Beazeley, John and Sebastian Cabot, 1898].

(هوامش الفصل الثامن)

(1) **هنـري السـابع Henry VII** (28 ينايـر 1457م– 21 أبريـل 1509م): ملـك إنجلتـرا، تمكـن مـن الاسـتيلاء علـى التـاج فـي 22 أغسـطس 1485م حتـى وفاتـه فـي 21 أبريـل 1509م، والملـك الأول مـن بيـت تيـودور. حكـم إمـارة ويلـز حتـى 29 نوفمبـر 1489م، وكان لـورد إيرلنـدا. فـاز هنـري بالعـرش عندمـا هزمـت قواتـه الملـك ريتشـارد الثالـث فـي معركـة بوسـورث، وكان آخـر ملـك لإنجلتـرا يكسـب عرشـه فـي ميـدان المعركـة، ولقـد عـزز سـلطته بالـزواج مـن إليزابيـث يـورك، ابنـة إدوارد الرابـع وابنـة شـقيق ريتشـارد الثالـث. نجـح هنـري فـي اسـتعادة قـوة واسـتقرار النظـام الملكـي الإنجليـزي بعـد الحـرب الأهليـة، وإليـه يُنسـب عـددٌ مـن المبـادرات الإداريـة والاقتصاديـة والدبلوماسـية.

(2) **جـون كابـوت John Cabot** أو **بالڤينيسـية جيوڤانـي كابوتـو Giovanni Caboto** (1450م–1500م): مـلاح ومُستكشـف ومُسـتعمر ڤينيسـي، كان قـد اكتشـف فـي العـام 1497م سـاحل أمريـكا الشـمالية، بقيـادة لجنـة هنـري السـابع ملـك إنجلتـرا، وكان أول مستكشـف أوروبـي يصـل إلـى البـرّ الرئيـس لأمريـكا الشـمالية، منـذ زيـارة الإسـكندنافيين لڤينلانـد فـي القـرن الحـادي عشـر.

(3) **جزيـرة نيوفاوندلانـد Newfoundland**: جزيـرة كنديـة بالقـرب مـن السـاحل الشـرقي لكنـدا، تشـكل مـع منطقـة لابـرادور فـي البـرّ الكنـدي مـا يُعـرف بمقاطعـة نيوفاوندلانـد ولابـرادور ، إحـدى مقاطعـات كنـدا، اكتشـفت العـام 1497 م علـى يـد جـون كابـوت.

(4) **فلوريـدا Florida** وتعنـي بالإسـبانية «**أرض الزهـور**»: هـي الآن ولايـة تقـع فـي أقصـى الجنـوب من المنطقـة الجنوبيـة الشـرقية للولايـات المتحـدة، يحدّهـا مـن الغـرب خليـج المكسـيك وألابامـا، مـن الشـمال ألابامـا وجورجيـا، مـن الشـرق المحيـط الأطلسـي، ومـن الجنـوب مضيـق فلوريـدا.

(5) **جـاك كارتييـه Jacques Cartier** (31 ديسـمبر 1491م– 1 سـبتمبر 1557م): مستكشـف ومُسـتعمر بريتونـي، ادعـى مـا يُعـرف الآن بكنـدا ملكيـةً لفرنسـا، وكان أول أوروبـي يصـف ويضـع خريطـة لخليـج سـانت لورانـس وشـواطئ نهـر سـانت لورانـس الـذي أطلـق عليـه اسـم «بلـد القنـدس».

(6) **نهـر سـانت لورانـس St.Lawrence** (كان يسـمى «الممـر المائـي الكبيـر» باللغـة المحليـة): نهرٌ كبيـر فـي خطـوط العـرض الوسـطى مـن أمريـكا الشـمالية، يتدفـق باتجـاه الشـمال الشـرقي، ويربـط البحيـرات العظمـى بالمحيـط الأطلسـي، ويتشـكل مـن تدفـق الصـرف الرئيـس لحـوض البحيـرات الكبـرى، كمـا يجتـاز المقاطعـات الكنديـة فـي كيبيـك وأونتاريـو، وهـي جـزء مـن الحـدود الدوليـة بيـن أونتاريـو– كنـدا، ونيويـورك– الولايـات المتحـدة الأمريكيـة.

(7) **صمويــل دي شــامبلين Samuel de Champlain** (فــي أو قبــل 13 أغســطس 1574م- 25 ديســمبر 1635م) ويُلقـب «والـد فرنسـا الجديـدة»: مـلاح ورسـام خرائـط وجنـدي ومستكشـف ومسـتعمر وعالـم جغرافيـا وعالـم فـي علـم الأعـراق ودبلوماسـي ومراسـل. أسـس فرنسـا الجديـدة ومدينـة كيبيـك فـي 3 يوليـو 1608م، وهـو أمـر مهـم للتاريـخ الكنـدي، لأنـه قـدّم أول خريطـة دقيقـة للسـاحل، وسـاعد فـي إنشـاء المسـتوطنات.

(8) **كنـدا Canada**: ولايـة فـي أمريـكا الشـمالية، تمتـدّ مـن الولايـات المتحـدة الأمريكيـة فـي الجنـوب إلـى الدائـرة القطبيـة الشـمالية فـي الشـمال، وتشـمل مدنهـا الرئيسـة تورونتـو، ومونتريـال الناطقـة بالفرنسـية ومدينـة كيبيـك، والعاصمـة أوتـاوا. تشـتمل كنـدا علـى مسـاحات شاسـعة مـن البـرّ وحديقـة وطنيـة مليئـة بالبحيـرات فـي جبـال روكـي، كمـا أنهـا موطـن لشـلالات نياغـارا، وهـي مجموعـة مشـهورة مـن الشـلالات الضخمـة.

(9) **أكادي Acadie**: الاسم القديم لكندا.

(10) **سيباسـتيان كابـوت Sebastian Cabot** (1474م- ديسـمبر 1557م): مُستكشـف ومُسـتعمر إيطالـي ڤينيسـي، مـن المحتمـل أنـه ولـد فـي جمهوريـة ڤينيسـيا. كان ابـن المستكشـف الإيطالـي جـون كابـوت (جيوفانـي كابوتـو). بعـد وفـاة والده، أجـرى كابـوت رحلتـه الخاصة للاكتشـاف والسـعي إلـى الممـر الشـمالي الغربـي مـن خـلال أمريـكا الشـمالية إلـى إنجلتـرا، ثـم أبحـر فـي وقـتٍ لاحـقٍ إلـى إسـبانيا، وسـافر إلـى أمريـكا الجنوبيـة، حيـث استكشـف ريـو دي لا بلاتـا وأنشـأ اثنيـن مـن الحصـون الجديـدة.

(11) **إدوارد السـادس Edward VI** (12 أكتوبـر 1537م- 6 يوليـو 1553م): ملـك إنجلتـرا وإيرلنـدا مـن 28 ينايـر 1547م حتـى وفاتـه. هـو ابـن إدوارد هنـري الثامـن وجيـن سـيمور، تـمّ تتويجـه فـي 20 شـباط/ فبرايـر وكان فـي التاسـعة مـن العمـر، وهـو أول ملـك فـي إنجلتـرا يتـم تنصيبـه علـى أنـه بروتسـتانتي.

(12) **السـير هيـو ويلوغبـي Hugh Willoughby** (توفـي 1554م): رحالـة ومُسـتعمر إنجليـزي، مـن ريسـلي- ديربيشـاير، كان مـن أوائـل الرحالـة الإنجليـز للقطـب الشـمالي. أبحـر ويلوغبـي كقبطـان لبونـا إسـبيرانزا مـع اثنتيـن مـن السـفن الأخـرى تحـت قيادتـه والرائـد ريتشـارد تشانسـيلور، مـن قبـل شـركة مـن تجـار لنـدن المعروفيـن باسـم شـركة التجـار المغامريـن إلـى الأراضـي الجديـدة التـي أصبحـت فـي مـا بعـد شـركة مسـكوڤي.

(13) **المستشـار ريتشـارد Richard Chancellor**(توفـي 1556م): مستكشـف ومـلاح ومُسـتعمر إنجليـزي؛ أول مـن اختـرق البحـر الأبيـض وأقـام علاقـات مـع روسـيا.

(14) **موسـكو Moscow**: هـي العاصمـة ومـن أعظـم المـدن فـي روسـيا، ولديهـا مركـز مدينـة اتحاديـة روسـية، كمـا أنهـا مركـز سياسـي واقتصـادي وثقافـي وعلمـي رئيـس لروسـيا وأوروبـا الشـرقية، وتعـدّ مـن بيـن أكبـر المـدن فـي العالـم.

(15) **إيڤـان الرابـع ڤاسـيليڤيتش Ivan IV Vasilyevich** (25 أغسـطس 1530م– 28 مـارس 1584م) والمعـروف بلقـب إيڤـان الرهيـب أو إيڤـان المخيـف أو إيڤـان المُهـاب: كان الأميـر الكبيـر لموسـكو، مـن 1533م إلـى 1547م، ثـم «القيصـر علـى جميـع الـروس» حتـى وفاتـه فـي العـام 1584م. جـرى اسـتخدام لقبـه الأخيـر مـن قبـل جميـع خلفائـه. خـلال عهـده، احتلـت روسـيا خانـات كازان، وأسـتراخان وسـيبير، لتصبـح دولـةً متعـددة الأعـراق ومتعـددة القـارات تمتـد حوالـي 4،050،000 كلـم2 (560،000 , 1 ميـل مربـع). مـارس السـيطرة الاسـتبدادية علـى النبـلاء الوراثييـن الـروس، ووضـع بيروقراطيـة لإدارة الأراضـي الجديـدة، وحـوّل روسـيا مـن دولـة مـن العصـور الوسـطى إلـى إمبراطوريـة. تقـدّم المصـادر التاريخيـة رواياتٍ متباينـة عـن شـخصية إيڤـان المعقـدة، إذ كان دبلوماسـياً قديـراً، وراعيـاً للفنـون والتجـارة، ومؤسسـاً لسـاحة الطباعـة فـي موسـكو، أول دار نشـر فـي روسـيا، ولكـن لوحـظ فيـه جنـون العظمـة والمعاملـة القاسـية لطبقـة النبـلاء الـروس.

(16) **السـير مارتـن فروبيشـر Martin Frobisher** (1535 أو 1539م– 15 نوفمبـر 1594م): بحّـار ومُسـتعمر إنجليـزي، قـام بثـلاث رحـلات إلـى العالـم الجديـد، للبحـث عـن الممر الشـمالي الغربـي. هبـط فـي شـمال شـرق كنـدا، حـول جزيـرة القـرار اليـوم وخليـج فروبيشـر. فـي رحلتـه الثانيـة، وجـد فروبيشـر مـا كان يُعتقـد أنـه خـام الذهـب، وحمـل 200 طـنّ منـه إلـى موطنـه علـى متـن ثـلاث سـفن، وبعـد صهـره تبيـن أنـه نـوع مـن الحديـد البيريـت. وبصفتـه قائـداً للقراصنـة الإنجليـز، قـام بنهـب ثـروات مـن السـفن الفرنسـية، وفـي وقـتٍ لاحـق مُنـح لقـب فـارس، لخدمتـه فـي صـدّ الأرمـادا الإسـبانية فـي العـام 1588م.

(17) **إليزابيـث الأولـى Elizabeth I** (7 سـبتمبر 1533م– 24 مـارس 1603م): ملكـة إنجلتـرا وإيرلنـدا مـن 17 نوفمبـر 1558م حتـى وفاتهـا. فـي بعـض الأحيـان تسـمى بالملكـة العـذراء، وكانـت آخـر ملكـة مـن بيـت تـودور.

(18) **خـط غرينيتـش أو مـدار غرينيتـش Greenwich**: هـو خـط افتراضـي لحسـاب التوقيـت، سـمّي بذلـك لأنـه يمـرّ فـي مدينـة غرينيتـش اللندنيـة، ويقسـم الكـرة الأرضيـة إلـى قسـمين: شـرقي وغربـي، وثمـة 360 خـط طـول، منهـا 180 خطـاً شـرقي خـط غرينيتـش، و180 خطـاً غربـي خـط غرينيتـش. غرينتـش ضاحيـة تقـع جنـوب شـرق لنـدن، وهـي حاليـاً جـزء مـن لنـدن، يمكـن تمييزهـا بسـهولة مـن أول نظـرة علـى خريطـة لنـدن، وذلـك لوقوعهـا تحـت الانحنـاء المميـز لنهـر التايمـز. يمـر خـط غرينتـش علـى أوروبـا وأفريقيـا، وهـو يفصـل بعـض الـدول إلـى قسـمين، مثـل الجزائـر وبريطانيـا وفرنسـا ومالـي وغانـا، ويمـر علـى مناطـق لديهـا التوقيـت ذاتـه.

(19) **لابـرادور Labrador**: منطقـة تتبـع نيوفاوندلانـد، تبلـغ مسـاحتها 284،900 كلـم2، تقـع عنـد مصـب نهـر سـانت لورنـس، عاصمتهـا باتـل هاربـر، ومعظـم سـكانها هنـود الجونكويـن والإسـكيمو ينتشـرون علـى طـول سـاحل الأطلنطـي.

(20) **السـير همفـري جيلبـرت Sir Humphrey Gilbert** (1539م- 9 سـبتمبر 1583م): مُغامـر ومُستكشـف ومُسـتعمر إنجليـزي، وعضـو فـي البرلمـان وجنـدي خـدم فـي عهـد الملكـة إليزابيـث الأولـى التـي كانـت رائـدة فـي الإمبراطوريـة الاسـتعمارية الإنجليزيـة وفـي أمريـكا الشـمالية ومـزارع إيرلنـدا، وهـو الأخ غيـر الشـقيق للسـير والتـر رالـي، وابـن عـم السـير ريتشـارد غرينفيـل.

(21) **أدريـان Adrian** (1541م): مـلاح ومستكشـف إنجليـزي، كان قـد شـارك أخـاه همفـري اكتشـافاته.

(22) **سـانت جـون St.Joh,ns**: مدينـة فـي جزيـرة نيوفاوندلانـد، قبالـة سـاحل كنـدا الأطلسـي، وهـي عاصمـة مقاطعـة نيوفاوندلانـد ولابـرادور، وقـد اسـتقر الإنجليـز فـي هـذا المينـاء فـي القـرن السـابع عشـر.

(23) **جـون ديفيـس John Davis** (1550م- 29 ديسـمبر 1605م): كان واحـداً مـن كبـار الملاحيـن الإنجليـز لإليزابيـث الأولـى. قـاد رحـلات عـدة لاكتشـاف الممـر الشـمالي الغربـي، وعمـل كقبطـان فـي كل مـن الرحـلات الهولنديـة والإنجليزيـة إلـى جـزر الهنـد الشـرقية. اكتشـف جـزر فوكلانـد (اليـوم إقليـم مـا وراء البحـار البريطانـي) فـي أغسـطس 1592م.

(24) **هنـري هدسـون Henry Hudson** (1565م-1611م): مُستكشـف ومَـلاح ومُسـتعمر لـدى البحريـة الإنجليزيـة، خـلال أوائـل القـرن السـابع عشـر. اشـتهر باستكشـافاته فـي كنـدا الحاليـة وأجـزاء مـن شـمال شـرق الولايـات المتحـدة الأمريكيـة. وضـع حجـر الأسـاس للاسـتعمار الهولنـدي للمنطقـة، واكتشـف مضيـق هدسـون وخليـج هدسـون الهائـل فـي رحلتـه النهائيـة، أثنـاء بحثـه عـن الممـرات الشـمالية الغربيـة فـي العـام 1611م.

(25) **سبيتسـبيرغين Spitzbergen**: الجزيـرة الأكبـر والوحيـدة المأهولـة بالسـكان فـي أرخبيـل سـفالبارد- النرويـج. هـذه الجزيـرة التـي تكسـوها الثلـوج بالكامـل خـلال فصـل الشـتاء، تمتّـع بطبيعـةٍ سـاحرة تتـلألأ بالشـفق القطبـي الـذي يعـدّ إحـدى الظواهـر الكونيـة النـادرة، كمـا تقـدّم للسـياح فرصـة عيـش مغامـرات تحبـس الأنفـاس، مـن خـلال جـولات الكهـوف الجليديـة. خـلال فصـل الشـتاء، يبلـغ متوسـط الحـرارة فـي جزيـرة سبيتسـبيرغن حوالـي 15° تحـت الصفـر، وتـزداد فتـرات الظـلام التـي تغطيهـا، ولا تشـرق الشـمس أبـداً فـي الفتـرة مـن منتصـف تشـرين الأول / أكتوبـر إلـى منتصـف شـباط / فبرايـر مـن كل عـام.

(26) **نيويـورك New York**: هـي الآن ولايـة فـي شـمال شـرق الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، كانـت واحـدةً مـن المسـتعمرات الثـلاث عشـرة الأصليـة التـي شـكلت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة.

(27) **ويليـام بافـن William Baffin** (1584م- 23 ينايـر 1622م): مـلاح ومُستكشـف ومُسـتعمر إنجليـزي، معـروف بمحاولتـه اكتشـاف ممـر شـمال غـرب المحيـط الأطلسـي إلـى المحيـط الهـادئ، وخلالهـا اكتشـف خليـج بافـن فـي كنـدا الحاليـة. كمـا كان مسـؤولاً عـن مسـوحات اسـتثنائية للبحـر الأحمـر والخليـج العربـي، نيابـةً عـن شـركة الهنـد الشـرقية.

(28) **ويليــام بارنتــز William Barentz** (1550م– 20 يونيــو 1597م): مــلاح ورسّــام خرائــط ومُستكشـف ومُسـتعمر هولنـدي فـي القطـب الشـمالي. ذهـب بثـلاث رحـلات إلـى أقصـى الشـمال، باحثـاً عــن الممـر الشـمالي الشـرقي، وخـلال حملتـه الثالثـة، تقطعـت السـبل بالطاقـم علـى السـفينة نوفايـا زيمليـا لمـدة عـام تقريبـاً. توفـي بارنتـز أثنـاء رحلـة العـودة فـي العــام 1597م، فتمّـت تسـمية بحـر بارنتـز علـى اسـمه.

(29) **جزيـرة شـيري Cherry Island**، اسـمها السـابق **جزيـرة الـدب القطبـي Bear Island**: هـي الجزيـرة الواقعـة فـي أقصـى جنـوب أرخبيـل سـفالبارد النرويجـي، وتقـع فـي الجـزء الغربـي مـن بحـر بارنتـز، فـي منتصـف الطريـق تقريبـاً بيـن سبيتسـبيرغين ورأس الشـمال. تم اكتشـاف جزيـرة شـيري مـن قبـل المستكشـفين الهولندييـن ويليـم بارينتـس ويكـوب فـان هيمسـكيرك فـي 10 يونيـو 1596م. وسـميت باسـم الـدب القطبـي الـذي شـوهد يسـبح فـي مـكانٍ قريـب منهـا. **تغيّـر اسـمها فـي العـام 1603م علـى اسـم السـير فرنسـيس شـيري Francis Cherry، حسـب مـا وجدتـه مـن معلومـات وردت فـي موسـوعة القطـب الشـمالي Encyclopaedia of arctic (المُترجـم)**.

(30) **كورنيليــوس دي هوتمــان Cornelius Houtman** (2 أبريــل 1565م– 1 سـبتمبر 1599م): هـو شـقيق فريدريـك دي هوتمـان، مستكشـف ومسـتعمر هولنـدي، اكتشـف طريقـاً بحريـة جديـدة مـن أوروبـا إلـى إندونيسـيا، مهـدت لتجـارة التوابـل الهولنديـة. فـي ذلـك الوقـت، احتكـرت الإمبراطوريـة البرتغاليـة تجـارة التوابـل، وكانـت الرحلـة انتصـاراً رمزيـاً لهولنـدا، بالرغـم مـن أن الرحلـة نفسـها كانـت كارثـة. كان هوتمـان أيضـاً جاسوسـاً، بعدمـا عمـل ضـد البرتغالييـن عـن طريـق العـودة إلـى هولنـدا بمعلومـاتٍ بحريـة متميـزة حصـل عليهـا خـلال إقامتـه فـي البرتغـال.

(31) **بانتـام Bantam**: ميـناء فـي غـرب جـاوا، بالقـرب مـن مضيـق سـوندا الـذي كان مهمـاً لتجارة الفلفـل فـي العصـر التجـاري، حيـث غالبـاً مـا كانـت السـفن الأوروبيـة تتواجد.

(32) **باتاڤيـا Batavia**: اسـم عاصمـة جـزر الهنـد الشـرقية الهولنديـة، وتتوافـق مـع مدينـة جاكرتـا الحاليـة. كمـا أن جاكرتـا الحديثـة قـد تشـير إمـا إلـى المدينـة نفسـها أو إلـى مسـاحة أكبـر مـن المدينـة، مـع محيطهـا الجغرافـي، والتـي كانـت واحـدة مـن مقاطعـات إندونيسـيا.

(33) **مــادراس Madras**، تُسـمى حاليـاً تشـيناي Chennai: هــي عاصمــة ولايــة تاميــل نــادو الهنديــة، تقــع علــى ســاحل كورومانديــل قبالــة خليــج البنغــال، وهــي واحــدة مــن أكبــر المراكـز الثقافيـة والاقتصاديـة والتعليميـة فـي جنـوب الهنـد، وخامـس أكبـر مدينـة، والرابعـة الأكثـر اكتظاظـاً بالسـكان فـي الهنـد.

(34) **بومبــاي Bombay** المعروفـة حاليـاً باسـم مومبـاي Mumbai (تغيـر اسـمها اعتبـاراً مـن 1995م): هـي عاصمـة ولايـة ماهاراشـترا الهنديـة، والمدينـة الأكثـر اكتظاظـاً بالسـكان فـي الهنـد، وتقـع علـى كونـكان عنـد السـاحل الغربـي للهنـد، ولديهـا ميـناء طبيعـي عميـق.

(35) **نابوليـون بونابـرت Napoléon Bonaparte** (15 أغسـطس 1769م- 5 مايـو 1821م): رجـل دولـة فرنسـا الأول، وزعيـم عسـكري ومُسـتعمر فرنسـي، ارتفـع إلـى المكانـة البـارزة خـلال الثـورة الفرنسـية، وقـاد العديـد مـن الحمـلات الناجحـة خـلال الحـروب الثوريـة الفرنسـية. كمـا كان نابليـون إمبراطـور الفرنسـيين مـن العـام 1804م حتـى العـام 1814م، ولفتـرةٍ وجيـزة فـي العـام 1815م (لمائـة يـوم). هيمـن نابليـون علـى الشـؤون الأوروبيـة والعالميـة لأكثـر مـن عقـدٍ مـن الزمـن، فـي حيـن قـاد فرنسـا ضـد سلسـلة مـن الائتلافـات فـي الحـروب النابليونية، وانتصـر فـي معظـم هـذه الحـروب والغالبيـة العظمـى مـن معاركـه، وقـام ببنـاء إمبراطوريـة كبيـرة حكمـت علـى القـارة القاريـة قبـل انهيارهـا النهائـي فـي العـام 1815م، ويعتبـر أحـد أكبـر القـادة فـي التاريـخ، كمـا أنّ حروبـه وحملاتـه تـدرّس فـي المـدارس العسـكرية فـي جميـع أنحـاء العالـم، وهـو مـن أكثـر القـادة شـهرةً وإثـارةً للجـدل فـي تاريـخ البشـرية.

(36) **أنثونـي جينكينسـون Anthony Jenkinson** (1529م- 1610/ 1611م): رحالـة ومُستكشـف ومُسـتعمر إنجليـزي، ولـد فـي ماركيـت هاربـورو- ليسسترشـاير، وكان واحـداً مـن أوائـل الرجـال الإنجليـز الذيـن استكشـفوا موسـكوفي (روسـيا الآن). كان جينكينسـون رحالـة ومستكشـفاً نيابـةً عـن شـركة مسـكوفي والتـاج الإنجليـزي، كمـا التقـى إيڤـان الرهيـب مـرات عـدة خـلال رحلاتـه لموسـكو وروسـيا، وقـام بتسـجيل روايـات سـفره مـن خـلال مجموعـة أعمـال مكتوبـة فـي حياتـه.

(37) **بغـداد Baghdad**: مدينـة عراقيـة، هـي عاصمـة دولـة العـراق وثانـي أكبـر مدينـة فـي العالـم العربـي (بعـد القاهـرة- مصـر)، وثانـي أكبـر مدينـة فـي غـرب آسـيا (بعـد طهـران- إيـران)، تقـع علـى طـول نهـر دجلـة. تأسسـت المدينـة فـي القـرن الثامـن الميـلادي، وأصبحـت عاصمـة الخلافـة العباسـية. وفـي غضـون فتـرةٍ وجيـزة مـن إنشـائها، تحولـت بغـداد إلـى مركـزٍ ثقافـي وتجـاري وفكـري كبيـر للعالـم الإسـلامي، بالإضافـة إلـى تأسـيس العديـد مـن المؤسسـات الأكاديميـة الرئيسـة بهـا (علـى سـبيل المثـال: بيـت الحكمـة)، وحصلـت علـى سـمعةٍ عالميـة، وسـميت باسـم «مركـز العلـم».

(38) **غـوا Goa**: ولايـة فـي الهنـد داخـل المنطقـة السـاحلية المعروفـة باسـم كونـكان فـي غـرب الهنـد، تحدّهـا ماهاراشـترا مـن الشـمال وكارناتـاكا مـن الشـرق والجنـوب، وتُشـكل السـاحل الغربـي مـع بحـر العـرب.

(39) **آرغوسي Argosy**: هي نوعٌ من السفن التجارية التي تنقل البضائع أو الركاب بالإيجار.

(40) **وايـت Wight**: ثانـي أكبـر جزيـرة مـن حيـث عـدد السـكان فـي إنجلتـرا، تقـع فـي القنـاة الإنجليزيـة، علـى بعـد حوالـي ميليـن (3,2 كلـم) قبالـة سـاحل هامبشـاير، وهـي مفصولـة عـن سـولنت.

(41) **سـتروغانوفس Stroganovs**، أو **سـتروغونوفس Strogonovs**: هـي عائلـة مـن التجـار الـروس الناجحيـن والصناعييـن ومـلاك الأراضـي ورجـال الدولـة. فـي عصـر إيڤـان الرهيـب

فـي القـرن السـادس عشـر، كانـوا أغنـى رجـال الأعمـال فـي تسـاردوم بروسـيا، وقامـوا بتمويـل الغـزو الروسـي لسـيبيريا والأمير بوزارسـكي. بيتـر الكبيـر رفـع سـتروغانوفس إلـى رتبـة النبـلاء البارونـات فـي الإمبراطوريـة الروسـية. توفـي آخـر فـرد مـن أفـراد الأسـرة فـي قصـر سـتروغانوف العـام 1923م.

(42) **نهـر أوبـي Obi**، ويُسـمى أيضـاً **أوب Ob**: هـو النهـر الرئيـس فـي غـرب سـيبيريا- روسـيا، وسـابع أطـول نهـر فـي العالـم، وهـو يتشـكل عنـد التقـاء نهـري بيـا وكاتـون اللذيـن ينبعـان مـن جبـال ألتـاي، وهـو أقصـى غـرب الأنهـار الثلاثـة السـيبيرية العظيمـة التـي تتدفـق إلـى المحيـط المتجمـد الشـمالي (نهـر ينيسـي ونهـر لينـا).

(43) **ڤاسـيلي يرمـاك Vassili Yermak**، ذكـره المؤلـف بهـذا الاسـم، ولكـن بعـد البحـث والتحقق مـن معلومـات ترجمتـه وجدتـه كمـا يلـي **يرمـاك تيموفيڤيتـش Yermak Timofeyevich** (**المُترجـم**): ولـد 1532م أو 1542م، توفـي 5 أو 6 أغسـطس 1585م)، هـو القائـد القوزاقـي الـذي بـدأ بالغـزو الروسـي لسـيبيريا، فـي عهـد القيصـر إيفـان الرهيـب. نتيجـة اهتمامـات المصالـح الروسـية التجاريـة بالفـراء، ازدادت رغبتهـا فـي التوسـع شـرقاً إلـى سـيبيريا، وجنّـد سـتروغانوف مقاتلـي القـوزاق لغـزو آسـيا، نيابـةً عـن القيصـر، وانتخـب هـؤلاء القـوزاق يرمـاك رئيسـاً لقواتهـم المسـلحة. فـي 26 أكتوبـر 1582م، أطـاح يرمـاك وجنـوده بإمبراطوريـة تاتـار كوتشـوم خـان فـي قشـليق، خـلال معركـة سُـميت بـ «غـزو سـيبيريا». بقـي يرمـاك فـي سـيبيريا، وواصـل كفاحـه ضـد التتـار حتـى العـام 1584م، عندمـا اقتحمتـه غـارة نظمهـا كوتشـوم خـان وقتلتـه هـو وفرقتـه. خصوصيـات حيـاة يرمـاك، مثـل ظهـوره، وخلفيتـه، ومواعيـد الأحـداث، تبقـى نقـاط خـلاف بالنسـبة إلـى المؤرخيـن، لأن النصـوص التـي توثّـق حياتـه غيـر موثـوقٍ بهـا.

(44) **سـيبير Sibir** وتُسـمى أيضـاً **إيسـكر Îsker** أو **قشـليق Qashliq**: كانـت فـي القـرون الوسـطى (القـرن 14) قلعـة السـيبرانية التتـار، وفـي القـرن السـادس عشـر عاصمـة خانـات سـيبير، وتقـع علـى الضفـة اليمنـى لنهـر إرتيـش، عنـد التقائـه مـع ريڤوليـت سـيبيركا، علـى بعـد 17 كلـم مـن مدينـة توبولسـك. تـمّ ذكـر القلعـة للمـرة الأولـى فـي المصـادر الروسـية مـن القـرن الرابـع عشـر.

(45) **توبولسـك Tobolsk**: بلـدة فـي منطقـة تيوميـن- روسـيا، تقـع عنـد التقـاء نهـري توبـول وإيرتيـش. تأسسـت توبولسـك فـي العـام 1590م، وهـي ثانـي أقـدم مسـتوطنة روسـية شـرق جبـال الأورال فـي روسـيا الآسـيوية، وعاصمـة تاريخيـة لمنطقـة سـيبيريا.

(46) **ذكـره المؤلـف باسـم كوبيلـوف Kupilof**، ولكـن بعـد البحـث والتحقيـق بالمعلومـات وجدنـا أن الشـخصية هـي **ڤاسـيلي دانيلوڤيتـش بوياركـوف Vassili Danilovich Poyarkov** (**المترجـم**) (؟ - بعـد 1668م): كان أول مستكشـف روسـي لمنطقـة أمـور، بـدأ التوسـع الروسـي فـي سـيبيريا بغـزو خانـات سـيبير فـي العـام 1582م. وبحلـول العـام 1639م، وصـل إلـى المحيـط الهـادئ، 65 ميـلاً جنـوب شـرقي مصـب نهـر أوليـا. كان ثمـة القليـل

مـن الأراضـي الصالحـة للزراعـة شـرق نهـر ينيسـي، باسـتثناء دوريـا، والأرض بيـن جبـال سـتانوفوي ونهـر أمـور التـي كانـت اسـمياً تحـت سـيطرة الصيـن، ولقـد أرسـل بويارکـوف لاستكشـاف هـذه الأرض.

(47) **يوكوتـز Yakutz**، أو **ياكوتسـك Yakutsk**: عاصمـة جمهوريـة سـاخا فـي روسـيا، وتقـع علـى بعـد حوالـي 450 كلـم (280 ميـلاً) جنـوب الدائـرة القطبيـة الشـمالية. ياكوتسـك هـي ميناءٌ رئيـس علـى نهـر لينـا.

(48) **نهـر لينـا Lena**: مـن الأنهـار الثلاثـة السـيبيرية العظيمـة التـي تتدفـق مـن أقصـى الشـرق إلـى المحيـط المتجمـد الشـمالي (والآخـران همـا أوب وينيسـي). ترتيبـه الحـادي عشـر فـي أطـول أنهـار العالـم، وهـو أيضـاً ثالـث أكبـر نهـر فـي آسـيا، والأكبـر بيـن الأنهـار التـي تقـع مسـتجمعاتها بالكامـل داخـل الحـدود الإقليميـة الروسـية.

(49) **آمـور Amur**، أو نهـر هيلونـغ جيانـغ/ أي التنيـن الأسـود: هـو عاشـر أطـول نهـر فـي العالـم، ويُشـكل الحـدود بيـن الشـرق الأقصـى الروسـي وشـمال شـرق الصيـن (الداخلية منشـوريا).

(50) **سـيبيريا Siberia**: منطقـة جغرافيـة واسـعة، تُعـرف أيضـاً باسـم شـمال آسـيا. تاريخيـاً كانـت سـيبيريا جـزءاً مـن روسـيا، منـذ القـرن السـابع عشـر. تمتـد أراضـي سـيبيريا مـن جبـال الأورال شـرقاً إلـى مسـتجمعات الميـاه بيـن أحـواض تصريـف المحيـط الهـادئ والقطـب الشـمالي. يقسـم نهـر ينيسـي شـطري سـيبيريا إلـى جزأيـن: غربـي وشـرقي. تمتـد سـيبيريا مـن المحيـط المتجمـد الشـمالي جنوبـاً إلـى تـلال شـمال وسـط كازاخسـتان، وإلـى الحـدود الوطنيـة لمنغوليـا والصيـن، وتبلـغ مسـاحتها حوالـي 1 , 13 مليـون كلـم2 (5،100،000 ميـل مربـع).

(51) **كوليمـا Kolyma**: منطقـة تقـع فـي الشـرق الأقصـى الروسـي، يحدّهـا شـرقاً بحـر سـيبيريا والمحيـط المتجمـد الشـمالي مـن الشـمال وبحـر أوخوتسـك مـن الجنـوب، تحصلـت المنطقة علـى اسـمها مـن نهـر كوليمـا، وسلسـلة الجبـال لـم تكتشـف أجـزاء منهـا حتـى العـام 1926م.

(52) **مضيـق بيرينـغ Bering Strait**: يقـع فـي المحيـط الهـادئ الـذي يحـده القطـب الشـمالي مـن الشـمال، بيـن روسـيا والولايـات المتحـدة الأمريكيـة، سـمّي علـى اسـم مكتشـفه فيتـوس بيرينـغ، المستكشـف الدنماركـي فـي خدمـة الإمبراطوريـة الروسـية.

(53) **بطـرس الكبيـر Peter the Great** (9 يونيـو 1672م– 8 فبرايـر 1725م): حكـم تسـاردوم- روسـيا، وبعـد ذلـك الإمبراطوريـة الروسـية مـن 7 مايـو 1682م حتـى وفاتـه، بالاشـتراك فـي الحكـم قبـل العـام 1696م، مـع أخيـه الأكبـر الشـقيق إيڤـان الخامـس. مـن خـلال عـددٍ مـن الحـروب الناجحـة، توسـعت تسـاردوم إلـى إمبراطوريـة أكبـر بكثيـر، وأصبحـت قـوةً أوروبيـة رئيسـة. قـاد بطـرس ثـورةً ثقافيـة اسـتبدلت بعـض النظـم الاجتماعيـة والسياسـية التقليديـة للقـرون الوسـطى، بأخـرى حديثـة وعلميـة وغربيـة ومبنيـة علـى التنويـر. أدت إصلاحـات بيتـر إلـى تأثيـرٍ دائـم علـى روسـيا، وترجـع العديـد مـن مؤسسـات الحكومـة الروسـية بأصولهـا إلـى عصـره.

(54) **ڤيتـوس جوناسـن بيرينـغ Vitus Jonassen Bering** (عُمِّـدَ 5 أغسـطس 1681م، توفـي 19 ديسـمبر 1741م) معـروف أيضـاً باسـم إيڤـان إيڤانوفيتـش بيرينـغ: رسـام خرائـط ومُستكشـف ومُسـتعمر دنماركـي فـي الخدمـة الروسـية، وضابـط فـي البحريـة الروسـية. معـروف بأنـه قائد لبعثتيـن روسـيتين، همـا بعثـة كامتشـاتكا الأولـى، وبعثـة شـمال الصيـن الكبرى، واستكشـاف السـاحل الشـمالي الشـرقي للقـارة الآسـيوية، ومـن هنـاك السـاحل الغربـي فـي قـارة أمريـكا الشـمالية، وواضـع موطـئ القـدم الروسـية فـي شـمال القـارة الأمريكيـة. تمّـت تسـمية كلٍّ مـن مضيـق بيرينـغ، وبحـر بيرينـغ، وجزيـرة بيرينـغ، وجبـل بيرينـغ الجليـدي، وجسـر بيرينـغ البـري، تشـريفاً لـه.

(55) **سـانت إليـاس St. Elias**: هـو رأس يقـع فـي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة- ألاسـكا، فـي الطـرف الجنوبـي الغربـي مـن جزيـرة كايـاك، علـى بعـد 104 كلـم (65 ميـلاً) جنـوب شـرق كوردوفـا. وجبـل سـانت إليـاس هـو ثانـي أعلـى جبـل فـي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة وكنـدا.

(56) **السـير روبـرت جـون لـي ميسـوريية ماكلـور Sir Robert John Le Mesurier McClure** (28 ينايـر 1807م- 17 أكتوبـر 1873م): مستكشـف ومُسـتعمر إيرلنـدي للقطـب الشـمالي. ولـد فـي مدينـة وكسـفورد، وكان فـي العـام 1854م أول مـن عبـر ممـرّ الشـمال الغربـي (عـن طريـق القـوارب والمزلجـة)، وكذلـك أول مـن أبحـر حـول الأمريكيتيـن.

(57) **البـارون نيلـس أدولـف إريـك نوردنسـكيولد Nils Adolf Erik Nordenskiöld** (18 نوفمبـر 1832م- 12 أغسـطس 1901م): بـارون فنلنـدي/ سـويدي، عالـم جيولوجـي، وعالـم معـادن ومستكشـف ومُسـتعمر القطـب الشـمالي. كان مـن عائلـة نوردنسـكيولد الشـهيرة السـويدية، الفنلنديـة، ولـد فـي هلسـنكي، فـي دوقيـة فنلنـدا الكبـرى عندما كانـت جـزءاً مـن الإمبراطورية الروسـية. وفـي وقـتٍ لاحـقٍ، وبسـبب نشـاطه السياسـي، اضطـر للانتقـال إلـى السـويد، حيث أصبـح لاحقـاً عضـواً فـي برلمـان السـويد. قـاد حملـة فيغـا علـى طـول السـاحل الشـمالي لأوراسـيا، فـي الأعـوام 1878-1879م، وكان هـذا أول عبـور كامـل للممـر الشـمالي الشـرقي.



الفصل التاسع

تقسيم أمريكا



حتى الآن، كنا نتعامل مع الاكتشافات التي قام بها الإسبان والبرتغاليون على طول ساحل العالم الجديد.. لكنهم، في وقتٍ مُبكرٍ من القرن السادس عشر الميلادي، بدؤوا بوضع أقدامهم على اليابسة واستكشاف المناطق الداخلية. في وقتٍ مبكرٍ من العام (1513 ميلادي) صعد المستكشف (ڤاسكو نونيز دي بالبوا Vasco Nunez de Balboa)[1] أعلى قمّة جبل في مجموعة سلسلة الجبال المتتالية من برزخ بنما؛ وللمرة الأولى، وبعيونٍ أوروبية، رأى المحيط العظيم الذي تمّت تسميته في ما بعد من قِبل ماجلان بالمحيط (الباسفيكي) الهادِئ. لقد سمع أنّ البلد في الجنوب يمتدّ إلى ما لانهاية، وتقطنُه أُممٌ عظيمة، مع وفرة معدن الذهب فيه، ومن بين رفاقه الذين سمعوا عن هذه البلاد الذهبية، أو بلاد الإلدورادو، كان (فرانسيسكو بيزارو Francisco Pizarro)[2] الذي كان مُستعدّاً للتأكد من هذا الخبر. لكنّ خبراً مماثلاً بلغ أسماع (دييغو ڤيلاسكيز Diego Velasquez)[3]، حاكم كوبا، عن أمّةٍ عظيمة تمتلك الكثير من الذهب، إلى شمال منطقة (دارين Darien)[4]. وبناءً عليه، أوفد مُلازمه (هيرناندو كورتيس Hernando Cortes)[5] في (1519 ميلادي) للبحث، مع عشر سفن وستمائة وخمسين رجلاً، وحوالي ثمانية عشر من الخيول. عندما نزل في الميناء الذي أطلق عليه اسم (ڤيراكروز Vera Cruz)[6]، وظهور رجاله، وخصوصاً مع خيولهم، اندهش المواطنون المحليون المكسيكيون، وأصابهم الذعر، فثمة دولةٌ كبرى وشبه متحضرة في ظلّ حكم (مونتيزوما Montezuma)[7]، وهو آخر ممثل للآزتيك (Aztecs)[8]، والذي ورث في القرن الثاني عشر إمبراطورية (تولتيك Toltecs)[9]، وهم

شعبٌ استقروا في السهل المكسيكي، في وقتٍ مبكرٍ قد يكون في القرن السابع، وأدخلوا استخدام المعادن والطرق والكثير من مقوّمات الحضارة. وتفيد التقارير بأن مونتيزوما كان قادراً على أن يجمع ما لا يقلّ عن مائتي ألف رجل تحت لوائه، لكنه أبدى رأيه تجاه الإسبان، بأن يرسل إليهم الهدايا النفيسة والذهب والفضة والمواد الخام، غير أنّ هذا التصرف أثار طمع كورتيس الذي عزم على القيام بخطوةٍ جريئةٍ للاستيلاءِ على كلّ هذه الغنائم القيّمة، فأحرق سفنه وتوغل في المناطق الداخلية للبلاد، وفي طريقه انتصر على قبيلة (تلاسكالا Tlascala)[10] التي كانت في حالة حرب مع المكسيكيين، وعندما تغلّب عليهم، أبدوا استعدادهم لمساعدته ضد هؤلاء؛ وبفضل مساعدتهم، نجح في أسر الملك المكسيكي الذي اضطُر إلى تقديم جزيةٍ كبيرة. وبعد العديد من الصراعات، وجد كورتيس نفسه سيد العاصمة، ومالك جميع ثروات الإمبراطورية المكسيكية (1521ميلادي)، والتي سرعان ما وضعها تحت أقدام الإمبراطور تشارلز الخامس الذي قام بدوره بتعيينه حاكماً وقائداً عاماً للمكسيك. ومن الخصائص المميزة، طوال فترة تاريخ هذا العالم الجديد، أنّ أياّ من هؤلاء الجنود المحظوظين– الذين وجدوه لقمةً سائغةً– لم يفكر في أن يؤسس إمبراطوريةً لنفسه، وهذا دليلٌ على تأثير الشعور الوطني في العقول، حتى لدى أكثر الرجال الخارجين عن القانون، فكانت النتيجة أن تمّ جلب أوروبا والأفكار الأوروبية إلى أمريكا، أو بالأحرى، أصبحت أوروبا من روافد العالم الجديد.

وحالما وطد كورتيس نفسه، قام بتجهيز رحلاتٍ لاستكشاف البلاد، ووصل إلى (هندوراس Honduras)[11]، بعد رحلةٍ رائعة لأكثر من (1000 ميل)، حيث استرشد فقط بخريطةٍ على قماشٍ قُطنيّ، رَسَمَ عليها زعيمٌ قبليّ من منطقة (تاباسكو Tabasco)[12] كلّ المدن والأنهار والجبال التي في البلاد، وصولاً إلى (نيكاراغوا Nicaragua)[13]، كما أرسل أسطولاً

صغيـراً تحـت قيـادة (ألڤـارو دي سـاڤيدرا Alvarro de Saavedra)[14] لدعـم البعثـة الإسـبانية التـي أُرسـلت إلـى جـزر الملـوك تحـت إمـرة البحّـار (خـوان سيباسـتيان ديـل كانـو Joan Sebastian del Cano)[15]، والتـي وصلـت إلى جزيرة تيـدور فـي العـام (1527 ميـلادي)، مـا أثـار دهشـة الإسـبانيين والبرتغالييـن علـى حـدٍّ سـواء، عندمـا سـمعوا أنـه كان قـد بـدأ مـن (قشـتالة الجديـدة New Castile)[16]. وفـي العـام (1536 ميـلادي)، قـام كورتيـس- الـذي كان فـي تلـك الأثنـاء قـد خفّـض كثيـراً مـن قوتـه- بتشـكيل بعثـةٍ عـن طريـق البحـر علـى طـول السـاحل الشـمالي الغربـي للمكسـيك، ووصـل إلـى مـا اعتبـره جزيـرةً كبيـرة، حدّدهـا بجزيـرةٍ وهميـة فـي الشـرق الأقصـى، بالقـرب مـن الجنـة الأرضيـة التـي أعطـي لهـا اسـم (كاليفورنيـا California)[17] فـي الرومانسـية المعاصـرة. وهكـذا، وبسـبب كورتيـس، أصبحـت جميـع أمريـكا الوسـطى تقريبـاً معروفـةً قبـل وفاتـه فـي العـام (1540 ميـلادي)؛ وبشـكلٍ مُماثـلٍ، وفـي فتـرةٍ أسـبق مـن ذلـك بكثيـر، كان المستكشـف (بونـس دي ليـون Ponce de Leon)[18] يعتقـد أنـه اكتشـف جزيـرةً كبيـرة أخـرى فـي فلوريـدا فـي العـام (1512 ميـلادي)، حيـن كان ذاهبـاً للبحـث عـن (بايـوكا Bayuca)[19]، الجزيـرة الأسـطورية للهنـود، والتـي ذُكـر أنّـه يوجـد فيهـا ينبـوعُ الشـباب الدائـم. وفـي وقـت محاولـة كورتيـس الأولـى فـي المكسـيك، كان (بينيـدا Pineda)[20] قـد أبحـر حـول سـاحل فلوريـدا، وربطهـا مـع بقيـة سـاحل المكسـيك الـذي اجتـازه حتـى وصـل إلـى ڤيراكـروز.

كانـت مآثـر كورتيـس كلهـا مهمـة فـي تأثيراتهـا، ولقـد أثبتـت- بـكل سـهولة- كيـف أنّ حفنـةً مـن الرجـال قد يتغلبـون علـى إمبراطورية، ويكسـبون منهـا ثـرواتٍ لـم يسـبق لهـا مثيـل. نجـاح كورتيـس شـجّع فرانسيسـكو بيزارو لمحاولـة اكتشـاف بـلاد الإلـدورادو التـي سـمع بهـا عندمـا كان فـي حملـة بالبـوا. ومـع رفيـقٍ لـه يدعـى (دييغـو دي ألميغـرو Diego de Almegro)[21] قـام بحمـلات سـاحلية عـدة علـى طـول السـاحل الشـمالي الغربـي لأمريـكا

الجنوبيــة، حيــث ســمعوا بإمبراطوريــة (الإنــكا Incas)[22] التــي تقــع علــى ســهلٍ واسـعٍ مُرتفـعٍ فـي البيـرو، كمـا حصلـوا علـى كميـةٍ وافـرةٍ مـن الذهـب والفضــة؛ مــا يكفــي لرفــع آمالهــم بإثــراء بلادهــم، فعــادوا إلــى إســبانيا ليرفعــوا تقريرهــم إلــى الإمبراطــور. تمكــن بيــزارو مــن الحصــول علــى إذنٍ مــن تشــارلز الخامــس بالاســتيلاء علــى البيــرو، وأطلــق عليــه لقــب الحاكــم والكابتــن العــام، شــرط دفعــه إتــاوةً مــن خُمــس الكنــز الــذي ســيحصل عليــه. وفــي فبرايــر/ شــباط مــن العــام (1531 ميــلادي)، بــدأ مــع قــوةٍ صغيــرةٍ مــن مائــة وثمانيــن رجــلاً، منهــم ســتةٌ وثلاثــونَ فارســاً، وتبنّــى سياســة كورتيــس، مندفعــاً مباشــرةً نحــو العاصمــة (كوزكــو Cuzco)[23]، حيــث تمكنــوا مــن القبــض علــى (آتاهوالبــا Atahualpa)[24]، ملــك الإنــكا فــي ذلــك الوقــت، والــذي حــاول فديــة نفســه بالموافقــة علــى مــلءِ الغرفــة التــي كان محجــوزاً فيهــا- وهــي بمســاحة اثنتيــن وعشــرين قدمــاً فــي الطــول، وســت عشــرة قدمــاً فــي العــرض- بســبائك الذهــب، وبالارتفــاع الــذي وصلــت إليــه يــده، ولقــد نفــذ هــذا الوعــد المذهــل بالفعــل، فوجــد بيــزارو ورفاقــه أنفســهم يمتلكــون غنائــم تســاوي ثلاثــة ملاييــن جنيــه اســترليني.

بالرغــم مــن ذلــك، لــم يتــمّ الإفــراج عــن الملــك أتاهوالبــا، بــل حُكــم عليــه بالإعــدام لحجّــةٍ تافهــة! وعندمــا قــام بيــزارو بتســريح أتباعــه، كان واثقــاً تمامــاً من أنّ الثــروات التــي حملوهــا ســتجذب العديــد مــن الرجــال إلى بــلاد الإلــدورادو، فوطَّــد نفســه فــي (ليمــا Lima)[25]، بالقــرب مــن الســاحل، فــي العــام (1534 ميــلادي). وفــي الأثنــاء التــي أُرســل فيهــا ألميغــرو إلــى الجنــوب، وجعــل مــن نفســه حاكمــاً علــى (تشــيلي Chili)[26]، كمــا جــرى إطــلاق حملــةٍ أخــرى فــي العــام (1539 ميــلادي) مــن قِبــل (غونزاليــس Gonzales)[27] شــقيق بيــزارو، عبــر جبــال الأنديــز، ووصلــت إلــى مصــادر نهــر الأمــازون، حيــث قــام أحــد رفاقــه، (فرانسيســكو دي أوريلانــا Francisco de Orellana)[28]، بالعبــور وصــولاً إلــى مصــب النهــر، وكان ذلــك في شــهر أغســطس/ آب مــن العــام (1541 ميــلادي)،

بعد رحلةٍ لمسافة ألف فرسخ. سُمّي النهر باسم أوريلانا، لكنّ روايات أخرى تفيد بوجود قبيلة من النساء المحاربات، ما جعل النهر يُعرف في ما بعد باسم نهر الأمازون. وقام مؤلفٌ بنشر تقارير عن بلاد إلدورادو أخرى إلى الشمال، حيث تمّت تغطية أسطح المعابد بالذهب، وأدى هذا التقرير لاحقاً إلى قيام الحملة الكارثية للسير (والتر رالي Walter Raleigh)[29] إلى (غويانا Guiana)[30]. وبرحلته تلك، ربط أوريلانا «مناطق النفوذ» الإسبانية والبرتغالية بعالم أميريكو ڤيسبوتشي الجديد. وبحلول العام (1540 ميلادي)، كانت الخطوط العريضة لأمريكا الوسطى والجنوبية وبعض الداخل قد أعلنت من قبل المغامرين الإسبان، في غضون نصف قرنٍ من أول رحلة بحرية لكولومبوس. وبسبب المرسوم البابوي، امتلكت البرتغال البرازيل، لكنّ كلّ ما تبقّى من الامتداد الضخم للبلاد طالبت به إسبانيا. تعامل البرتغاليون بحكمةٍ مع البرازيل التي جعلوها كمُتنفَّسٍ للفائض من سكانهم الذين استقروا هناك بأعدادٍ كبيرةٍ، وأسسوا المزارع. من ناحيةٍ أخرى، اعتبر الإسبان ممتلكاتهم الضخمة كأسواقٍ خاصةٍ يقومون بزيارتها فقط. تم اكتشاف مناجم غنية بالذهب والفضة والزئبق في المكسيك والبيرو، وخصوصاً في مناجم (بوتوسي Potosi)[31] الشهيرة جداً، ولقد جرى استغلالها تماماً لمصلحة إسبانيا التي كانت بمثابة الغربال الذي حوى المعادن الثمينة في أوروبا، كما رفعت الأسعار في جميع أنحاء العالم القديم. في المقابل، تمّ إرسال البضائع الأوروبية في رحلات العودة لسفن (الغليونات Galleon)[32] الإسبانية الضخمة إلى إسبانيا الجديدة، والتي أتاحت شراء القماش الفلمنكي- على سبيل المثال- من خلال الوسطاء الإسبان فقط، الذين رفعوا سعره إلى ثلاثة أضعاف التكلفة الأصلية. هذه السياسة القصيرة النظر من جانب إسبانيا، شجّعت بشكلٍ طبيعيّ على التهريب، وجذبت السفن من جميع الدول، لتحقيق هذا المسعى.

لقد رأينا بالفعل المحاولات الأولى من جانب الفرنسيين والإنجليز، في مجال استكشاف الساحل الشمالي الشرقي لأمريكا الشمالية؛ ولكن، خلال القرن السادس عشر، كان سعيهم قليلاً جداً للاستقرار على كلّ هذه الشواطِئ المجدبة، والتي لم توفر لهم أيّ شيءٍ من الغنائم النفيسة التي وفرتها أمريكا الاستوائية؛ فلا استكشاف كارتييه في العام (1534 ميلادي)، ولا كابوت قبل ذلك بكثير، تبعتهما أيّ محاولةٍ لامتلاك الأرض. وزار الصيادون (البريتونيون Breton)[33] مصائد الأسماك قبالة نيوفاوندلاند، وحاول الكثير من المستكشفين العثور على الثغرات التي من شأنها أن تمنحهم الممر الشمال الغربي؛ ما عدا ذلك الجزء الشمالي من القارة الذي تُرك غير مأهولٍ حتى بداية القرن السابع عشر الميلادي. أول مدينة جرى تأسيسها كانت مدينة (القديس أوغسطين St.Augustine)[34] في فلوريدا، العام (1565 ميلادي)، ولكن تمّ تخريبها بعد ثلاث سنوات من قِبل حملةٍ فرنسية. حاول السير والتر رالي تأسيس مستعمرةٍ في العام (1584 ميلادي)، بالقرب من المكان الذي تقع عليه (ڤيرجينيا Virginia)[35] الآن، لكنها تلاشت بعد ثلاث سنوات، ولم يحلّ عهد (جيمس الأول James I)[36] حتى جرى القيام بمحاولةٍ منظمة من قِبل إنجلترا لإنشاء مستعمراتٍ زراعية- كما أطلقوا عليها في ذلك الوقت- على ساحل أمريكا الشمالية.

اثنتان من الشركات المؤجرة، واحدةٌ في الشمال تسمّى شركة (بليموث Plymouth)[37]، وواحدةٌ في الجنوب تُسمّى (شركة لندن London Company)[38] (كلتاهما تأسست في العام 1606ميلادي)، تمّ تقسيم الساحل اسمياً بينهما، من (نوڤا سكوتيا Nova Scotia)[39] إلى فلوريدا، وكانت هذه المساحات الواسعة من البلاد، خلال القرن السابع عشر الميلادي، تنقسم بشكلٍ بطيء إلى ولاياتٍ صغيرة: البيوريتاني أساساً في الشمال (إنجلترا الجديدة New England)[40]، الكنيسة العليا والكاثوليكية في الجنوب، ڤيرجينيا و(ماريلاند Maryland)[41]. ولكن بين الاثنتين، وعلى

ضفاف نهر (هدسون Hudson)[42] و نهر (ديلاوير Delaware)[43]، كانت دولتان أوروبيتان أخريان قد شكَّلتا أيضاً مستعمراتٍ زراعية هولندية على طول نهر هدسون. واعتباراً من العام (1609 ميلادي)، تمّ تشكيل (هولندا الجديدة New Netherlands)[44]، وقم السويديون، من العام (1636 ميلادي) بتشكيل (السويد الجديدة New Sweden)[45] على طول ولاية ديلاوير، والتي لم تدم سوى بضع سنوات، إذ تمّ استيعابها من قِبل الهولنديين في العام (1655 ميلادي). تأسست عاصمة هولندا الجديدة في جزيرة (مانهاتن Manhattan)[46]، إلى الجنوب من الحاجز الذي لا يزال يُعرف باسم (وول ستريت Wall street)[47]، وسُميت المدينة باسم (أمستردام الجديدة New Amsterdam)[48]. أما نهر هدسون، ذلك الشريان الهام للتجارة بين المحيط الأطلسي ومنطقة البحيرات الكبرى، فكان ذلك الإسفين الذي دُقَّ بين مجموعتين من المستعمرات الإنجليزية، وكان عائقاً أمام أيّ تقدّم في المستقبل، ولقد اعترف بذلك الملك (تشارلز الثاني Charles II)[49] الذي أرسل في العام (1664 ميلادي) حملةً استكشافية للمطالبة بتسليمه، بالرغم من أن إنجلترا وهولندا كانتا، في ذلك الوقت، في حالة سلام؛ فجرى أخذ أمستردام الجديدة، وسُمّيت باسم (نيويورك New York)[50]، على اسم شقيق الملك دوق (يورك York)[51]، وبعد ذلك، سقطت السويد الجديدة في أيدي الإنجليز، وقام الملك جيمس الثاني ببيعها كمزرعةٍ مملوكة لرجلٍ جيرسي، هو السير (جورج كارتريت George Carteret)[52]، والبروتستانتي السيد (ويليام بن William Penn)[53]. من خلال هذا الإجراء الحاسم، إلى حدٍّ ما، بات الخط الساحلي بكامله، وصولاً إلى فلوريدا، في أيدي الإنجليز.

كلا الشركتين، لندن وبليموث، بدأت بتكوين مستعمراتٍ زراعية في العام (1607 ميلادي)، وفي هذا العام بالذات، قام الفرنسيون بإنشاء أولى مستوطناتهم الفعالة في أمريكا، في (بورت رويال Port Royal)[54] وفي نوفا

سكوتيا، وسُمّيت حينذاك باسم أركادي. بينما، في العام التالي، قام صمويل دي شامبلين بإنشاء المستوطنات في (كيبيك Quebec)[55]، وأسس (كندا الفرنسية)، واستكشف البحيرة التي في البلاد، وأقام مستوطنات على ضفاف نهر سانت لورانس، وعلى طول هذه المستوطنات انحصر نشاط الفرنسيين لفترةٍ طويلة، وتجولت بين الفرنسيين والمستوطنات الإنجليزية الشعوب الخمسة المحاربة من الهنود (الإيروكوا Iroquois)[56]، واضطر شامبلين- الذي كانت مستوطناته تقع في بلاد (الغونكوين Algonquins)[57]- لأن ينحاز إلى جانب الإنجليز، ويجعل من الإيروكوا أعداءً لفرنسا، الأمر الذي كانت له آثارٌ هامة على الصراع النهائي بين إنجلترا وفرنسا، في القرن الثامن عشر الميلادي. واصل الفرنسيون استكشافهم للمناطق الداخلية من القارة. وفي العام (1673 ميلادي) اكتشف المستكشف الفرنسي (ماركيت Marquette)[58] نهر (الميسيسيبي Mississippi)[59] (ميسي سيبي Missi sippi، «الماء العظيم»)، وانحدر نازلاً به وصولاً إلى مصبه في (أركنساس Arkansas)[60]، لكن المستكشف الفرنسي (روبرت دي لا سال Robert de la Salle)[61] أتمّ تنفيذ أعمال الاستكشاف لوادي المسيسبي، وكان قبل ذلك قد اكتشف نهري (أوهايو Ohio)[62] و(إلينوي Illinois)[63]، وفي ثلاث حملات، بين العامين (1680 و 1682 ميلادي)، سعى إلى إنجاح طريقه بشكلٍ تام إلى مصب نهر المسيسبي، معطياً هذه المنطقة الضخمة للبلاد التي اجتازها اسم (لويزيانا Louisiana)[64] على اسم (لويس الرابع عشر Louis XIV)[65].

منذ ذلك الحين، طالبت فرنسا بملكية المناطق الداخلية بالكامل، وهي ما يجب أن نُطلق عليها الآن اسم «أمريكا الشمالية»، وانحصر الإنجليز في شريطٍ ضيّق نسبياً من شرق بلاد (الأليغاني Alleghanies)[66]، وتأسست (نيو أورليانز New Orleans)[67] عند مصبّ نهر الميسيسيبي في العام (1716 ميلادي)، وسُمّيت باسم الأمير (ريجنت Regent)[68]؛ وتراوح النشاط الفرنسي بين كيبيك ونيو أورليانز، وترك آثاراً كثيرة حتى

يومنا هذا، منها الأسماء الفرنسية، مثل (موبايل Mobile)[69]، و(ديترويت Detroit)[70]، وما شابه ذلك، من خلال البلاد الفاصلة. في بداية القرن الثامن عشر، كان الوضع مُماثلاً للوضع في الساحل الذهبي لأفريقيا، في نهاية القرن التاسع عشر. حاول الفرنسيون باستمرار الانقضاض على دائرة النفوذ الإنجليزية، وأثناء هذه المحاولة لتحديد دائرتي النفوذ، تعلّم (جورج واشنطن George Washington)[71] أول درس له في الدبلوماسية والاستراتيجية. وكانت المستعمرات الفرنسية والإنجليزية الأمريكية في حالة حربٍ دائمة، والسبب من ذلك هو البُقعة التي تقف عليها (بيتسبورغ Pittsburg)[72] الآن، والتي كانت تُعتبر بوابةً للغرب، وكذلك لإطلالتها على وادي أوهايو.. هناك تأسس حصن (دوكسين Duquesne)[73] الذي تحمل المدينة اسمه، ولم يحلّ العام (1758 ميلادي)، حتى انتُزع هذا الحصن أخيراً من أيدي الفرنسيين. وفي العام التالي، أطاح اللواء (وولف Wolfe)[74]- من خلال استيلائه على كيبيك- بالقوة الفرنسية بكاملها في أمريكا الشمالية، وطوال هذه الفترة الطويلة من القتال، ساعدت الإنجليز كثيراً حربُ العصابات التي قام بها الإيروكوا ضد الفرنسيين.

بموجب معاهدة باريس، في العام (1763 ميلادي)، تمّ التنازل عن كلّ أمريكا الفرنسية لإنجلترا التي حصلت على ملكية فلوريدا من إسبانيا، في مقابل الفيليبين التي استُولي عليها خلال الحرب، كتعويضٍ عن البلاد الواقعة غربيّ نهر المسيسيبي، والتي ضُمَّت إلى الأملاك الإسبانية في المكسيك، وبالطبع أصبحت هذه فرنسيةً بالاسم فقط، عندما نصّب شقيق نابليون (جوزيف Joseph)[75] على العرش الإسباني. لكن نابليون قام ببيعها إلى الولايات المتحدة، في العام (1803 ميلادي)، وذلك لعدم وجود أيّ عائقٍ أمام انتشار الدول غرباً. وقبل وقتٍ طويلٍ من هذا، تشكّلت شركةٌ مؤجرة في العام (1670 ميلادي)، تولّى الأمير (روبرت Rupert)[76] رئاستها، ليتداول تجارة الفراء مع الهنود في خليج هدسون، ثم أُسميت بعد ذلك باسم

(روبيرتزلانـد Rupertsland)[77]. امتـدّت معرفـةُ شـركة خليـج هدسـون بالأجـزاء الشـمالية مـن أمريـكا تدريجيـاً نحـو جبـال (روكـي Rocky)[78]، ولـم يكـد العـام (1740 ميـلادي) يحـلّ، حتـى قـام المستكشـف (ڤاريـن دي لا ڤارانديـري Varenne de la Varanderye)[79] باستكشـاف رقعتهـا الممتـدة. وفـي العـام (1769-1771 ميـلادي)، قـام تاجـر فـراء اسـمه (هيـرن Hearne)[80] بتتبّـع نهـر (كبرميـن Coppermine)[81] إلـى البحـر، فـي حيـن إنـه- حتـى العـام (1793 ميـلادي)- لـم يكـن السـيد (ماكينـزي Mackenzie)[82] قـد قـام باكتشـاف النهـر الـذي سُـمي باسـمه إلـى الآن، وبعبـور قـارة أمريـكا الشـمالية مـن المحيـط الأطلسـي إلـى المحيـط الهـادِئ. ومـن أسـباب هـذا الاستكشـاف المتأخـر لشـمال غـرب أمريكا الشـمالية، أسـطورةٌ جغرافيـة بدأهـا مسـافرٌ إسـبانيّ يدعـى (خـوان دي فـوكا Juan de Fuca)[83] فـي وقـتٍ مبكـرٍ مـن العـام (1592 ميـلادي)، حيـث كان مبحـراً علـى السـاحل، حتـى وصـل إلـى جزيـرة (ڤانكوڤـر Vancouver)[84]، ودخـل مـن مدخل فـي جنوبهـا. ونتيجـةً لعـدم تمكنـه مـن رؤيـة الأرض فـي الشـمال، عـاد حامـلاً معـه تقريـراً عـن بحـرٍ ضخـمٍ يمتـدّ فـي جميـع أنحـاء هـذا الجـزء مـن البـلاد، والـذي افتـرض معظـم الجغرافييـن أنـه يمـرّ علـى خليـج هدسـون، أو بالقـرب منـه. وكان هـذا التقريـر أكثـر مـا أحيـا الآمـال فـي العثـور علـى ممـرّ الشـمال الغربـيّ، فـي خـط عـرض منخفـضٍ بمـا فيـه الكفايـة ليكـون خاليـاً مـن الجليـد.

وحالمـا امتلكـت الولايـات المتحـدة الأرض التـي تقـع غـرب نهـر الميسيسـيبي؛ بـدأت فـي استكشـافها. وبيـن العاميـن (1804 و1807 ميـلادي) اكتشـف (لويـس Lewis)[85] و(كلارك Clarke)[86] حـوض نهـر (ميسـوري Missouri)[87] بكاملـه، فـي حيـن أن (بايـك Pike)[88] كان قـد تحقـق مـن البـلاد التـي تقـع بيـن مصـادر الميسيسـيبي و(النهـر الأحمـر Red River)[89]. لقـد رأينـا بالفعـل أنّ بيرينـغ قـد حمـل علـى عاتقـه الاكتشـافات الروسـية والسـيطرة علـى (ألاسـكا Alaska)[90]، وكان مـن أجـل تجنـب التعديـات وصـولاً نحـو سـاحل كاليفورنيـا التـي طرحهـا الرئيـس (مونـرو Monroe)[91] فـي العـام (1823

ميـلادي)، فـي المبـدأ الـذي ينـص علـى أنّ الولايـات المتحـدة لـن تسـمح بالمزيـد مـن الاسـتعمار للأمريكتيـن. فـي ذلـك العـام، وافقـت روسـيا علـى الحـدّ مـن مطالباتهـا بالبـلاد شـمال 40 ,54ْ، وبعـد ذلـك، اسـتحوذت الولايات المتحـدة علـى ولايـة كاليفورنيـا وغيرهـا مـن الـدول المجـاورة- خـلال حربهـا مـع المكسـيك فـي العـام (1848 ميـلادي)، قبـل اكتشـاف الذهـب فـي وادي (سـاكرامنتو Sacramento)[92]. كانـت الأراضـي الواقعـة بيـن كاليفورنيـا وألاسـكا فـي ملكيـةٍ مشـتركة بيـن بريطانيـا العظمـى والولايـات المتحـدة، وكانـت تُعـرف باسـم إقليـم (أوريغـون Oregon)[93]. وكان لويـس وكلارك قـد استكشـفا نهـر (كولومبيـا Columbia)[94]، بينمـا كان (ڤانكوڤـر Vancouver)[95] قـد اكتشـف قبـل ذلـك الجزيـرة التـي تحمـل اسـمه الآن، بحيـث يبـدو أن كلا البلديـن يتمتّـع ببعـض الحقـوق لاسكتشـاف المنطقـة. وفـي وقـتٍ واحـدٍ، اتجهـت تعامـلات سـكان الولايـات للمطالبـة بجميـع البـلاد حتـى الحـدود الروسـية (40 ,54ْ)، لتُعلـن الحـرب أو القتـال عنـد (40 ,54ْ). ولكـن فـي العـام (1846 ميـلادي) انقسـمت المنطقـة علـى خـط العـرض (49) المـوازي، وفـي هـذا التاريـخ يمكـن القـول أن تقسـيم أمريـكا قـد اكتمـل، وكلّ مـا تبقـى لمعرفتـه منهـا كان ذلـك السـاحل الشـماليّ المحصـور بالجليـد، والـذي مـن خلالـه سـيتم عـرض كل المغامـرات البطوليـة.

وهكـذا، فـإنّ تاريـخ الاكتشـاف الجغرافـيّ فـي أمريـكا، هـو تاريـخٌ للغـزو، إلـى حـدٍّ كبيـر؛ ولقـد عـرف الرجـال كلاً مـن الخطيـن السـاحلي والداخلـي، بينمـا كانـوا يحاولـون التجـارة أو الاسـتيطان، حيـث كانـت الطبيعـة مناسـبة، أو لأن البلـد يوفـر ثـروةً معدنيـة أو نباتيـة يمكـن نقلهـا بسـهولة. وأمـا مـا يتعلّـق بالمعرفـة السـاحلية المبكـرة، فقـد تـمّ الحصـول عليهـا مـن أجـل الجغرافيـا. ولكـن حيثمـا تتوسـع القـارة شـمالاً أو جنوبـاً، فـإنّ ذلـك يجعـل مـن المتعـذّر اتصـال المناطـق الداخلية بالسـواحل للأغـراض التجاريـة، والتي ظلّـت مجهولةً حتـى القـرن الحالـي. وحتـى فـي يومنـا الحالـي، قـد تكون البـلاد جنـوب وادي

الأمـازون مـن أقـلّ الأماكـن معرفـةً مـن أيّ جـزءٍ آخـر علـى سـطح الأرض. وكمـا رأينـا سـابقاً، لـم يـأتِ مطلـع هـذا القـرن، حتـى تـمّ إحـراز كلّ المعرفـة عـن المسـالك الضخمـة للبـلاد التـي تقـع بيـن المسيسـيبي وجبـال روكـي. كان التوسـع الطبيعـي للـدول عائـداً إلـى تنـازل نابليـون عـن هـذه المسـالك للولايـات المتحـدة، فـي العـام (1803 ميـلادي)، والـذي شـجعها علـى الانتشـار غربـاً، ويُعـزى هـذا التوسـع أساسـاً إلـى تحسـين وسـائل الاتصـال التـي أعطتهـا المخترعـات البخاريـة للجنـس البشـري، فـي غضـون هـذا القـرن فقـط. ومـع ذلـك، فـإنّ المنطقـة الشـرقية لجبـال الروكـي قـد تكـون مـن أقـلّ الأماكـن المعروفـة لـدى الأوروبييـن، حتـى فـي الوقت الحاضـر، كالسـودان أو أرض الصومـال. وبسـبب هـذا التوسـع الطبيعـي للـدول، وبقـدرٍ ضئيـلٍ بكنـدا، فـإنّ عـدداً قليـلاً مـن الأسـماء الكبيـرة للمستكشـفين الجغرافييـن مرتبـطٌ بمعرفتنـا بداخـل أمريـكا الشـمالية. المسـتوطنون المجهولـون كانـوا هـم رواد الجغرافيـا، ولـم تكـن هـذه الحالـة تنعكـس علـى كلّ مـكان. ففـي القارتيـن الأُخريـن اللتيـن لا يـزال يتعيّـن علينـا تتبّـع تاريخهمـا الجغرافـي- أسـتراليا وأفريقيـا- كان المستكشـفون يسـبقون المسـتوطنين أو الغـزاة، ويمكننـا عمومـاً أن نتتبّـع مسـار الاكتشـاف الجغرافـي فـي مسـألتهم، دون الحاجـة إلـى مناقشـة تاريخهـم السياسـي.

[Authorities: Winsor, From Cartier to Frontenac; Gelcich, in Mittheilungen of Geographical Society of Vienna, 1892].

(هوامش الفصل التاسع)

(1) **ڤاسكو نونيز دي بالبوا Vasco Nunez de Balboa** (1475م- حوالي 12-21 يناير 1519م): مُستكشف ومُستعمر وحاكم إسباني. المعروف أنه عَبَر برزخ بنما إلى المحيط الهادئ في العام 1513م، ليصبح أول أوروبي يقود حملةً استكشافية للوصول إلى المحيط الهادئ من العالم الجديد الذي سافر إليه في 1500م، وبعد بعض الاستكشاف، استقر في جزيرة هيسبانيولا. أسس مستوطنة سانتا ماريا لا أنتيغوا ديل دارين في بنما الحالية، في العام 1510م، وكانت أول مستوطنة أوروبية دائمة في البرّ الرئيس للأمريكتين.

(2) **فرانسيسكو بيزارو غونزاليس Francisco Pizarro González** (1471م- 26 يونيو 1541م): كان من الغزاة المستعمرين الإسبان الذين قادوا الحملة التي غزت إمبراطورية الإنكا، قبض على إمبراطور الإنكا (أتاهولبا) وقتله، وادعى ملكية إسبانيا لأراضي المكسيك.

(3) **دييغو ڤيلاسكيز دي كويار Diego Velázquez de Cuéllar** (1465م- 1524م): غازٍ ومُستكشف ومُستعمر إسباني، وأول حاكم إسباني لكوبا. أبحر ڤيلاسكيز إلى العالم الجديد في العام 1493م، في الرحلة الثانية لكريستوفر كولومبوس. ومع هرناندو كورتيس، غادر ڤيلاسكيز إلى كوبا في العام 1511م، ليؤسس، في السنوات الأربع التالية مستوطنات باراكوا، وبايامو، وسانتياغو دي كوبا، وهافانا (لا هابانا). بعد الانتهاء من غزواته، حوالي العام 1514م، شجع على الاستعمار وأصبح حاكماً لكوبا.

(4) **دارين Darien**: بلدة في مقاطعة فيرفيلد، كونيتيكت- الولايات المتحدة الأمريكية، تقع في كونيتيكت «ساحل الذهب»، بين مدينتي نوروالك وستامفورد.

(5) **هرناندو كورتيس دي مونروي Hernando Cortes de Monroy** (1485م- 2 ديسمبر 1547م): مُستكشف وغازٍ ومُستعمر إسباني، قاد بعثةً استكشافية تسببت في سقوط الإمبراطورية الأزتكية، ووضعت أجزاءً كبيرة من البر الرئيس للمكسيك تحت حكم ملك قشتالة، أوائل القرن السادس عشر. كان كورتيس جزءاً من جيل المستعمرين الإسبان الذين بدؤوا المرحلة الأولى من الاستعمار الإسباني للأمريكتين.

(6) **ڤيراكروز Veracruz**: والمعروفة اليوم رسمياً باسم **هيرويكا ڤيراكروز Heroica Veracruz**: هي مدينة الميناء الرئيسة والبلدية على خليج المكسيك في ولاية ڤيراكروز المكسيكية، تقع على طول الساحل في الجزء المركزي من الولاية، على بعد 90 كلم جنوب شرقي زالابا، عاصمة الولاية، على الطريق الفيدرالي 140.

(7) **موكتيزوما الثاني Moctezuma II** (1466م- 29 يونيو 1520م): التلاتواني التاسع أو حاكم تينوكتيتلان من 1502م إلى 1520م. أول اتصال حدث بين الحضارات الأصلية في أمريكا الوسطى والأوروبيين كان خلال حكمه، وقتل خلال المراحل الأولى من الغزو الإسباني للمكسيك، عندما قاتل المحارب هرناندو كورتيس ورجاله للهروب من عاصمة الأزتيك تينوكتيتلان.

(8) **ثقافة الأزتيك Aztec** المعروفة أيضاً باسم «**الثقافة المكسيكية**»: كانت ثقافة أمريكا الوسطى التي ازدهرت وسط المكسيك في الفترة ما بعد الكلاسيكية، من 1300م إلى 1521م، خلال الوقت الذي تحالف فيه الثلاثي من القبائل المكسيكية، وتيكسكوكا، وتيبانيكا، وأنشؤوا إمبراطورية الآزتيك. كان شعب الآزتيك عبارة عن مجموعات عرقية معينة من وسط المكسيك، ولاسيما تلك المجموعات التي تحدثت بلغة الناهواتل وهيمنت على أجزاء كبيرة من أمريكا الوسطى، من القرن الرابع عشر إلى القرن السادس عشر.

(9) **تولتيك Toltecs**: ثقافة أمريكا الوسطى الأثرية التي هيمنت على دولةٍ تتمركز في تولا وهيدالغو والمكسيك، خلال الفترة ما بعد الكلاسيكية (حوالي 900م-1168 م).

(10) **تلاسكالا**: كان شعباً وضع حضارةً رائعة ومنظمة اجتماعياً وعسكرياً، أقرب إلى تلك التي للآزتيك.

(11) **هندوراس Honduras**، رسمياً جمهورية هندوراس: جمهورية في أمريكا الوسطى، يشار إليها أحياناً باسم هندوراس الإسبانية، لتمييزها عن هندوراس البريطانية التي أصبحت بليز الحديثة. تحدّها هندوراس غرباً إلى الجنوب الغربي من السلفادور، ومن الجنوب الشرقي نيكاراغوا، ومن الجنوب المحيط الهادئ في خليج فونسيكا، ومن الشمال خليج هندوراس، وهو مدخل كبير من البحر الكاريبي.

(12) **تاباسكو Tabasco**: رسمياً دولة تاباسكو الحرة، واحدة من 31 ولاية، وتضم المقاطعة الاتحادية 32 كياناً اتحادياً للمكسيك، وهي مقسمة إلى 17 بلدية وعاصمتها فيلاهيرموسا. تقع في جنوب شرق البلاد المتاخمة لولاية كامبيتشي في الشمال الشرقي وفيراكروز من الغرب وشياباس إلى الجنوب، وتنقسم إلى جزأين في غواتيمالا إلى الجنوب الشرقي، ولديها ساحل إلى الشمال مع خليج المكسيك.

(13) **نيكاراغوا Nicaragua**: رسمياً جمهورية نيكاراغوا، وهي أكبر بلد في برزخ أمريكا الوسطى، تحدّها هندوراس من الشمال، ومنطقة البحر الكاريبي من الشرق، وكوستاريكا من الجنوب، والمحيط الهادئ من الغرب. عاصمة نيكاراغوا «ماناغوا»، وهي أكبر مدينة في البلاد، وثالث أكبر مدينة في أمريكا الوسطى.

(14) **ألفارو دي سافيدرا Alvarro de Saavedra** (1529م): أحد المستكشفين الإسبان في المحيط الهادئ. من غير المعروف تاريخ ومكان ميلاده بالضبط، لكنه ولد في إسبانيا

أواخـر القـرن الخامـس عشـر، أو أوائـل القـرن السـادس عشـر. كان هيرنانـدو كورتيـس قريبـه، وقـد رافقـه إلـى المكسـيك (إسـبانيا الجديـدة) فـي العـام 1526م.

(15) **خـوان سيباسـتيان ديـل كانـو Juan Sebastian del Cano** (1476م– 4 أغسـطس 1526م): مُستكشـف ومُسـتعمر إسـباني، مـن الباسـك أصـلاً، هـو الـذي أكمـل أطـول رحلـة للـدوران حـول الأرض. بعـد وفـاة ماجيـلان فـي الفيليبيـن، تولـى كانـو قيـادة السـفينة ڤيكتوريـا مـن جـزر الملـوك إلـى سـانلوكار دي باراميـدا فـي إسـبانيا.

(16) **قشـتالة الجديـدة New Castile**: منطقـة تاريخيـة فـي إسـبانيا، كانـت تسـمى مملكـة توليـدو عندمـا كانـت فـي تـاج قشـتالة، ثـم بـدأ يطلـق عليهـا اسـم قشـتالة الجديـدة فـي القـرن الثامـن عشـر.

(17) **كاليفورنيـا California**: ولايـة فـي منطقـة المحيـط الهـادئ فـي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة. عاصمـة الولايـة «سـكرامنتو». منطقـة لـوس أنجلـوس الكبـرى أو منطقـة خليـج سـان فرانسيسـكو هـي ثانـي أكبـر المـدن الحضريـة فـي العالـم.

(18) **خـوان بونـس دي ليـون Juan Ponce de León** (1474م– يوليـو 1521م): مُستكشـف وغـازٍ ومُسـتعمر إسـباني. أصبـح أول حاكـم لبورتوريكـو، بتعييـنٍ مـن التـاج الإسـباني. قـاد أول رحلـة أوروبيـة معروفـة إلـى ولايـة فلوريـدا،و التـي أطلـق عليهـا اسـمه خـلال رحلتـه الأولى إلـى المنطقـة، فـي العـام 1513م. مـع أنّ المعـروف فـي الثقافـة الشـعبية أنـه كان يبحـث عـن نافـورة الشـباب، ولكـن لا توجـد أدلـة معاصـرة لدعـم هـذه القصـة، والتـي مـن المرجـح أن تكـون مجـرد أسـطورة.

(19) **بايـوكا Bayuca**: هـي الجزيـرة التـي ورد فـي الأسـاطير الهنديـة بـأن فيهـا نافـورةً تعيـد الشـباب لـكل مـن يشـرب منهـا.

(20) **ألونسـو ألفاريـز دي بينيـدا Alonso Álvarez de Pineda** (1494م–1520م): مستكشـف ومُسـتعمر ورسّـام خرائـط إسـباني، تـم توثيقـه للمـرة الأولـى فـي تاريـخ تكسـاس. فـي العـام 1519م قـاد دي بينيـدا حمـلاتٍ عـدة لتعييـن السـواحل الغربيـة لخليـج المكسـيك، مـن شـبه جزيـرة يوكاتـان إلـى نهـر بانوكـو، شـمال فيراكـروز.

(21) **ديجـو دي ألميغـرو Diego de Almegro** المعـروف أيضـاً باسـم **إل أديلانتـادو** و **إل فيجـو** (1475م– 8 يوليـو 1538م): مُستكشـف وغـازٍ ومُسـتعمر إسـباني، ورفيـق ومنافـس لاحـق لفرانسيسـكو بيـزارو، شـارك فـي الغـزو الإسـباني للبيـرو. فَقَـد ألميغـرو عينـه اليسـرى فـي قتـالٍ مـع المواطنيـن السـاحليين فـي العالـم الجديـد. وفـي العـام 1525م التحـق بالإخـوة هيرنانـدو دي لـوك فـي بنمـا، لغـزو البيـرو.

(22) **إمبراطوريـة الإنـكا Inca Empire**: أكبـر إمبراطوريـة فـي أمريـكا، وربمـا أكبـر إمبراطورية في العالـم فـي أوائـل القـرن السـادس عشـر. كان لهـا الهيـكل السياسـي والإداري «الأكثـر تطـوراً

بيـن الشـعوب الأصليـة» فـي الأمريكيتيـن. يقـع المركـز الإداري والسياسـي والعسـكري للإمبراطوريـة فـي كوزكـو، بيـرو الحديثـة. نشـأت حضـارة الإنـكا فـي مرتفعـات بيـرو، فـي وقـتٍ مـا مـن أوائـل القـرن الثالـث عشـر، وقـد تـمّ غزوهـا فـي معقلهـا الأخيـر العـام 1572م.

(23) **كوزكـو Cuzco**، أو **كوسـكو Cusco**: مدينـةٌ فـي جنـوب شـرق بيـرو، بالقـرب مـن وادي أوروبامبـا مـن جبـال الأنديـز، وهـي عاصمـة إقليـم كوسـكو، وكذلـك مقاطعـة كوسـكو. يبلـغ ارتفاعهـا حوالـي 3،400 م (11،200 قـدم).

(24) **أتاهوالبـا** (1502م- 26 يوليـو 1533م): إمبراطـور الإنـكا، ورث حكـم كيتـو مـن والـده سـابا إنـكا هوينـا كابـاك، فـي العـام 1525م. حكـم كيتـو لمـدة خمـس سـنوات، قبـل قهـر إمبراطوريـة الإنـكا مـن قبـل الإسـبان.

(25) **ليمـا Lima**: هـي العاصمـة وأكبـر مدينـة فـي بيـرو، تقـع فـي وديـان نهـري تشـيلون وريمـاك لوريـن، فـي الجـزء السـاحلي الأوسـط مـن البـلاد، وتطل علـى المحيـط الهـادئ، وهي تشـكل- إلـى جانـب ميناء كالاو- منطقـة حضريـة متجـاورة تُعـرف باسـم منطقـة ليمـا الحضريـة.

(26) **تشـيلي Chile**: تعـرف اليـوم رسـمياً بجمهوريـة تشـيلي، وهـي ولايـة فـي أمريـكا الجنوبيـة، تحتـل قطاعـاً ضيقـاً طويـلاً مـن الأرض بيـن جبـال الأنديـز مـن الشـرق، والمحيـط الهـادئ مـن الغـرب، وتحدّهـا بيـرو مـن الشـمال، وبوليفيـا مـن الشـمال الشـرقي، والأرجنتيـن مـن الشـرق، وممـر دريـك فـي أقصـى الجنـوب. تشـمل الأراضـي التشـيلية جـزر المحيـط الهـادئ خـوان فرنانديـز، سـالاس ي غوميـز، ديسـفنتوراداس، وجزيـرة الفصـح فـي أوقيانوسـيا.

(27) **غونزالـو بيـزارو Gonzalo Pizarro Alonso** (1510م- 10 أبريـل 1548م): مُستكشـف وبحّـار ومُسـتعمر وغـازٍ إسـباني، وهـو الأخ غيـر الشـقيق لفرانسيسـكو بيـزارو الـذي خـدم معـه فـي احتـلال البيـرو، فـي العاميـن 1531م و 1533م. قـاد قواتـه فـي تمـرّد ضـد الملـك، وهـو مـا اعتبـره الباحثـون أول نضـال لاسـتقلال أمريـكا الجنوبيـة عـن إسـبانيا.

(28) **فرانسيسـكو دي أوريلانا Francisco de Orellana** (1511م- نوفمبر 1546م): مُستكشـف ومُسـتعمر إسـباني، أكمـل أول ملاحـة مشـهورة علـى طـول نهـر الأمـازون الـذي كان اسـمه فـي البدايـة «**ريـو دي أوريلانـا**»، كمـا أسـس مدينـة **غواياكيـل Guayaquil** فـي مـا يُعـرف الآن بالإكـوادور.

(29) **السـير والتـر رالـي Walter Raleigh** (1554م- 29 أكتوبـر 1618م): رجـل نبيـل إنجليـزي، كاتـب وشـاعر وجنـدي وسياسـي وقانونـي وجاسـوس ومستكشـف. كان ابـن عمـه السـير ريتشـارد غرينفيل والأخ الأصغـر سـناً مـن السـير همفـري جيلبـرت، وهـو معـروف أيضـاً بنشـره التبـغ فـي إنجلتـرا.

(30) **غويانـا البريطانيـة British Guiana**: اسـم المسـتعمرة البريطانيـة فـي جـزر الهنـد الغربيـة البريطانيـة وفـي منطقـة البحـر الكاريبـي، علـى السـاحل الشـمالي لأمريـكا الجنوبيـة، سـكانها الأصليـون هـم اللوكايـان الناطقـون بلغـة أرواك، وهـم جـزء مـن شـعب تاينـو.

(31) **بوتوسي Potosi**: مدينة وعاصمة مقاطعة بوتوسي في بوليڤيا، وهي واحدة من أعلى المدن في العالم، إذ يبلغ ارتفاعها حوالي 090, 4 متراً (13،420 قدماً). لقرون عديدة، كانت المدينة هي موقع سك العملة الاستعمارية الإسبانية.

(32) **الغليونات Galleons**: سفن إبحار كبيرة ومتعددة الطوابق، استخدمت كحاملات شحن في المقام الأول من قبل الدول الأوروبية، من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر، خلال عصر الشراع، وكانت وحدات الأساطيل الرئيسة التي كيّفت استخدامها كسفنٍ حربية، حين اندلعت الحروب الأنجلو- هولندية في منتصف الستينيات، وكانت الغليونات تتميز عادة بثلاثٍ أو أكثر من الصواري.

(33) **البريتون Breton**: هم مجموعة عرقية تقع في منطقة بريتاني الفرنسية، تابعةٌ في الكثير من تراثها لمجموعاتٍ من المتحدثين بلغة البريتونيك الذين هاجروا من جنوب غرب بريطانيا العظمى، وخصوصاً كورنوال وديفون، لتوسيع أراضيهم في القارة، وهم ينحدرون أيضاً من الإغريق، وبعضهم من الڤايكنج، ولقد هاجروا في موجات من القرن الثالث إلى التاسع الميلادي.

(34) **القديس أوغسطين St.Augustine**: مدينة في جنوب شرق الولايات المتحدة الأمريكية، على الساحل الأطلسي شمال شرق ولاية فلوريدا. تأسست في العام 1565م، من قبل المستكشفين الإسبان.

(35) **ڤيرجينيا Virginia**: رسمياً كومنولث ولاية ڤيرجينيا، ولاية في منطقتي جنوب شرق ووسط المحيط الأطلسي في الولايات المتحدة الأمريكية، تقع بين ساحل المحيط الأطلسي وجبال الأبلاش، وتسمى ڤيرجينيا «دومينيون القديمة»، بسبب وضعها كأول حيازةٍ استعمارية إنجليزية أنشئت في البر الرئيس لأمريكا الشمالية، وتسمّى «أم الرؤساء»، لأن ثمانية رؤساء من الولايات المتحدة الأمريكية ولدوا فيها.

(36) **جيمس الأول James VI and I**، ويسمى كذلك **جيمس السادس** (19 يونيو 1566م- 27 مارس 1625م): كان ملك إنجلترا وإيرلندا باسم «جيمس الأول»، وملك اسكتلندا باسم «جيمس السادس»، وكان أول ملك يسمّى ملك بريطانيا العظمى. حكم في اسكتلندا باسم جيمس السادس من 24 يوليو 1567م حتى وفاته، وحكم في إنجلترا وإيرلندا من 24 مارس 1603م حتى وفاته. كان حكمه مهماً، لأنه كانت المرة الأولى التي يحكم فيها الملك نفسه إنجلترا واسكتلندا، وكان أول ملك إنجليزي من بيت ستيوارت.

(37) **شركة بليموث The Plymouth Company**: شركة مساهمة إنجليزية، تأسست العام 1606م من قبل الملك جيمس الأول في إنجلترا، بغرض إقامة مستوطنات على ساحل أمريكا الشمالية.

(38) **شركة لندن The London Company** وتسمى أيضاً «ميثاق شركة فيرجينيا في لندن»:

شـركة مسـاهمة إنجليزيـة أنشـئت فـي العـام 1606م وفـق الميثـاق الملكـي مـن قبـل الملـك جيمـس الأول، لغـرض إنشـاء المسـتوطنات الاسـتعمارية فـي أمريـكا الشـمالية.

(39) **نوڤـا سـكوتيا Nova Scotia** (اسـكتلندا الجديـدة): واحـدةٌ مـن المقاطعـات البحريـة الثـلاث فـي كنـدا، وإحـدى المقاطعـات الأربـع التـي تشـكل كنـدا الأطلسـية، وعاصمتهـا المقاطعـة هاليفاكـس. تعتبـر نوڤـا سـكوتيا ثانـي أصغـر مقاطعـات كنـدا العشـر، إذ تبلـغ مسـاحتها 55284 كلـم2.

(40) **إنجلتـرا الجديـدة New England**: منطقـة جغرافيـة تضـمّ سـت ولايـات فـي شـمال شـرق الولايـات المتحـدة الأمريكيـة: مايـن، فيرمونـت، نيـو هامبشـاير، ماساتشوسـتس، رود آيلانـد، وكونيتيكـت، تحدّهـا ولايـة نيويـورك مـن الغـرب، ومقاطعتـا نيـو برونزويـك وكويبـك الكنديتـان مـن الشـمال الشـرقي والشـمال. بوسـطن هـي أكبـر مدينـة فـي إنجلتـرا الجديـدة، وكذلـك العاصمـة ماساتشوسـتس.

(41) **ماريلانـد Maryland**: ولايـة فـي منطقـة وسـط المحيـط الأطلسـي فـي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، متاخمـة لڤيرجينيـا، وتقـع اشـنطن العاصمـة إلـى جنوبهـا وغربهـا؛ وبنسـلفانيا إلـى شـمالها، وديلاويـر إلـى الشـرق. أكبـر مدينـة فـي الولايـة هـي بالتيمـور، وعاصمتهـا أنابوليـس.

(42) **نهـر هدسـون The Hudson River**: يمتـد علـى مسـافة 315 ميـلاً (507 كلـم)، ويتدفـق مـن الشـمال إلـى الجنـوب مـن خـلال شـرق نيويـورك فـي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة. ينبـع النهـر مـن جبـال أديرونـداك أوف أوبسـتيت نيويـورك، ويتدفـق عبـر وادي هدسـون، وينتهـي إلـى المحيـط الأطلسـي، بيـن مدينتـي نيويـورك وجيرسـي سـيتي.

(43) **نهـر ديلاويـر The Delaware River**: نهـرٌ رئيـس علـى سـاحل المحيـط الأطلسـي للولايات المتحـدة الأمريكيـة، يشـغل مسـاحة 119 , 14 ميـلاً مربعـاً (36،570 كلـم2) فـي خمـس ولايـات أمريكيـة هـي: نيويـورك ونيوجيرسـي وبنسـلفانيا وماريلانـد وديلاويـر. يتدفـق النهـر فـي فرعيـن مـن جبـال كاتسـكيل بولايـة نيويـورك، علـى بعـد 419 ميـلاً (674 كلـم) إلـى خليـج ديلاويـر، حيـث تدخـل مياهـه المحيـط الأطلسـي بالقـرب مـن «كيـب مـاي» فـي نيـو جيرسـي و«كيـب هينلوبيـن» فـي ديلاويـر.

(44) **هولنـدا الجديـدة New Netherlands**: مسـتعمرة مـن القـرن السـابع عشـر فـي الجمهوريـة الهولنديـة التـي كانـت تقـع علـى السـاحل الشـرقي لأمريـكا الشـمالية. تمتـد الأراضـي المزعومة مـن شـبه جزيـرة دلمارفـا إلـى أقصـى جنـوب غـرب الـرأس كيـب كـود، فـي حيـن أن المناطـق الأكثـر اسـتقراراً هـي الآن جـزءٌ مـن دول وسـط المحيـط الأطلسـي فـي نيويـورك ونيوجيرسـي وديلاويـر وكونيتيكـت، مـع البـؤر الاسـتيطانية الصغيـرة فـي بنسـلڤانيا ورود آيلانـد.

(45) **السـويد الجديـدة New Sweden**: مسـتعمرة سـويدية علـى طـول الروافـد الدنيـا لنهـر ديلاويـر فـي أمريـكا الشـمالية، مـن العـام 1638م إلـى 1655م، أنشـئت خـلال حـرب الثلاثيـن

عاماً المدمرة، عندما كانت السويد قوةً عسكرية كبيرة في شمال أوروبا. كانت السويد الجديدة جزءاً من جهود الاستعمار السويدي في الأمريكيتين.

(46) **مانهاتن Manhattan**: مدينة تأسست في 1 نوفمبر 1683م، باعتبارها واحدةً من المقاطعات الأصلية لولاية نيويورك الأمريكية. تتألف هذه المنطقة، بمعظمها، من جزيرة مانهاتن التي يحدها نهر هدسون، ومن الشرق نهرهارلم وجزر صغيرة مجاورة.

(47) **وول ستريت Wall street**: شارع في مانهاتن السفلى، هو الموطن الأصلي لبورصة نيويورك، والمقر التاريخي لأكبر شركات الوساطة المالية والبنوك الاستثمارية.

(48) **أمستردام الجديدة New Amsterdam**: مستوطنة هولندية من القرن السابع عشر، أنشئت في الطرف الجنوبي من جزيرة مانهاتن التي كانت مقراً للحكومة الاستعمارية في هولندا الجديدة.

(49) **تشارلز الثاني Charles II** (29 مايو 1630م- 6 فبراير 1685م): ملك إنجلترا واسكتلندا وإيرلندا. كان ملك اسكتلندا من العام 1649م حتى خلعه في العام 1651م، وملك إنجلترا واسكتلندا وإيرلندا، إثر استعادة النظام الملكي في العام 1660م حتى وفاته.

(50) **نيويورك New York**: حالياً ولاية في شمال شرق الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت واحدةً من المستعمرات الثلاث عشرة الأصلية التي شكلت الولايات المتحدة الأمريكية.

(51) هو الملك **جيمس الثاني والسابع James II and VII** (14 أكتوبر 1633م- 16 سبتمبر 1701م): كان ملك إنجلترا وإيرلندا «جيمس الثاني» وملك اسكتلندا «جيمس السابع»، من 6 فبراير 1685م حتى تم عزله خلال الثورة المجيدة العام 1688م، وكان آخر ملك كاثوليكي روماني في إنجلترا وأسكتلندا وإيرلندا.

(52) نائب الأدميرال السير **جورج George Carteret**، البارونيت الأول (1610-18 يناير 1680م): ابن إلياس دي كارتيريت، رجل دولة ملكية في جيرسي وإنجلترا، خدم كأمين للخزانة في وزارة كلارندون، وكان أيضاً واحداً من اللوردات للمستعمرة البريطانية السابقة كارولينا ونيوجيرسي. تقع كارتيريت، ونيو جيرسي، وكذلك مقاطعة كارتيريت، وولاية كارولينا الشمالية، في الولايات المتحدة الأمريكية.

(53) **ويليام بن William Penn** (14 أكتوبر 1644م- 30 يوليو 1718م): رجل أعمال عقاري إنجليزي، فيلسوف، وأحد أفراد جماعة البروتستانتية في وقتٍ سابق، ومؤسس ولاية بنسلفانيا ومستعمرة أمريكا الشمالية الإنجليزية وكومنولث ولاية بنسلفانيا. كان من أوائل الدعاة إلى الديمقراطية والحرية الدينية، وتحت إشرافه تم التخطيط لمدينة فيلادلفيا وتطويرها.

(54) **بـورت رويـال Port Royal**: قريـةٌ تقـع فـي نهايـة باليسـادوز، عنـد مصـب ميناء كينغسـتون، فـي جنـوب شـرق جامايـكا. تأسسـت فـي العـام 1518م مـن قبـل الإسـبان، وكانـت أكبـر مدينـة فـي منطقـة البحـر الكاريبـي، وتعمـل كمركـز للشـحن والتجـارة في البحـر الكاريبي، بحلـول النصـف الأخيـر مـن القـرن السـابع عشـر الميـلادي. دمرهـا زلـزال فـي 7 يونيـو 1692م، صاحبـه تسـونامي، كمـا تضـررت المدينـة بالأعاصيـر الشـديدة، وحـدث فيهـا زلـزال حـاد نهايـة العـام 1907م.

(55) **كيبيـك Quebec**: واحـدةٌ مـن ثـلاث عشـرة مقاطعـة وإقليمـاً فـي كنـدا. تحدّهـا مـن الغـرب مقاطعـة أونتاريـو وخليـج جيمـس وخليـج هدسـون، مـن الشـمال مضيـق هدسـون ومضيـق أونغافـا؛ مـن الشـرق خليـج سـانت لورانـس ومقاطعـة نيوفاوندلانـد ولابـرادور؛ ومـن الجنـوب مقاطعـة نيـو برونزويـك وولايـة مايـن، ونيـو هامبشـاير، وفيرمونـت، ونيويـورك. كيبيـك هـي أكبـر مقاطعـة فـي كنـدا، حسـب المنطقـة، وثانـي أكبـر قسـم إداري، وتُعتبـر تاريخيـاً وسياسـياً جـزءاً مـن وسـط كنـدا (مـع أونتاريـو).

(56) **إيروكـوا Iroquois**: المعروفـون أيضـاً باسـم هودينوسـوني أو «شـعب لونغـوس»، هـم مجموعـة مـن قبائـل السـكان الأصليين فـي أمريـكا الشـمالية. لطالمـا عرفـت رابطـة إيروكـوا الأولـى باسـم الأمـم الخمـس، كمـا أنهـا تتكـون مـن قبائـل: موهـوك، أونيـدا، أونونداغـا، كايوغـا وسـينيكا. بعـد انضمـام أمـة توسـكارورا إلـى العصبـة، فـي العـام 1722م، أصبـح الإيروكـوا يُعرفـون باسـم الأمـم السـت.

(57) **الغونكويـن Algonquins**: هـم السـكان الأصليـون فـي أمريـكا الشـمالية الذيـن يتحدثـون لغـة ألغونكويـن، وهـي لهجـة متباينـة عـن لغـة أوجيبـوي التـي هـي جـزءٌ مـن عائلـة اللغة الغونكويانية.

(58) **الأب جـاك ماركيـت Jacques Marquette**، يُعـرف أحيانـاً باسـم **بيـر ماركيـت** أو **جيمـس ماركيـت** (1 يونيـو 1637م– 18 مايـو 1675م): مُبشـر يسـوعي ومسـتعمر فرنسـي، أسـس أول مسـتوطنة أوروبيـة فـي ميشـيغان وسـولت سـتي، ومـاري، وأسـس فـي وقـتٍ لاحـق سـانت إيغنـاس وميشـيغان. فـي العـام 1673م كان الأب ماركيـت ولويـس جولييـت أول الأوروبييـن الذيـن قامـوا باستكشـاف ورسـم خريطـة للجـزء الشـمالي مـن نهـر المسيسـيبي.

(59) **نهـر المسيسـيبي The Mississippi Rive**: النهـر الرئيـس وثانـي أكبـر نهـر بتصريـف الميـاه فـي قـارة أمريـكا الشـمالية، يقـع داخـل الولايـات المتحـدة الأمريكيـة (مـع أن حـوض تصريفـه يصـل إلـى كنـدا)، ويقـع مصـدره فـي شـمال ولايـة مينيسـوتا، ويتدفـق جنوبـاً لمسـافة 320 ,2 ميـلاً (3،730 كلـم) إلـى دلتـا نهـر المسيسـيبي فـي خليـج المكسـيك، مـع روافـده الكثيـرة. يصنّـف المسيسـيبي بأنـه رابـع أطـول وخامـس عشـر أكبـر نهـر فـي العالـم، مـن حيـث تصريـف الميـاه، وهـو يمـر عبـر ولايـات: مينيسـوتا، ويسكونسـن، أيـوا، إلينـوي، ميسـوري، كنتاكـي، تينيسـي، أركنسـاس، ميسيسـيبي ولويزيانـا.

(60) **أركنسـاس Arkansas**: ولايـة فـي المنطقـة الجنوبيـة الشـرقية مـن الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، تتنـوع فيهـا الجغرافيـا بـدءاً مـن المناطـق الجبليـة فـي أوزارك وجبـال أوشـيتا التـي تشـكل المرتفعـات الداخليـة فـي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، إلـى الأراضـي الكثيفـة الغابـات فـي الجنـوب، والمعروفـة باسـم أموكسـاس أركنسـاس، إلـى الأراضـي المنخفضـة الشـرقية علـى طـول نهـر المسيسـيبي ودلتـا أركنسـاس.

(61) **روبـرت دي لا سـال Robert de la Salle**، أو رينيـه روبـرت كافيلـر René-Robert Cavelier، أو سـيور دي لا سـال Sieur de La Salle (22 نوفمبـر 1643م– 19 مـارس 1687م): مستكشـف ومُسـتعمر فرنسـي، استكشـف منطقـة البحيـرات الكبـرى فـي الولايات المتحـدة الأمريكيـة وكندا ونهـر المسيسـيبي وخليـج المكسـيك، وادعـى ملكيـة فرنسـا لكامـل حـوض نهـر المسيسـيبي.

(62) **نهـر أوهايـو The Ohio River**: واحـدٌ مـن أهـم روافـد نهـر المسيسـيبي، يبلـغ طولـه 981 ميـلاً، وهـو يشـكل حـدود ولايـة أوهايـو، وكنتاكـي، وإلينـوي، وإنديانـا، وفرجينيـا الغربيـة، قبـل أن يذهـب أخيـراً إلـى مصبـه فـي ولايـة بنسـلفانيا.

(63) **نهـر إلينـوي The Illinois River**: رافـدٌ رئيـس لنهـر المسيسـيبي، حوالـي 273 ميـلاً (439 كلـم)، فـي ولايـة إلينـوي الأمريكيـة. ينبعـث قسـمٌ كبيـر مـن النهـر مـن وسـط إلينـوي، مـع حـوض تصريـف 6, 756, 28 أميـال مربعـة (479, 74 كلـم2)، ويمتـد حـوض الصـرف إلـى ولايـة ويسكونسـن وإنديانـا. كان هـذا النهـر مهمـاً للأمريكييـن الأصلييـن وأوائـل التجـار الفرنسـيين، باعتبـاره الطريـق المائـي الرئيـس الـذي يربـط البحيـرات الكبـرى بالميسيسـيبي. شـكلت المسـتوطنات الاسـتعمارية الفرنسـية علـى طـول النهـر قلـب المنطقـة المعروفـة باسـم ولايـة إلينـوي. بعـد بنـاء قنـاة إلينـوي وميشـيغان وقنـاة هنييـن فـي القـرن التاسـع عشـر، تـمّ توسـيع دور النهـر كحلقـة وصـل بيـن بحيـرة ميشـيغان والميسيسـيبي، حتـى عصـر الشـحن الصناعـي الحديـث، ويُشـكل اليـوم الأسـاس لممـر إلينـوي المائـي.

(64) **لويزيانـا Louisiana**: ولايـةٌ فـي منطقـة جنـوب شـرق الولايـات المتحـدة الأمريكية. عاصمـة لويزيانـا هـي باتـون روج، وأكبـر مدنهـا نيـو أورليانـز. يحدهـا أركنسـاس مـن الشـمال، المسيسـيبي مـن الشـرق، تكسـاس مـن الغـرب، وخليـج المكسـيك مـن الجنـوب.

(65) **لويـس الرابـع عشـر Louis XIV** (5 سـبتمبر 1638م– 1 سـبتمبر 1715م) والمعـروف باسـم لويـس الأكبـر أو ملـك الشـمس: كان ملـكاً مـن بيـت بوربـون، حكـم ملـك فرنسـا مـن العـام 1643م حتـى وفاتـه فـي العـام 1715م. ابتـداءً مـن سـن الخامسـة، دام حكمـه حوالـي 72 عامـاً و 110 أيـام، وهـي أطـول فتـرة حكـم سـجلت لأيّ ملـك لبـلادٍ ذات سـيادة فـي التاريـخ الأوروبـي. فـي عصـر الاسـتبداد فـي أوروبـا، كان لويـس الرابـع عشـر رائـداً فـي تزايـد مركزيـة السـلطة فـي فرنسـا.

(66) **سلسلة جبال أليغاني أو أليغيني Alleghanies**: جزءٌ من سلسلة جبال أبالاشيان الشاسعة من الولايات المتحدة الشرقية وكندا، شكلت عائقاً كبيراً أمام السفر البري في عصورٍ أقل تقدماً من الناحية التكنولوجية، وهي نطاق حاجز له اتجاه شمال شرق- جنوب غرب، وتقع على بعد حوالي 400 ميل (640 كلم) من شمال وسط ولاية بنسلفانيا، من خلال غرب ولاية ماريلاند وشرق ولاية فرجينيا الغربية، إلى جنوب غرب ولاية فرجينيا.

(67) **نيو أورليانز New Orleans**: ميناءٌ رئيس للولايات المتحدة الأمريكية وأكبر مدينة ومنطقة حضرية في ولاية لويزيانا.

(68) **لم أعثر على أيّ معلومات بهذا الخصوص، لكن المعلومات التي توفرت لديّ تقول أنها سميت على اسم المدينة الفرنسية أورليانز (المترجم).**

(69) **موبايل Mobile**: تأسست مدينة موبايل كأول عاصمة للويزيانا الفرنسية الاستعمارية، في العام 1702م، خلال السنوات المائة الأولى، وكانت موبايل مستعمرة فرنسية، ثم بريطانية، وأخيراً إسبانية، ولقد أصبحت أول جزء من الولايات المتحدة الأمريكية في العام 1813م، مع ضمّ ولاية فلوريدا الغربية تحت ولاية الرئيس جيمس ماديسون. وفي العام 1861م، انضمت ألاباما إلى الولايات الكونفدرالية الأمريكية التي سلمت في العام 1865م.

(70) **ديترويت Detroit**: هي المدينة الأكثر اكتظاظاً بالسكان حالياً، في ولاية ميشيغان الأمريكية، وأكبر مدينة تقع على الحدود بين الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، ومقر مقاطعة واين. سميت المدينة من قبل المستعمرين الفرنسيين على اسم نهر ديترويت.

(71) **جورج واشنطن George Washington** (22 فبراير 1732م- 14 ديسمبر 1799م): جندي ورجل دولة أمريكي، كان أول رئيس للولايات المتحدة من العام 1789م حتى العام 1797م، وواحداً من الآباء المؤسسين للولايات المتحدة الأمريكية. شغل منصب القائد العام للجيش القاري خلال الحرب الأمريكية الثورية، وترأس في ما بعد اتفاقية العام 1787م التي صاغت دستور الولايات المتحدة الأمريكية، ويعتبر شعبياً القوة الدافعة وراء تأسيس البلاد، وبات يعرف باسم «والد البلاد»، خلال حياته وحتى يومنا هذا.

(72) **بيتسبورغ Pittsburg**: مدينة في كومنولث ولاية بنسلڤانيا، في الولايات المتحدة الأمريكية، ومقر مقاطعة أليغيني.

(73) **دوكسين Duquesne**: حصنٌ أنشأه الفرنسيون في العام 1754م، عند التقاء نهري أليغيني ومونونغاهيلا. ثم استولى عليه الإنجليز، وبعد ذلك الأمريكيون، وتحول إلى مدينة بيتسبورغ في ولاية بنسلڤانيا الأمريكية.

(74) اللواء **جيمس وولف James Wolfe** (2 يناير 1727م- 13 سبتمبر 1759م): ضابط في

الجيش البريطاني، اشتهر بإصلاحاته التدريبية وانتصاره في العام 1759م على الفرنسيين في معركة سهول أبراهام في كيبيك، وكان ابن جنرال بارز. تلقى أول رتبةٍ له في سنٍّ مبكرة وشهد خدمةً واسعة في أوروبا حيث قاتل خلال حرب الخلافة النمساوية، وكانت خدمته في فلاندرز وفي اسكتلندا، حيث شارك في قمع التمرد اليعقوبي. توقفت مسيرة حياته المهنية عن طريق معاهدة السلام للعام 1748م، وقضى معظم السنوات الثماني التالية ضمن الحامية في المرتفعات الأسكتلندية.

(75) **جوزيف نابليون بونابرت Joseph-Napoléon Bonaparte** (7 يناير 1768م– 28 يوليو 1844م): نبيل ودبلوماسي فرنسي، هو الشقيق الأكبر لنابليون بونابرت الذي جعله ملك نابولي وصقلية (1806–1808م)، وبعد ذلك ملك إسبانيا (1808–1813م) وحكم باسم «خوسيه الأول». بعد سقوط نابليون، نصّب جوزيف نفسه كونت دي سورفيلييه.

(76) **الأمير روبرت من الراين Prince Rupert of the Rhine** (17 ديسمبر 1619م– 29 نوفمبر 1682م): جندي ألماني، أميرال وعالم ورياضي وحاكم استعماري وفنان. وصل خلال القرن السابع عشر إلى مكانةٍ بارزة كقائدٍ لسلاح الفرسان، خلال الحرب الأهلية الإنجليزية.

(77) قانون **أراضي روبرت** للعام 1868م: قانون صادر عن برلمان المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندا، يأذن بنقل أراضي روبرت من سيطرة شركة خليج هدسون إلى سيادة كندا، وهي أكبر عملية شراء أراضٍ في تاريخ كندا. بوشر بالنقل في العام 1869م، وتم الانتهاء منه في العام 1870م، من خلال دفع مبلغ 300,000 جنيه إسترليني لشركة خليج هدسون.

(78) **جبال روكي The Rocky Mountains**: المعروفة باسم الروكيز، وهي سلسلة جبال رئيسة في غرب أمريكا الشمالية. تمتدّ جبال روكي أكثر من 3,000 ميل (4800 كلم) من الجزء الشمالي من كولومبيا البريطانية، في غرب كندا، إلى نيو مكسيكو، في جنوب غرب الولايات المتحدة الأمريكية. داخل جبال الكورديليرا في أمريكا الشمالية، تختلف جبال الروكيز إلى حدّ ما عن نطاقات ساحل المحيط الهادئ ومجموعة كاسكيد وسييرا نيفادا التي تقع جميعها في الغرب.

(79) **ڤارين دي لا ڤارانديري**، أو **بيير غولتير دي فارينس Pierre Gaultier de Varennes**، أو **سيور دي لا فيرندري sieur de La Vérendrye** (17 نوفمبر 1685م– 5 ديسمبر 1749م): ضابط عسكري فرنسي/ كندي، وتاجر فراء ومُستكشف ومُستعمر. قام هو وأبناؤه الأربعة بفتح المنطقة غرب بحيرة سوبيريور، وبالتالي بدأت العملية التي أضافت غرب كندا إلى فرنسا الجديدة في حوض سانت لورانس. وكان أيضاً أول أوروبي يصل إلى داكوتا الشمالية ونهر ميسوري العلوي. في العام 1740م قام اثنان من أبنائه بعبور البراري، وصولاً إلى وايومنغ، فكانا أول الأوروبيين الذين يشاهدون جبال روكي، شمال نيو مكسيكو.

(80) **صموئيل هيرن Samuel Hearne** (1745–1792م): مُستكشف إنجليزي، تاجر فرو ومؤلف وعالم طبيعي. كان أول أوروبي يقوم برحلةٍ برية عبر شمال كندا إلى المحيط المتجمد الشمالي، عبر نهر كبرمين. في العام 1774م، بنى هيرن «كمبرلاند هاوس» لشركة خليج هدسون، ليكون أول مركز تجاري داخلي، وأول مستوطنة دائمة في ساسكاتشوان الحالية.

(81) **نهر كبرمين The Coppermine River**: نهر في الشمال ومناطق كيتيكميوت، من الأقاليم الشمالية الغربية ونونافوت في كندا. يبلغ طوله 845 كلم (525 ميلاً)، يندفع من بحيرة لاك دي غراس، وهي بحيرة صغيرة بالقرب من بحيرة العبيد الكبرى، ويتدفق عموماً شمالاً إلى خليج التتويج، وهو لسانٌ من المحيط المتجمد الشمالي، يتجمّد في فصل الشتاء، لكنه يستمر بالتدفق تحت الجليد.

(82) **السير ألكسندر ماكينزي Sir Alexander Mackenzie** (1764م– 12 مارس 1820م): مُستكشف اسكتلندي، اشتهر بعبوره البرّي لما يُعرف الآن بكندا، للوصول إلى المحيط الهادئ في العام 1793م. وكان هذا أول عبورٍ من الشرق إلى الغرب، وسبق اكتشافات لويس وكلارك بـ 12 عاماً. اكتشف نهر ماكينزي الذي سمّي باسمه.

(83) **خوان دي فوكا Juan de Fuca** (1536م– 1602م): قبطان بحرية يوناني، دخل في خدمة ملك إسبانيا فيليب الثاني، واشتهر بادعائه استكشاف مضيق أنيان المعروف الآن باسم مضيق خوان دي فوكا، بين جزيرة ڤانكوڤر (التي أصبحت الآن جزءاً من كولومبيا البريطانية وكندا) وشبه الجزيرة الأولمبية (ولاية شمال غرب واشنطن، الولايات المتحدة الأمريكية).

(84) **ڤانكوڤر Vancouver**: تقع في شمال شرق المحيط الهادئ، قبالة ساحل كندا، وهي جزءٌ من المقاطعة الكندية في كولومبيا البريطانية. يبلغ طول الجزيرة 460 كلم (290 ميلاً) وعرضها 100 كلم في أوسع نقطةٍ لها، وهي أكبر جزيرة على الساحل الغربي لأمريكا الشمالية.

(85) **ميريويذر لويس Meriwether Lewis** (18 أغسطس 1774م– 11 أكتوبر 1809م): مستكشف وجندي أمريكي، وسياسي ومدير عام، اشتهر بدوره كزعيم لاستكشافات لويس وكلارك، المعروفة أيضاً باسم فيلق الاكتشاف، مع وليام كلارك، وكانت مهمتهما استكشاف أراضي لويزيانا للشراء، وإقامة التجارة مع السكان الأصليين بالقرب من نهر ميسوري، وجمع بيانات علمية ومعلومات عن الشعوب الأصلية. عينه الرئيس توماس جيفرسون حاكماً لولاية لويزيانا العليا في العام 1806م، وتوفي جراء إصابته بطلقات نارية في ما يشبه جريمة القتل أو الانتحار، في العام 1809م.

(86) **وليام كلارك William Clark** (1 أغسطس 1770م– 1 سبتمبر 1838م): مستكشف أمريكي، جندي ووكيل هندي وحاكم إقليم. هو مواطن من ولاية ڤيرجينيا، نشأ في بريستاتهود

كنتاكي، قبل أن يستقرّ في ما أصبح ولاية ميسوري. بالتعاون مع ميريويذر لويس، ساعد كلارك بعثة استكشافات لويس وكلارك (1804–1806م) عبر شراء لويزيانا إلى المحيط الهادئ، وادعى ملكية الولايات المتحدة الأمريكية لشمال غرب المحيط الهادئ. قبل البعثة، عمل في ميليشيات وجيش الولايات المتحدة الأمريكية، وخدم بعدها في ميليشيا، وكحاكم لإقليم ميسوري، من 1822م حتى وفاته في العام 1838، وشغل منصب المشرف على الشؤون الهندية.

(87) **نهر ميسوري The Missouri River**: أطول نهر في أمريكا الشمالية. في جبال روكي، غرب مونتانا، يتدفق ميسوري نحو الشرق والجنوب لمسافة 341 ,2 ميلاً (767 ,3 كلم) قبل دخوله نهر المسيسيبي شمال سانت لويس في ولاية ميسوري.

(88) **زيبولون مونتغمري بايك Zebulon Montgomery Pike** (5 يناير 1779م– 27 أبريل 1813م): عميد أمريكي، مستكشف ومُستعمر قاد بعثتين تحت سلطة الرئيس الثالث توماس جيفرسون، عبر الأراضي الجديدة، لشراء لويزيانا، للمرة الأولى في الفترة 1805–1806م لاستطلاع الروافد العليا شمال نهر المسيسيبي، ثم في 1806–1807م لاستكشاف الجنوب الغربي لضواحي المستعمرات الإسبانية الاستعمارية الشمالية في نيو مكسيكو وتكساس. تزامنت حملات بايك مع بعثات جيفرسون الأخرى، بما في ذلك بعثة لويس وكلارك (1804–1806م) وحملة توماس فريمان وبيتر كوستيس في النهر الأحمر.

(89) **النهر الأحمر The Red River**، وفي بعض الأحيان النهر الأحمر الجنوبي: نهرٌ رئيس في جنوب الولايات المتحدة الأمريكية. تمّت تسمية النهر للبلد الأحمر في مستجمعات المياه. وهو واحد من أنهارٍ عدة بهذا الاسم. بالرغم من أنه رافدٌ لنهر المسيسيبي، فإنّ النهر الأحمر هو الآن رافد لنهر أتشافالايا، وهو قناة رفد فرعية للميسيسيبي الذي يتدفق بشكلٍ منفصل إلى خليج المكسيك.

(90) **ألاسكا Alaska**: أكبر ولاية في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي منفصلة عن بقية البلاد. تقع ألاسكا على الدائرة القطبية الشمالية، ولا تزال الولاية الأقل اكتظاظاً بالسكان، مع أن حجمها يعادل حجم كاليفورنيا وتكساس ومونتانا مجتمعةً، ما يجعلها ضخمةً، مقارنة بباقي الولايات.

(91) **جيمس مونرو James Monroe** (28 أبريل 1758م– 4 يوليو 1831م): رجل دولة أمريكي، شغل منصب الرئيس الخامس للولايات المتحدة الأمريكية، من العام 1817 إلى العام 1825م. كان مونرو آخر رئيس بين الآباء المؤسسين للولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك سلالة ڤيرجينيا. كما أنه يمثل نهاية الجيل الديمقراطي– الجمهوري في ذلك المنصب. ولد مونرو في مقاطعة ويستمورلاند بولاية ڤيرجينيا، وكان من فئة الغراس

وقاتـل فـي الحـرب الثوريـة الأمريكيـة، وأصيـب بجـروح فـي معركـة تريتنـون. بعـد دراسـته القانـون فـي عهـد تومـاس جيفرسـون، مـن العـام 1780م إلـى 1783م، عمـل كمنـدوبٍ فـي الكونغـرس القـاري.

(92) **وادي سـاكرامنتو Sacramento valley**: هـو منطقـة الـوادي المركـزي لولايـة كاليفورنيـا الأمريكيـة التـي تقـع شـمال دلتـا نهـر سـاكرامنتو سـان جواكيـن، ويتـمّ تصريفـه بواسـطة نهـر سـاكرامنتو. يشـمل أجـزاء مـن عشـر مقاطعـات مـن شـمال كاليفورنيـا. بالرغـم مـن أن العديـد مـن المناطـق فـي وادي سـاكرامنتو ريفيـة، فإنـه يحتـوي علـى العديـد مـن المناطـق الحضريـة، بمـا فـي ذلـك عاصمـة الولايـة «سـاكرامنتو».

(93) **إقليـم أوريغـون Oregon Territory**: كان إقليـم أوريغـون مـن أغسـطس 1848م حتـى فبرايـر 1859م، وبنهايـة تلـك الفتـرة، أصبحـت ولايـة أوريغـون دولـةً أمريكيـة، فـي 14 فبرايـر 1859م. شـمل إقليـم ولايـة أوريغـون أجـزاء مـن أيداهـو الحاليـة وأوريغـون وواشـنطن وإيومنـغ ومونتانـا، وكذلـك أجـزاء مـن كولومبيـا البريطانيـة التـي هـي الآن مقاطعـة كنديـة، وكان أول مبنـى فـي الإقليـم هـو مدينـة أوريغـون. كانـت العاصمـة التاليـة سـالم وأصبحـت كورفاليـس العاصمـة بعدهـا. عندمـا أصبحـت ولايـة أوريغـون دولـةً أمريكيـة، تـمّ نقـل مقـر الحكومـة إلـى سـالم مـن جديـد.

(94) **نهـر كولومبيـا The Columbia River**: أكبـر نهـر فـي منطقـة شـمال غـرب المحيـط الهـادئ فـي أمريـكا الشـمالية، يتدفـق مـن جبـال روكـي فـي كولومبيـا البريطانيـة وكنـدا، ويتجه شـمال غـرب البـلاد، ثـم جنوبهـا إلـى ولايـة واشـنطن الأمريكيـة، ليتحـول غربـاً لتشـكيل معظـم الحـدود بيـن واشـنطن ودولـة ولايـة أوريغـون، قبـل أن يصـب فـي المحيـط الهـادئ. يبلـغ طـول النهـر حوالـي 243 ,1 ميـلاً (000 ,2 كلـم)، ومـن أكبـر روافـده نهـر الأفعـى. حـوض الصـرف الخـاص بـه هـو تقريبـاً بحجـم فرنسـا، ويمتـد إلـى سـبع ولايـات أمريكيـة ومقاطعـة كنديـة، وهـو رابـع أكبـر نهـر فـي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، مـن حيـث الحجـم.

(95) **القبطـان جـورج ڤانكوڤـر Captain George Vancouver** (22 يونيـو 1757م– 10 مايـو 1798م): ضابـط بريطانـي مـن البحريـة الملكيـة، اشـتهر ببعثتـه (1791–1795م) التـي استكشـفت ورسـمت مناطـق شـمال غـرب المحيـط الهـادئ وشـمال أمريـكا الشـمالية، بمـا فـي ذلـك سـواحل ألاسـكا، وكولومبيـا البريطانيـة، وواشـنطن، وأوريغـون. كمـا استكشـف جـزر هـاواي والسـاحل الجنوبـي الغربـي لأسـتراليا. فـي كنـدا، سـميت جزيـرة ڤانكوڤـر ومدينـة ڤانكوڤـر باسـمه، وكذلـك جبـل ڤانكوڤـر علـى حـدود يوكـون / ألاسـكا، وهـو سـادس أعلـى جبـل فـي نيوزيلنـدا.

الفصل العاشر

أستراليا وجنوب البحار..
«تاسمان» و«القبطان كوك»



إذا نظـر المـرء إلـى السـاحل الغربـي لأسـتراليا، سـيلفت نظـره العـدد الكبيـر مـن الأسـماء الهولنديـة المدوّنـة علـى السـاحل. فثمـة جزيـرة (هـوغ Hoog)[1]، وخليــج (ديمــن Diemen)[2]، و (هوتمــان أبرولهــوس Abrolhos Houtman)[3]، وأرض (دي ويـت De Wit)[4]، وأرخبيـل (نويتـس Nuyts)[5]، إلـى جانـب جزيـرة (ديـرك هارتـوغ Dirk Hartog)[6] ورأس (ليويـن Leeuwin)[7]. إلـى أقصى الشـمال، نجـد خليـج (كاربنتاريـا Carpentaria)[8]، وإلـى أقصـى الجنـوب الجزيـرة التـي كانـت تُسـمّى أرض (ڤـان ديمـن Van Diemen)[9]. ولـن يكـون مثيـراً للعجـب أبـداً أنّـه- حتـى منتصـف هـذا القـرن- كان مـن المفتـرض بـالأرض التـي تُسـمّى اليـوم بأسـتراليا، أن تُعـرف باسـم هولنـدا الجديـدة. فلـو أنّ الهولندييـن نفـذوا إلـى السـواحل الشـرقية الأكثـر خصوبـةً فـي القـارة الأسـترالية، لأطلقـوا عليهـا اسـم «هولنـدا الجديـدة»، حتـى يومنـا هـذا. وبسـبب وجـود خـطٍّ سـاحليّ طويـل، وعالـم صعـب وقاحـل فـي غـرب أسـتراليا، يمكـن للمـرء أن يفهـم بسـهولة كيـف أنّ الهولنديـن- بالرغـم مـن أنهـم استكشـفوها- لـم يهتمّـوا بالاسـتيلاء عليهـا.

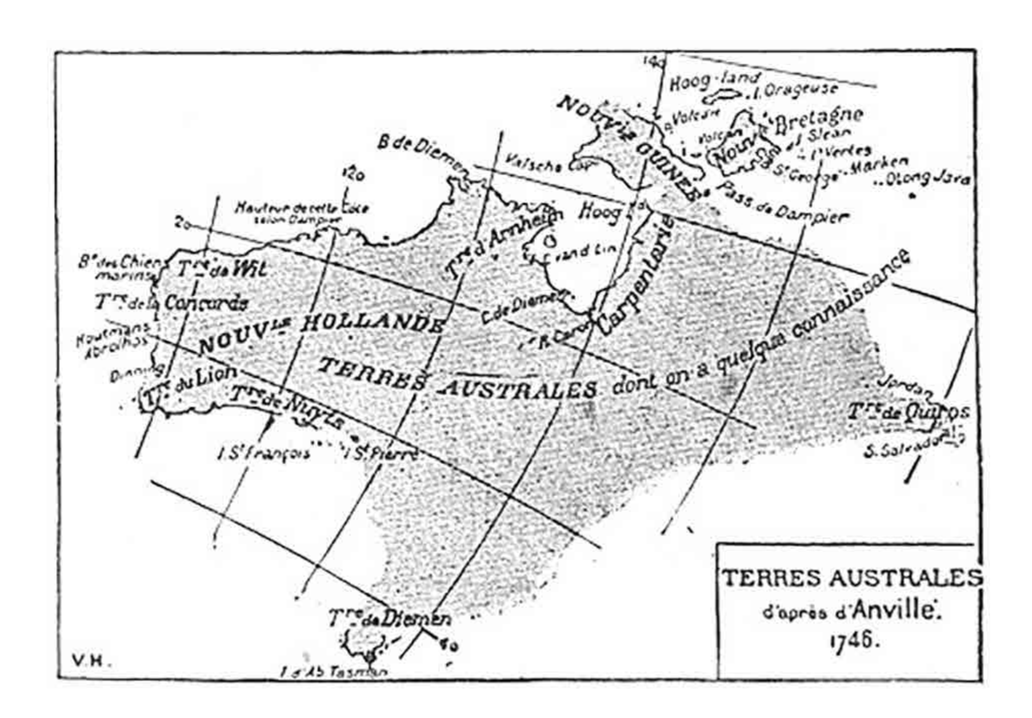
إذا كان الهولنديــون أول مــن استكشــف كلّ ذلــك الامتــداد الكبيــر مــن السـاحل الأسـترالي، فـلا يعنـي هـذا أنهـم أول مـن شـاهده. ففـي وقـتٍ مُبكـرٍ مـن العـام (1542 ميـلادي)، تـمّ إرسـال بعثـةٍ إسـبانية، تحـت إمـرة (لويـس لوبيــز دي ڤيلالوبــوس Luis Lopez de Villalobos)[10]، لمتابعــة اكتشــافات ماجـلان فـي المحيـط الهـادِئ، فـي نطـاق النفـوذ الإسـباني، فاكتشـف العديـد مـن جـزر (بولينيزيـا Polynesia)[11]، وحـاول الاسـتيلاء علـى الفيليبيـن، إنمـا

كان ينبغـي علـى أسـطوله العـودة إلـى إسـبانيا الجديـدة، فأبحـرت إحـدى السـفن علـى طـول سـاحل الجزيـرة التـي أعطـي لهـا اسـم (غينيـا الجديـدة New Guinea)[12]، وكان يُعتقـد بأنهـا تمثـل جـزءاً مـن الأرض الجنوبيـة العظيمـة المجهولـة التـي كان بطليمـوس يتخيـل وجودهـا فـي جنـوب المحيـط الهنـدي، وتكـون متصلـةً بطريقـةٍ أو بأخـرى مـع أرخبيـل (تييـرا ديـل فويغـو Tierra del Fuego)[13]، وهكـذا أثـارت الفضـول. وفـي العـام (1606 ميـلادي) تـمّ إرسـال المستكشـف (بيـدرو دي كويـروس Pedro de Quiros)[14] فـي رحلـةٍ إلـى البحـار الجنوبيـة، مـع ثـلاث سـفن، فاكتشـف (هبريـدس الجديـدة New Hebrides)[15]، واعتقـد أنّهـا تُشَـكِّلُ جـزءاً مـن القـارة الجنوبيـة، فسـمّاها بالتالـي (أسـتراليا الـروح القـدس Australia del Espiritu Santo)، وسـارع فـي العـودة إلـى الوطـن، ليحصـل التـاج الإسـباني علـى هـذه الملكيـة الجديـدة، لكـنّ إحـدى سـفنه انفصلـت عنـه، وكان قائدهـا هـو المستكشـف (لويـس ڤـاز دي توريـس Luys Vaz de Torres)[16] الـذي أبحـر بشـكلٍ أبعـد إلـى الجنـوب الغربـي، وبذلـك علـم أنّ أسـتراليا الجديـدة لـم تكـنْ قـارّةً، بـل جزيـرة، ومضـى أبعـد حتـى وصـل إلـى غينيـا الجديـدة التـي أبحـر علـى طـول سـاحلها الجنوبـي، لرؤيـة الأرض الجنوبيـة منهـا، وهكـذا مـرّ عبـر المضيـق الـذي حمـل اسـمه فـي مـا بعـد، وقـد يكـون أول أوروبـي يـرى قـارة أسـتراليا. فـي العـام نفسـه (1606 ميـلادي)، أبحـر اليخـت الهولنـدي (دويفكـن Duyfken)[17] علـى طـول السـواحل الجنوبيـة والغربيـة لغينيـا الجديـدة، مـا يقـرب مـن حوالـي الألـف ميـل، حتـى وصـل إلـى رأس (كيرويـر Keerweer)[18]، أو «عـاد مـرةً أخـرى»، وقـد يكـون هـذا السـاحل الشـمالي الغربـي لأسـتراليا. فـي السـنوات الثلاثيـن الأولـى مـن القـرن السـابع عشـر، تتبّـع الهولنديـون السـاحل الغربـي لأسـتراليا، مـع القـدر ذاتـه مـن المثابـرة التـي تحلّـى بهـا البرتغاليـون مـع السـاحل الغربـي لأفريقيـا، وتركـوا علامـات استكشـافاتهم حتـى يومنـا هـذا فـي أسـماء الجـزر والخُلجـان والـرؤوس. وعلـى متـن السـفينة (إندراخـت

تلـك (19)(Dirk Hartog ديـرك هارتـوغ) اكتشـف المستكشـف (Endraaght)(20)، الأرض التـي سُـميت باسـم سـفينته، والـرأس والمرسـى الطبيعـي المسـمّى باسـمه، فـي العـام (1616ميـلادي)؛ وتـرك المستكشـف (جـان إيدلـز Jan Edels)(21) اسـمه علـى السـاحل الغربـي، فـي العـام (1619 ميـلادي)؛ بينمـا، بعـد ثـلاث سـنوات، وصلـت سـفينةٌ اسـمها (ليونيـس Lioness) أو (ليويـن Leeuwin) إلـى أقصـى نقطـةٍ غربـاً فـي القـارة، والتـي لا يـزال اسـمها ملتصقـاً بهـا. بعـد خمـس سـنوات، فـي العـام (1627 ميـلادي)، أبحـر المستكشـف (دي نويتـس De Nuyts)(22) حـول السـاحل الجنوبـي لأسـتراليا، بينمـا فـي العـام نفسـه، اكتشـف قائـدٌ هولنـديّ يدعـى (كاربنتـر Carpenter)(23) تلـك البقعـة الهائلـة التـي لا تـزال تعـرف باسـمه، خليـج كاربنتاريـا.

ولكـن لا تـزال ثمـة اكتشـافاتٌ أكثـر أهميـةً، فـي العـام (1642 ميـلادي)، مـن قبـل بعثـةٍ أُرسِـلَت مـن باتاڤيـا تحـت إمـرة المستكشـف (أبيـل جانسـن تاسـمان ABEL JANSSEN TASMAN)(24)، للتحقـق مـن المسـافة الحقيقيـة للأراضـي الجنوبيـة. وبعـد رحلتـيْ ليويـن ودي نويتـس، لوحظ أنّ السـاحل الجنوبـيّ للأرض الجديـدة يميـل إلـى الشـرق، بـدلاً مـن الغـرب، كمـا هـي الحـال لـو كانـت آراء بطليمـوس صحيحـة، وكانـت مشـكلة تاسـمان هـي اكتشـاف مـا إذا كانـت مرتبطـةً بـأرض الجنـوب الكبيـرة التـي يفتـرض أنهـا تقـع فـي جنـوب أمريـكا الجنوبيـة. أبحـر تاسـمان فـي البدايـة مـن (موريشـيوس Mauritius)(25)، ومـن ثـمّ قـام بتوجيـه مسـاره إلـى الجنـوب الشـرقيّ، والذهـاب أكثـر إلـى الجنـوب مـن رأس ليويـن، ليصـل أخيـراً إلـى الأرض الواقعـة فـي خـط العـرض (30, 43°) وخـط الطـول (50, 163°)، وكانـت هـذه تُسـمّى أرض ڤـان ديمـن، علـى اسـم الحاكـم العـام لباتاڤيـا، واعتقـد أنهـا ترتبـط بـالأرض التـي اكتُشـفت بالفعـل مـن قِبـل دي نويتـس؛ وأبحـر تاسـمان مبتعـداً نحـو الشـرق، حيـث خـرج إلـى البحـر المفتـوح مـرةً أخـرى، ثـم ظهـر لـه إثبـاتٌ بـأنّ الأرض المكتشـفة حديثـاً لـم تكـن متصلـة بالقـارة المجهولـة العظيمـة فـي القطـب الجنوبـي.

لكنه سرعان ما جاء عبر الأرض التي يمكن أن تستجيب إلى ذلك الوصف، وأطلق عليها اسم أرض (ستاتن لاند Staaten Land)، تكريماً للولايات العامة في هولندا، ولا شك في أنّ هذه الأرض كانت جزءاً من (نيوزيلندا New Zealand)[26]، واستمرّ متجهاً نحو الشرق، ولكن مع ميْلٍ أكثر نحو الشمال، حيث اكتشف مجموعة جزر في المحيط الهادِئ،



ووصل في نهاية المطاف إلى باتاڤيا، بعد مروره بغينيا الجديدة، وشكلت اكتشافاته تقدّماً كبيراً عن المعرفة السابقة؛ إذ كان قد خفض، على أية حال، الأبعاد الممكنة للقارة المجهولة في الجنوب، ضمن حدودٍ ضيقة، كما نُقِشَت اكتشافاته بكلّ دقة على خريطة العالم المنقوشة على حجر في بيت الدولة الجديد في (أمستردام Amsterdam)[27]، حيث جرى إطلاق اسم نيو هولاند، بأمرٍ من الدول العامة، على الجزء الغربي من

«تيـرا أوسـتراليس» Terra Australis. وعندمـا انضمـت إنجلتـرا إلـى هولنـدا، فـي عهـد (وليـام الثالـث William III)[28]، أُرسـل المستكشـف (ويليـام دامبيـر William Dampier)[29] إلـى نيـو هولانـد، لإجـراء المزيـد مـن الاكتشـافات، فأعـاد تتبّـع أثـر سـير استكشـافات الهولندييـن مـن خليـج ديـرك هارتـوغ إلـى غينيـا الجديـدة؛ ويبـدو أنـه كان أول أوروبـي يهتـمّ بعـادات حيـوان الكنغـر، إلا أنّ رحلتـه لـم تضِـف الكثيـر إلـى المعرفـة الجغرافيـة، ومـع ذلـك، عندمـا غـادر سـواحل غينيـا الجديـدة، توجـه بيـن نيـو إنجلانـد وإيرلنـدا الجديـدة.

ونتيجـةً لهـذه الرحـلات الهولنديـة، أصبحـت ملكيـة الأرض الكبيـرة الموجـودة فـي مـكانٍ مـا نحـو جنـوب شـرق آسـيا، أمـراً شـائعاً بيـن جميـع الرجـال المتحضريـن. وكمثـالٍ علـى هـذه الإلفـة، وقبـل سـنواتٍ عديـدة مـن قيـام القبطـان كـوك بالرحـلات، تجـدر الإشـارة إلـى أنـه، فـي العـام (1699 ميـلادي)، وصـل القبطـان (ليمويـل غوليڤـر Lemuel Gulliver)[30] (فـي رومانسـية سـويفت الشـهيرة) إلـى مملكـة (ليليبـوت Lilliput)[31] مـن خـلال توجهـه نحـو الشـمال الغربـي مـن أرض ڤـان ديمـن، وبالتالـي سـوف يتبيـن أنّ ليليبـوت كانـت تقـع فـي مـكانٍ مـا بجـوار الخليـج الكبيـر بأسـتراليا. هـذا الخليـط الغريـب مـن المعرفـة الواضحـة والجهـل الغامـض مـن جانـب سـويفت يتطابـق تمامـاً مـع حالـة المعرفـة الجغرافيـة حـول أسـتراليا فـي أيامـه، كمـا هـو ظاهـر فـي الخريطـة السـابقة لتلـك الأجـزاء مـن العالـم، علـى النحـو الـذي قدّمـه رسـام الخرائـط الفرنسـي الكبيـر (دانڤيـل D.Anvill)[32] فـي العـام (1745 ميـلادي).

هـذه الاكتشـافات الإسـبانية والهولنديـة كانـت النتائـج المباشـرة والبديهيـة للبحـث الكبيـر عـن جـزر التوابـل، والتـي شَـكَّلَت الموضـوع الرئيـس لتسـاؤلاتنا. فمعظـم هـذه الاكتشـافات قامـت بهـا السـفن التـي تـمّ تجهيزهـا فـي أرخبيـل الملايـو، إن لـم يكـن مـن جـزر التوابـل نفسـها. ولكـن، فـي

بداية القرن الثامن عشر الميلادي، لعبت دوافع جديدة دوراً في البحث عن أراضٍ جديدة. في ذلك الوقت، كان كامل الشريط الساحلي من العالم تقريباً معروفاً، إذ كان البرتغاليون قد أبحروا على ساحل أفريقيا، والإسبانيون على سواحل أمريكا الجنوبية، والإنجليز على معظم شرق أمريكا الشمالية، بينما عُرفت أمريكا الوسطى عن طريق الإسبان، وإن لم يتمّ مسحها بدقّة، ولم يتبقَّ سوى الساحل الشمالي الغربي لأمريكا، والساحل الشماليّ الشرقيّ لآسيا لاستكشافهما، في حين أنّ المشكلة الكبيرة المتبقية من الجغرافيا، هي اكتشاف ما إذا كانت القارة الجنوبية الكبرى- التي يعتقدها بطليموس- موجودةً بالفعل؛ وإذا كان الأمر كذلك، فما هي أبعادها؟ وصودف أنّ كلّ هذه المشاكل للجغرافيا الساحلية- إذا أمكن أن نطلق عليها هذه التسمية- سيتمّ حلّها عن طريق رجلٍ واحد، هو إنجليزيّ يُدعى جيمس كوك، والذي- مع الأمير هنري، وماجلان، وتاسمان- يمكننا القول: إنّه حدّد حدود الأراضي الصالحة للسُّكنى.

في الجوهر، لم تكن رحلاته للتجارة أو الغزو، إنما من باب الفضول العلميّ، وكانت قد بدأت بشكلٍ أساسيّ بالاهتمام بعلمٍ مُختلفٍ تماماً عن علم الجغرافيا، حيث كان عالم الفلك الإنجليزي (هالي Halley)[33] قد ترك- كنوعٍ من الإرث- مهمّة دراسة مرور كوكب الزهرة الذي تنبأ بمروره العام (1769 ميلادي)- مشيراً إلى أهمّيته البالغة في تحديد مسافة الشمس من الأرض. ولا يمكن رصد هذا العبور إلا في النصف الجنوبي من الكرة الأرضية، ومن أجل ذلك أجرى القبطان كوك أول رحلةٍ استكشافيةٍ له.

كان ثمة تناسبٌ مزدوج في الدافع وراء رحلة كوك الأولى؛ فلم يتمكن من إنجاز عمله إلا بفضل التحسين الذي طرأ على الأدوات الملاحية خلال الجزء الأول من القرن الثامن عشر الميلادي. وكان

السيد (هادلي Hadley)[34] قد اخترع (آلة السدس Sextant)[35] التي يمكن من خلالها تحديد ارتفاع الشمس بسهولةٍ ودقة أكثر بكثير من الطاقم القديم لعقرب ساعة الشمس الصعب للغاية، والذي كان الملاحون السابقون يستخدمونه. ولا يزال ثمة حدثٌ أكثر أهميةً بالنسبة إلى الجغرافيا العلمية، ألا وهو التحسين الذي لحق بجهاز قياس الزمن الدقيق (الكرونوميتر Chronometry)[36]، وبالتالي لن يكون من الصعب العثور على خط العرض لمكانٍ ما طوال النهار، في أوقاتٍ مختلفة من السنة، وعن طريقه يمكن تحديد ذلك بشكلٍ كافٍ. وكما رأينا في التاريخ المبكر جداً للجغرافيا اليونانية، فإنّ تحديد خط الطول كان المهمّة الأصعب بكثير، إذ كان يتمّ تشكيله في المراحل السابقة، عن طريق التخمين، وبالحسابات التقديرية.

ولكن، عندما تمّ نقل الساعات إلى مثل هذه الدرجة من الدقة، لن يخسر البحارة سوى بضع ثوانٍ أو دقائق أثناء الرحلة كلّها، ويمكنهم أن يستخدموها لتحديد الفرق في التوقيت المحلي بين أيّ بقعةٍ على سطح الأرض والميناء الذي أبحرت منه السفينة، أو من مكانٍ ثابت يمكن فيه قياس توقيت الساعة. الحكومة الإنجليزية التي أدركت أهمية هذا الأمر، اقترحت جائزةً كبيرة جداً قدرها (10،000 جنيه إسترليني)، لاختراع الكرونوميتر الذي لن يفقد أكثر من عددٍ محددٍ من الدقائق خلال العام، ولقد فاز بهذه الجائزة (جون هاريسون John Harrison)[37]، ومنذ ذلك الوقت صار بإمكان قائدٍ بحريّ يملك أدنى حدٍّ من المعرفة الفلكية، معرفة خط الطول في غضون بضع دقائق. كانت آلة سدس هادلي، وكرونوميتر هاريسون، هي الأدوات اللازمة التي مكنت القبطان جيمس كوك من القيام بعمله، والتي كانت مستخدمةً بالتالي في كلّ طريقٍ إنجليزي، سواء في الهدف أم الطريقة.

كان جيمس كوك بحاراً عملياً، أظهر فهماً كبيراً في سبر غور سانت لورانس خلال حملة وولف، وقام بعد ذلك بإجراء مسح بحريّ في نيوفاوندلاند. وعندما قررت الجمعية الملكية إرسال بعثةٍ استكشافية لمراقبة عبور كوكب الزهرة، وفقاً لتنبؤات هالي، تمّ منعها من تكليف رجل علميّ من أمثال هالي نفسه، الذي كان قد فشل في الحصول على طاعة البحّارة، بعدما عُهِدَ إليه بالأمر. كان (دالريمبل Dalrymple)[38]، رئيس الهيدروغرافيا من الأميرالية، قد ترأس اختيار القيادة، فاختار كوك باعتباره ملازماً أول؛ ولقد أثبت هذا الاختيار تجربةً ممتازة، وتمّ اختيار المركب، وهو ناقلة الفحم الساحلية (إنديفور Endeavour)[39]، ووزنها 360 طناً، ذلك أنّ اتساع عارضها من شأنه أن يمكنها من حمل المزيد من المؤن، والتجول بالقرب من السواحل. وقبل أن يبدؤوا رحلتهم، كان الكابتن (واليس Wallis)[40] قد عاد من رحلةٍ حول العالم، كان على أساسها قد اكتشف، أو بالأحرى أعاد اكتشاف جزيرة تاهيتي، وأوصى بأنّ ذلك المكان هو أنسب ما يكون لمراقبة عبور الكوكب.

وصل كوك إلى هناك كما ينبغي، وفي الثالث من يونيو/ حزيران من العام (1769 ميلادي)، تمّ تحقيق الهدف الرئيس من الحملة، من خلال الرصد الناجح؛ لكنّه تقدّم بعد ذلك على نحوٍ أبعد، ووصل قريباً من الأرض التي رأى أنها تماثل أرض ستاتن المكتشفة من قِبل المستكشف تاسمان. ولكن على طول هذا الساحل، وجد القبطان كوك أنّها حتى الآن لا تنتمي إلى القارة الجنوبية الكبيرة، إذ كانت تتألف من جزيرتين، فقام بالإبحار بينهما، وأعطى اسمه للمضيق الذي يفصله بينهما، وقام بمغادرة نيوزيلندا في تاريخ 31 مارس/ آذار من العام (1770 ميلادي). وفي 20 من الشهر التالي وصل إلى أرضٍ أخرى، إلى الغرب، لم تكن معروفةً للبحارة حتى تلك اللحظة، فدخل في خليجٍ صغير، وقام باستكشاف الأرض المجاورة لمساعدة السيد (جوزيف بانكس Mr.Joseph Banks)[41]،

وهو عالم الطبيعة المرافق للبعثة، على إيجاد العديد من النباتات الجديدة، وأطلق على ذلك الخليج اسم خليج (بوتاني Botany)[42].

بعد ذلك سافر باتجاه الشمال، وكاد أن يخسر سفينته على الشعاب المرجانية العظيمة التي تنتشر على الساحل الشرقيّ، ولكنه- من خلال الحفاظ على داخلها- تمكّن من الوصول إلى أقصى حدودٍ من الأرض في هذا الاتجاه، وأثبت أنها كانت متميزةً عن غينيا الجديدة. وبعبارةٍ أخرى، وصل إلى النقطة الجنوبية للمضيق المسمّى على اسم المستكشف (توريس Torres)[43]، وأعطى كوك هذا الشريط الهائل من الساحل اسم (نيو ساوث ويلز New South Wales)[44]، لبعض التشابه الذي رآه في الساحل حول (سوانسي Swansea)[45]. من خلال هذه الرحلة الأولى، أثبت كوك عدم انتماء كل من نيو هولاند وستاتن لاند إلى القارة القطبية الجنوبية العظمى التي ظلّت الأسطورة الوحيدة التي توارثها الأقدمون الذين لم يقوموا حتى الآن بإزالتها بشكلٍ مؤكدٍ من الخرائط. وفي رحلته البحرية الثانية، وابتداءً من العام (1772 ميلادي)، كان في طريقه إلى حسم هذه المشكلة بشكلٍ نهائيّ، واتجه مباشرةً إلى رأس الرجاء الصالح، ومن هناك بدأ برحلةٍ متعرجة إلى القطب الجنوبي، يحشر أنف سفينته في كلّ اتجاهٍ أمكنه أن يصل إليه في أقصى الجنوب، إلا أنه توقف عندما لامس الجليد، وكلما تقدّم أخفق في العثور على أيّ أثرٍ للأرض الواسعة المفترضة المقابلة للقارة القطبية، وأثبت بالتالي، وبشكلٍ مؤكد، أنّها غير موجودة، وقضى ما تبقّى من هذه الرحلة في إعادة اكتشاف مجموعاتٍ مختلفة من الأرخبيلات التي سبق للملاحين الإسبان والهولنديين والإنجليز أن وصلوا إليها، لكنهم لم يقوموا بمسحها بدقّة. ولاحقاً انطلق القبطان كوك عبر المحيط الهادئ، من نيوزيلندا إلى الرأس كيب هورن، دون اكتشاف أيّ أرضٍ واسعة النطاق، وبالتالي تمّ إثبات هذه المسألة بعد ثلاث سنوات من التحقّق الدقيق. ومن الجدير

بالملاحظة أنه- خلال تلك الفترة الطويلة- لم يخسر سوى أربعة رجال، من أصل 118 رجلاً، واحدٌ منهم فقط بسبب المرض.

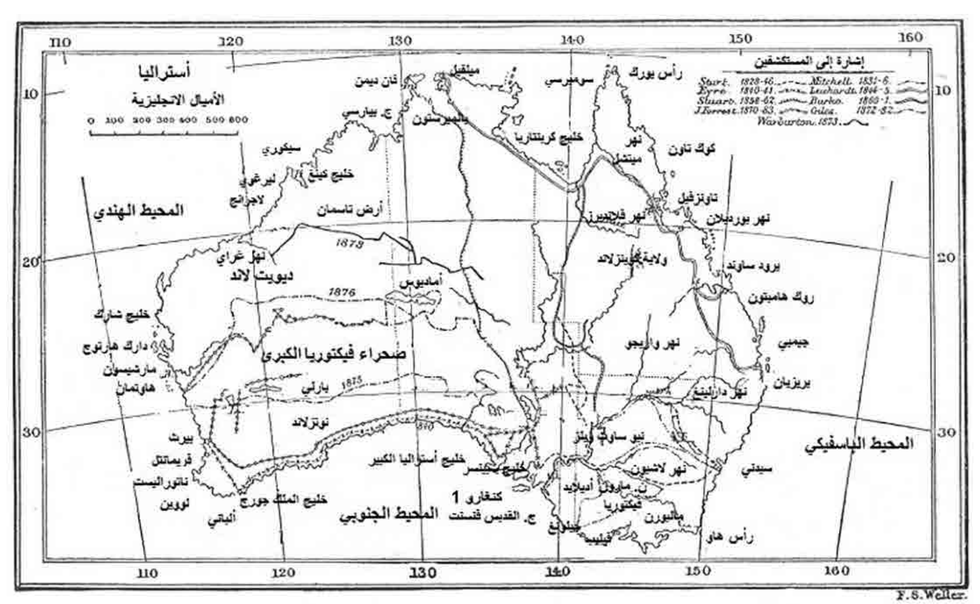
ولكن لا تزال ثمة مشكلةٌ كبيرة واحدة للجغرافيا البحرية يتعيّن حلها، وهي ذلك الممرّ الشماليّ الغربي الذي، كما رأينا سابقاً، كثيراً ما حاول الملاحون الإنجليز حلّ مسألته، من الشرق عبر خليج هدسون. في العام (1776 ميلادي) كان القبطان كوك موفداً من قِبل الملك (جورج الثالث George III)[46]، لمحاولة حلّ هذه المشكلةِ بأسلوبٍ جديد؛ وكان قد توجّه سعياً للعثور على أيّ ثغرةٍ على الساحل الشماليّ الغربيّ لأمريكا، من شأنها أن تؤدّي إلى خليج هدسون. الأسطورة القديمة لخليج خوان دي فوكا العظيم لا تزال تضلّل الجغرافيين بالنسبة إلى هذا الساحل. وحده كوك لم يحسم هذه المشكلة، ولكن، من خلال تقدمه عبر مضيق بيرينغ، ودراسته كلا جانبيه، قرّر أنّ قارّتي آسيا وأمريكا تقتربان من بعضهما البعض بستةٍ وثلاثين ميلاً. وعند رحلة عودته نزل في (أوهيي Owhyee)[47] (هاواي Hawaii)[48]، حيث لقي حتفه في العام (1777 ميلادي)، وعادت سفنه إلى إنجلترا، دون إضافة أيّ شيءٍ آخر إلى المعرفة الجغرافية.

أثارت رحلات كوك المنافسة الكريمة للفرنسيين، ولكي يمنحوه شرفاً أبدياً، أعطوا أسطولهم التعليمات باحترام سفنه أينما وُجِدَت، بالرغم من أنّ فرنسا كانت، في ذلك الوقت، في حالة حربٍ مع إنجلترا. في العام (1783 ميلادي) تمّ إرسال حملةٍ تحت إمرة المستكشف (فرانسوا دي لا بيروز François de la Pérouse)[49]، لاستكمال عمل القبطان كوك، فاستكشف الساحل الشماليّ الشرقيّ لآسيا، وقام بدراسة جزيرة (ساخالين Saghalien)[50]، ومَرَّ عبر المضيق الذي بينها وبين اليابان، والذي غالباً ما يُسمّى باسمه. في كاماتشاتكا، قام لا بيروز بإنزال المسيو (ليسبس Lesseps)[51] الذي رافق البعثة كمترجمٍ روسيّ، والمرسل من قِبل المجلات والدراسات

البحثية، فقام المسيو ليسبس بإجراء دراسةٍ متأنية عن كاماتشاتكا، ونجح في المرور من هناك برّاً إلى باريس، كأول أوروبيّ يسافر عبر العالم القديم من المحيط الهادِئ إلى المحيط الأطلسي، ثم شرع بمتابعة أعمال كوك، عن طريق دراسة ساحل نيو ساوث ويلز، وأُصِيبَ بالدهشة عند دخوله ميناءً رائعاً في منتصف الساحل، حيث وجد السفن الإنجليزية تشارك في تأسيس أول مستعمرةٍ أسترالية، في العام (1787 ميلادي). وبعد أن قدَّم استطلاعاته، ليتمّ إرسالها من قِبل الإنجليز، بدأ في مسح سواحل نيو هولاند، ولكن لم يُسمع عن حملته أيّ شيء بعد ذلك. وفي وقتٍ متأخرٍ من العام (1826 ميلادي) تبيّن أن سفينته كانت قد تحطمت عند جزيرة (ڤانيكورو Vanikoro)[52]، بالقرب من (فيجي Fijis)[53].

لقد رأينا أنّ استكشاف القبطان كوك للساحل الشرقي لأستراليا، سرعان ما تلاه تأسيس مستعمرة، إذ جرى إرسال عددٍ من المدانين بأحكام تحت قيادة القبطان (فيليبس Philips)[54] إلى خليج بوتاني، ومنذ ذلك الوقت، قرّر المستكشفون الإنجليز، تدريجياً، ضبط كلٍّ من الخط الساحلي والداخلي، من الامتداد الضخم للأراضي المعروفة لنا بأستراليا، فقامت إحدى السفن التي رافقت القبطان كوك في رحلته الثانية بإجراء مسحٍ تقريبيّ لأرض ڤان ديمن، وتوصلت إلى الاستنتاج بأنها متصلةٌ بالبرّ الرئيس. غير أنه- في العام (1797 ميلادي)، أبحر السيد (باس Bass)[55]، وهو جرّاحٌ في الأسطول، نزولاً من ميناء (جاكسون Jackson)[56] إلى الجنوب، في قاربٍ بسيط لصيد الحيتان، مع طاقمٍ من ستة رجال، واكتشف بحراً مفتوحاً يجري بين نقطةٍ في أقصى الجنوب، وأرض ڤان ديمن، وهو لا يزال معروفاً باسم (مضيق باس Bass› Strait)[57]، وقام رفيقٌ له، اسمه (فليندرز Flinders)[58]، بالإبحار في العام (1799 ميلادي) على طول الساحل الجنوبيّ من الرأس كيب ليوين، متجهاً شرقاً، وفي هذه الرحلة التقى سفينةً فرنسية في خليجٍ مقابل له، سُمّي بسبب ذلك

بخليـج (رينكونتـر rencontre)[59] وهـي كلمـة تعنـي (الملتقـى). وبالمضـي أبعـد مـن ذلـك، اكتشـف ميناء (فيليـب Philip)[60]. واسـتعمر الخـط السـاحليّ لأسـتراليا علـى وجـه التقريـب، بعـد أن قـام القبطـان (فيليـب باركـر كينـغ Philip.P.King)[61] بأربـع رحـلات بيـن (1817 و 1822 ميـلادي)، بحثـاً وتقصيـاً فـي مصبـات الأنهـار.



استكشاف أستراليا

ظلـت المناطـق الداخليـة قيـد البحـث والتفتيـش. وفـي مـا يتعلـق بالسـاحل الشـرقيّ، كان مـن الصعـب القيـام بهـذه المسـألة عمليـاً، بسـبب سلسـلةٍ مـن الجبـال الزرقـاء التـي تشـبه خليـة نحـل، مـع أخاديـد كبيـرة فـي جميـع أنحائها، مـا أودى بالباحثيـن، مـرة تلـو الأخـرى، إلـى طريـقٍ مسـدود. ولكـن فـي العـام (1813 ميـلادي) تمكـن المستكشـف (فيليـب وينتـورث Philip Wentworth)[62] مـن عبورهـا بنجـاح، والعثـور علـى هضبـةٍ خصبـة فـي غربهـا. وفـي العـام التالـي، اكتشـف المستكشـف (إيڤانـز Evans)[63] نهـري (لاشـلان Lachlan)[64] و(ماكـواري Macquarie)[65]، وتوغـل علـى نحـوٍ أبعـد فـي سـهول (باثورسـت

Bathurst)[66]. فـي العاميـن (1828–1829 ميـلادي) زاد الكابتـن (سـتيرت Sturt)[67] مـن معرفـة الداخـل، عـن طريـق تتبّـع مسـاريْ النهريـن العظيميـن (دارلينـج Darling)[68] و(مـوراي Murray)[69]. وفـي العـام (1848 ميـلادي)، فَقَـدَ المستكشـف الألمانـي (ليتشـاردت Leichhardt)[70] حياتـه، فـي محاولتـه اختـراق الداخـل شـمالاً. ولكـن فـي العـام (1860 ميـلادي) تمكـن اثنـان مـن المستكشـفين، همـا (بيـرك Burke)[71] و(ويلـز Wills)[72]، مـن المـرور مـن الجنـوب إلـى الشـمال علـى طـول السـاحل الشـرقي. فـي حيـن أنـه، فـي السـنوات الأربـع (1858–1862 ميـلادي)، قـام المستكشـف (جـون ماكـدوال سـتيوارت John McDouall Stuart)[73] بمهمـةٍ أكثـر صعوبـةً فـي عبـور وسـط القـارة مـن الجنـوب إلـى الشـمال، مـن أجـل تتبـع مسـار خـط التلغـراف الـذي تـم إنشـاؤه بعـد ذلـك بوقـتٍ قصيـر. وبحلـول ذلـك الوقـت، أُنشـئت المسـتوطناتُ فـي جميـع أنحـاء سـاحل شـرق أسـتراليا، ولـم يبـقَ سـوى الصحـراء الغربيـة التـي يتعيّـن استكشـافها، ولقـد تحقّـق ذلـك فـي رحلتيـن للمستكشـف (جـون فورسـت John Forrest)[74]، بيـن العاميـن (1868 و1874 ميـلادي)، والـذي توغـل مـن غـرب أسـتراليا وصـولاً إلـى خـط التلغـراف المركـزيّ، فـي حيـن أنـه، بيـن العاميـن (1872 و1876 ميـلادي)، قـام (إرنسـت غايلـز Ernest Giles)[75] بتحقيـق الإنجـاز ذاتـه فـي الشـمال. وفـي الفتـرة الأخيـرة، فـي العـام (1897 ميـلادي)، تـمّ ربـط هذيـن الطريقيـن عـن طريـق رحلـة المبجّـل (دانيـال كارنيجـي Daniel Carnegie)[76]، مـع حقـول ذهـب (كولغـاردي Coolgardie)[77] فـي الجنـوب، ومـع تلـك التـي فـي (كيمبرلـي Kimberley)[78] فـي الشـمال. هـذه الاكتشـافات أضافـت إلـى معرفتنـا داخـل أسـتراليا، وأكـدت كذلـك الانطبـاع بأنهـا لا تسـتحق أن تُعـرف.

[Authorities: Rev. G. Grimm, Discovsry and Exploration of Australia (Melbourne, 1888); A. F. Calvert, Discovery of Australia, 1893; Exploration of Australia, 1895; Early Voyages to Australia, Hakluyt Society].



(هوامش الفصل العاشر)

(1) **هـوغ Hog Island**: جزيـرةٌ صغيـرة ومحميـة طبيعيـة، هـي جـزءٌ مـن مجموعـة جـزر تقـع فـي خليـج فريدريـك هنـري، بالقـرب مـن السـاحل الجنوبـي الشـرقي لتسـمانيا- أسـتراليا.

(2) **خليـج ديمـن Diemen's Bay**: هـو الفجـوة بيـن أرنيـم لانـد، مـن شـبه جزيـرة كوبـورغ، وجزيـرة ميلفيـل فـي شـمال أسـتراليا، وهـو متصـل ببحـر تيمـور فـي الغـرب مـن مضيـق كلارنـس (بالقـرب مـن مدينـة داروين)، وبحـر أرافـورا فـي الشـمال قبـل مضيـق دونـداس (بيـن جزيـرة ميلفيـل وشـبه جزيـرة كوبـورغ)، ويمتـدّ علـى مسـاحة حوالـي 14,000 كلـم2.

(3) **هوتمـان أبرولهـوس Abrolhos Houtman** (غالبـاً مـا تسـمّى بشـكلٍ غيـر رسـمي جـزر أبرولهـوس): هـي سلسـلةٌ مـن 122 جزيـرة، مـع الشـعاب المرجانيـةً المرتبطـة بهـا، فـي المحيـط الهنـدي قبالـة السـاحل الغربـي لأسـتراليا.

(4) **مقاطعـة دي ويـت De Wit**: منطقـة الأراضـي (مقسـمة مسـاحياً) بغـرب أسـتراليا، وتقـع داخـل شـعبة الأراضـي الشـمالية الغربيـة.

(5) **أرخبيـل نويتـس The Nuyts Archipelago**: عبـارة عـن مجموعـة جـزر تقـع جنـوب أسـتراليا فـي بايـت الأسـترالية العظمـى، إلـى الجنـوب مـن مدينـة سـيدونا علـى السـاحل الغربـي لشـبه جزيـرة آيـر.

(6) **ديـرك هارتـوغ Dirk Hartog**: جزيـرة قبالـة سـاحل غاسـكوين غـرب أسـتراليا، داخـل منطقـة خليـج القـرش، يبلـغ طولهـا حوالـي 80 كلـم (50 ميـلاً) وهـي أكبـر جزيـرة فـي غـرب أسـتراليا.

(7) **رأس ليويـن Cape Leeuwin**: هـو نقطـة تقـع فـي أقصـى الجنـوب غـرب البـلاد بالقـارة الأسـترالية، فـي ولايـة غـرب أسـتراليا.

(8) **خليـج كاربنتاريـا The Gulf of Carpentaria**: هـو بحـرٌ كبيـر ضحـل، محـاط بثلاثـة جوانـب شـمال أسـتراليا، ويحـدّه مـن الشـمال بحـر أرافـورا.

(9) **أرض ڤـان ديمـن Van Diemen›s Land**: هـو الاسـم الأصلـي المسـتخدم مـن قبـل معظـم الأوروبييـن لجزيـرة تسـمانيا، التـي هـي الآن جـزءٌ مـن أسـتراليا. تـمّ تغييـر الاسـم مـن أرض ڤـان ديمـن إلـى تسـمانيا فـي العـام 1856م.

(10) **لويس لوبيز دي ڤيلالوبوس Luis Lopez de Villalobos**، ويُكتب أيضاً **روي لوبيز دي فيلالوبوس Ruy López de Villalobos** (1500م– 4 أبريل 1544م): مُستكشف ومُستعمر إسباني، أبحر عبر المحيط الهادئ من المكسيك لإقامة موطئ قدم دائم لإسبانيا في جزر الهند الشرقية التي كانت على مقربة من خط ترسيم الحدود بين إسبانيا والبرتغال، وفقاً لمعاهدة سرقسطة في العام 1529م. ڤيلالوبوس أعطى الفيليبين اسمها، بأن أطلق عليها «جزرالفيليبين» على شرف فيليب النمسا، أمير أستورياس في ذلك الوقت، والذي أصبح في وقتٍ لاحق فيليب الثاني بإسبانيا. وفي العام 1542م اكتشف أيضاً مجموعة جزر المحيط الهادئ، وعلى الأرجح جزر هاواي، لكن الإسبان تكتموا على سرّ الاكتشاف.

(11) **بولينيزيا Polynesia**: منطقة فرعية من أوقيانوسيا– أستراليا، تتألف من أكثر من 1000 جزيرة منتشرة في وسط وجنوب المحيط الهادئ. يسمّى السكان الأصليون الذين يسكنون في جزر بولينيزيا «البولينيزيين»، وهم يتشاركون العديد من الصفات المماثلة، بما في ذلك اللغة والثقافة والمعتقدات، وكان لديهم تاريخياً تقليدٌ قوي للإبحار، وذلك باستخدام النجوم للتنقل في الليل.

(12) **غينيا الجديدة New Guinea**: جزيرةٌ كبيرة في أوقيانوسيا، وهي ثاني أكبر جزيرة في العالم (إذا استبعدت أستراليا كجزيرة)، بعد غرينلاند التي تغطي مساحة 755 785 كلم2 (303،381 ميلاً مربعاً)، وأكبرها كلياً أو جزئياً في نصف الكرة الجنوبي وأوقيانوسيا.

(13) **تييرا ديل فويغو Tierra del Fuego**: أرخبيلٌ قبالة الطرف الجنوبي من البرّ الرئيس لجنوب أمريكا، عبر مضيق ماجلان، يتكوّن من الجزيرة الرئيسة غراندي دي تييرا ديل فويغو، بمساحة 100 , 48 كلم2 (572 , 18 ميلاً مربعاً) ومجموعة كبيرة من الجزر.

(14) **بيدرو فرنانديز دي كويروس Pedro Fernandes de Queirós** (1565م–1614م): ملاح ومُستكشف ومُستعمر برتغالي في خدمة إسبانيا، اشتهر بمشاركته في رحلات اكتشاف الإسبان للمحيط الهادئ، ولاسيما رحلة ألفارو دي مندانا دي نيرا (1595م–1596م) و(1605م–1606م) التي عبرت المحيط الهادئ بحثاً عن تيرا أوستراليس.

(15) **هبريدس الجديدة New Hebrides**، وسميت أيضاً بأرخبيل هبريدس الاسكتلندي: هو الاسم الاستعماري لمجموعة الجزر في جنوب المحيط الهادئ، والتي هي الآن دولة فانواتو. أقام السكان الأصليون في الجزر لمدة ثلاثة آلاف سنة، قبل وصول أول الأوروبيين إليها العام 1606م، من قبل بعثةٍ إسبانية بقيادة بيدرو فرنانديز دي كويروس، ولقد استعمر كل من البريطانيين والفرنسيين هذه الجزر في القرن الثامن عشر، بعد وقتٍ قصير من زيارة الكابتن جيمس كوك لها.

(16) **لويس ڤاز دي توريس Luys Vaz de Torres** (1565م– 1607م): مُستكشف بحري

ومُستعمر من القرنين السادس عشر والسابع عشر، لبعثةٍ إسبانية، وأول ملاح أوروبي يلاحظ المضيق الذي يفصل بين قارة أستراليا وجزيرة غينيا الجديدة، والذي يحمل الآن اسمه (مضيق توريس).

(17) **دويفكن Duyfken**: سفينة صغيرة بُنيت في الجمهورية الهولندية، وكانت سريعة ومسلحة تسليحاً خفيفاً، ولعلّها كانت مخصصة للمياه الضحلة، وللشحنات الثمينة الصغيرة، أو لجلب الرسائل، أو لإرسال الأحكام، أو خدمات خاصة، إذ تبلغ حمولتها بين 50 و60 طناً.

(18) **رأس كيب كيروير Cape Keerweer**: هو رأس داخل كوينزلاند وجنوب غرب مخيم كينشيرينغ وغرب وياه ياردز و تي- تري أوتستاتيون، ويبلغ ارتفاعه حوالي 9 أمتار.

(19) **ديرك هارتوغ Dirk Hartog** (عُمِّدَ في 30 أكتوبر 1580م- ودفن في أمستردام 11 أكتوبر 1621م) بحار ومُستكشف ومُستعمر هولندي في القرن 17. كانت بعثة ديرك هارتوغ هي المجموعة الأوروبية الثانية التي تهبط في أستراليا، وهو أول من ترك وراءه قطعةً أثرية لتسجيل زيارته، هي لوحة هارتوغ. في بعض الأحيان يكتب اسمه ديرك هارتوغ، أو ديريك هارتوشز، ولقد أشار إليه المؤرخ إرنست جايلز باسم ثيودوريك هارتوغ.

(20) **إندراخت Endraaght**: سفينةٌ خشبية ذات فتحات، تزن 7000 طن، أطلقت في خدمة شركة الهند الشرقية الهولندية العام 1615م.

(21) **جان ڤان إيدلز Jan Van Edels** (عاش خلال القرن السابع عشر الميلادي): ملاح ومُستكشف ومُستعمر بولندي، قام باستكشاف الجزء الغربي من أستراليا، منطقة أندراخت، العام 1619م، وأطلق اسمه على تلك المنطقة.

(22) **بيتر نويتس Pieter Nuyts** (1598م- 11 ديسمبر 1655م): مُستكشف ومُستعمر ودبلوماسي وسياسي هولندي، كان جزءاً من الحملة التاريخية لشركة الهند الشرقية الهولندية في الفترة 1626م-1627م التي رسمت خريطة الساحل الجنوبي لأستراليا. أصبح السفير الهولندي في اليابان العام 1627م، وعيّن حاكم فورموزا في العام ذاته. في وقتٍ لاحق، أصبح شخصيةً مثيرة للجدل، بسبب تعامله الكارثي مع الواجبات الرسمية، إلى جانب شائعات حول حالات عدم الاستقرار الخاصة، وتعرّض للخداع والغرامة والسجن، قبل أن يكون كبش فداء لتخفيف التوتر في العلاقات الهولندية- اليابانية. عاد إلى الجمهورية الهولندية في العام 1637م، حيث أصبح عمدة هولستر أمباخت وهولست.

(23) **بيتر دي كاربنتير Pieter de Carpentier** (19 فبراير 1586م- 5 سبتمبر 1659م): مُستكشف ومُستعمر هولندي، ولد في أنتويرب العام 1586م، ودرس الفلسفة في ليدن. كان مدير شركة الهند الشرقية الهولندية، وشغل منصب الحاكم العام هناك من 1623م إلى 1627م، وكان الحاكم العام الخامس لجزر الهند الشرقية الهولندية. شارك في غزو جاكرتا، وساعد في بناء مدينة باتاڤيا، وفعل الكثير للبلدة، بما في ذلك إنشاء مدرسة،

وتأسيس أول دار رئيسة للأيتام، كما صمّم هيكل الكنائس في المدينة، وهو مكتشف خليج كاربينتاريا في شمال أستراليا، وقد سمّي الخليج باسمه.

(24) **أبيل جانزون تاسمان Abel Janszoon Tasman** (1603م- 10 أكتوبر 1659م): بحّار ومُستكشف ومُستعمر وتاجر هولندي، اشتهر برحلته في الفترة 1642م و 1644م في خدمة شركة الهند الشرقية الهولندية، وكان أول مستكشف أوروبي عرف عنه الوصول إلى جزر فان ديمن لاند (الآن تسمانيا) ونيوزيلندا، وشاهد جزر فيجي.

(25) **موريشيوس Mauritius**: الآن رسمياً جمهورية موريشيوس، هي جزيرةٌ ودولة في المحيط الهندي، حوالي 2,000 كلم (1,200 ميل) قبالة الساحل الجنوبي الشرقي للقارة الأفريقية، وتشمل البلاد جزيرتي موريشيوس ورودريغز.

(26) **نيوزيلندا New Zealand**: جزيرة ودولة تقع في جنوب غرب المحيط الهادئ، وتتكوّن جغرافياً من مجموعتين أرضيتين رئيستين هما: الجزيرة الشمالية (أو تي إيكا ماوي)، والجزيرة الجنوبية (أو تي وايبونامو)، وحوالي 600 جزيرة أصغر منهما. تقع نيوزيلندا على بعد حوالي 1500 كلم شرق أستراليا، عبر بحر تاسمان، وعلى بعد حوالي 1000 كلم من جنوب جزر المحيط الهادئ في كاليدونيا الجديدة وفيجي وتونجا. وبسبب بعدها، كانت واحدةً من آخر الأراضي التي تم استيطانها من قبل البشر.

(27) **أمستردام Amsterdam**: عاصمة هولندا، وتقع في مقاطعة شمال هولندا، غرب البلاد.

(28) **وليام الثالث William III**، المعروف أيضاً باسم **ويليام أورانج** (4 نوفمبر 1650م- 8 مارس 1702م): كان أمير أورانج بالولادة، ومنذ العام 1672م أصبح ملك إنجلترا وإيرلندا واسكتلندا، من 1689م حتى وفاته في 1702م، وهو معروف باسم وليام الثاني. ورث وليام إمارة أورانج من والده وليام الثاني الذي توفي قبل أسبوع من ولادته، والدته ماري، الأميرة الملكية، ابنة الملك تشارلز الأول من إنجلترا.

(29) **ويليام دامبير William Dampier** (عُمِّدَ في 5 سبتمبر 1651م- توفي في مارس 1715م): ملاح ومُستكشف ومُستعمر إنجليزي، أصبح أول إنجليزي يستكشف أجزاء ممّا يُعرف اليوم بأستراليا، وأول شخص يبحر حول العالم ثلاث مرات. وصف أيضاً بأنه أول مؤرخ طبيعي في أستراليا، فضلاً عن أنه واحد من أهم المستكشفين البريطانيين للفترة بين السير والتر رالي وجيمس كوك.

(30) **ليمويل غوليڤر Lemuel Gulliver**: بطل الرواية الخيالية «رحلات غوليڤر» التي كتبها جوناثان سويفت، ونُشِرت للمرة الأولى في العام 1726م. حسب رواية سويفت، ولد غوليڤر في نوتنغهام شاير، العام 1661م، حيث كان والده صاحب ممتلكات صغيرة؛ ويقال أن عائلة غوليڤر نشأت في أكسفورد شاير. وحسب الرواية، درس لمدة ثلاث

سنوات (1675–1678م) في كلية إيمانويل– كامبريدج. تبدأ رحلات غوليفر الرائعة في العام 1699م وتنتهي في 1715م.

(31) **ليليبوت وبليفوسكو**: دولتان خياليتان تظهران في الجزء الأول من رواية «غاليڤر» لجوناثان سويفت.

(32) **جان بابتيست بورغينيون دانڤيل Jean Baptiste Bourguignon d›Anville** (ولد في باريس 11 يوليو 1697م– 28 يناير 1782م): جغرافي ورسام خرائط، حسّن كثيراً من معايير صنع الخرائط، لذلك تتميّز خرائطه الجغرافية القديمة بالعمل الدقيق، إلى حدٍّ كبير.

(33) **إدمون هالي Edmond Halley**(8 نوفمبر 1656م– 25 يناير 1742م): عالم فلك مشهور، وعالم جيوفيزيائي، وعالم رياضيات، وعالم أرصاد جوية، وهو الفيزيائي الذي اشتهر بضبط وتحديد مدار المذنب هالي، وثاني فلكي ملكي في بريطانيا، وخلفاً للعالم جون فلامستيد.

(34) **جون هادلي John Hadley** (16 أبريل 1682م– 14 فبراير 1744م): رياضي إنجليزي، ادعى اختراعه للآلة الثمانية، بعد عامين من ادعاء توماس غودفري نفسه، ولكن تم العثور عليها لاحقاً في كتابات إسحاق نيوتن غير المنشورة (1643–1727م). في العام 1730م اخترع هادلي آلة الثمانية العاكسة، والتي يمكن استخدامها لقياس ارتفاع الشمس أو الأجرام السماوية الأخرى فوق الأفق في البحر.

(35) **السدس (Sextant)**: آلة فلكية قديمة كانت تستخدم لقياس الزاوية بين جسمين أو نجمين، ابتكرها **إسحق نيوتن** في القرن السابع عشر الميلادي. تستخدم آلة السدس في الأساس لتحديد الزاوية بين جرم سماوي والأفق الذي يُعرف باسم الارتفاع، كما يمكن استخدامها لقياس المسافة بين القمر والأجرام السماوية، من أجل تحديد التوقيت وفروقه عن توقيت غرينيتش، وهو أمر مهم لتحديد خطوط الطول الجغرافية. طورت سدسية المرايا في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، وأقيم تصميمها على جهود **جون هادلي** في إنجلترا **وتوماس جودفري** في أمريكا. كانت السدسية أداة الملاحة الأولى التي تستخدم على السفن والطائرات، حتى منتصف القرن العشرين.

(36) **الميقاتية أو الكرونوميتر chronometry**: هو نوعٌ من الساعات الدقيقة جداً التي تُستخدم في البحرية، كما يستخدمها الطيارون. مع أن قدرة الساعات التي ظهرت في القرن الثامن عشر أصبحت دقيقةً تدريجياً، إلا أن مشاكل كثيرة اعترضتها عند استخدامها في البحار بنوعٍ خاص، فأعلنت الحكومة البريطانية عن جائزة مالية بقيمة 20000 جنيه إسترليني لأول من يخترع طريقةً حديثة لضبط الوقت بشكلٍ أفضل. أشهر من تقدَّم لنيل المكافأة كان جون هاريسون الذي ولد العام 1693م وتوفي 1776م،

وقد صنع ساعات يوركشير، فكان اختراعه لبندول المشواة الحديدية من الفولاذ والنحاس، لضبط عمليات التمدد والتقلُّص ومحاولة الاحتفاظ بطولٍ ثابت للبندول، هي أداته لحساب الوقت في البحار والتي عرفت باسم «هـ 1»، وسعى مباشرة إلى صناعة «هـ 2» التي تميزت بدقة أفضل، لكنه لم يستطع الحصول على كامل الجائزة، فصنع هاريسون «هـ 3»، وهي ساعة جديدة وأكثر دقةً، لكنه لم يقتنع بدرجة الدقة التي تحققت، فتعاون مع ابنه لصناعة «هـ 4» التي تميزت بصغر الحجم وزيادة درجة الدقة، فكان الكرونومتر الأول الذي بلغ حجمه حجم المنبه العادي. وبعد تجريبه كان الخطأ 15 ثانية على رحلة بحرية من أوروبا إلى جزر الهند الغربية، أي على مدى خمسة أشهر، فمُنح هاريسون كامل مبلغ المكافأة. بعد ذلك انتشر استعمال الكرونومتر في القرن التاسع عشر.

(37) **جون هاريسون John Harrison** (3 أبريل 1693م- 24 مارس 1776م): نجار إنجليزي وصانع ساعات، هو الذي اخترع الكرونوميتر البحري، الجهاز الذي طال انتظاره لحل مشكلة حساب خط الطول أثناء الوجود في البحر، ويعدّ اكتشافه ثورةً في علم الملاحة البحرية وزيادة كبيرة في سلامة المسافرين لمسافات طويلة في البحر. اعتبرت المشكلة التي حلها مهمة جداً، بعد كارثة سيلي البحرية العام 1707م، وكان البرلمان البريطاني قد عرض مكافآت مالية تصل إلى 20,000 £ (أي ما يعادل 2,89 مليون جنيه إسترليني اليوم) بموجب قانون 1714م.

(38) **ألكسندر دالريمبل Alexander Dalrymple** (24 يوليو 1737م- 19 يونيو 1808م): جغرافي ومُستعمر اسكتلندي، وأول هيدروغرافي من الأميرالية البريطانية. كان مؤيداً رئيساً لنظرية وجود قارةٍ واسعة غير مكتشفة في جنوب المحيط الهادئ «تيرا أوستراليس إنكوغنيتا»، فأنتج الآلاف من الخرائط البحرية، ورسم خرائط لعدد من البحار والمحيطات للمرة الأولى، وكانت له مساهمةٌ بشكلٍ كبيرٍ في سلامة الشحن. دفعت نظرياته بعددٍ من الحملات بحثاً عن هذه الأرض الأسطورية، حتى رحلة جيمس كوك الثانية (1772-1775م) التي أدت إلى استنتاج بأنه إذا كانت موجودة، فهذا يعني أن الجنوب أكثر من خط 65° من خط العرض الجنوبي.

(39) **إنديڤور Endeavour**: سفينةٌ بحثية تابعة للبحرية الملكية البريطانية، قام الملازم جيمس كوك برحلته الأولى على متنها، لاكتشاف أستراليا ونيوزيلندا، من العام 1769 إلى العام 1771م.

(40) **صموئيل واليس Samuel Wallis** (23 أبريل 1728م- 21 يناير 1795م): ضابط بحرية بريطاني، مُستعمر ومُستكشف في المحيط الهادئ. في العام 1766م تمّت ترقيته إلى رتبة كابتن، وأعطيت له قيادة السفينة «دلفين» العام 1751م. عَبَر واليس مضيق ماجلان، وواصل إلى تاهيتي التي أطلق عليها اسم «جزيرة الملك جورج الثالث»، تكريماً

للملـك فـي يونيـو 1767م. كان واليـس قـد مـرض وظلـت السـفينة دولفيـن فـي خليـج ماتافـاي فـي تاهيتـي لأكثـر مـن شـهر. باشـر واليـس تسـمية أو إعـادة تسـمية خمـس جـزر أخـرى فـي جـزر المجتمـع، وسـت جـزر مرجانيـة فـي جـزر تواموتـو، فضـلاً عـن تأكيـد مواقـع رونغيريـك ورونجيـلاب فـي جـزر مارشـال، كمـا أعـاد تسـميته لجزيـرة أوفيـا البولينيزيـة علـى اسـمه «واليـس»، قبـل أن يصـل إلـى تينيـان فـي جـزر ماريانـا، واسـتمر فـي باتافيـا، حيـث توفـي العديـد مـن طاقمـه مـن الزحـار، ثـم عبـر رأس الرجـاء الصالـح إلـى إنجلتـرا، ووصـل فـي مايـو 1768م. وكان قـد نقـل معلومـات مفيـدة لجيمـس كـوك الـذي كان مـن المقـرر أن يغـادر قريبـاً لمنطقـة المحيـط الهـادئ، وأبحـر بعـض أفـراد الطاقـم مـن السـفينة دولفيـن مـع كـوك. فـي العـام 1780م تـمّ تعييـن واليـس مفوضـاً للأميراليـة.

(41) **السـير جوزيـف بانكـس Sir Joseph Banks** البارونيـت الأول (24 فبرايـر 1743م– 19 يونيـو 1820م): عالـم طبيعـة بريطانـي، عالـم نبـات وراعـي العلـوم الطبيعيـة. اشـتهر اسـمه فـي رحلـة التاريـخ الطبيعـي فـي العـام 1766م إلـى نيوفاوندلانـد ولابـرادور. شـارك فـي أول رحلـة كبيـرة للقبطـان جيمـس كـوك (1768–1771م)، زار البرازيـل، وتاهيتـي، وبعـد 6 أشـهر كان فـي نيوزيلنـدا وأسـتراليا. شـغل منصـب رئيـس الجمعيـة الملكيـة لأكثـر مـن 41 عامـاً، ويُنسـب إليـه الفضـل فـي إدخـال شـجر الأوكالبتـوس، والسـنط، والنـوع المسـمى علـى اسـمه (بانكسـيا) إلـى العالـم الغربـي، كمـا أن نحـو 80 نوعـاً مـن النباتـات تحمـل اسـمه. وكان المؤسـس الرئيـس للجمعيـة الأفريقيـة وعضـواً فـي جمعيـة ديلتانتـي التـي سـاعدت فـي إنشـاء الأكاديميـة الملكيـة.

(42) **خليـج بوتانـي Botany Bay**: عبـارةٌ عـن شـبه خليـج مفتـوح علـى المحيـط، يقـع فـي سـيدني، نيـو سـاوث ويلـز– أسـتراليا، علـى بعـد 13 كلـم (8 أميـال) جنـوب الحـي التجـاري المركـزي فـي سـيدني. أعطـي هـذا الاسـم بسـبب كثـرة النباتـات التـي تنمـو فيـه.

(43) **مضيـق توريـس The Torres Strait**: يقـع بيـن أسـتراليا والجزيـرة الميلانيـة فـي غينيـا الجديـدة، يبلـغ طولـه حوالـي 150 كلـم (93 ميـلاً) فـي أضيـق نطـاقٍ لـه. إلـى الجنـوب منـه شـبه جزيـرة كيـب يـورك، فـي أقصـى الشـمال القـاري فـي ولايـة كوينزلانـد الأسـترالية، أمـا فـي الشـمال فتوجـد بابـوا غينيـا الجديـدة الغربيـة. أعلـن المـلاح لويـس ڤـاز دي توريـس أنـه مـرّ عبـر هـذا المضيـق فـي العـام 1606م.

(44) **نيـو سـاوث ويلـز New South Wales**: ولايـةٌ علـى السـاحل الشـرقي لأسـتراليا، تحدّهـا كوينزلانـد مـن الشـمال، وفيكتوريـا مـن الجنـوب، وجنـوب أسـتراليا مـن الغـرب، ويحـدّ سـاحلها بحـر تسـمان مـن الشـرق.

(45) **سوانسـي Swansea**: المعروفـة الآن رسـمياً باسـم مدينـة ومقاطعـة سوانسـي، هـي مدينـةٌ سـاحلية ومقاطعـة فـي ويلـز، وثانـي أكبـر مدينـة فـي ويلـز بعـد كارديـف، وخامـس أكبـر مدينـة فـي المملكـة المتحـدة.

(46) **جـورج الثالـث George III** (4 يونيـو 1738م- 29 ينايـر 1820م): ملـك بريطانيـا العظمـى، وملـك إيرلنـدا مـن 25 أكتوبـر 1760م حتـى اتحـاد البلديـن فـي 1 ينايـر 1801م، وبعـد ذلـك أصبـح ملـك المملكـة المتحـدة لبريطانيـا العظمـى وإيرلنـدا، حتـى وفاتـه.

(47) **أوهيـي Owyhee**، أو أوهيهـي Owhyhee: هـو اللفـظ بالإنجليزيـة القديمـة لكلمـة هـاواي، اسـتخدم فـي أواخـر القـرن الثامـن عشـر وأوائـل القـرن التاسـع عشـر، ووجـد فـي أسـماء لمواقـع معينـة فـي الجـزء الأمريكـي بشـمال غـرب المحيـط الهـادئ، والتـي تـم استكشـافها ورسـم خرائطهـا مـن قبـل البعثـات.

(48) **هـاواي Hawaii**: هـي الولايـة الخمسـون والأخيـرة التـي انضمـت إلـى الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، بعـد أن حصلـت علـى اعتـرافٍ دولـي فـي 21 أغسـطس 1959م. هـاواي هـي الولايـة الوحيـدة التـي تقـع فـي أوقيانوسـيا والوحيـدة التـي تتكـون بالكامـل مـن الجـزر، وهـي مجموعـة الجـزر الواقعـة فـي أقصـى شـمال بولينيزيـا التـي تحتـل معظـم الأرخبيـل فـي وسـط المحيـط الهـادئ، والولايـة الوحيـدة الواقعـة خـارج أمريـكا الشـمالية.

(49) **جـان فرانسـوا دي غالـوب، كونـت دي لابيـروس Jean François de Galaup, comte de Lapérouse** (23 أغسـطس 1741م): مُستكشـف ومُسـتعمر وضابـط بحريـة فرنسـي، اختفـت حملتـه فـي أوقيانوسـيا. ولـد بالقـرب مـن الألـب- فرنسـا، درس فـي الكليـة اليسـوعية ودخـل الكليـة البحريـة فـي بريسـت عندمـا كان فـي الخامسـة عشـرة مـن عمـره.

(50) **سـاخالين Sakhalin**، المعروفـة سـابقاً باسـم كارافوتـو: جزيـرةٌ روسـية كبيـرة فـي شـمال المحيـط الهـادئ، وهـي أكبـر جزيـرة فـي روسـيا، تقـع قبالـة السـاحل الشـرقي لروسـيا وشـمال اليابـان. الشـعوب الأصليـة فـي هـذه الجزيـرة هـي إينـو وأوروكـس ونيفـخ.

(51) **جـان بابتيسـت بارتيليمـي دي ليسـبس Jean Baptiste Barthélemy de Lesseps** (27 كانـون الثانـي/ ينايـر 1766م- 6 - 26 نيسـان/ أبريـل 1834): دبلوماسـي فرنسـي وكاتـب، وعضـو البعثـة العلميـة لجـان فرانسـوا دي غالـوب كومـت دي لا بيـروس، وعـمّ (فردينانـد دي ليسـبس) مبتكـر فكـرة قنـاة السـويس.

(52) **ڤانيكـورو Vanikoro**: جزيـرةٌ فـي مجموعـة سـانتا كـروز، تقـع حوالـي 118 كلـم (73 ميـلاً) إلـى الجنـوب الشـرقي مـن مجموعـة سـانتا كـروز الرئيسـة، وهـي جـزءٌ مـن مقاطعـة تيموتـو فـي جـزر سـليمان.

(53) **فيجـي Fijis**، رسـمياً جمهوريـة فيجـي: هـي جزيـرة فـي ميلانيزيـا جنـوب المحيـط الهـادئ، حوالـي 1100 ميـل بحـري (2,000 كلـم، 1,300 ميـل) شـمال شـرق الجزيـرة الشـمالية فـي نيوزيلنـدا، أقـرب جيرانهـا هـي فانواتـو مـن الغـرب، وكاليدونيـا الجديـدة مـن الجنـوب الغربـي، وجـزر كرماديـك النيوزيلنديـة مـن الجنـوب الشـرقي، وتونغـا مـن الشـرق، وسـاموا وأليـس وفوتونـا الفرنسـية مـن الشـمال الشـرقي، وتوفالـو مـن الشـمال.

(54) **الأدميرال آرثر فيليب Admiral Arthur Phillip** (في النص فيليبس Philips) (11 أكتوبر 1738م- 31 أغسطس 1814م): مُستعمر وضابط بحرية ملكية بريطاني، وأول حاكم لنيو ساوث ويلز، أسس مستعمرة المدانين جنائياً البريطانية، والتي أصبحت في ما بعد مدينة سيدني بأستراليا.

(55) **جورج باس George Bass** (30 يناير 1771م- بعد 5 فبراير 1803م): جرّاح بحري ومُستكشف ومُستعمر بريطاني في أستراليا. ولد في 30 يناير م1771 في أسواربي بالقرب من سليفورد- لينكولنشاير، رافق البعثة التي خرجت إلى أستراليا كجرّاح، وقام بشكلٍ منفرد برحلات استكشافية عدة على متن قاربٍ جلبه معه في رحلته.

(56) **ميناء جاكسون Port Jackson**: ميناء سيدني أو الميناء الطبيعي لسيدني، نيو ساوث ويلز- أستراليا. الميناء هو مدخل لبحر تاسمان (جزء من جنوب المحيط الهادئ)، وهو موقع أول مستوطنة أوروبية في أستراليا. واصل ميناء جاكسون لعب دوره الرئيس في تاريخ سيدني وتطورها.

(57) **مضيق باس Bass Strait**: هو مضيق البحر الذي يفصل تسمانيا عن البرّ الرئيس الأسترالي، وتحديداً ولاية ڤيكتوريا.

(58) **القبطان ماثيو فليندرز Captain Matthew Flinders** (16 مارس 1774م- 19 يوليو 1814م): ملاح ومُستكشف ومُستعمر ورسام خرائط إنجليزي، كان قائد أول رحلة ملاحة في أستراليا، وحدّد أنها قارة. قام فليندرز بثلاث رحلات إلى المحيط الجنوبي بين العامين 1791 و 1810م. وفي الرحلة الثانية، أكد جورج باس وفليندرز أن جزيرة ڤان ديمن لاند (تاسمانيا الآن) كانت جزيرة، وفي الرحلة الثالثة، قام فليندرز بتحريك البرّ الرئيس لما كان يسمّى أستراليا، يرافقه رجلٌ من السكان الأصليين بونغاري.

(59) **خليج رينكونتر rencontre**: خليجٌ طبيعي في جزيرة نيوفاوندلاند في مقاطعة نيوفاوندلاند ولابرادور- كندا، بالقرب من خليج الشيطان.

(60) **ميناء فيليب Port Philip** (المعروف أيضاً باسم ميناء خليج فيليب): خليج كبير في جنوب فيكتوريا- أستراليا، يقع في ملبورن. جغرافياً، هو خليجٌ يغطي 930 ,1 كلم2، ويمتدّ شاطئه حوالي 264 كلم (164 ميلاً).

(61) **الأدميرال فيليب باركر كينغ Phillip Parker King** (1791-1856م): ضابط بحرية ومُستكشف ومُستعمر وهيدروغرافي ومدير شركة، ولد في جزيرة نورفولك، ابن فيليب جيدلي الملك وزوجته آنا جوزيفا ني كومب. في شبابه أبحر فيليب إلى إنجلترا مع والديه، في أكتوبر 1796م، وعندما غادر والده إنجلترا في نوفمبر 1799م ليصبح حاكماً لنيو ساوث ويلز، تُركت شقيقته ماريا في رعاية السيدة صموئيل إندربي، ووضع فيليب تحت دروس القس بورفورد في إسكس. في العام 1802م تمّ ترشيحه لأكاديمية

بورتسماوث البحرية. في نوفمبر 1807م دخل البحرية في ديانا، وخدم لمدة ست سنوات في بحر الشمال وخليج بسكاي والبحر الأبيض المتوسط، وتمّت ترقيته لنيل زمالة الماجستير في 1810م.

(62) **ويليام تشارلز وينتورث William Charles Wentworth** (13 أغسطس 1790م– 20 مارس 1872م): مُستكشف وصحفي وسياسي ومؤلف أسترالي، وأحد الشخصيات البارزة في أوائل استعمار نيو ساوث ويلز. كان أول مواطن من أصل أسترالي يحقّق سمعةً طيبة في الخارج، ويعتبر داعياً رئيساً للحكم الذاتي للمستعمرات الأسترالية. **ذكره المؤلف باسم «فيليب وينتورث»، لكن المعلومات التي توفرت لديّ أنه «ويليام تشارلز وينتورث»(المُترجم).**

(63) **جورج ويليام إيفانز George William Evans** (5 يناير 1780م– 16 أكتوبر 1852م): مَسَّاح ومُستكشف ومُستعمر سابق في مستعمرة نيو ساوث ويلز، ولد في وارويك،– إنجلترا، وسافر إلى أستراليا في أكتوبر 1802م.

(64) **نهر لاشلان Lachlan**: نهرٌ متقطع، هو جزءٌ من مستجمع مورومبيدجي داخل حوض موراي دارلينج، ويقع في جنوب الجدول، وسط غرب مناطق نيو ساوث ويلز– أستراليا.

(65) **نهر ماكواري Macquarie**: أحد الأنهار الداخلية الرئيسة في نيو ساوث ويلز– أستراليا، يبلغ طوله حوالي 626 كلم ومساحته 74 ألف كلم2، ينبع من المرتفعات الوسطى في نيو ساوث ويلز بالقرب من بلدة أوبيرون Oberon ، وينطلق باتجاه الشمال الغربي، ويسير حتى يصل إلى أهوار ماكواري، ثم يصب في نهر دارلينج عبر أسفل نهر بارون.

(66) **باثورست Bathurst**: مدينةٌ إقليمية في تابلاندس الوسطى، في نيو ساوث ويلز– أستراليا، تبعد نحو 200 كلم (حوالي 120 ميلاً) شمال غرب سيدني، وهي مقرّ مجلس باثورست الإقليمي، وباثورست هي أقدم المستوطنات الداخلية في أستراليا، وغالباً ما يشار إليها باسم «بلاد الذهب»، كونها أول موقع تم اكتشاف الذهب فيه، ويوجد في باثورست مركز مدينة تاريخي، مع العديد من المباني المتبقية من فترة الذروة الذهبية من منتصف حتى أواخر 1800م.

(67) **الكابتن تشارلز نابيير ستيرت Charles Napier Sturt** (28 أبريل 1795م– 16 يونيو 1869م): مُستكشف ومُستعمر بريطاني لأستراليا، وأحد أبرز المستكشفين الأوروبيين لأستراليا. قاد حملات عدة في المناطق الداخلية من القارة، بدءاً من سيدني ومن بعدها أديلايد. عثرت بعثاته على العديد من الأنهار المتدفقة غرباً، مؤكدة أنها جميعاً اندمجت في نهر موراي. كان يبحث لتحديد ما إذا كان ثمة «بحر داخلي».

(68) **نهـر دارلينـج Darling**: ثالـث أطـول نهـر فـي أسـتراليا، 472, 1 كلـم (915 ميـلاً) وينبـع مـن مصـدره فـي شـمال نيـو سـاوث ويلـز إلـى أن يلتقـي مـع نهـر مـوراي فـي وينتـورث، نيـو سـاوث ويلـز، بمـا فـي ذلـك أطـول روافـده المتاخـم الـذي يبلـغ حوالـي 2،844 كلـم (767, 1 ميـلاً)، مـا يجعلـه أطـول نهـر فـي أسـتراليا.

(69) **نهـر مـوراي The Murray River**: أطـول نهـر فـي أسـتراليا، حوالـي 508, 2 كلـم (558, 1 ميـلا)، ينطلـق مـن جبـال الألـب الأسـترالية، ويجـري علـى الجانـب الغربـي مـن أعلـى الجبـال فـي أسـتراليا، ثـم يمـر عبـر سـهولها الداخليـة، ويشـكل الحـدود بيـن ولايتـي نيـو سـاوث ويلـز وڤيكتوريـا، أثنـاء تدفقـه إلـى الشـمال الغربـي إلـى جنـوب أسـتراليا، ويتحـول جنوبـاً إلـى مورغان لمسـافة 315 كلـم (196 ميـلاً)، ليصـل إلـى مصبـه فـي المحيـط فـي بحيـرة أليكسـاندرينا.

(70) **فريدريـش فيلهلـم لودفيـغ ليتشـاردت Friedrich Wilhelm Ludwig Leichhardt**، المعـروف باسـم **لودفيـغ ليتشـاردت** (23 أكتوبـر 1813م– 1848م): مُستكشـف ومُسـتعمر ألمانـي بروسـي، وعالـم طبيعـي، هـو الأكثـر شـهرةً، لاستكشـافه شـمال ووسـط أسـتراليا. ولـد فـي 23 أكتوبـر 1813م فـي قريـة تريباتـش، بمقاطعـة بروسـي براندنبـورغ. فـي 14 فبرايـر 1842م وصـل ليتشـاردت إلـى سـيدني– أسـتراليا، وكان هدفـه استكشـاف أسـتراليا الداخليـة، وأعـرب عـن أملـه بتعييـن حكومـي فـي مجـالات اهتمامـه. فـي سـبتمبر 1842م ذهـب ليتشـاردت إلـى وادي نهـر هنتـر، شـمال سـيدني، لدراسـة الجيولوجيـا والنباتـات والحيوانات فـي المنطقـة، ومراقبـة الأسـاليب الزراعيـة، ثـم قـام بمفـرده برحلـةٍ لجمـع العينـات التـي أخذهـا مـن نيوكاسـل، ونيـو سـاوث ويلـز، إلـى خليـج موريتـون فـي كوينزلانـد.

(71) **روبـرت أوهـارا بيـرك Robert O›Hara Burke** (1821 – 1861م): جنـدي ورجـل شـرطة إيرلنـدي، حقـق شـهرةً كمستكشـف أسـترالي، وكان قائـد بعثـة بـورك وويلـز المنكوبـة التـي كانـت أول حملـة لعبـور أسـتراليا مـن الجنـوب إلـى الشـمال، وإيجـاد طريـق عبـر القـارة مـن المناطـق المسـتقرة فـي فيكتوريـا إلـى خليـج كاربنتاريـا. كانـت البعثـة مجهـزة تجهيـزاً جيـداً، لكـن بيـرك لـم يكـن مـن ذوي الخبـرة فـي المهنـة، فتقريـر اللجنـة الملكيـة الـذي حكـم علـى فشـل الحملـة، ألقـى باللائمـة علـى بيـرك.

(72) **وليـام جـون ويلـز William John Wills** (1834م– 1861م): باحـث بريطانـي، عمـل أيضـاً كجـراح، وحقـق شـهرةً كقائـد قيـادة بعثـة بـورك وويلـز المنكوبـة التـي كانـت أول رحلـة لعبـور أسـتراليا مـن الجنـوب إلـى الشـمال، حيـث وجـدت طريقـاً عبـر القـارة مـن مناطـق فيكتوريـا المسـتقرة إلـى خليـج كاربنتاريـا.

(73) **جـون مكـدوال سـتيوارت John McDouall Stuart** (1815م– 1866م): مُستكشـف ومُسـتعمر اسـكتلندي، وواحـد مـن أكثـر المستكشـفين الذيـن حققـوا إنجـازات فـي داخـل أسـتراليا. قـاد سـتيوارت أول رحلـة ناجحـة لاجتيـاز البـرّ الرئيـس الأسـترالي مـن الجنـوب

إلـى الشـمال والعـودة مـن خـلال وسـط القـارة، وقـد أثبتـت خبرتـه ورعايتـه لفريقـه أنـه لـم يفقـد حتـى رجـلاً واحـداً، بالرغـم مـن قسـوة البلـد الـذي واجهـه.

(74) **السـير جـون فورسـت، البـارون الأول فورسـت Sir John Forrest** (1847 – 1918م): مُستكشـف ومُسـتعمر أسـترالي، أول رئيـس وزراء لغـرب أسـتراليا ووزيـر الحكومـة فـي أول برلمـان اتحـادي فـي أسـتراليا. فـاز بشـهرته كمستكشـف مـن خـلال قيـادة ثـلاث حمـلات فـي المناطـق الداخليـة مـن أسـتراليا الغربيـة، والتـي منحتـه وسـام راعـي الجمعيـة الجغرافيـة الملكيـة العـام 1876م.

(75) **ويليـام آرنسـت بـاول غايلـز William Ernest Powell Giles** (1835 – 1897م): مُستكشـف أسـترالي، قـام بقيـادة خمـس حمـلات رئيسـة فـي وسـط أسـتراليا.

(76) **المبجـل ديڤيـد وينفـورد كارنيجـي The Honourable. David Wynford Carnegie** (23 مـارس 1871م– 27 نوفمبـر 1900م): مُستكشـف إنجليـزي، مُسـتعمر ومنقـب عـن الذهـب فـي غـرب أسـتراليا. فـي العـام 1896م قـاد بعثـةً استكشـافية مـن كولغـاردي عبـر جيبسـون وصحـراء سـاندي الكبـرى إلـى مرتفعـات كريـك، ذهابـاً وإيابـاً. **ذكـره المؤلـف باسـم دانيـال كارنيجـي، لكـن المعلومـات التـي توفـرت لـديّ بعـد التحقـق مـن الشـخصية أنـه «ديفيـد» كمـا ذكرتـه (المُترجـم).**

(77) **كولغـاردي Coolgardie**: بلـدة صغيـرة فـي غـرب أسـتراليا، علـى بعـد 558 كلـم (347 ميـلاً) شـرق عاصمـة الولايـة بيرث.

(78) **كيمبرلـي Kimberley**: أقصـى المناطـق التسـع فـي غـرب أسـتراليا، يحدّهـا مـن الغـرب المحيـط الهنـدي، ومـن الشـمال بحـر تيمـور، ومـن الجنـوب صحـارى سـاندي وتانامـي الكبـرى فـي منطقـة بيلبـارا، ومـن الشـرق الإقليـم الشـمالي.

الفصل الحادي عشر

استكشاف وتقسيم أفريقيا:
بارك ـ ليڤينغستون ـ ستانلي



لقـد رأينـا كيـف أبحـر البرتغاليـون ببـطءٍ بمحـاذاة السـاحل، علـى طـول الشـاطِئ الأفريقـيّ، خـلال القـرن الخامـس عشـر الميـلادي، أثنـاء بحثهـم عـن طريـقٍ إلـى جـزر الهنـد. وبحلـول نهايـة القـرن، أعطـت خرائـط البورتولانـو البحـارة تقريـراً بدائيـاً، لكنـه فَعّـال، عـن سـاحل أفريقيـا، سـواء علـى الجانـب الغربـي أم الشـرقي، ولـم يكـن ذلـك مـن أجـل استكشـاف السـاحل وحـده، لكنهـم اسـتقروا عليـه. فـي (أمينـة Amina)[1] علـى سـاحل (غينيـا Guinea)[2]، وفـي (لوانـدو Loando)[3] بالقـرب مـن الكونغـو، وفـي (بينغويـلا Benguela)[4] علـى السـاحل الغربـيّ، أنشـؤوا محطـاتٍ لإرسـال الذهـب والعـاج، وفـوق كل شـيء، العبيـد، إذ اتضـح أنهـم مـن المنتجـات الأفريقيـة الرئيسـة لاسـتخدام الأوروبييـن، واسـتقروا علـى السـاحل الشـرقي فـي سـوفالا، وميناء موزامبيـق؛ وفـي (زنجبـار Zanzibar)[5]، وكانـوا يمتلكـون مـا لا يقـلّ عـن ثلاثـة موانِـئ، تلـك التـي زارهـا ڤاسـكو دا جامـا لأول مـرة، واشـتهرت بعـد ذلـك عـن طريـق المؤلـف (ميلتـون Milton)[6] الـذي ضمّنهـا بسـطرٍ رنّـان، وباسـتطرادٍ جغرافـيّ رائـع، فـي الكتـاب الحـادي عشـر وعنوانـه:

«Mombaza and Quiloa and Melind.»

—Paradise Lost, xi. 339.

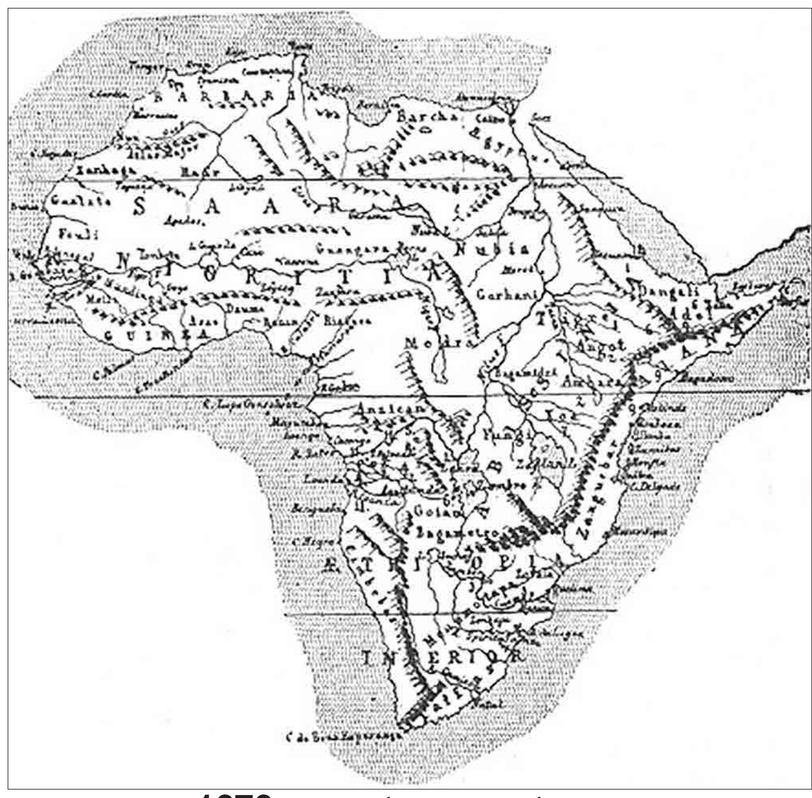
«مومبازا و كويلوا و ميليند»

الفردوس المفقود، الجزء 11 ص 339

ومن المحتمل أنه- إلى جانب استيطانهم على الساحل- قام البرتغاليون، من وقتٍ لآخر، بالاستكشافات في المناطق الداخلية. وعلى أيةِ حالٍ، يظهر لنا، في بعض الخرائط من القرنين السادس عشر والسابع عشر، وجود معرفةٍ ملحوظة عن مجرى نهر (النيل Nile)[7]، كما حصلنا على معرفة أنه ينتهي بثلاث بحيراتٍ كبيرة، يمكن أن تكون بلا شك (ڤيكتوريا Victoria)[8] و(ألبرت نيانزا Albert Nyanza)[9]، و(تنجانيقا Tanganyika)[10]، وأيضاً سلسلة جبال القمر، بشكلٍ بارز، والتي قام السيد ستانلي يوماً بإعادة استكشافها. غير أنه من الصعب تحديد إلى أيّ مدى كانت هذه القيود على الخرائط البرتغالية ترجع إلى معرفةٍ فعلية أو تقريرٍ عمليّ، أو إلى تقاليد معرفة سابقة لهذه البحيرات والجبال. في الخرائط المصاحبة للطبعات الأولى من كتاب بطليموس، نحصل أيضاً على المعلومات نفسها التي تتكرر عند الجغرافيين العرب، والتي من الواضح أنها مشتقة من بطليموس، وليست من الملاحظة الواقعية[*]. وعندما صمّم اثنان من رسامي الخرائط الفرنسيين، هما العظيمان (ديليسيل Delisle)[11] ودانڤيل على عدم تضمين خرائطهما أيّ شيءٍ لا دليل على وجوده، فاختفت هذه البحيرات والجبال، وبالتالي أصبحت الخرائط في القرن السابع عشر تظهر المزيد من معرفة المناطق الداخلية في أفريقيا، من تلك التي كانت في بداية القرن التاسع عشر، على الأقل في ما يتعلق بمصادر النيل.

(*) يذكر المؤلف هنا أن الجغرافيين العرب لم يتحصلوا على معلوماتهم من الملاحظة المباشرة، وهذا يؤكد أن معرفته بتاريخ علم الجغرافيا عند العرب والمسلمين ضعيف جداً، وهذا يبدو من سياق قوله، ومن المعروف أن أغلب الجغرافيين المسلمين قد سجلوا معارفهم الجغرافية عن طريق الملاحظة المباشرة. (المترجم).

يبدأ الاستكشاف الأفريقي للداخل بالبحث عن منابع النيل، ولقد تمّ التوصل إليه أساساً من خلال تحديد مسار الأنهار الثلاثة الكبرى الأخرى: نهر (النيجر Niger)[12]، نهر (الزامبيزي Zambesi)[13]، ونهر (الكونغو Congo)[14]. ومن الجدير بالملاحظة أنّ جميع الأنهار الأربعة قد تمّ تحديدُ مسارِها من قِبل البريطانيين، وسوف تكون أسماء كلٍّ من السيد (بروس Bruce)[15] والسيد (غرانت Grant)[16] مرتبطة دائماً مع نهر النيل، والسيد (مونغو بارك Mungo Park)[17] مع نهر النيجر، والدكتور (ليڤينغستون Dr.Livingston)[18] مع نهر الزامبيزي، والسيد ستانلي مع نهر الكونغو؛ ولن يكون من الملائم– إلا في حالة الكونغو– أن تسيطر إنجلترا على مجرى الأنهار التي مَكَّنَت أبناءها من وصول الحضارة إليها.



خريطة أولفرت دابر لأفريقيا... 1676م.

لقد رأينا وجود تقليدٍ قديم ذكره هيرودوت، مفاده أنّ النيل يميل إلى الغرب، ويتحوّل هناك إلى نهر النيجر، في حين لا يزال انطباعٌ سابق يشير إلى أنّ جزءاً منه، على أيةِ حالٍ، يلتوي شرقاً، وبطريقةٍ ما ينضمُّ إلى المصدر ذاته، مثل دجلة والفرات، كما يبدو هذا التلميح في رواية الكتاب المقدّس عن الجنة. أياً كان السبب، فإنّ أكبر قدرٍ من عدم اليقين كان قائماً على المسار الفعليّ للنهر، وكان اكتشاف مصدر النيل، لقرونٍ عديدة، هو التعبير الدائم عن أداء المستحيل. في العام (1768 ميلادي)، صَمَّم جيمس بروس، وهو نبيلٌ اسكتلنديّ له مكانته، على تحديد حلٍّ لهذا اللغز، وهو قرارٌ كان قد أدلى به في شبابه الباكر، ونفّذه بعنادٍ متميّز، وكان قد حصل على قدرٍ معيّنٍ من المعرفة باللغة العربية، وتعرّف على العادات الأفريقية كقنصلٍ في الجزائر العاصمة. تتبع النيل إلى أقصى حد أسوة بـ(فارسون Farsunt)[19]، ثمّ عبر الصحراء إلى البحر الأحمر، وذهب إلى مدينة (جدة Jedda)[20] التي أخذ منها سفينةً إلى مدينة (مصوع Massowah)[21]، وبدأ بحثه عن منابع النيل في الحبشة، وزار أنقاض مدينة (أكسوم Axum)[22]، العاصمة السابقة للحبشة، وفي هذا الحيّ شهد الحادثة التي كانت دائماً ترتبط برحلاته، حيث استخرجت بضع شرائح اللحم من ردف بقرة، وهي على قيد الحياة، وتمّت بعدها خياطة الجرح، وترك البقرة تمضي إلى حال سبيلها.

وهنا، مسترشداً ببعض الرجال من قبيلة (جالا Gallas)[23]، انطلق في طريقه نحو النيل الأزرق إلى المنابع الثلاثة التي أعلن أنها المصادر الحقيقية لنهر النيل، والتي تمّ تحديدها بالبحيرات الثلاث الغامضة في الخرائط القديمة. من هناك كان ذاهباً في طريقه إلى أسفل نهر النيل، ليصل إلى القاهرة في العام (1773 ميلادي). وبطبيعة الحال، ما قد اكتشفه كان مجرّد منبع للنيل الأزرق، وهو ما تمّت زيارته في وقتٍ سابق من قِبل رحالةٍ برتغاليّ اسمه (بايز Payz)[24]؛ لكنّ المغامرات الشيّقة التي

عاشـها بـروس، والأسـلوب المثيـر للاهتمـام الـذي تحـدث بـه، أثـار الاهتمـام العالمـي، ومـا زاد مـن الحقيقـة، هـو أنّ رحلتـه هـذه أخـذت علـى عاتقهـا حـب المغامـرة والاكتشـاف. وتميّـز هـذا العـام (1768 ميـلادي) برحلتـيْ جيمس كوك وجيمـس بـروس، وكلاهمـا، بصراحـة، كانـت لأغـراض الاكتشـاف الجغرافـي، وبالتالـي تدشـين عصـر مـا يمكـن أن يُسـمّى بعصـر الاستكشـاف العلمـي. وبعـد عشـر سـنوات، جـرى تشـكيل جمعيـةٍ تُسـمّى الجمعيـة الأفريقيـة، وتهـدف لاستكشـاف أجـزاء غيـر معروفـة مـن أفريقيـا، وبذلـك اسـتُدعي المجتمـع الجغرافـيّ الأول إلـى حيّـز الوجـود. فـي العـام (1795 ميـلادي) تـمّ إرسـال مونغـو بـارك، مـن قِبـل الرابطـة، إلـى السـاحل الغربـيّ، فبـدأ رحلتـه مـن (غامبيـا Gambia)[25]، وبعـد العديـد مـن المغامـرات، والتـي اعتُقِـلَ فيهـا مـن قِبـل المغاربـة، وصـل إلـى ضفـاف نهـر النيجـر الـذي تتبعـه حتـى منتصـف المجـرى، لكنـه فشـل فـي الوصـول إلـى تيمبوكتـو، وقـام بالمحاولـة الثانيـة فـي العـام (1805 ميـلادي)، علـى أمـل الإبحـار أسـفل النيجـر، لإثبـات تطابقـه مـع النهـر المعـروف فـي مصبّـه، كالكونغـو، لكنـه اضطـر للعـودة، وتوفـي فـي (بوسـا Boussa)[26]، دون أن يحـدّد المسـار المتبقّـي مـن النيجـر.

وهكـذا تـمّ لفـت الانتبـاه إلـى وجـود مدينـة تيمبوكتـو الغامضـة، والتـي جلـب مونغـو بـارك شـائعاتٍ غريبـة عنهـا، عنـد عودتـه مـن رحلتـه الأولـى إليها، هـي التي زارهـا فـي العـام (1811 ميـلادي) بحـارٌ بريطانـيّ يدعـى (آدامـز Adams)[27]، كانـت سـفينته قـد تحطمـت علـى السـاحل المغاربـيّ، وأُخِـذَ كعبـدٍ مـن قِبـل المغاربـة نحـو تيمبوكتـو. وفـي نهايـة المطـاف، تـم افتـداؤه مـن قِبـل القنصـل البريطانـيّ فـي مدينـة (موغـادور Mogador)[28]، وبذلـك تـمّ إحيـاء قصـة اهتمامـه فـي استكشـاف غـرب أفريقيـا، ثـم أجـرى محاولتيـن لفهـم لغـز النيجـر، كلتاهمـا بـدأت مـن (سـينيغامبيا Senegambia)[29] ومـن الكونغـو، لكنهمـا أخفقتـا، فاعتُمـدت طريقـةٌ جديـدة، ربمـا بسـبب تجربـة آدمـز السـابقة، فـي محاولـةٍ للوصـول إلـى النيجـر عـن طريـق القوافـل عبـر الصحـراء. ففـي العـام (1822 ميـلادي)، غـادر الميجـور

(دنهام Denham)[30] والملازم (كلابيرتون Clapperton)[31] مدينة (مرزق Murzouk)[32]، وهي عاصمة (فزان Fezzan)[33]، وشقّا طريقهما إلى بحيرة تشاد، ومن ثم إلى مدينة (برنو Bornu)[34]. وفي وقتٍ لاحقٍ، زار الملازم كلابيرتون النيجر مرةً أخرى من (بنين Benin)[35]. إجمالاً، أضافا نحو ألفيْ ميل من الطريق إلى معرفتنا لغرب أفريقيا. في العامين (1826–1827 ميلادي) تمّت زيارةٌ لتيمبوكتو، قام بها اثنان من الأوروبيين، هما الرائد (لينج Major Laing)[36] في العام الذي سبق اغتياله هناك، والشاب الفرنسيّ (رينيه كايلييه Réné Caillié)[37]، في العام التالي، والذي أثارت قصّته اهتماماً كبيراً، وبدأ الشاعر (تينيسون Tennyson)[38] مسيرته الشعرية بقصيدته الحائزة على الجائزة، وموضوعها عن عاصمة أفريقيا الغامضة.

لم يأتِ العام (1850 ميلادي) حتى كان المستكشف (بارث Barth)[39] قد حمل على عاتقه عمل دنهام وكلابيرتون، مرةً أخرى، فقام باستكشاف البلاد لمدة خمس سنواتٍ غرب بحيرة تشاد، وقام بزيارة تيمبوكتو، وربط خطوط طريقيْ كلابيرتون وكايلييه. وما فعله في غرب بحيرة تشاد تمّ إتمامه من قِبل (ناختيغال Nachtigall)[40] شرق تلك البحيرة، في (دارفور Darfur)[41] و(واداي Wadai)[42]، في رحلةٍ استغرقت أيضاً خمس سنوات (1869–1874 ميلادي)؛ ولقد تسببت المصالح السياسية في السنوات الأخيرة بالعديد من الحملات، ولاسيما من قِبل الفرنسيين، لربط ممتلكاتهم في الجزائر وتونس بتلك الموجودة في ساحل الذهب والسنغال.

المرحلة التالية في الاستكشاف الأفريقي ترتبط باسم الرجل الذي تمكّن من تتبّع كل الاكتشافات الحديثة بشكلٍ عملي. ولقد نجح الرحالة ديڤيد ليڤينغستون في فتح المناطق غير المعروفة تماماً في وسط أفريقيا، بفضل براعته في التعامل مع السكان الأصليين، وشجاعته وهدوئه. بدءاً من الرأس، في العام (1849 ميلادي)، كان يشقّ طريقه شمالاً إلى

نهـر زامبيـزي، ثـم إلـى بحيـرة (ديلولـو Dilolo)[43]. وبعـد خمـس سـنوات مـن الترحـال، وصـل إلـى السـاحل الغربـيّ لأفريقيـا فـي لوانـدا، ثـم ارتـد إلـى نهـر الزامبيـزي مـرةً أخـرى، وتابـع مسـاره إلـى مصبّـه علـى السـاحل الشـرقيّ، وبالتالـي، ولأول مـرة، قـام بعبـور أفريقيـا مـن الغـرب إلـى الشـرق. وفـي الرحلـة الثانيـة التـي بدأهـا العـام (1858 ميـلادي)، بـدأ بتتبّـع مسـار نهـر (شـيري Shiré)[44]، أهـمّ روافـد نهـر الزامبيـزي، وبذلـك وصـل إلـى ضفـاف بحيـرة (نياسـا Nyassa)[45] فـي سـبتمبر/ أيلـول العـام (1859 ميـلادي).

وفـي غضـون ذلـك، كان اثنـان مـن المستكشـفين، همـا النقيـب (بيرتـون Burton)[46] (بعـد ذلـك أصبـح السـير ريتشـارد) والكابتـن (سـبيك Speke)[47]، قـد بـدآ مـن زنجبـار لاستكشـاف البحيـرة التـي طالمـا سـمعا عنهـا الشـائعات لفتـرةٍ طويلـة. وفـي العـام التالـي، نجحـا فـي الوصـول إلـى بحيـرة تنجانيقـا. وعنـد عودتهمـا، انفصـل سـبيك عـن بيرتـون، وأخـذ طريقـاً آخـر إلى الشـمال، حيـث شـاهد بحيـرةً كبيـرة أخـرى، اتضـح فـي مـا بعـد أنهـا كانـت بحيـرة ڤيكتوريـا نيانـزا. فـي العـام (1860 ميـلادي)، ومـع رفيـقٍ آخـر لـه، هـو الكابتـن غرانـت، عـاد سـبيك إلـى بحيـرة ڤيكتوريـا نيانـزا، وتتبّـع مسـارها، وفـي الشـمال منهـا، عثـرا علـى نهـرٍ كبيـر يتجـه إلـى الشـمال، فتتبّعـاه وصـولاً إلـى (غندكـورو Gondokoro)[48]، وهنـا وجـدا السـير (صمويـل بيكـر Sir Samuel Baker)[49] الـذي كان قـد قـام بالترحـال حتـى النيـل الأبيـض للتحقّـق مـن مصـدره، وهـو مـا أثبـت أنـه يكـون فـي بحيـرة ڤيكتوريـا نيانـزا. واصـل بيكـر بحثـه، ونجـح فـي إظهـار أنّ مصـدراً آخـر لنهـر النيـل يقـع فـي بحيـرةٍ صغيـرة باتجـاه الغـرب، أُطْلِـقَ عليهـا اسـم بحيـرة ألبـرت نيانـزا. وهكـذا، اجتمـع هـؤلاء الإنجليـز الثلاثـة لحـلّ مشـكلة نهـر النيـل التـي طـال انتظارهـا.

وسـرعان مـا تـلا اكتشـافات الإنجليـز عمـلٌ سياسـيّ هـام قـام بـه الخديـوي المصـري (إسـماعيل باشـا Ismail Pasha)[50] الـذي طالـب بكامـل مسـار النيل،

كجزءٍ تحت سيطرته، وقام بإنشاء محطات القطار على طوله، وأدى ذلك بالطبع إلى الحصول على معلومات كاملة عن حوض النيل، تمّ اكتسابها لأغراضٍ جغرافية. وفي عهد السير صمويل بيكر والعقيد جوردون، كانت المدنية قد استحوذت لفترةٍ من الوقت على النيل، من مصدره إلى مصبّه.

وفي الوقت ذاته، كرّس ليفينغستون نفسه لحلّ مشكلة بحيرة تنجانيقا العظيمة، ولهذا الغرض بدأ رحلته الأخيرة العام (1865 ميلادي)، فاكتشف البحيرات (مويرو Moero)[51] وبحيرة (بانغويولو Bangweolo)[52]، والنهر (نيانغو Nyangoue)، المعروف أيضاً باسم (لولابا Lualaba)[53]. ولقد أثارت مآثر ليفينغستون السابقة للاكتشاف الكثير من الاهتمام، وعندما لم يُسمع عنه أيّ شيء لبعض الوقت، تمّ إرسال السيد ستانلي في العام (1869 ميلادي) من قِبل مالكي (نيويورك هيرالد New York Herald)[54] – الذين كان قد عمل لديهم سابقاً كمراسلٍ حربيّ– للعثور على ليفينغستون، فبدأ بالبحث العام (1871 ميلادي) منطلقاً من زنجبار. وقبل نهاية العام، سمع عن عبور رجلٍ أبيض قلب القارة المظلمة، فاستقبل هذا الخبر بتساؤلٍ مهم: «أيفترضٌ أن يكون هذا الدكتور ليفينغستون»؟ ولكن، بعد عامين توفي ليفينغستون، شهيد الحملة التبشيرية والجغرافية. وقام السيد ستانلي بعمله، فتمّ إرساله من جديد في العام (1876 ميلادي) لمواصلة عمل ليفينغستون، ونجح في عبور القارة المظلمة من زنجبار إلى مصبّ الكونغو، وتتبع مسارها كله، ما يدلّ على أنّ لولابا أو نيانغو كانت مجرد أسماء مختلفة أو روافد لهذا التيار الهائل. وبهذا تكون رحلة ستانلي الرائعة قد أكملت الخطوط العريضة للجغرافيا الأفريقية، من خلال تحديد مسار النهر الكبير الرابع للقارة.

لكنّ رحلة ستانلي عبر القارة المظلمة كانت متجهةً إلى نقطة تطورٍ جديدٍ تماماً للمشكلة الأفريقية. وفي الوقت الذي كان ستانلي في رحلته،

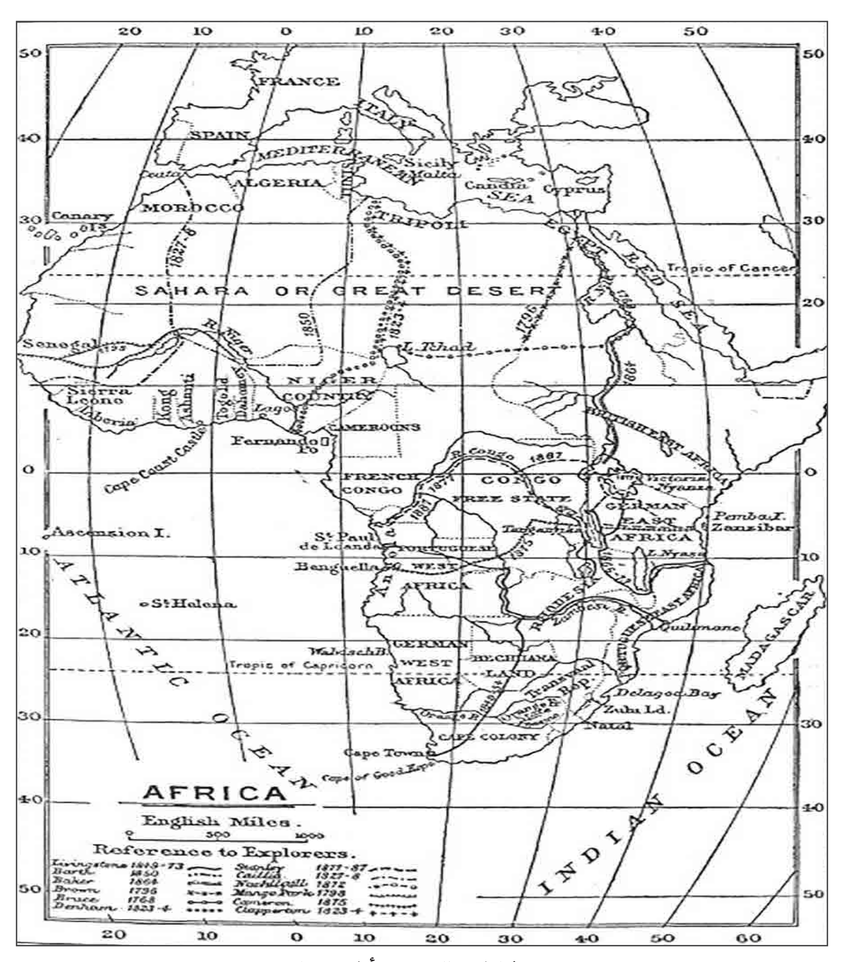
عُقِدَ مؤتمرٌ في (بروكسل Brussels)[55] من قِبل الملك (ليوبولد Leopold)[56]، حيث شُكِّلت لجنةٌ دولية تمثل جميع دول أوروبا اسمياً لاستكشاف أفريقيا، ولكن في الواقع اتضح أنّ تقسيمها سيتمّ بين القوى الأوروبية الخمس فقط. وفي غضون خمسة عشر عاماً من انعقاد المؤتمر، تمّ تقسيم المناطق الداخلية من أفريقيا، وخصوصاً بين القوى الخمس: إنجلترا وفرنسا وألمانيا والبرتغال وبلجيكا. وكما هي الحال في أمريكا، فإنّ الاكتشاف الجغرافيّ سرعان ما أعقبه الانقسام السياسي.

بدأت العملية بنيل دولةٍ تغطي كل الكونغو المكتشفة حديثاً، وتكون مستقلةً اسمياً، لكنها تُشكل في الحقيقة مستعمرةً لبلجيكا، ولقد قام الملك ليوبولد بتوريد الأموال اللازمة لهذا الغرض، وتمّ إرسال السيد ستانلي في العام (1879 ميلادي) لإنشاء مراكز على طول المجرى السفلي للنهر، ولكن- لدهشته- وجد باستقباله المستكشف (دي برازا Mr.de Brazza)[57]، وهو برتغاليٌّ في خدمة فرنسا، كان قد جرى إرساله في مهمّةٍ سرية لاستباق ملك البلجيكيين في الاستيلاء على مصبّ النهر المهم. وفي الوقت نفسه، قَدّمتِ البرتغال مطالباتٍ لحيازة مصبّ الكونغو، وأصبح من الواضح أنّ التنافس الدوليّ سيؤثر على أساس قيام أيّ دولةٍ في الكونغو، ما لم يتمّ التوصل إلى ترتيبٍ دوليّ محدّد. وفي الوقت نفسه تقريباً، في العام (1880 ميلادي)، بدأت ألمانيا دخول هذا المجال كقوةٍ استعمارية في أفريقيا؛ ففي جنوب غرب أفريقيا، وفي الكاميرون، وفي وقتٍ لاحقٍ في زنجبار، أقام الأمير (بسمارك Bismarck)[58] المطالبات نيابةً عن ألمانيا، والتي تتعارض مع المصالح الإنجليزية في تلك المقاطعات. وفي ظل رئاسته، عُقِدَ مؤتمرٌ في (برلين Berlin)[59] شتاء (1884-1885 ميلادي) لتحديد قواعد المطالبات التي يمكن من خلالها تقسيم أفريقيا. فالمطالبات التاريخية القديمة للبرتغاليين بسواحل أفريقيا، والتي كانوا قد أنشؤوا فيها محطاتٍ على كلا الجانبين الغربي والشرقي، قد جرفتهم إلى المبدأ القائل بأنّ الاحتلال

الفعليّ فقط هو الذي يمكن أن يُقَدَّم للمطالبة بالسيادة. وهذا المبدأ العظيم سيحكم من الآن فصاعداً على مجمل التاريخ الأفريقي. وبعبارةٍ أخرى، فإنّ القاعدة الجيدة للحدود القديمة تقول:

«يجب أن يستلمها الذين لديهم القوة..
وعليهم أن يحافظوا عليها ما استطاعوا».

وبعد فترة وجيزة مباشرة من انعقاد مؤتمر برلين، تمّ بالفعل التوصل إلى ترتيباتٍ جرى بموجبها تحديد مطالبات كلٍّ من إنجلترا وألمانيا في



استكشاف وتقسيم أفريقيا

جنـوب غـرب أفريقيـا. وبعد ذلـك مباشـرة، كان من الضـروري أن تجـرى عمليةٌ مماثلـة مـن أجـل تحديـد حـدود «مناطـق النفـوذ» لـكلٍّ مـن ألمانيـا وإنجلتـرا فـي شـرق أفريقيـا. وكانـت الشـركة المؤجَّـرة، التـي تُسـمى بجمعيـة شـرق أفريقيـا البريطانيـة، تُديـر أرض شـمال ڤيكتوريـا نيانـزا التـي تحدّهـا غربـاً دولـة الكونغـو الحـرة، فـي حيـن أنهـا تمتـد إلـى الشـمال حتـى تلامـس مقاطعـات مصـر الاسـتوائية التـي سـنقوم بالحديـث عنهـا لاحقـاً. وفـي جنـوب أفريقيـا، قامـت شـركةٌ مماثلـة، تحـت نفـوذ السـيد (سيسـيل رودس Cecil Rhodes)[60]، بالسـيطرة بشـكلٍ عملـيّ علـى كامـل البـلاد، مـن مسـتعمرة كيـب حتـى شـرق أفريقيـا الألمانيـةً ودولـة الكونغـو الحـرة.

كان شـتاء (1890–1891 ميـلادي) مُثمـراً بشـكلٍ خـاصّ لاتفاقيـات ترسـيم الحـدود. وبعـد قـدرٍ كبيـرٍ مـن الاحـتكاك، نتيجـةً تعديـات الميجـور (سـيربا بينتـو Major Serpa Pinto)[61]، تـمّ تحديـد حـدود أنغـولا البرتغاليـة علـى السـاحل الغربـي، والتـي تحدّهـا مـن الشـرق دولـة الكونغـو الحـرة ووسـط أفريقيـا البريطانيـة، وفـي الوقـت نفسـه تـمّ تثبيـت شـرق أفريقيـا البرتغاليـة فـي اتصالهـا مـع كلٍّ مـن أفريقيـا الوسـطى البريطانيـة فـي الغـرب، وأفريقيا الشـرقية فـي الشـمال. وفـي الوقـت نفسـه، أعلنـت إيطاليـا مزاعمهـا فـي الحصـول على حصـةٍ مـن الغنيمـة، واسـتقطعت ضمـن حصتهـا هـذه القـرن الشـرقيّ لأفريقيـا، إلـى جانـب الحبشـة،بالرغم مـن أنهـا سـرعان مـا اضطُـرت إلـى التخلـي عنهـا، وذلـك بسـبب المقاومـة غيـر المتوقعـة التـي أظهرهـا الأحبـاش. وفـي العـام نفسـه (1890 ميـلادي) اسـتقرّت الاتفاقـات بيـن ألمانيـا وإنجلتـرا علـى خـط ترسـيم الحـدود بيـن (الكاميـرون Cameroons)[62] و(توغولانـد Togoland)[63]، مـع الأراضـي البريطانيـة المجـاورة. بينمـا فـي شـهر أغسـطس/ آب مـن العـام نفسـه، جـرت محاولـة للحـدٌ مـن الطموحـات غيـر الطبيعيـة للفرنسـيين علـى طـول النيجـر، وحتـى بحيـرة تشـاد. هنـا كانـت المصالـح البريطانيـة ممثلـةً فـي شـركةٍ مؤجَّـرة أخـرى، هـي شـركة النيجـر الملكيـة. ولسـوء الطالـع، لـم يكـن

تحديد الحدود دقيقاً جداً، فلم يتمّ من خلال دورات الأنهار أو خطوط الطول، كما في حالات أخرى، بل من خلال مناطق حكمها رؤساء القبائل الأصلية، الذين لم تكن حدودهم مميزةً بشكلٍ خاصٍ، ما أدى إلى حدوثِ احتكاكٍ كبير، استمر حتى يومنا هذا. ولكن، بالإشارة إلى ترسيم الحدود بين إنجلترا وفرنسا في أفريقيا، فإنّ الشك لا يزال قائماً في ما يتعلق بالأجزاء الغربية والوسطى فقط من القارة.

وبالنسبة إلى الشمال الشرقي، كانت مشكلة ترسيم الحدود معقدةً، بسبب الأحداث السياسية التي أدَّت في نهاية المطاف إلى حملةٍ استكشافية عظيمة أخرى، قام بها السيد ستانلي. توسع مصر في داخل المقاطعات الاستوائية، تحت حكم إسماعيل باشا - ويرجع ذلك إلى حدٍّ كبير إلى الاكتشافات الجغرافية لكلٍّ من غرانت وسبيك وبيكر - أدى إلى التراكم الهائل للديون التي تسببت في إفلاس البلاد، وتمّ خلع إسماعيل باشا، وأصبحت مصر تدار بشكلٍ مشتركٍ من قبل فرنسا وإنجلترا، نيابةً عن حَمَلة السندات الأوروبيين. وتسبّب هذا التصرف في الكثير من عدم الرضا من جانب المسؤولين المصريين وضُباط الجيش الذين تمّ عزلهم من قبل المسؤولين الفرنسيين والإنجليز، فاندلع تمردٌ تحت قيادة (عُرابي باشا Arabi Pasha)[64]، وأدى ذلك إلى التدخل المسلح من قبل إنجلترا، ورفضت فرنسا التعاون، فاحتلت القوات البريطانية مصر. وكانت السودان والمقاطعات الاستوائية قد ثارت بشكلٍ مُستقلٍ تحت الحماسة الإسلامية، وتقرّر التخلّي عن تلك الممتلكات المصريةً، والتي أدّت في الأصل إلى الإفلاس. تمّ إرسال الجنرال (جوردون General Gordon)[65] لرفع الحصار عن مختلف الحاميات المصرية في الجنوب، ولكن كونه يفتقر إلى دعم، هُزِمَ في نهاية المطاف، وقُتل في العام (1885 ميلادي). كان أحد ملازمي غوردون، وهو ألمانيّ اسمه (شنتزلر Schnitzler)[66]، يبدو أنه اعتنق الإسلام، ويُعرف باسم (أمين باشا Emin Pasha)، كان محاصراً

فـي وسـط أفريقيـا، بالقـرب مـن ألبـرت نيانـزا، فجـرى تكليـف السـيد سـتانلي محاولـة إنقـاذه، فـي العـام (1887 ميـلادي)، حيـث بـدأ رحلتـه مـن خـلال دولـة الكونغـو، ونجـح فـي اجتيـاز مسـارٍ ضخـم فـي الغابـات التـي يسـكنها الأقـزام المتوحشـون الذيـن ربمـا يمثلـون قبائـل (الأقـزام Pigmies)[67] القدمـاء. نجـح سـتانلي فـي الوصـول إلـى أميـن باشـا، وبعـد الكثيـر مـن الإقنـاع، دفعـه لمرافقتـه إلـى زنجبـار، ولكـن كوكيـلٍ ألمانـيّ إلـى ألبـرت نيانـزا. فـي المناسـبة، لـم تخـلُ رحلـة السـيد سـتانلي مـن الجوانـب السياسـية، لأنـه اتخـذ ترتيبـات أثنـاء توجهـه إلـى الجـزء الشـرقي، لتأميـن النفـوذ البريطانـي للأراضـي التـي سُـلِّمَت بعـد ذلـك إلـى شـركة شـرق أفريقيـا البريطانيـة.

كلّ هــذه الترسـيمات السياسـية كانــت مصحوبــةً، بشــكلٍ طبيعــيّ، باستكشـافاتٍ علميـة جزئيـاً، لكنها سياسـية بشـكلٍ أساسـيّ. وقـد عَبَـرَ الميجور سـيربا بينتـو أفريقيـا مرتيـن، فـي محاولـةٍ لربـط المسـتوطنات البرتغاليـة علـى السـاحلين. وبالمثـل، عَبَـرَ المـلازم (ويسـمان Wissmann)[68] أفريقيـا مرتيـن، بيـن العاميـن (1881 و 1887 ميـلادي)، لمصلحـة دولـة الكونغـو، بالرغـم مـن أنّـه أصبـح فـي نهايـة المطـاف– مسـؤولاً فـي بلـده الأصلـي، ألمانيـا. وكان الكابتـن (لوغـارد Lugard)[69] قـد بحـث فـي المنطقـة بيـن البحيـرات الثـلاث نيانـزا، لتأمينهـا لمصلحـة بريطانيـا العظمـى. فـي جنـوب أفريقيـا، تقدّمـت المطالبـات البريطانيـة بنجـاحٍ وعلـى التوالـي إلـى (بوشـوانا لانـد Bechuana-land)[70]، و(ماشــونا لانــد Mashona-land)[71]، و(ماتابيلــي لانــد Matabele-land)[72]. وتحــت قيـادة السـيد سيسـيل رودس، تــمّ دفـع السـكك الحديـد والبـرق بسـرعة نحـو الشـمال. ونظـراً لمشـروع السـيد (جونسـتون Johnstone)[73]، كانـت الممتلـكات البريطانيـة، فـي العـام (1891 ميـلادي) قـد وصلـت حتـى أراضـي نياسـا. وبحلـول ذلـك التاريـخ، كمـا رأينـا، فـإنّ مختلـف المعاهـدات المبرمـة مـع ألمانيـا والبرتغـال قـد حـدّدت بالتأكيـد الخطـوط النسـبية للممتلـكات المختلفـة للبلـدان الثلاثـة فـي جنـوب أفريقيـا. قبـل عـام (١٨٩١ ميـلادي)

حيث أمكن رسم الخريطة الداخلية لأفريقيا مع أكبر قدرٍ من الدقة، في كل مقياس، كأمريكا الجنوبية ، والتي كانت في حدود عام (١٨٨٠ ميلادي) موطناً فارغاً بشكلٍ عملي، وبالتالي نالت أوروبا ملكية أفريقيا.

من أهم النتائج لذلك، ورسمياً أحد الدوافع الرئيسة، كان إلغاء تجارة الرقيق. وكان شمال أفريقيا قد أصبح إسلامياً، منذ القرن الثامن الميلادي، والإسلام يعترف بالرق، فواصل العرب بالتالي في الشمال شنّ الغارات على الزنوج في أفريقيا الوسطى، لتزويد الدول الإسلامية في غرب آسيا وشمال أفريقيا بالعبيد(*). كانت الثورة المهدية، جزئياً على الأقل، أشبه بردّ فعل على إلغاء الرق في مصر، وسوف تتمثل الفائدة في السنوات القليلة القادمة باتخاذ الموقف الأخير من تجّار الرقيق في السودان، في دارفور، ووادای، وشرق بحيرة تشاد، حيث لا تزال السلطنة الإسلامية الوحيدة والمستقلة قائمة. ضغطت إنجلترا بشكلٍ مُحكمٍ على المحافظات الثائرة، على طول المجرى العلوي لنهر النيل، في حين حاولت فرنسا، من خلال حملاتٍ من الكونغو الفرنسية والحبشة، الاستيلاء على أعالي نهر النيل، قبل أن تستحوذ إنجلترا عليه. السباق في أعالي النيل بات أحد أخطر مصادر الحرب الأوروبية.

وفي حين سار الاستكشاف والغزو معاً جنباً إلى جنب، أو نجح أحدهما على الآخر بشكلٍ وثيق، فثمة دافعٌ ثالث أدّى- في الكثير من الأحيان- إلى اكتشافاتٍ مثيرة للاهتمام، سنتتبعه لاحقاً، وهو أنه كثيراً

(*) إن الإسلام حارب الرق وقننه، وشجع على العتق، وجعله كفّارة للذنوب، بل إن التاريخ الحديث يشهد على تلك الغارات العنيفة التي كان يشنها تجار الرقيق الأوروبيون على الأفارقة، وأسرهم وتصديرهم إلى دول أوروبا، والأمريكتين، لاستخدامهم للعمل كعبيد في المزارع بالأراضي الجديدة التي اكتشفوها، ويبدو أن المؤلف قد عثر على هذه المعلومات المجحفة في كتاب: تاريخ العبودية وتجارة الرقيق في أفريقيا، لمؤلفه: هنري مورتون ستانلي، وهو من رواد المستعمرين الأوروبيين الأوائل في داخل أفريقيا. **(المترجم)**

ما عاد الصيادون الأقوياء من أفريقيا، ليس بالعاج والجلود فحسب، بل عادوا أيضاً بمعلوماتٍ مثيرة للاهتمام بالداخل. وكانت الروايات الرائعة من قِبل (غوردون كومنغ Gordon Cumming)(74) في «الخمسينيات» أحد الأسباب التي أدّت إلى الاهتمام بالاستكشاف في أفريقيا. وكانت ملكة خيال العديد من الفتيان قد أُطلقت، وحُددت مسيرة حياتهم عن طريق مآثر جوردون كومينغ البطولية، والتي، بالرغم من ذلك، تكاد تكون في طيّ النسيان. لقد تجاوز السيد (سيلوس Mr.F.C. Selous)(75) في عصرنا الحالي حتى مآثر غوردون كومنغ، بقيامه بعملٍ ممتاز أصبح كدليلٍ للحملات المتتالية في جنوب أفريقيا.

وهكذا، ضمن نطاق عصرنا الخاص، وبشكلٍ عملي، أصبحت المناطق الداخلية لأفريقيا، كما صاغها قول الشاعر (بتلر Butler)(76): «وضعوا الأفيال بدلاً من المدن»، حيث عرفها الجغرافيون في خطوطها الرئيسة، من خلال سلسلةٍ متعاقبة من المستكشفين الجريئين الذين التزموا في الكثير من الأحيان بأن يكونوا رجالاً محاربين، فضلاً عن كونهم رجال عِلْم. وأياً تكن الدوافع التي دفعت بالرجل الأبيض إلى وسط القارة السوداء– حبّ المغامرة، أو الفضول العلميّ، أو ألعاب الصيد الكبيرة، أو الدوافع الوطنية– فالنتيجة هي أنّ القارّة أصبحت معروفةً، بدلاً من كونها مجرد خطٍ ساحلي. عموماً، كان الاستكشاف الإنجليزي هو الوسيلة الرئيسة التي تمّ بموجبها حصولنا على معرفتنا بالمناطق الداخلية من أفريقيا، كما نالت إنجلترا خير الجزاء، بامتلاكها الأجزاء الواعدة في القارة، كوادي النيل وجنوب أفريقيا المعتدل المناخ. لكن فرنسا نالت أيضاً قسماً كبيراً من البلاد، يُغطّي تقريباً كلّ شمال غرب أفريقيا. في حين أنّ الغالبية منه مُجرّد صحراء، وثمة طرق القوافل التي كانت بمثابة الصُّنبور لحوض النيجر، لتصريف منتجاته إلى الجزائر التي غزتها فرنسا في وقتٍ مبكرٍ من هذا القرن، وكذلك تونس التي استولت عليها في

الآونـة الأخيـرة. فـي أيّ حـال، لـدى المحافظـات الأفريقيـة الغربيـة لفرنسـا هـذه الميـزة، وهـي أنهـا أقـرب إلـى البلـد الأم مـن أيّ قـوةٍ أوروبيـة مسـتعمرة أخـرى؛ والنتيجـة هـي أنّ الجنـود الأفارقـة قـد يحاربـون، فـي يـومٍ مـن الأيـام، مـن أجـل فرنسـا علـى الأراضـي الأوروبيـة، تمامـاً كمـا حـدثَ حيـن قـام لـورد (بياكونسـفيلد Beaconsfield)[77] باسـتيراد الجنـود الهنـود إلـى (قبـرص Cyprus)[78] فـي العـام (1876 ميـلادي). وفـي الوقـت نفسـه، كانـت نتيجـة كلّ هـذا الطمـوح الدولـيّ، أنّ أفريقيـا أصبحـت الآن معروفـة بكاملهـا، وأمكـن وصـول الحضـارة الأوروبيـة إليهـا.

[Authorities: Kiepert, Beiträgge zur Entdeckungsgeschichte Afrikas, 1873; Brown, The Story of Africa, 4 vols., 1894; Scott Keltie, The Partition of Africa, 1896].

(هوامش الفصل الحادي عشر)

(1) **أمينة Amina**: مدينة تقع في شمال غرب نيجيريا، وهي موضع العديد من الأساطير، ومنسوبة إلى اسم ملكة المحاربين الهوسا المسلمين في زازو (الآن زاريا). ثمة جدل بين العلماء حول تاريخ حكمها، إذ وضعتها مدرسةٌ واحدة في منتصف القرن الخامس عشر، وأخرى وضعت حكمها في منتصف أواخر القرن السادس عشر.

(2) **غينيا Guinea**، رسميًا جمهورية غينيا: دولةٌ تقع في غرب أفريقيا، كانت تعرف باسم غينيا الفرنسية، أما اليوم فيطلق عليها اسم غينيا كوناكري أحياناً، لتمييزها عن جارتها غينيا بيساو، وهي تقسم إلى ثماني مناطق إدارية تنقسم بدورها إلى 33 محافظة، عاصمتها كوناكري التي تعتبر أكبر مدينة والمركز الاقتصادي للبلاد، ومن المدن الكبرى الأخرى لابي ونزيريكوري وكانكان وكينديا ومامو وبوكي وغيكيدو.

(3) **لواندا Luanda**: العاصمة وأكبر مدن أنغولا، والمدينة الأكثر اكتظاظاً بالسكان، والميناء الأساسي والمركز الصناعي والثقافي والحضري الرئيس. تقع لواندا على ساحل أنغولا، على المحيط الأطلسي، وهي الميناء البحري لأنغولا ومركزها الإداري، وخامس أكبر مدينة ناطقة باللغة البرتغالية في العالم.

(4) **بينغويلا Benguela**: مدينة في غرب أنغولا، جنوب لواندا، وعاصمة مقاطعة بنغويلا، وهي تقع على خليج يحمل الاسم نفسه. تعدّ بنغويلا اليوم واحدةً من أكثر مدن أنغولا ازدحاماً بالسكان.

(5) **زنجبار Zanzibar**: منطقة شبه مستقلة في تنزانيا، شرق أفريقيا، تتألف من أرخبيل زنجبار في المحيط الهندي، 25–50 كلم (16–31 ميلاً) قبالة ساحل البرّ الرئيس، وتتكون من العديد من الجزر الصغيرة، اثنتان منها كبيرتان هما: أونغوجا (الجزيرة الرئيسة التي يشار إليها بشكلٍ غير رسمي على أنها زنجبار) وجزيرة بيمبا. العاصمة هي مدينة زنجبار، وتقع في جزيرة أونغوجا. مركزها التاريخي ستونتاون، وهو مصنّف موقع تراث عالمياً.

(6) **جون ميلتون John Milton** (9 كانون الأول/ ديسمبر 1608م– 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 1674م): شاعر إنجليزي، رجلٌ جدلي، ورجل رسائل، وموظف حكومي في الكومنولث بإنجلترا تحت قيادة أوليڤر كرومويل. كتب في فترة التدفق الديني والاضطرابات السياسية، وأشهر رواياته ملحمة «الجنة المفقودة» التي صدرت 1667م.

(7) **نهـر النيـل The Nile river**: نهـرٌ رئيـس يتدفـق شـمالاً، فـي شـمال شـرق أفريقيـا، ويعتبـر أطـول نهـر فـي العالـم، بالرغـم مـن أنّ بعـض المصـادر تدّعـي أنّ نهـر الأمـازون أطـول منـه. نهـر النيـل الـذي يبلـغ طولـه حوالـي 853 ,6 كلـم (258 ,4 ميـلاً)، هـو نهـرٌ «دولـي» حيـث يغطـي حـوض الصـرف 11 بلـداً، هـي تنزانيـا، أوغنـدا، روانـدا، بورونـدي، جمهوريـة الكونغـو الديمقراطيـة، كينيـا، إثيوبيـا، إريتريـا، السـودان وجنـوب السـودان ومصـر؛ وعلـى وجـه الخصـوص، فـإن النيـل هـو المصـدر الرئيـس للميـاه فـي مصـر والسـودان.

(8) **بحيـرة ڤيكتوريـا Lake Victoria**: واحـدةٌ مـن البحيـرات الأفريقيـة الكبـرى، أطلـق عليهـا هـذا الاسـم المستكشـف «جـون هانينـج سـبيك»، علـى اسـم الملكـة ڤيكتوريـا، وذلـك فـي العـام 1858م، يـوم كان فـي رحلـة مـع ريتشـارد فرانسـيس بورتـون، لتحديـد مصـدر نهـر النيـل.

(9) **بحيـرة ألبـرت نيانـزا Albert Nyanza**: هـي بحيـرة موبوتـو سيسـي سـيكو سـابقاً، بحيـرة تقـع فـي أوغنـدا وجمهوريـة الكونغـو الديمقراطيـة، وهـي مـن البحيـرات الأفريقيـة الكبـرى، وسـابع أكبـر بحيـرة فـي أفريقيـا، والسـابعة والعشـرون فـي العالـم، مـن حيـث الحجـم.

(10) **بحيـرة تنجانيقـا Lake Tanganyika**: بحيـرة أفريقيـة كبيـرة، وثانـي أقـدم بحيـرة للميـاه العذبـة فـي العالـم، وثانـي أكبـر وأعمـق بحيـرة، مـن حيـث الحجـم، بعـد بحيـرة بايـكال فـي سـيبيريا، بـل إنهـا أيضـاً أطـول بحيـرة للميـاه العذبـة فـي العالـم. تنقسـم البحيـرة بيـن أربعـة بلـدان هـي تنزانيـا، جمهوريـة الكونغـو الديمقراطيـة، بورونـدي وزامبيـا، وتمتلـك تنزانيـا 46٪ مـن غالبيـة البحيـرة، وجمهوريـة الكونغـو الديمقراطيـة 40٪ منهـا، وتتدفـق مياههـا إلـى نهـر الكونغـو، لتصـبّ بنهايـة المطـاف فـي المحيـط الأطلسـي.

(11) **غيـوم ديليسـيل Guillaume Delisle** (1675م– 1726م): رسـام خرائـط فرنسـي معـروفٌ بخرائطـه الشـعبية والدقيقـة لأوروبـا والأمريكيتيـن المستكشـفتين حديثـاً.

(12) **نهـر النيجـر The Niger River**: ثالـث أطـول نهـر فـي أفريقيـا، بعـد نهـر النيـل ونهـر الكونغـو (المعـروف أيضـاً باسـم نهـر زائيـر). رافـده الرئيـس هـو نهـر بينـو، ويقـع مصـدره فـي مرتفعـات غينيـا، جنـوب شـرق غينيـا، وهـو يمـرّ فـي الهـلال عبـر مالـي والنيجـر، علـى الحـدود مـع بنيـن، ثـم عبـر نيجيريـا، ويطلـق مـن خـلال دلتـا ضخمـة تعـرف باسـم دلتـا النيجـر، فـي خليـج غينيـا علـى المحيـط الأطلسـي.

(13) **نهـر زامبيـزي The Zambezi river**: رابـع أطـول نهـر فـي أفريقيـا، وأطـول نهـر يتدفـق شـرقاً فيهـا، تبلـغ مسـاحة حوضـه 000 ,390 ,1 كلـم2 (000 ,540 ميـل مربـع)، أي أقـل بقليل مـن نصـف مسـاحة نهـر النيـل، ويـزداد حجـم النهـر الـذي يبلـغ طولـه 547 ,2 كلـم (599 ,1 ميـلاً) فـي زامبيـا، ويتدفـق عبـر شـرق أنغـولا علـى طـول الحـدود الشـرقية لناميبيـا والحـدود الشـمالية لبوتسـوانا، ثـم علـى طـول الحـدود بيـن زامبيـا وزيمبابـوي، إلـى موزامبيـق التـي يعبرهـا إلـى مصبـه فـي المحيـط الهنـدي.

(14) **نهـر الكونغـو The Congo River**: ثانـي أطـول نهـر فـي أفريقيـا، بعـد نهـر النيـل، وثانـي أكبـر نهـر فـي العالـم مـن حيـث حجـم تصريـف الميـاه (بعـد نهـر الأمـازون)، وأعمـق نهـر فــي العالــم، بأعمــاقٍ مقاســة تتجــاوز 220 متــراً (720 قدمــاً). يبلــغ طــول نهــر الكونغــو- تشامبشـي حوالـي 4700 كلـم (2،920 ميـلاً)، مـا يجعلـه تاسـع أطـول نهـر، ويقـاس طـول نهـر الكونغـو- إلـى جانـب نهـر لولابـا- بـ 4،370 كلـم (2،715 ميـلاً). وهـو يعبـر خـط الاسـتواء مرتيـن، ويبلـغ مجمـوع مسـاحة حوضـه حوالـي 4 ملاييـن كلـم2، أي 13 ٪ مـن مسـاحة اليابسـة الأفريقيـة بكاملهـا.

(15) **جيمـس بـروس James Bruce** (14 ديسـمبر 1730م- 27 أبريـل 1794م): رحّالـة ومُستكشـف وجاسـوس اسـكتلندي، وكاتـب رحـلات، قضـى أكثـر مـن اثنـي عشـر عامـاً فـي شـمال أفريقيـا وإثيوبيـا، حيـث عثـر علـى أصـول النيـل الأزرق.

(16) **اللفتنانـت كولونيـل جيمـس أوغسـتس غرانـت Lieutenant Colonel James Augustus Grant** (11 أبريـل 1827م- 11 فبرايـر 1892م): مُستكشـف ومُسـتعمر وجاسـوس اسـكتلندي، فـي شـرق أفريقيـا الاسـتوائية، لـه مسـاهمات فـي مختلـف الجمعيـات المسـتفادة، أبرزهـا «علـم النبـات مـن اكتشـافات سـبيك وغرانـت» فـي المجلـد التاسـع والعشـرين. تـزوج العـام1865م واسـتقر فـي نيـرن، حيـث مـات فـي العـام 1892م، ودفـن فـي سـرداب كاتدرائيـة سـانت بـول. تمّـت تسـمية غـزال غرانـت باسـمه.

(17) **مونغـو بـارك Mungo Park** (11 سـبتمبر 1771م – 1806م): مـن كبـار المستكشـفين، وجاسـوس اسـكتلندي لغـرب أفريقيـا، كان أول مـن عُـرف مـن الغربييـن بأنـه سـافر إلـى الجـزء المركـزي مـن نهـر النيجـر.

(18) **ديڤيـد ليڤينغسـتون David Livingstone** (19 مـارس 1813م- 1 مايـو 1873م): مُستكشـف وجاسـوس وراهـب مسـيحي اسـكتلندي، مُبشـر وطبيـب ورائـد تابـع لجمعيـة التبشـير فـي لنـدن، ومستكشـف فـي أفريقيـا، وأحـد أبطـال بريطانيـا الأكثـر شـعبيةً فـي أواخـر القـرن التاسـع عشـر. اختفـى ثـم مـات بنهايـة المطـاف فـي أفريقيـا، وتـمّ تمجيـده لاحقـاً كبطـلٍ وطنـي، بعـد وفاتـه فـي العـام 1874م، وكان لـه دورٌ بـارز فـي تأسـيس العديـد مـن المبـادرات التبشـيرية المسـيحية الكبـرى فـي وسـط أفريقيـا.

(19) **لم أعثر على أيّ معلومات عنها (المترجم).**

(20) **جـدّة Jeddah**: مدينـة فـي منطقـة الحجـاز- تهامـة، علـى سـاحل البحـر الأحمـر، وهـي المركـز الحضـري الرئيـس فـي غـرب المملكـة العربيـة السـعودية، وأكبـر مدينـة فـي منطقـة مكـة المكرمـة، وفيهـا أكبـر مينـاء بحـري علـى البحـر الأحمـر.

(21) **مصـوع Massawa**: مدينـة علـى سـاحل البحـر الأحمـر لإريتريـا، تقـع فـي الطـرف الشـمالي مـن خليـج زولا، بجانـب أرخبيـل دهلـك، وكانـت مينـاءً مهمّـاً لقـرونٍ عديـدة، تحكمـت

بهـا سلسـلة مـن السـلطات، بمـا فـي ذلـك الإمبراطوريـة الأكسـوميتية، ومملكـة البحـري، والخلافـة الأمويـة، وسـلطنة البجـا، والإمبراطوريـة العثمانيـة، ومصـر، وإيطاليـا، وبريطانيـا، وإثيوبيـا، حتـى اسـتقلال إريتريـا فـي العـام 1991م. وكانـت مصـوع عاصمـة المسـتعمرة الإيطاليـة بإريتريـا، حتـى تـم نقـل العاصمـة إلـى أسـمرة فـي العـام 1897م.

(22) **أكسـوم Axum**: مدينـة فـي شـرق إقليـم تغـراي- إثيوبيـا، علـى سـفح جبـال عـدوة، كانـت مقـرّ مملكـة أكسـوم مـن القـرن الأول حتـى القـرن الثانـي عشـر، وهـي مقـرّ الكنيسـة الحبشـية، ويقدّسـها الإثيوبيـون المسـيحيون. فـي العـام 1980 م اعتبـرت اليونسـكو بقايـا المدينـة القديمة أحـد أهـم مواقـع التـراث الإنسـاني، وتوجـد فيهـا أيضـاً كنيسـة مريـم سـيدة جبـل صهيـون التـي تحتـوي علـى تابـوت العهـد الـذي يضـم ألـواح موسـى الحاويـة للوصايـا العشـر.

(23) **قبيلـة جـالا**: ظهـروا علـى مسـرح التاريـخ منـذ القـرن العاشـر، فـي الشـاطئ الجنوبـي لخليـج عـدن، وقـد امتـدوا غربـاً بعـد أن سـهل الإمـام أحمـد غـري، القائـد الصومالـي، غـزو الحبشـة، فاقتفـوا أثـره واحتلـوا بعـض المناطـق الشـرقية الجنوبيـة مـن الحبشـة.

(24) **لم أعثر على أي معلومات عنه (المترجم).**

(25) **غامبيـا Gambia**: رسـمياً جمهوريـة غامبيـا، وهـي دولـة فـي غـرب أفريقيـا، محاطـة بالكامـل بالسـنغال، باسـتثناء سـاحلها علـى المحيـط الأطلسـي فـي نهايتهـا الغربيـة؛ وهـي أصغـر دولة فـي أفريقيـا القارية.

(26) **بوسـا Boussa**: عاصمـة شـمال بورجـو شـمالي نيجيريـا، كانـت أبعـد نقطـة للملاحـة علـى نهـر النيجـر. يغطـي موقـع المدينـة الآن بحيـرة كينجـي التـي أنشـئت فـي العـام 1968م، مـع بنـاء سـدّ بحيـرة كينجـي. تمّـت إعـادة توطيـن المدينـة إلـى مـا يسـمّى الآن بوسـا الجديـدة.

(27) **روبـرت آدامـز Robert Adams** (ولـد فـي 1790م): بحّـار أمريكـي (**وليـس بريطانيـاً كمـا ذكـر المؤلـف.. المُترجـم**)، اسـتعبد فـي شـمال أفريقيـا لمـدة ثـلاث سـنوات، مـن 1810 إلـى 1814م، وخـلال هـذه الفتـرة زعـم أنـه زار تمبكتـو التـي قـد تكـون جعلتـه أول غربـي يصـل إليهـا، بالرغـم مـن أن هـذا الجـزء مـن سـرده مشـكوك فيـه. بعـد تحريـره وعودتـه إلـى أوروبـا، نشـرت قصـة آدامـز فـي اثنتيـن مـن الروايـات التـي تـمّ تحريرهـا بشـكلٍ كبيـر ومتبايـن، أبرزهـا روايـة «روبـرت آدامـز» فـي العـام 1816م. وبصـرف النظـر عـن تناقضاتهـا، فـإن روايـات آدامـز عـن تجربتـه فـي أفريقيـا تقـدّم العديـد مـن التفاصيـل التاريخيـة القيّمـة عـن المنطقـة قبـل الاسـتعمار الأوروبـي.

(28) **الصويـرة Essaouira**، والمعروفـة سـابقاً باسـم **موغـادور Mogador**: مدينـة فـي المنطقـة الاقتصاديـة المغربيـة الغربيـة مـن مراكـش، علـى سـاحل المحيـط الأطلسـي. اسـمها الحديـث يعنـي «**الحـرس الصغيـر**»، مـع الإشـارة إلـى أن جـدران القلعـة لا تـزال تحيـط بجـزءٍ مـن المدينـة.

(29) **جمهوريــة غامبيــا الإســلامية، Senegambia**: إحــدى دول الغــرب الأفريقــي، وهــي أصغــر دولــة فــي البــرّ الرئيــس لقــارة أفريقيــا، يحدّهــا مــن الشــمال والشــرق والجنــوب الســنغال، ويخترقهــا نهــر غامبيــا الــذي يصــب فــي المحيــط الأطلســي الــذي يحــد البــلاد مــن الغــرب. تــم تحديــد حدودهــا بحيــث تمتــد 100 كلــم علــى جانبــي نهــر غامبيــا.

(30) **ديكســـون دنهـــام Dixon Denham** (1 ينايـــر 1786م– 9 يونيـــو 1828م): جنـــدي وجاســـوس إنجليـــزي، ومُستكشـــف لغـــرب أفريقيـــا الوســـطى، أصبـــح فـــي نهايـــة المطـــاف حاكمـــاً لســـيراليون.

(31) **بايـــن هيـــو كلابيرتـــون Bain Hugh Clapperton** (18 مايـــو 1788م– 13 أبريـــل 1827م): ضابـط البحريـة الاستكشـافية، مُستكشـف وجـرّاح وجاسـوس فـي غـرب ووسـط أفريقيـا، وكان يمتلـك بعـض المعرفـة بالرياضيـات العمليـة والملاحـة. بعدمـا قـام برحـلاتٍ عـدة عبـر المحيـط الأطلسـي. أعجـب بالبحريـة التـي سـرعان مـا ارتقـى فيهـا إلـى رتبـة رجـل متوسـط. خـلال الحـروب النابوليونيـة أظهـر قـدراً كبيـرا مـن الخدمـة النشـطة، وفـي اقتحـام بـورت لويـس، وموريشـيوس، فـي نوفمبـر 1810م، وكان أول مـن أنـزل العلـم الفرنسـي.

(32) **مــرزق Murzouk** : مدينــة ليبيــة تقــع فــي أقصــى جنــوب ليبيــا، تعتمــد اقتصاديــاً علــى الزراعــة وتشــتهر بالتمــور والأعمــال اليدويــة مــن النخيــل، وهــي تتبــع لشــعبية مــرزق، وتعــدّ مــن أقــدم المــدن فــي ليبيــا، ولقــد نشــأت منــذ زمــن الفراعنــة، وقامــت فــي جوانبهــا الكثيــر مــن الحضــارات التــي بقيــت آثارهــا شــاهدة علــى وجودهــا حتــى اليــوم. ومــا ســاهم فــي بقــاء مدينــة مــرزق إلــى هــذا اليــوم هــو أنهــا تتحلّــى بموقــع جغرافــي هــام جــداً يجعلهــا موطــن التقــاء القوافــل التجاريــة القادمــة مــن أفريقيــا حتــى ســواحل البحــر المتوســط، وأيضــا نقطــة وصــل بيــن الغــرب والشــرق فــي شــمال أفريقيــا، كمــا ازدهــرت الحضــارة فــي مــرزق بســبب كثــرة مياههــا الجوفيــة التــي توجــد فــي أرضهــا، منــذ آلاف الســنين.

(33) **فــزان Fezzan** (بالأمازيغيــة) (وباللاتينيــة **Phasania**): منطقــة تاريخيــة فــي الجنــوب الغربــي مــن ليبيــا الحاليــة، معظمهــا أراضٍ صحراويــة، إنمــا تكثــر الجبــال الصخريــة والمرتفعــات والأنهــار الجافــة والوديــان فــي الشــمال منهــا. كمــا تكثــر الواحــات المنتشــرة فــي الصحــراء الكبــرى التــي تعتمــد عليهــا بعــض القــرى فــي مصــادر الميــاه، إلا أن المصــدر الرئيــس للميــاه بفــزان هــي الميــاه الجوفيــة، كمــا يوجــد فيهــا احتياطــي مــن البتــرول.

(34) **إمبراطوريــة برنــوBornu Empire** : دولــة أفريقيــة فــي نيجيريــا، مــن العــام 1380م حتــى 1893م. كانــت اســتمرارًا لإمبراطوريــة كانــم العظمــى التــي تأسســت قبــل قــرون عــدة مــن ذلــك علــى يــد أســرة ســايفوا. ومــع الزمــن، أصبحــت أكبــر حتــى مــن إمبراطوريــة كانــم، حيــث اشــتملت علــى مناطــق تمثــل الآن أجــزاءً مــن تشــاد والنيجــر والكاميــرون.

(35) **بنيــن Benin**: رســمياً جمهوريــة بنيــن، داهومــي ســابقاً، تقــع فــي غــرب أفريقيــا الناطقــة

بالفرنسية، يحدّها التوغو من الغرب، نيجيريا من الشرق، بوركينا فاسو والنيجر من الشمال، وتعيش غالبية سكانها على الساحل الجنوبي الصغير لجزيرة بنين، وهي جزءٌ من خليج غينيا في القسم الاستوائي الشمالي من المحيط الأطلسي. عاصمة بنين هي بورتو نوفو، لكن مقر الحكومة في كوتونو.

(36) **الرائد ألكسندر غوردون لينغ Major Alexander Gordon Laing** (27 ديسمبر 1794م- 26 سبتمبر 1826م): مُستكشف وجاسوس بريطاني، وأول أوروبي يصل إلى تمبكتو عبر الطريق الشمالي- الجنوبي.

(37) **أوغست رينيه كايلييه Auguste René Caillié** (17 نوفمبر 1799م- 17 مايو 1838م): مُستكشف وجاسوس فرنسي، وأول رحالة أوروبي يعود حياً من مدينة تمبكتو. ولد في غرب فرنسا، في قرية بالقرب من ميناء روشيفورت؛ كان والده فقيراً وتوفي وهو لا يزال صغيراً. في السادسة عشرة من عمره، غادر كايلييه المنزل وعمل كعضوٍ في الطاقم على متن سفينة بحرية فرنسية تبحر إلى سانت لويس على ساحل السنغال الحديثة في غرب أفريقيا، حيث بقي لأشهر عدة، ثم عبر المحيط الأطلسي إلى غادلوب، بصفته تاجراً، وقام بزيارةٍ ثانية إلى غرب أفريقيا بعد عامين، عندما رافق بعثةً برلمانية عبر صحراء فيرلو إلى باكيل على نهر السنغال.

(38) **ألفريد تينيسون، البارون تينيسون الأول Alfred Tennyson** (6 أغسطس 1809م- 6 أكتوبر 1892م): شاعر بريطاني، حائز على جائزة الشاعر من بريطانيا العظمى وإيرلندا، خلال عهد الملكة ڤيكتوريا، ولا يزال واحداً من الشعراء البريطانيين الأكثر شعبية.

(39) **هاينريش بارث Heinrich Barth** (16 فبراير 1821م- 25 نوفمبر 1865م): مُستكشف وباحث وجاسوس ألماني لقارة أفريقيا. يعتبر واحداً من أعظم المستكشفين الأوروبيين في أفريقيا، كما أنّ إعداده العلمي، وقدرته على التحدث والكتابة بالعربية، وتعلمه اللغات الأفريقية، عوامل مكنته من توثيق تفاصيل ثقافات البلدان التي زارها بكل عناية؛ وكان من بين أول من فهم استخدامات التاريخ الشفوي للشعوب. أقام صداقات مع الحكام والعلماء الأفارقة خلال خمس سنوات من سفره (1850-1855م). وبعد وفاة اثنين من رفاقه الأوروبيين، أكمل سفره بمساعدة الأفارقة، وكتب لاحقاً تقريراً مؤلفاً من خمسة مجلدات عن رحلاته باللغتين الإنجليزية والألمانية، لا يقدر بثمن بالنسبة إلى العلماء في وقته.

(40) **غوستاف ناختيغال Gustav Nachtigal** (23 فبراير 1834م- 20 أبريل 1885م): مُستكشف وجاسوس ألماني في وسط وغرب أفريقيا، معروفٌ أيضاً باسم القنصل العام للإمبراطورية الألمانية لتونس، ومفوض غرب أفريقيا، ولقد أدت مهمته كمفوض في توغولاند وكاميرون لجعلهما أولى مستعمرات الإمبراطورية الاستعمارية الألمانية. وسام «غوستاف ناكتيغال» الذي تمنحه جمعية برلين الجغرافية، سمّي باسمه.

(41) **إقليـم دارفـور Darfur**: إقليـم فـي السـودان تحـدّه ثـلاث دول: تشـاد مـن الشـمال الغربـي ومـن الغـرب، أفريقيـا الوسـطى مـن الجنـوب الغربـي، ودولـة جنـوب السـودان مـن الجنوب، فضـلاً عـن متاخمتـه لبعـض الولايـات السـودانية، مثـل كردفـان والولايـة الشـمالية. كان اسـمه دارداجـو، حيـن حُكـم مـن قبـل «داجـو» الذيـن هاجـروا مـن ميـروي حوالـي العـام 350 م. ثـم أعيـدت تسـميته إلـى دارتونجـور (دار تنجـر) عندمـا حكـم «التونجـور» المنطقـة.

(42) **إمبراطوريـة واداي أو سـلطنة وداي Wadai** (1635–1912م): كانـت مملكـة تقـع شـرق بحيـرة تشـاد، فـي تشـاد الحاليـة وفـي جمهوريـة أفريقيـا الوسـطى. ظهـرت فـي القـرن السـادس عشـر باعتبارهـا فرعـاً مـن سـلطنة دارفـور (فـي السـودان الحالـي) إلـى الشـمال الشـرقي مـن مملكـة باغيرمـي.

(43) **ديلولـو Dilolo**: بلـدة فـي مقاطعـة كاتانغـا- جمهوريـة الكونغـو الديمقراطيـة، وتقـع علـى بعـد خمسـة أميـال مـن الضفـة الشـرقية لنهـر كاسـاي، والحـدود الكونغوليـة الأنغوليـة، وبلـدة لـواو الأنغوليـة، وعلـى ارتفـاع 3510 أقـدام (1069 متـراً).

(44) **نهـر شـيري Shiré**: أكبـر نهـر فـي مـلاوي، والمينـاء الوحيـد لبحيـرة مـلاوي، ويتدفـق إلـى نهـر زامبيـزي فـي موزامبيـق. يبلـغ طولـه 402 كلـم (250 ميـلاً).

(45) **بحيـرة نياسـا Nyassa** المعروفـة أيضـاً باسـم **بحيـرة مـلاوي**: تقـع فـي تنزانيـا ولاغـو نياسـا فـي موزامبيـق، وهـي بحيـرة أفريقيـا الكبـرى والبحيـرة الجنوبيـة فـي شـرق مجموعـة الصـدع الأفريقـي، وتقـع بيـن مـلاوي وموزمبيـق وتنزانيـا. هـي تاسـع أكبـر بحيـرة فـي العالـم، وثالث أكبـر وأعمـق بحيـرة فـي أفريقيـا، وموطـن أكثـر أنـواع الأسـماك مـن أيّ بحيـرة أخـرى، بمـا فـي ذلـك 700 نـوع علـى الأقـل مـن سـمك البلطـي.

(46) **السـير ريتشـارد فرانسـيس بيرتـون Sir Richard Francis Burton** (19مـارس 1821م- 20 أكتوبـر 1890م): مستكشـف إنجليـزي، جغرافـي ومترجـم وكاتـب وجنـدي ومستشـرق ورسـام خرائـط، وعالـم إثنولوجـي وجاسـوس ولغـوي وشـاعر ومغامـر ودبلوماسـي؛ اشـتهر برحلاته واستكشـافاته فـي آسـيا وأفريقيـا والأمريكيتيـن، فضـلاً عـن معرفتـه غيـر العاديـة باللغـات والثقافـات. تحـدّث 29 لغـة أوروبيـة وآسـيوية وأفريقيـة.

(47) **جـون هانينـغ سـبيك John Hanning Speke** (4 مايـو 1827م- 15 سـبتمبر 1864م): مُستكشـف وجاسـوس وضابـط فـي الجيـش الهنـدي البريطانـي الـذي قـام بثـلاث حمـلات استكشـافية إلـى أفريقيـا. هـو الأكثـر ارتباطـاً بالبحـث عـن مصـدر النيـل، وكان أول أوروبـي يصـل إلـى بحيـرة ڤيكتوريـا. والمعـروف عنـه أيضـاً «الفرضيـة الحاميـة» فـي العـام 1863م، والتـي يفتـرض فيهـا أنّ جماعـة التوتسـي العرقيـة كانـت مـن أحفـاد شـخصية الكتـاب المقـدس حـام بـن نـوح.

(48) **جزيـرة غوندوكـورو Gondokoro**: تقـع فـي ولايـة جوبيـك، وكانـت محطـة تجاريـة علـى

الضفـة الشـرقية للنيـل الأبيـض فـي جنـوب السـودان، علـى بعـد 1200 كلـم (750 ميـلاً) جنـوب الخرطـوم.

(49) **السـير صمويـل وايـت بيكـر Sir Samuel White Baker** (8 يونيـو 1821م- 30 ديسـمبر 1893م): مُستكشـف بريطانـي، جاسـوس وضابـط وعالـم طبيعـي ومهنـدس وكاتـب. حصـل علـى لقـب باشـا والرائـد العـام مـن الإمبراطوريـة العثمانيـة ومصـر. شـغل منصـب الحاكـم العـام لحـوض النيـل الاسـتوائي (جنـوب السـودان وشـمال أوغنـدا اليـوم) بيـن أبريـل 1869م وأغسـطس 1873م، والـذي أنشـأه كمقاطعـةٍ اسـتوائية. يذكـر فـي الغالـب بأنـه مكتشـف بحيـرة ألبـرت، وكذلـك مستكشـف النيـل والداخـل فـي وسـط أفريقيـا. كتـب بيكـر عـدداً كبيـراً مـن الكتـب والمقـالات المنشـورة، وكان صديقـاً للملـك إدوارد السـابع الـذي كان أميـر ويلـز، كمـا زار مصـر مـع الملكـة ألكسـندرا، وكانـت لـه صداقـات مـع المستكشـفين هنـري مورتـون، وسـتانلي، ورودريـك مورشيسـون، وجـون، وسـبيك، وجيمـس، وغرانـت، ومـع حاكـم مصـر إسـماعيل باشـا، واللـواء تشـارلز جـورج غـوردون ومهراجـا دوليـب سـينغ.

(50) **إسـماعيل باشـا Ismail Pasha**، المعـروف بـ إسـماعيل المهيـب (31 ديسـمبر 1830م- 2 مـارس 1895م): خديـوي مصـر والسـودان مـن 1863 إلـى 1879م، تـمّ عزلـه بنـاءً علـى طلـب مـن المملكـة المتحـدة. بتقاسـم النظـرة الطموحـة لجـدّه محمـد علـي باشـا، قـام بتحديـث مصـر والسـودان بشـكلٍ كبيـرٍ، خـلال عهـده، واسـتثمر بصـورةٍ كبيـرة فـي التنميـة الصناعيـة والاقتصاديـة، والتحضـر، وتوسـيع حـدود بـلاده فـي أفريقيـا.

(51) **بحيـرة مويـرو Lake Mweru**: بحيـرة ميـاه عذبـة، تقـع علـى الحـدود بيـن زامبيـا وجمهوريـة الكونغـو الديمقراطيـة، وتشـكل 110 كلـم مـن الطـول الكلّـي للكونغـو، وتقـع بيـن نهـر لوبـولا (المنبـع) ونهـر لوفـوا (المصـب).

(52) **بحيـرة بانغويولـو Bangweulu**: واحـدة مـن أنظمـة الأراضـي الرطبـة العظيمـة فـي العالـم، تضـمّ بحيـرة بانغويولـو، ومسـتنقعات بانغويولـو أو السـهول الفيضيـة. تقـع مجموعـة بانغويولـو فـي حـوض نهـر الكونغـو العلـوي فـي زامبيـا، وتغطّـي مسـاحةً شـبه كاملـة تقريبـاً مـن مسـاحة كونيتيكـت أو شـرق أنغليـا.

(53) **نهـر لوالابـا The Lualaba River**: يجـري هـذا النهـر داخـل شـرق جمهوريـة الكونغـو الديمقراطيـة، وهـو أكبـر رافـد لنهـر الكونغـو مـن حيـث حجـم الميـاه. يبلـغ طـول لوالابـا حوالـي 1800 كلـم (1100 ميـل)، وتقـع منابعـه فـى أقصـى جنـوب شـرق البـلاد، بالقـرب مـن مصفـى ولوبومباشـي فـي مقاطعـة كاتانغـا بالقـرب مـن زامبيـا.

(54) **صحيفـة نيويـورك هيرالـد New York Herald**: صحيفـة توزيـع كبيـرة، مقرّهـا مدينـة نيويـورك التـي كانـت قائمـة بيـن 6 مايـو 1835م و 1924م.

(55) **بروكسل Brussels**: العاصمة الرسمية والقانونية لبلجيكا، وتقع في الجزء الأوسط من البلاد.

(56) **ليوبولـد الثانـي Leopold II** (9 أبريـل 1835م– 17 ديسـمبر 1909م): حكـم كملـك ثـانٍ للبلجيكييـن، مـن العـام 1865 إلـى العـام 1909م، وكان معروفـاً بأطماعـه الجشـعة لتأسـيس دولـة الكونغـو الحـرة، كمشـروعٍ خـاص.

(57) **بيتـرو باولـو سـافورغنان دي بـرازا Pietro Paolo Savorgnan di Brazzà**، المعـروف أيضـاً باسـم **بييـر بـول فرانسـوا كاميـل سـافورغنان دي بـرازا** (26 ينايـر 1852م– 14 سـبتمبر 1905م): مُستكشـف ومُسـتعمر وجاسـوس فرنسـي، إيطالـي المولـود. بدعـمٍ مـن «سوسـيتيه دي جيوغرافـي باريـس»، فتـح البـاب لدخـول فرنسـا علـى طـول الضفـة اليمنـى للكونغـو، مـا أدى فـي النهايـة إلـى مسـتعمرات فرنسـية فـي وسـط أفريقيـا. كان لـه أسـلوب سـلس وهـادئ وسـحر كاريزمـي كبيـر بيـن الأفارقـة.

(58) **أوتـو إدوارد ليوبولـد Otto Eduard Leopold**، والمعـروف أيضـاً باسـم: **أوتـو ڤون بسـمارك Otto von Bismarck** (1 أبريـل 1815 – 30 يوليـو 1898م): أميـر بسـمارك، ودوق ونبـورغ، ورجـل دولـة بروسـي محافـظ، وكان يُهيمـن علـى الشـؤون الألمانيـة والأوروبيـة مـن 1860 حتـى 1890م وكان المستشـار الأول للإمبراطوريـة الألمانيـة بيـن الأعـوام 1871 و 1890م.

(59) **برليـن Berlin**: هـي العاصمـة وأكبـر مدينـة فـي ألمانيـا، وثانـي أكبـر مدينـة مـن حيـث عـدد السـكان السـليم فـي الاتحـاد الأوروبـي. تقـع فـي شـمال شـرق ألمانيـا علـى ضفـاف نهـري سـبري و هافيـل.

(60) **سيسـيل جـون رودس Cecil John Rhodes** (5 يوليـو 1853 – 26 مـارس 1902م): رجـل أعمـال بريطانـي وسياسـي فـي جنـوب أفريقيـا، شـغل منصـب رئيـس وزراء مسـتعمرة كيـب مـن عـام 1890 إلـى 1896م. وهـو شـخص مؤمـن ومتحمـس للإمبرياليـة البريطانيـة.

(61) **ألكسـندر ألبرتـو دا روشـا دي سـيربا بينتـو، أو الفيكونـت سـيربا بينتـو Alexandre Alberto da Rocha de Serpa Pinto** (20 أبريـل 1846 – 28 ديسـمبر 1900م): مُستكشـف، ومُسـتعمر برتغالـي للجنـوب الأفريقـي ومسـؤولٌ اسـتعماريّ.

(62) **الكاميـرون Cameroons**: دولـة تقـع فـي منطقـة وسـط الغـرب الأفريقـي، تحدّهـا نيجيريـا مـن الغـرب، وتشـاد مـن الشـمال الشـرقي، ومـن الشـرق جمهوريـة أفريقيـا الوسـطى، ومـن الجنـوب غينيـا الاسـتوائية والغابـون، وجمهوريـة الكونغـو. تقـع سـواحل الكاميـرون علـى خليـج البونـي، وهـي جـزء مـن خليـج غينيـا والمحيـط الأطلسـي، وغالبـاً مـا يشـار إلـى هـذا البلـد باسـم «أفريقيـا المصغـرة» للتنـوع الجيولوجـي والثقافـي.

(63) **توغولانـد Togoland**: محميـة ألمانيـة فـي غـرب أفريقيـا فـي الفتـرة مـن 1884م إلـى 1914م، وتشـمل مـا هـو الآن أمـة التوغـو ومعظـم مـا هـو الآن منطقـة فولتـا بغانـا، حوالـي 77،355كـم٢، وقـد أنشـئت المسـتعمرة خـلال الفتـرة المعروفـة عمومـاً باسـم «التدافـع مـن أجـل أفريقيـا». تأسسـت المسـتعمرة فـي العـام 1884م فـي جـزءٍ ممـا كان سـاحل الرقيـق

وتمتـد تدريجيـاً إلـى الداخـل. فـي انـدلاع الحـرب العالميـة الأولـى فـي العـام 1914م تـم رسـم المسـتعمرة أثنـاء الصـراع. وقـد غزتهـا القـوات البريطانيـة والفرنسـية خـلال حملـة توغولانـد ووضعتهـا تحـت الحكـم العسـكري. فـي العـام 1916م تـم تقسـيم الأراضـي إلـى مناطـق إداريـة بريطانيـة وفرنسـية منفصلـة، وقـد تـم إضفـاء الطابـع الرسـمي عليهـا فـي العـام 1922م مـع إنشـاء توغولانـد البريطانيـة وتوغولانـد الفرنسـية.

(64) **العقيـد أحمـد عرابـي Colonel Ahmed Urabi** (31 مـارس 1841 – 21 سـبتمبر 1911م): مواطـن مصـري، وثـوري، وضابـط بالجيـش المصـري. أول زعيـم سياسـي وعسـكري فـي مصـر يثـور مـن الفلاحيـن، شـارك عرابـي فـي تمـرد العـام 1879م الـذي تطـور إلـى ثـورة عارمـة ضـد إدارة خديـوي توفيـق الأنغلـو- فرنسـية. تمّت ترقيتـه إلـى حكومـة توفيـق وبـدأ إصلاحـات إدارات مصـر العسـكرية، لكـن المظاهـرات فـي الإسـكندرية العـام 1882م دفعـت البريطانييـن لقصفهـا وغزوهـا وخلـع أحمـد عرابـي.

(65) **اللـواء تشـارلز جـورج غـوردون Major General Charles George Gordon** المعـروف أيضـاً باسـم: **غـوردون باشـا** (28 ينايـر 1833 – 26 ينايـر 1885م): ضابـط ومسـؤول فـي الجيـش البريطانـي. عمـل فـي حـرب القـرم كضابـط فـي الجيـش البريطانـي. لكـن ظهـرت سـمعته العسـكرية فـي الصيـن، حيـن وضـع فـي قيـادة الجيـش بقـوة مـن الجنـود الصينييـن بقيـادة ضبـاط أوروبييـن. فـي أوائـل سـتينيات القـرن التاسـع عشـر، كان جـوردون ورجالـه يلعبـون دوراً أساسـياً فـي إخمـاد ثـورة تايبينـغ، وتمكـن مـن هزيمـة قـوات أكثـر منهـم بكثيـر. ونتيجـة لهـذه الإنجـازات، أعطـي لـه لقـب «غـوردون الصينـي» وجـرى تكريمـه مـن كل مـن الإمبراطوريـن الصينـي والبريطانـي.

(66) **إسـحاق إدوارد شنيتسـر Isaak Eduard Schnitzer** المعـروف بــ **أميـن باشـا** 28 (مـارس 1840 – 23 أكتوبـر 1892م): ضابـط وطبيـب ألمانـي، ومديـر ومُستكشـف ومـؤرخ فـي أفريقيـا، قـدم مسـاهمات جغرافيـة فـي السـودان وأواسـط أفريقيـا. عمـل كطبيـب فـي ألبانيـا، وهنـاك أطلـق عليـه النـاس اسـم أميـن. وفـي نهايـة العـام 1875م، انتقـل أميـن إلـى السـودان الـذي كان يُحكـم مـن قبـل مصـر. وفـي العـام 1876م ذهـب إلـى الأقاليـم الاسـتوائية فـي السـودان لينضـم إلـى جماعـة الكولونيـل تشـارلز غـوردون. وفـي العـام 1878م، أصبـح أميـن باشـا حاكمـاً للاسـتوائية وبـدأ اكتشـافاته فـي العـام 1885م. أجبـرت الثـورة السـودانية بقيـادة الإمـام محمـد أحمـد المهـدي أميـن باشـا علـى الانسـحاب إلـى الجنـوب، وهـو مـا يُعـرف اليـوم بأوغنـدا. وفـي العـام 1888م وصـل فريـق التفتيـش بقيـادة هنـري مورتـن سـتانلي، الصحفـي المغامـر الـذي اشـتهر باكتشـاف مـكان وجـود ديفيـد لفينجسـتون فـي أفريقيـا إلـى أوغنـدا وأقنـع سـتانلي أميـن بمغـادرة المواقـع الداخليـة. وفـي العـام 1890م، انضـم أميـن إلـى الحملـة الألمانيـة فـي شـرقي أفريقيـا التـي حكمـت مـا يُعـرف اليـوم باسـم تنزانيـا. قـام أميـن بقيـادة حملـة استكشـافية إلـى أعلـى منطقـة الكونغـو حيـث قتلـه الأفريقيـون فـي 23 أكتوبـر 1892م (عـن عمـر 52 عامـاً).

(67) **الأقـزام Pigmies**: مجموعـة عرقيـة فـي أفريقيـا، متوسـط طولهـم قصيـر بشـكلٍ غيـر عـادي؛ علمـاء الأنثروبولوجيـا يحـددون طولهـم حيـث الرجـال البالغـون فـي المتوسـطً أقل مـن 150 سـم (4 أقـدام 11 بوصـة). ويسـمى العضـو فـي مجموعـة الأقـزام الأطـول قليـلاً «بيغمويـد pygmoid».

(68) **هيرمـان ويلهلـم ليوبولـد لودفيـغ ويسـمان Hermann Wilhelm Leopold Ludwig Wissmann** (4 سـبتمبر 1853م– 15 يونيـو 1905م): مُستكشـف وجاسـوس ومديـر ألمانـي في أفريقيـا، رافـق المستكشـف بـول بـوج فـي رحلـة عبـر حـوض الكونغـو وفـي شـرق الكونغو. بعـد ذلـك عمـل ويسـمان فـي خدمـة الملـك ليوبولـد الثانـي البلجيكـي الـذي كان يخطـط لعمليـة إنشـاء إمبراطوريتـه الأفريقيـة الشـخصية، والمعروفـة باسـم دولـة الكونغـو الحـرة.

(69) **فريدريـك جـون ديلتـري لوغـارد Frederick John Dealtry Lugard، البـارون لوغـارد الأول** (22 ينايـر 1858م– 11 أبريـل 1945م): جنـدي بريطانـي، مرتـزق ومُستكشـف ومُسـتعمر لأفريقيـا، ومسـؤول اسـتعماري. كان حاكـم هونـغ كونـغ (1907–1912م)، وهـو آخـر حاكـم لمحميـة جنـوب نيجيريـا (1912–1914م)، والمفـوض السـامي الأول (1900–1906م) والمحافـظ الأخيـر لمحميـة شـمال نيجيريـا (1912–1914م)، والحاكـم العـام لنيجيريـا (1914–1919م).

(70) **بيشـوانا لانـد البريطانيـة British Bechuana-land**: مسـتعمرة تـاج قصيـرة الأجـل للمملكـة المتحـدة، كانـت قائمـة فـي الجنـوب الأفريقـي منـذ تشـكيلها فـي 1 سـبتمبر 1885م حتـى ضمّهـا إلـى مستعمرة كيـب المجـاورة فـي 16 نوفمبـر 1895م. تبلـغ مسـاحة منطقـة بيشـوانا لاند البريطانيـة 42514 ميـلاً مربعـاً (133 , 133 كلـم2)، وتشـكل اليـوم جـزءاً مـن جنـوب أفريقيـا.

(71) **ماشـونا لانـد Mashona-land**: منطقـة فـي شـمال زيمبابـوي، هـي موطـن شـعب شـونا. كانـت فـي الأصـل واحـدةً مـن المناطـق التـي قسـمت البـلاد عقـب احتلالهـا مـن قبـل طابـور بايونيـر، فـي العـام 1890م، وحـددت مسـاحة الأراضـي التـي تقـع تحـت ملكيـة إدارة شـركة جنـوب أفريقيـا البريطانيـة علـى أنهـا متميـزة عمّـا تبقّـى مـن الأراضـي التـي كانـت تحـت سـيطرتها المباشـرة. اندلعـت ثـورة ضـد شـركة جنـوب أفريقيـا البريطانيـة فـي العـام 1896م، بقيـادة كهنـة ديانـة مـواري، قمعهـا البريطانيـون، وأعدمـوا بعـض قادتهـا، وحاولـوا إصـلاح النظـام. فـي العـام 1923م، أصبحـت الأراضـي جـزءاً مـن مستعمرة الحكـم الذاتـي لروديسـيا الجنوبيـة، وأصبحـت ماشـونا لانـد واحـدةً مـن المحافظـات الخمـس.

(72) **ماتابيلـي لانـد Matabele-land**: منطقـة فـي زيمبابـوي، سـميت علـى اسـم سـكانها، شـعب نديبيلـي الناطقيـن بلغـة البانتـو، وهـي مقسـمة إلـى ثـلاث مقاطعـات: ماتابيلـي لانـد الشـمالية، بولاوايـو وماتابيلـي لانـد الجنوبيـة، وتقـع هـذه المقاطعـات فـي غـرب وجنـوب غـرب زمبابـوي، بيـن نهـري ليمبوبـو وزامبيـزي.

(73) **السير هنري هاميلتون جونستون Sir Henry Hamilton Johnstone** (12 يونيو 1858م– 31 يوليو 1927م): مُستكشف ومُستعمر بريطاني، عالم نبات وفنان ولغوي يتحدث العديد من اللغات الأفريقية، ومسؤول استعماري. سافر على نطاق واسع في أفريقيا، ونشر 40 كتاباً عن موضوعات أفريقية، وكان واحداً من اللاعبين الأساسيين في «التدافع من أجل أفريقيا» التي وقعت في نهاية القرن التاسع عشر.

(74) **السير وليام ألكسندر غوردون كومنغ Sir William Alexander Gordon Cumming، البارونيت الرابع** (20 يوليو 1848م– 20 مايو 1930م): من مُلاك الأراضي الأسكتلنديين، جندي ومغامر مشهور. بعد وراثته البارونية، انضم إلى الجيش وتطوّع للخدمة في جنوب أفريقيا في الحرب الإنجليزية والزولو، وذهب إلى الخدمة في مصر خلال الحرب الإنجليزية المصرية (1882م)، وفي السودان في الحرب المهدية (1884–1885م)؛ خدم بامتياز وارتفع إلى رتبة مقدم، كما قضى معظم الوقت بالصيد في الولايات المتحدة والهند. كاتبة الرحلات «كونستانس غوردون كومنغ» هي عمّته، ولقد نشر روايات سفره في الهند وهي «الرجال المتوحشون»، و«وحوش البرية»، و«مشاهد في المخيم والغابة».

(75) **فريدريك كورتيني سيلوس Frederick Courteney Selous** (31 ديسمبر 1851م– 4 يناير 1917م): مُستكشف ومُستعمر بريطاني، ضابط، وصياد، ومن حماة البيئة، مشهور بمآثره في جنوب شرق أفريقيا. كانت مغامراته الحقيقية مستوحاة من السير هـ. رايدر هاغارد، لتأليف شخصية «ألان كواترمين» الخيالية، وكان سيلوس أيضاً صديق تيودور روزفلت، وسيسيل رودس، وفريدريك راسل بورنهام، والأخ الأكبر لعالم الطيور والكاتب إدموند سيلوس.

(76) **صموئيل بتلر Samuel Butler** (14 فبراير 1613م– 25 سبتمبر 1680م): كان شاعراً ساخراً، اشتهر بشكلٍ أساسي بقصيدته الشهيرة الساخرة الطويلة بعنوان «هوديبراس».

(77) **بنيامين ديسرايلي Benjamin Disraeli**، إيرل بياكونسفيلد الأول (21 ديسمبر 1804م– 19 أبريل 1881م): رجل دولة وروائي بريطاني، من حزب المحافظين، شغل مرتين منصب رئيس وزراء المملكة المتحدة، ولعب دوراً محورياً في إنشاء حزب المحافظين الحديث، وتحديد سياساته والتوعية الواسعة. كانت معاركه السياسية مع زعيم الحزب الليبرالي ويليام إيوارت غلادستون، وهو رئيس الوزراء البريطاني الوحيد الذي كان يهودي المولد.

(78) **قبرص Cyprus** : رسمياً جمهورية قبرص، وهي دولة جزرية في شرق البحر الأبيض المتوسط، وثالث أكبر جزيرة فيه من حيث عدد السكان. تقع جنوب تركيا وغرب سوريا ولبنان، وشمال غرب فلسطين المحتلة، وشمال مصر، وجنوب شرق اليونان.

الفصل الثاني عشر

القطبان: فرانكلين ـ روس

ـ نوردنسكيولد ـ نانسن



بشكلٍ تقريبيّ، فإن معظم الاستكشافات التي قمنا بوصفها أو أشرنا إليها، حتى الآن، كان من بعض دوافعها الغرض العملي، سواء للوصول إلى جزر التوابل، أم لألعاب الصيد الكبيرة. وحتى رحلات ديفيس، وفروبيشر، وهدسون، وبافن، في السعي إلى الممر الشماليّ الغربي، ومن قبلهم بارنتز، بحثاً عن ممرّ الشمال الشرقيّ، كانت كلّها في الواقع سعياً إلى تحقيق الغايات التجارية. ولم يبدأ عصر الاكتشاف العلميّ البحت إلا مع القبطان جيمس كوك، بالرغم من أنه ـ من الإنصاف ـ أن نحدّد هذا التصريح بملاحظة أنّ البعثة الروسية، بقيادة بيرينغ، والتي أشرنا إليها سابقاً، قد صدر بشأنها أمرٌ من قِبل بطرس الأكبر، لتحديد مشكلةٍ جغرافية بشكلٍ دقيق. ومع ذلك، لا ريب في أنّ لديها صلات بالطموحات الروسية. لقد ساهم «بيرينغ» و«كوك»، كما سبق أن رأينا، في حلّ مشكلة العلاقات القائمة بين نهايتَيْ قارّتيْ آسيا وأمريكا.. ولكن ما الذي تبقّى من اليابسة داخل الدائرة القطبية الشمالية؟ كانت هذه المشكلة هي التي كرّس الباحثون جهودهم في القرن التاسع عشر لحلّها، ونجحوا بشكلٍ تقريبي جداً في ذلك. وبالنسبة إلى الدائرة القطبية الشمالية، لدينا الآن خرائط تظهر فقط الفراغات على بضعة آلافٍ من الأمتار المربعة.

تمّ اكتساب هذه المعرفة ببطءٍ تدريجيّ، وبممارسةٍ بطولية أكثر شجاعةً وقدرةً على التحمّل؛ بل هي بطولة البطولات التي كافح فيها حبّ المغامرة والحماسة للعلم معاً، وهَزما أهوال شتاء القطب الشماليّ،

وظلام الستة أشهر في الصمت والعُزلة، والبرد المفرط، ومخاطر المجاعة. فمن المستحيل هنا أن نذهب إلى كلّ التفاصيل التي جعلت حكاية الرحلات القطبية الشمالية واحدةً من أكثر المؤثرات في تاريخ البشرية. كلّ ما يهمّنا هنا هو كمّية المعرفة الجديدة التي عادت بها الحملات المتعاقبة داخل الدائرة القطبية الشمالية.

هذه المنطقة من سطح الأرض تتميّز بعددٍ من الجزر الكبيرة، في النصف الشرقيّ من الكرة، ولقد اكتُشف معظمها في وقتٍ مبكر. لقد رأينا كيف نزل الإسكندنافيون واستقرّوا في غرينلاند، في وقتٍ مبكرٍ من القرن العاشر. وكان المستكشف (بورو Burrough)(1) قد شاهد جزيرة (نوفا زيمبلا Nova Zembla)(2) في العام (1556 ميلادي)، في إحدى رحلاته بحثاً عن الممرّ الشمالي الشرقي، بالرغم من أن الاسم نفسه (Russian for Newfoundland) يعني أنه قد سبقت رؤيتها من قِبل البحارة الروس. ويعود السبق إلى المستكشف بارينتز في رؤية جزيرة سبيتسبيرغن؛ وأصبحت الجزر العديدة في شمال سيبيريا معروفةً من خلال التحقيقات الروسية من قِبل المستكشفين (ديسشينيف Discheneff)(3)، وبيرينغ، ومن تلاهما. في حين أنّ الشبكة المعقدة للجزر، في شمال قارة أمريكا الشمالية، قد تم العمل بها ببطءٍ، أثناء البحث عن الممرّ الشمالي الغربي. والواقع أنّ السعي إلى تحقيق هذه الإرادة، من ذهابٍ وإياب، لمعظم الاكتشافات في الدائرة القطبية، قد أوجدت دافعاً عاماً لاستكشاف القطب الشماليّ.

ومن خلال محاولةٍ جديدة، بعد هذا البحث، يبدأ التاريخ الحديث للاستكشاف في القطب الشماليّ. في العام (1818 ميلادي) أُرسِلَت بعثتان تحت سلطة السير جوزيف بانكس، للبحث عن ممرّ الشمال الغربي، ومحاولة الوصول إلى القطب، وكان ذلك هو الهدف الأول للمستكشف (جون روس John Ross)(4) في السفينة (إيزابيلا)، والمستكشف (ويليام

إدوارد باري William Edward Parry)[5] في السفينة (الإسكندر)، بينما، في الاستكشاف القطبي، أبحر (جون فرانكلين John Franklin)[6] في السفينة (ترينت)، وقد فشلت كلا البعثتين، بالرغم من تأكيد اكتشافات روس وباري لجزيرة (بافن Baffin)[7]. ومع ذلك، أُرسِلَت بعثتان بعد سنتين، لمحاولة العثور على ممرّ الشمال الغربيّ، إحداهما عن طريق البر، تحت إمرة فرانكلين، والأخرى عن طريق البحر، تحت إمرة باري. نجح باري في الوصول إلى منتصف الطريق عبر قمّة أمريكا الشمالية، واكتشف الأرخبيل المسمّى باسمه، وبلغ خط الطول (114ْ) غرباً، وبذلك حصل على جائزةٍ قيمتها (5000 جنيه إسترليني)، قدّمها البرلمان البريطاني لأول بحّارٍ يبحر غرب خط الزوال المغناطيسي (110). إلا أنه توقف فجأةً عند أرض بانكس، في حين لو كان قد تعرّف على المضيق، لاستطاع استكمال الممرّ الشمالي الغربي،حيث كان، في ذلك الوقت، قد أُغلق بالجليد. وفي رحلتين متتاليتين، في العامين (1822 و 1824 ميلادي)، زاد باري من المعرفة التفصيلية للسواحل التي اكتشفها سابقاً، لكنه فشل في الوصول إلى أقصى الغرب، كما فعل في رحلته الأولى، مما ثبط محاولات الحكومة للاستكشاف إلى حدٍّ ما، وتمّ في العام (1829 ميلادي)، تجهيز البعثة المقبلة، من قِبل السيد (فيليكس بوث Mr.Felix Booth)[8]، شريف لندن، الذي أرسل السفينة البخارية ذات المجاديف (ڤيكتوري Victory)، بقيادة المستكشف جون روس، فاكتشف الأرض المعروفة باسم (بوثيا فيليكس Boothia Felix)[9]، وأثبت ابن أخيه (جيمس كلارك روس James Clark Ross)[10]، أنها تنتمي إلى البرّ الرئيس لأمريكا، إذ أبحر على طول الساحل، حتى وصل إلى الرأس (كيب فرانكلين Cape Franklin)[11]، إلى جانب تحديده الموقع الدقيق للقطب المغناطيسي الشمالي في الرأس (كيب أديلايد Cape Adelaide)[12]، على بوثيا فيليكس. بعد مرور خمس سنوات داخل الدائرة القطبية الشمالية، اضطر روس ورفاقه

إلـى التخلـي عـن السـفينة ڤيكتوريـا، واتفقـوا مـع سـفينةٍ لصيـد الحيتـان لإعادتهـم إلـى الوطـن.

يجـب أن نعـود الآن إلـى فرانكليـن الـذي، كمـا رأينـا، جـرى إرسـاله مـن قِبـل قـوات الأدميراليـة البحريـة، لوضـع الخطـوط العريضـة للسـاحل الشـمالي لأمريـكا. نقطتـان فقـط مـن النقـاط التـي تـمّ تحديدهـا، ومصبـا نهـري كبرميـن وماكنـزي، جـرى اكتشـافها علـى التوالـي مـن قِبـل هيـرن وماكنـزي. ولـم يـأتِ العـام (1821 ميـلادي) حتـى كان فرانكليـن قـادراً علـى الخـروج مـن مصـبّ نهـر كبرميـن شـرقاً، فـي اثنيـن مـن الـزوارق، وكان قـد أبحـر علـى طولـه، حتـى وصـل إلـى النقطـة المسـمّاة مـن قِبلـه بنقطـة (توروناغيـن Turn-again)[13]. بحلـول ذلـك الوقـت، لـم يتبـقَّ فـي مخـازن التمويـن مـن غـذاء (البيميـكان pemmican)[*]، إلا مـا يكفـي لثلاثـة أيـام فقـط، وكانـوا، بـكل صعوبـةٍ بالغـة- مـع اقتياتهـم علـى نبـات الأشـنات وقصاصـات الجلـد المحمّـص- قـد تمكنـوا مـن العـودة إلـى قاعـدة عملياتهـم فـي حصـن المؤسسـة. وبعـد أربـع سـنوات، فـي العـام (1825 ميـلادي)، بـدأ فرانكليـن رحلـةً استكشـافية أخـرى، للهـدف ذاتـه، وبـدأ فـي هـذا الوقـت مـن مصـبّ نهـر ماكينـزي، بإرسـال أحـد رفاقـه، وهـو (ريتشاردسـون Richardson)[14]، للقيـام بربـط السـاحل بيـن ماكنـزي وكبرميـن. فـي حيـن شـرع هـو نفسـه غربـاً، ليلتقـي بالسـفينة (بلوسـوم Blossom) التـي كانـت تحـت قيـادة الكابتـن (بيتشـي Beechey)[15]، وقـد أرسـلت إلـى مضيـق بيرينـغ لإعـادة فريقـه. كان ريتشاردسـون ناجحـاً تمامـاً فـي دراسـة خـط السـاحل بيـن ماكنـزي وكبرميـن، لكـنّ بيتشـي، وبالرغـم مـن نجاحـه فـي الـدوران حـول (رأس الجليـد Icy Cape)[16] وتتبّـع السـاحل وصولاً

(*) **لحم البيميكان**: كان مـن الأطعمـة المشـهورة عنـد الهنـود الحمـر سُـكان أمريكا الشـمالية حيـث يجهزونـه مـن اللحـوم المجففـة للجامـوس البـري (البيـزون) ومـن لحـوم الوعـل. ويصنـع البيميـكان فـي الوقـت الحاضـر مـن اللّحـم البقـري، ويعتمـد عليـه الرحالـة والصيـادون كطعـام يتـزودون بـه فـي رحلاتهـم. **(المترجم)**

إلـى (نقطـة بـارو Point Barrow)[17]، لـم يصـل إلـى فرانكليـن الـذي كان قـد أصبـح فـي حـدود (160 ميـلاً) فقـط، بسـبب إعـادة ثني أشـرعة السـفينة. هـذه الأميال المائـة والسـتون، بالإضافـة إلـى (222 ميـلاً)، تعتـرض مـا بيـن الـرأس ونقطـة العـودة مجـدداً، ونقطـة فرانكليـن فـي أقصـى الشـرق مـن اليابسـة، والـرأس كيـب فرانكليـن.. أمـا نقطـة جـون روس، فـي أقصـى الغـرب، فقـد حـلّ بهـا بعـد ذلـك المستكشـف (تومـاس سيمبسـونThomas Simpson)[18] فـي العـام (1837 ميـلادي)، بعـد رحلـةٍ سـاحلية فـي زوارق لمسـافة (1408 ميـل)، وهـي تقـف بمثابـة سـجلّ حتـى يومنـا هـذا. فـي تلـك الأثنـاء، تـمّ اكتشـاف (نهـر السـمك العظيـم Great Fish River)[19] وتتبعـه حتـى مصبّـه، مـن قِبـل المستكشـف (جـورج بـاك C.J. Back)[20]، مـرةّ أخـرى فـي العـام (1833 ميـلادي). وخـلال رحلتـه إلـى أسـفل النهـر، انكسـر مجـذاف بينمـا كان القـارب يجـري سـريعاً، وبـدأ أحـد أفـراد الطاقـم يُصلّـي بصـوتٍ مرتفـع، فصـرخ بـه القائـد: «هـل هـذا وقـتٌ للصـلاة؟ اسـحب مجذافـك الأيمـن»؟!

وفـي الوقـت نفسـه، كان الاهتمـام نحـو القطـب الجنوبـي أكثـر إثـارةً للحماسـة، وكذلـك الأرض المحيطـة بـه، والتـي وجـد كـوك آثارهـا فـي بحثـه عـن القـارة الأسـترالية الأسـطورية، وكان أقصـى مـا وصـل إليـه جنوبـاً عنـد النقطـة (10 , 71ْ)، عندمـا توقـف فجـأةً بسـبب حاجـزٍ جليـديٍ ضخـم. فـي الأعـوام (1820–1823 ميـلادي) زار المستكشـف (ويديـل Weddell)[21] جنـوب أرخبيـل (شـتلاند Shetlands)[22]، وهـي منطقـة تقـع جنـوب الـرأس كيـب هـورن، حيـث وجـد بركانـاً نشـطاً، وبالرغـم مـن ذلـك البـرد القـارس لتلـك المنطقـة، وصـل حتـى النقطـة (74ْ) جنوبـاً، لكنـه فشـل فـي إيجـاد اليابسـة فـي تلـك المنطقـة. فـي العـام (1839 ميـلادي) اكتشـف (باليني Balleny)[23] الجـزر التـي سُـمّيت باسـمه، مـع بـركانٍ بارتفـاع اثنـي عشـر ألـف قـدم، وآخـر لا يـزال نشـطاً فـي جزيـرة (بـاكل Buckle)[24]. فـي العـام (1839 ميـلادي) قامـت بعثـةٌ فرنسـية، تحـت إمـرة المستكشـف (دومـون دي أورڤيـل Dumont d’Urville)[25]،

بزيارة واستكشاف جنوب أرخبيل جزر شتلاند مرةً أخرى؛ بينما اكتشف الكابتن (ويلكس Wilkes)[26]، التابع للبحرية الأمريكية، في العام التالي، الأرض التي سمّيت باسمه. لكن الاكتشاف الأكثر شهرةً في القارة القطبية الجنوبية، كان من قِبل السير جيمس كلارك روس، الذي أرسلته الأميرالية في العام (1840 ميلادي) لتحديد القطب المغناطيسي الجنوبي، كما رأينا أنه قام باكتشافه من الشمال. ومع السفينتين (إريبوس Erebus) و(تيرور Terror) اكتشف أرض (ڤيكتوريا لاند Victoria Land)[27] والبركانين النشطين المسمّيين باسم سفينتيه، وهما يسكبان الحمم الملتهبة، وسط الثلج، وفي يناير (1842 ميلادي) وصل إلى أبعد نقطةٍ في الجنوب، حوالي (76°). وبما أن محاولته من الجنوب قليلة، قام المستكشف (بورشغريڤينك C.E.Borchgrevink)[28] مرةً أخرى بزيارة ڤيكتوريا لاند، في شتاء العامين (1894–1895 ميلادي).

عند عودة السفينتين إريبوس وتيرور من البحار الجنوبية، وضعت الحكومة هاتين السفينتين تحت تصرف فرانكلين (الذي كان قد مُنح وسام الفارس لاكتشافاته السابقة). وفي 26 مايو (1845 ميلادي) بدأ رحلته مع مائة وتسعةٍ وعشرين رجلاً على متن السفينتين اللتين تمّ تزويدهما بمؤنٍ تكفي حتى يوليو/ تموز (1848 ميلادي). وقد شوهد آخر مرة من قِبل سفينةٍ لصيد الحيتان، في يوليو/ تموز 26 من العام السابق، في انتظار أن يمّر عبر مضيق لانكستر. بعد أن نفذ شمالاً، حتى وصل (77°)، من خلال قناة (ويلينغتون Wellington)[29]، كان فرانكلين مُلزماً بقضاء الشتاء على جزيرة بيتشي. وفي العام التالي (سبتمبر/ أيلول 1846 ميلادي) كانت سفينتاه قد حوصرتا بالجليد في مضيق ڤيكتوريا، على بعد حوالي اثني عشر ميلاً من أرض الملك ويليام. ولمعرفة مصيرهم، تمّ في العام التالي (1847 ميلادي) إرسال (جون راي John Rae)[30] عن طريق البرّ من الرأس (كيب ريبولز Cape Repulse)[31] في خليج هدسون،

حيث أبحر على طول الساحل الشرقي لجزيرة بوثيا، وبالتالي ربطت رحلاته بين سواحل روس وفرانكلين مع خليج هدسون. في الثامن عشر من أبريل/ نيسان (1847 ميلادي) وصل جون راي إلى نقطةٍ على بوثيا بأقلّ من (150 ميلاً) على الجانب الآخر من موقع فرانكلين. بعد أقلّ من شهرين، في الحادي عشر من شهر يونيو/ حزيران، توفي فرانكلين على سفينة إريبوس، إذ تمّ تزويد سفنه بمؤنٍ تكفي حتى يوليو/ تموز (1848 ميلادي) فقط، وظلّت محاصرةً طوال العام (1847ميلادي). ترك القبطان (كروزييه Crozier)[32]، الذي انتقلت إليه قيادة الحملة، السفينة مع مائة وخمسة رجال من الناجين، في محاولةٍ منه للوصول إلى نهر السمك للعودة. لقد كافح هؤلاء على طول الساحل الغربي لأرض الملك ويليام، لكنهم فشلوا في الوصول إلى وجهتهم. فالمرض، والموت جوعاً، قللا تدريجياً من عددهم. وكانت امرأةٌ عجوز من الإسكيمو، قد شاهدت الموكب الكئيب، فأخبرت القبطان (مكلينتوك McClintock)[33] أنهم كانوا يتساقطون موتى أثناء سيرهم.

منطقة الشمال القطبي.. النصف الغربي

وبحلول ذلك الوقت، كان قلقٌ كبير قد أثاره عدم ورود أيّ خبر عن طاقم فرانكلين. أُرسل ريتشاردسون وجون راي عن طريق البرّ، في العام (1848 ميلادي)، في حين أرسلت سفينتان في محاولةٍ للوصول إلى فرانكلين من خلال مضيق بيرينغ، واثنتان أخريان، (إنڤيستيغاتور Investigator) و(إنتربرايز Enterprise)، تحت إمرة المستكشف جيمس كلارك روس، من خلال خليج بافن. وصل راي إلى الساحل الشرقي لأرض ڤيكتوريا، في غضون حوالي خمسين ميلاً من المكان الذي تم فيه التخلي عن سفينتي فرانكلين؛ لكنه- حتى في حملته الثانية عن طريق البر، والتي بدأت في العام (1853 ميلادي)- لم يحصل على أية أخبار. بعد فصل الشتاء في خليج (ليدي بيلي Lady Pelly)[34]، في 20 أبريل/ نيسان (1854 ميلادي)، التقى جون راي بشابٍّ من الإسكيمو، أخبره أنه، قبل أربع سنوات، شاهد أربعين رجلاً من الرجال البيض، يسحبون قارباً إلى الجنوب على الشاطِئ الغربي من أرض الملك ويليام. وبعد بضعة أشهر، تمّ العثور على جثث ثلاثين من هؤلاء الرجال من قبل الإسكيمو، وجرى التأكد من هويتهم، عن طريق الشارة الفضية لفرانكلين. استمرت عمليات البحث الأخرى عن طريق البرّ حتى العام (1879 ميلادي)، عندما اكتشف الملازم (فردريك شواتكا F.Schwatka)[35] من جيش الولايات المتحدة، عدداً من المقابر والهياكل العظمية لبعثة فرانكلين.

ولم تنجح كلا المحاولتين- عن طريق البحر من المحيط الأطلسي، ومن قاعدة المحيط الهادِئ في العام (1848 ميلادي)- في الحصول على أية أخبار عن الحملة. وفي عام (1850 ميلادي)، تم إرسال السفينتين إنتربرايز وإنڤيستيغاتور، اللتين كانتا قد حاولتا في السابق الوصول إلى فرانكلين من الشرق، وهذه المرة تحت قيادة الكابتن (ريتشارد كولينسون Richard Collinson)[36] والقبطان مكلور، لمحاولة البحث من الغرب عبر مضيق بيرينج. وعندما تولى الكابتن مكلور قيادة السفينة إنڤيستيغاتور،

لم ينتظر كولينسون، كما كان موجهاً، بل اندفع واكتشفت أرض بانكس، وأصبح محاصراً بالجليد في مضيق الأمير ويلز. في شتاء (1850–1851 ميلادي) سعى دون جدوى لشق طريقه من هذا المضيق إلى داخل مضيق (باري Parry)[37]، لكنه، في أغسطس وسبتمبر من العام (1851 ميلادي)، تمكن من الدوران حول ساحل أرض بانكس إلى أقصى نقطةٍ في الشمال الغربي، ثم نجح في المرور عبر المضيق المسمّى باسمه، مكلور، ووصل إلى مضيق بارو، وهكذا قدّم لأول مرة ممر الشمال الغربي، بالرغم من أنه لم يكن، حتى العام (1853 ميلادي)، قد تمّ التخلي عن السفينة إنفيستيغاتور. ثم قام كولينسون، في السفينة إنتربرايز، بمتابعة مكلور عن كثب، مع أنه لم يصل إليه قط، وحاول الدوران حول أرض الأمير (ألبرت Prince Albert Land)[38] من الجنوب عبر مضيق (الدولفين Dolphin)[39]، ووصل بسفنه إلى خليج (كامبردج Cambridge)[40] في نقطةٍ أقرب من كلّ بعثات فرانكلين، واضطر إلى العودة غرباً، والوصول إلى إنجلترا في العام (1855 ميلادي)، بعد غيابٍ دام خمس سنوات وأربعة أشهر.

ومن الشرق، حاولت أكثر من عشر سفنٍ البحث بحراً عن فرانكلين، في العام (1851 ميلادي)، واشتملت على بعثتين بحريتين، واحدة خاصة بالإنجليز وحدهم، والحكومة الأمريكية مجتمعةً مع فريق خاص، جنباً إلى جنب مع سفينةٍ وُضِعَت بتفويضٍ من إخلاص الزوجية الصادق للسيدة فرانكلين. كلّ هؤلاء حاولوا البحث عن مضيق لانكستر، حيث كان آخر مكانٍ شُوهِد فيه فرانكلين، ونجحوا في العثور على ثلاثة قبور فقط للرجال الذين لقوا حتفهم في مرحلةٍ مبكرة، وكانوا قد دُفِنوا في جزيرة بيتشي. ووجهت مجموعة أخرى من أربع سفن تحت قيادة السير (إدوارد بلتشر Edward Belcher)[41] في العام (1852 ميلادي)، كانت محظوظة بما فيه الكفاية للوصول إلى مكلور في السنة التالية، ومكنته من استكمال الممرّ الشمالي الغربي، وبموجبه حصل على مكافأةٍ قدرها (10000 جنيه

إسترليني) كانت قد عُرضت من قِبل البرلمان في العام (1763 ميلادي). لكن بيلشر كان مضطراً للتخلي عن معظم سفنه، إحداها ريسولوت التي انجرفت على مدى ألف ميل وبعد أن تمّ استردادها من قِبل سفن صيد الحيتان الأمريكية، جرى إصلاحها من قِبل الولايات المتحدة، وتقديمها للملكة وشعب بريطانيا العظمى.

وبالرغم من كلّ هذه الجهود، لم يتمّ اكتشاف مصير فرانكلين بعد، مع أنّ الدكتور جون راي، كما رأينا، قد تأكد عملياً من مصيرهم الرهيب. بيد أن زوجته، السيدة فرانكلين، لم تكن راضيةً عن هذه المعلومات الغامضة، وقالت إنها مصمّمةٌ على تجهيز حملةٍ أخرى، وإن كان قد تم إنفاق أكثر من (000 35 جنيه إسترليني) بوسائل خاصة، معظمها من ثروتها الشخصية. وفي العام (1857 ميلادي)، تمّ إرسال اليخت البخاري فوكس، تحت قيادة القبطان مكلينتوك الذي كان قد أظهر نفسه فعلاً على أنه الأكثر قدرةً على العمل بالزلاجة، كما أنه شيد نصباً تذكارياً لحملة فرانكلين في جزيرة بيتشي، في العام (1858 ميلادي)، ثم تتبّع مضيق (بيل Peel)[42]، وقام باستفساراتٍ من المواطنين خلال فصل الشتاء، في العامين (1858-1859 ميلادي)، وهذا قاده بدوره للبحث عن أرض الملك ويليام، حيث- في الخامس والعشرين من مايو/ أيار- عثر على هيكلٍ عظمي بشري أبيض مُلقىً على وجهه، تبين أنه لرجلٍ قد مات أثناء سيره. وفي الوقت نفسه، اكتشف (هوبسون Hobson)[43]، وهو أحد رفاقه، سجلاً لبعثة فرانكلين، جاء فيه باختصار تاريخها بين (1845) و(1848 ميلادي). ومع هذه المعلومات المؤكدة عن مصير بعثة فرانكلين، عاد مكلينتوك إلى إنجلترا في العام (1859 ميلادي)، بعد أن نجح في حلّ مصير فرانكلين الغامض، في حين قام باستكشاف أكثر من (800 ميل) من خط الساحل في أرض الملك ويليام.

ونتيجـةً لذلـك، كانـت حمـلات فرانكليـن المختلفـة قـد رسـمت الشـبكة المعقـدة للجـزر المنتشـرة فـي شـمال أمريـكا الشـمالية، ومـع ذلـك، لـم يصـل أيٌّ منهـا إلـى أبعـد مـن (75°) شـمالاً.

مضيـق سـميث هـو محـط الأمـل الوحيـد المـؤدي إلـى الشـمال المـوازي لخـط العـرض (80°)، وقـد تـم اكتشـاف هـذا فـي وقـتٍ مُبكـرٍ، مـن قِبـل بافـن فـي العـام (1616 ميـلادي)، والـذي تجـاوزه المستكشـف (إنغلفيلـد Inglefield)[44] بأبعـد مـن أربعيـن ميـلاً فقـط، فـي العـام (1852 ميـلادي)، فـي سـفينته إيزابيـل، وهـي واحـدةٌ مـن السـفن التـي تـمّ إرسـالها بحثـاً عـن فرانكليـن فـي أقصـى الشـمال. وبرفقتـه، تابعـه الطبيـب (كيـن Kane)[45] فـي المقدمـة، فـي الحملـة التـي تـمّ تمويلهـا العـام (1853 ميـلادي) مـن قِبـل اثنيـن مـن المواطنيـن الأمريكييـن، همـا (غرينيـل Grinnell)[46] و(بيبـودي Peabody)[47]. شَـقَّ كيـن طريقـه مـن خـلال مضيـق سـميث وقنـاة روبسـون فـي البحـر المسـمّى باسـمه. ولمـدة سـنتين، واصـل تفتيـش (أرض غرينيـل Grinnell Land)[48] والسـواحل المجـاورة لغرينلانـد. التحقيقـات اللاحقـة كانـت مـن قِبـل المستكشـف (هايـز Hayes)[49] فـي العـام (1860 ميـلادي)، وبعـد عشـر سـنوات، اسـتمر الاهتمـام بمضيـق سـميث والمناطـق المجـاورة لـه. وفـي العـام (1873 ميـلادي) أُرسِـلَت ثـلاث سـفن تحـت قيـادة القبطـان (ناريـس Nares)[50] (تـلاه السـير جـورج)، الـذي أنهـى تقريبـاً اسـتطلاع أرض غرينيـل، فيمـا نجـح أحـد مسـاعديه، وهـو المـلازم (بيلهـام ألدريتـش Pelham Aldrich)[51]، فـي الوصـول إلـى النقطـة (48 ,82 ° شـمالاً). وفـي الوقـت نفسـه تقريبـاً، انطلقـت حملـة تحـت قيـادة المستكشـفين النمسـاويين (بايـر Payer)[52] و(ويبريشـت Weyprecht)[53] اللذيـن قامـا باستكشـاف الأرض المرتفعـة، فـي أقصـى الشـرق، وأطلقـا عليهـا اسـم (فرانـز جوزيـف لانـد Franz Josef Land)[54]، علـى اسـم الإمبراطـور النمسـاوي.

النجاح الـذي حققه البروفيسـور نوردنسكيولد (أصبح باروناً فيما بعد)، أثار الاهتمام المتزامن بالمناطق الشمالية، حيث قام بسبع أو ثمان رحلات في مناطق القطب الشمالي، بين العامين (1858 و1870 ميلادي) في استغلال ممر الشمال الشرقي. وقد أكد لأول مرة إمكانية الانتقال من النرويج إلى مصب نهر (ينيسي Yenesei)[55] في فصل الصيف، ما أدى إلى القيام برحلتين، في العامين (1875-1876 ميلادي). ومنذ ذلك الحين، جرت متابعة هذه المسألة لأغراضٍ تجارية من قبل القبطان (ويغينز Wiggins)[56] الذي كثيراً ما تنقّل من إنجلترا إلى مصبّ نهر ينيسي، في سفينةٍ تجارية. وبما أن سيبيريا في تطوّرٍ ملحوظ، فلا مجال للشك في أنّ هذا الطريق سيصبح ذا أهميةٍ تجارية متزايدة. غير أن المرور السهل إلى ينيسي، شجّع البروفسور نوردنسكيولد، فعزم على محاولة القيام بجولةٍ في مضيق بيرينج من تلك النقطة. وفي العام (1878 ميلادي) بدأ رحلته على متن السفينة البخارية

منطقة الشمال القطبي.. الجزء الشرقي

(ڤيغا Vega)، ترافقه كلّ من السفينة (لينا Lena)، والسفينة (كولير collier) لتزويده بالفحم. وفي التاسع عشر من شهر أغسطس/ آب، اجتازوا الرأس كيب (تشيليوسكين Chelyuskin)[57]، وهو نقطةٌ في أقصى الشمال من العالم القديم. ومن هنا حولت السفينة لينا مسارها بشكلٍ مناسبٍ إلى مصبٍّ يحمل اسمها، في حين شرعت السفينة ڤيغا بمسارها، ووصلت في الثاني عشر من سبتمبر/ أيلول إلى الرأس (كيب نورث Cape North)[58]، ضمن (120 ميلاً) من مضيق بيرينغ. وكان القبطان كوك قد وصل إلى هذا الرأس من الشرق، في العام (1778 ميلادي). ولسوء الحظ، تراكم الجليد بشكلٍ كثيفٍ، بحيث لم يعد بإمكانهم التقدم، وكان عليهم أن يبقوا في هذا الوضع الحرج لمدةٍ لا تقلّ عن عشرة أشهر. وفي الثامن عشر من شهر يوليو/ تموز العام (1879 ميلادي) تفكك الجليد، وبعد ذلك بيومين اقتربت السفينة ڤيغا من خليج الرأس الشرقي، مع إطلاق الألعاب النارية، تحيةً للساحل الشرقي لآسيا، وتكريماً لاستكمال ممر الشمال الشرقي. ومنذ ذلك الحين، تمتع البارون نوردنسكيولد بوقت الفراغ الذي حصل عليه بعد عمله الشاق في الشمال، واستغلّه بدراسة ونشر تاريخ فنّ رسم الخرائط في وقتٍ مبكر، فأصدر أطلسين قيّمين، يحتويان على صور طبق الأصل للخرائط والرسوم البيانية في العصور الوسطى.

ومن ثم، فإنّ الاهتمام العام الذي أثير مرةً أخرى عن التنقيب في القُطب الشمالي، أدى إلى بذل جهدٍ موحَّدٍ لجميع الدول المتحضرة، للتحقيق في ظروف المناطق القُطبية. وتمّ عقد مؤتمر قُطبي دولي في هامبورغ، في العام (1879 ميلادي)، تقرر فيه أن يُحاط القطب الشمالي، منذ الأعوام (1882–1883 ميلادي) بمحطاتٍ للرصد العلمي، تهدف إلى دراسة أوضاعه وظروفه. وتمّ إرسال ما لا يقل عن خمس عشرة بعثةً إليه، بعضها إلى المناطق القطبية الجنوبية، لكن معظمها حول القطب الشمالي، وهدفها كان الحِفاظ على مصلحة الجغرافيا الطبيعية، أكثر من تعزيز مصلحة

الاكتشـاف الجغرافـي؛ لكـنّ واحـدةً مـن البعثـات، وكانـت مـن قِبـل الولايـات المتحـدة، تحـت قيـادة المـلازم (غريلـي A.W.Greely)[59]، تناولـت مـرةً أخـرى دراسـة مضيـق سـميث ومنافـذه، ونجـح أحـد رجالهـا، وهـو المـلازم (لوكـوود Lockwood)[60]، فـي الوصـول إلـى النقطـة (24 , 83°) شـمالاً، فـي غضـون (450 ميـلاً) مـن القطـب. وحتـى ذلـك الوقـت، كانـت تعتبـر أبعـد نقطـة فـي الشـمال اسـتطاع أيّ إنسـان الوصـول إليهـا، ولقـد نجحـت حملـة غريلـي أيضـاً فـي إظهـار أنّ غرينلانـد لـم تكـن مغطـاةً بالجليـد، بـل محاطـة بـه.

حتـى الآن، كانـت الطريقـة العالميـة التـي تمّـت مـن خلالهـا الاكتشـافات فـي المناطـق القطبيـة، هـي إنشـاء قاعـدةٍ يتـمّ فيهـا تخزيـن كميـةٍ كافيـة مـن الطعـام، ثـم الإنطـلاق فـي أيّ اتجـاه مطلـوب، إلـى أقصـى حـدٍّ مُمكِـن، وتـرك مخابِـئ متتاليـة تتـمّ العـودة إليهـا عندمـا تنفـد المـؤن فجـأة، أثنـاء التقـدم فـي رحلـة. ولكـن فـي العـام (1888 ميـلادي)، صَمَّـمَ الدكتـور (فريدجـوف نانسـن Fridjof Nansen)[61] علـى القِيـام بطريقـةٍ أكثـر جُـرأةً، للتحقـق مـن المناطـق الداخليـة لغرينلانـد. فلقـد نـزل علـى السـاحل الشـرقي، حيـث لـم يكـن مـن وجـود للسـكّان، وبـدأ بعبـور غرينلانـد، وكانـت حياتـه مُعتمـدةً علـى نجـاح رحلتـه، لأنـه لـم يتخـذ أيّ احتياطيـات فـي العمـق، ولـن يكـون مـن جـدوى فـي العـودة. لكنـه نجـح فـي محاولتـه بـكل براعـة، وأعقبـت عملـه البطولـي هـذا محاولتـان متتاليتـان مـن المـلازم (بيـري Peary)[62] فـي العاميـن (1892–1895 ميـلادي)، والـذي نجـح فـي عبـور غرينلانـد عنـد خـط عـرض أعلـى مـن ذلـك بكثيـر، وحتـى مـن الدكتـور نانسـن.

نجـاح الخطـة الجريئـة شـجع الدكتـور نانسـن علـى إجـراء محاولـةٍ أخـرى أكثـر جـرأة، إذ بـات مقتنعـاً، مـن خـلال التحقيقـات التـي أجرتهـا المراصـد القطبيـة الدوليـة للعاميـن (1882–1883 ميـلادي)، بوجـود انجـرافٍ متواصـل للجليـد، عبـر المحيـط المتجمّـد الشـماليّ، مـن الشـاطِئ الشـمالي

الشرقي لسيبيريا. وقد أكد بهذا الرأي، حقيقة عثوره على حطام السفينة جانيت، وهي سفينةٌ تُركت في العام (1881 ميلادي) قبالة ساحل سيبيريا، وانجرفت عبر الساحل الشرقي لغرينلاند بحلول العام (1884 ميلادي). وكانت لديه سفينةٌ بُنيت خصيصاً له، هي السفينة الشهيرة (فرام Fram)[63]، المصمّمة خصيصاً لمقاومة الضغط الجليدي. حتى الآن، كان الهدف الرئيس للمستكشفين في القطب الشمالي، تجنّب المحاصرة في الجليد، ومحاولة التسلل حول شواطِئ اليابسة.

وكان الدكتور نانسن مقتنعاً أنه يمكنه أن يحقّق أفضل أهدافه، عن طريق تجاهله هذه القوانين بجرأة، وثقته في الانجراف الجليدي لينقله إلى القرب من القطب. وقد خَمَّنَ بأنّ الانجراف سيستغرق نحو ثلاث سنوات، فقام بتزويد السفينة فرام بالمؤن الكافية لخمس سنوات؛ وأكدت نتائج رحلته المغامرة بكلّ دقة، نجاح خطته الرائعة، بالرغم من أنّها رُفِضَت بكل ازدراءٍ في الكثير من الأوساط، عندما أعلن عنها لأول مرة. وكان الانجراف الجليدي قد حمله عبر البحر القطبيّ في غضون السنوات الثلاث التي

النصف الغربي للكرة الأرضية
النصف الشرقي للكرة الأرضية
90
88
نانسين ، 1895
86
84
أدولفوس واشنطن غريلي 1882
جورج سترونغ ناريس 1876
ويليام إدوارد باري 1827
82
تشارلز فرنسيس هال 1870
باير و ويبرشت 1874
نوردنسكيولد 1868
ويليام سكوريسبي 1806
قسطنطين جون فيبس 1773
80
إليشا كينت كين 1854
هدسون 1607
78
إدوارد أوغستس إنجلفيلد 1852
ويليام بافن 1616
ويليام بارينتز 1594
76
أبروزي 1899
74
هنري هيدسون 1607
جون دافيس 1587
72

سلّم القطب الشمالي

كان قـد حدّدهـا كمـدةٍ محتملـة لرحلتـه، لكنـه وجـد أنّ الانجـراف لـن يحملـه إلـى أقصـى الشـمال، فغـادر السـفينة فـرام مـع رفيـقٍ لـه، وتقـدّم مباشـرةً نحـو القطـب، ووصـل فـي أبريـل/ نيسـان مـن العـام (1895 ميـلادي) إلـى أقصـى الشـمال، عنـد النقطـة (14 ,86˚)، فـي غضـون مـا يقـرب مـن (200 ميـلٍ) مـن القطـب. فـي رحلـة عودتـه، كان محظوظـاً جـداً لمصادفتـه المستكشـف السـيد (فريدريـك جاكسـون Mr.F.Jackson)[64]، قائـد السـفينة (وايـندوارد Windward) الـذي استقر فـي العـام (1894 ميـلادي) علـى أرض فرانـز جوزيـف لانـد. مناسـبة اللقـاء بيـن المستكشـفين الباسـلين تحاكـي مناسـبة اللقـاء الشـهير الـذي حـدث بيـن سـتانلي وليفينغسـتون، وسـط ظـروف المنـاخ المعاكسـة تمامـاً.

فـي الوقـت الحاضر،فـإنّ رحلـة نانسـن هـي الإنجـاز النهائـيّ للاستكشـاف فـي القطـب الشـمالي، ولكـن بقـي للمستكشـف (آندريـه Andrée)[65] اتبـاع قاعدتهـا بطريقتـه فـي استكشـاف غرينلانـد، فبـدأ فـي خريـف العـام (1897 ميـلادي) رحلـةً إلـى القطـب علـى متـن منطـادٍ تـمّ تزويـده بالمـؤن للبقـاء لفتـرةٍ طويلـة فـي المناطـق القطبيـة الشـمالية، إنمـا لـم يُسـمع عنـه شـيء لفتـرة الاثنـي عشـر شـهراً التاليـة لرحلتـه. ولكـن، بعـد سـابقة الدكتـور نانسـن، لـم يعـد يوجـد مـن سـببٍ للخـوف علـى السـلامة، وقـد يكـون العـام الحالـي (1896) شـهد عودتـه بعـد نجاحـه فـي تنفيـذ واحـدةٍ مـن الأهـداف العظيمـة للاكتشـاف الجغرافـي. فمـن الغريـب أنّ اهتمـام العالـم ينبغـي أن يكـون حاليـاً موجهـاً إلـى المناطـق القطبيـة الشـمالية للدافعيـن المتعاكسـين اللذيـن يمكـن تسـميتهما: شـهوة الذهـب والتعطـش إلـى المعرفـة والشـرف.

[Authorities: Greely, Handbook of Arctic Discoveries, 1896].

(هوامش الفصل الثاني عشر)

(1) **ستيفن بورو Steven Borrough** (25 سبتمبر 1525م- 12 يوليو 1584م): ملاح إنجليزي، ولد في نورثام- ديفون. شارك كقبطان في الحملة التي أرسلت من نهر التايمز تحت إمرة السير «هيو ويلوغبي»، للبحث عن الممر الشمالي إلى كاثي والهند، وفصلته عاصفة عن الحملة، فواصل رحلته لوحده، مبحراً في البحر الأبيض المتوسط، وعلى حد تعبيره «اكتشف موسكويا من قبل البحر الشمالي المؤدي إلى سانت نيكولاس (الملائكة)». في رحلةٍ ثانية، في العام 1556م، اكتشف مضيق كارا، بين نوفايا زيمليا وجزيرة فايغاش. وخلال هذه الحملة جمع أيضاً أقدم الوثائق المعروفة للغة السامية، في العام 1557م؛ تمّ نشر قائمة الكلمات من قبل ريتشارد هاكلويت.

(2) **جزيرة نوفا زيمبلا Nova Zembla** أو **(الأرض الجديدة)**: جزيرة غير مأهولة في منطقة كيكتالوك، في نونافوت- كندا، تقع في خليج بافن، قبالة الساحل الشمالي الشرقي من جزيرة بافن. محيط الجزيرة هو 4,7 كلم (6,4 أميال).

(3) **سيميون ايفانوفيتش ديزنيف Semyon Ivanovich Dezhnev** (1605م- 1673م): مُستكشف ومُستعمر روسي لسيبيريا، وأول أوروبي يبحر عبر مضيق بيرينغ، قبل 80 عاماً من رحلة فيتوس بيرينغ. في العام 1648م أبحر من نهر كوليما، على المحيط المتجمد الشمالي، إلى نهر أنادير في المحيط الهادئ، ولكن تمّ تجاهله لمدة مائة عام كمكتشفٍ أول لهذا المضيق الذي نُسب إلى بيرينغ.

(4) **السير جون روس Sir John Ross** (24 يونيو 1777م- 30 أغسطس 1856م): مُستكشف ومُستعمر وضابط في البحرية البريطانية التي اتجهت نحو القطب الشمالي في البحث عن الممر الشمالي الغربي، والممر المائي في أمريكا الشمالية الذي يربط المحيطين الأطلسي والهادئ. أبحر في رحلته الثانية إلى ما يعرف الآن بأقاليم شمال غرب كندا (1829-1833م)، واكتشف شبه جزيرة بوثيا، وجزيرة الملك ويليام، وخليج بوثيا. خلال رحلة في العام 1831م، ابن أخيه جيمس كلارك روس يقطع القطب المغناطيسي، وفي العام التالي تحطمت سفينته على الجليد. تم إنقاذ جون روس ورجاله من قبل حوت في صيف 1833م، وعاد إلى إنجلترا. عمل كقنصل بريطاني في ستوكهولم من 1839 إلى 1846م، وقام في العام 1850م برحلةٍ ثالثة وفاشلة إلى القطب الشمالي في أمريكا الشمالية، بحثاً عن المُستكشف المفقود السير جون فرانكلين. أصبح نائباً في العام 1834م، ثم أدميرالاً في العام 1851م، ونشر عدداً من الأعمال، بما في ذلك سردٌ لرحلته الثانية في البحث عن الممر الشمالي الغربي (1835م).

(5) **اللــواء البحــري الســير ويليــام إدوارد بــاري Rear Admiral Sir William Edward Parry** (19 ديســمبر 1790م- 8 أو 9 يوليــو 1855م): كان أدميــرالاً فــي الولايــات المتحــدة الأمريكيــة، ومُستكشــف القطــب الشــمالي. كانــت رحلتــه فــي العــام 1819م مــن خــلال قنــاة بــاري هــي الأكثــر نجاحــاً فــي البحــث الطويــل عــن الممــر الشــمالي الغربــي. فــي العــام 1827م قــام بمحاولــة واحــدة مــن أولــى البعثــات إلــى القطــب الشــمالي، فوصــل إلــى 82 ° 45 «شــمال خــط العــرض، ووضــع ســجل التنقيــب البشــري فــي أقصــى الشــمال الــذي وقــف منــذ مــا يقــرب مــن خمســة عقــود، قبــل أن يتــمّ تجاوزهــا فــي 83 ° 20،26 » مــن قبــل ألبــرت هاســتينغز ماركهــام (1875-1876م).

(6) **اللــواء البحــري الســير جــون فرانكليــن Rear-Admiral Sir John Franklin** (16 أبريل 1786م- 11 يونيــو 1847م): ضابــط فــي البحريــة الملكيــة الإنجليزيــة ومستكشــف فــي القطــب الشــمالي. كذلــك شــغل فرانكليــن منصــب نائــب حاكــم فــان ديميــن لانــد (الآن تاســمانيا) مــن 1837 إلــى 1843م. اختفــى فــي مهمتــه الأخيــرة، فــي محاولتــه رســم والتنقــل فــي جــزء مــن الممــر الشــمالي الغربــي للقطــب الشــمالي الكنــدي. حوصــرت ســفنه بالجليــد، ولقــي أفــراد الطاقــم بكاملــه حتفهــم مــن الجــوع وانخفــاض حــرارة الجســم، والســل، والتسمم بالرصــاص، والأســقربوط.

(7) **جزيــرة بافــن Baffin**: تقــع فــي الأراضــي الكنديــة نونافــوت، وهــي أكبــر جزيــرة فــي كنــدا وخامــس أكبــر جزيــرة فــي العالــم. تبلــغ مســاحتها 507 451 كلــم2 (195928 ميــلاً مربعــاً). ســميت علــى اســم المستكشــف الإنجليــزي ويليــام بافيــن، ومــن المرجــح أنهــا كانــت معروفــة للمستكشــفين مــا قبــل كولومبــوس.

(8) **الســير فيليكــس بــوث، البارونيــت الأول Sir Felix Booth** (1775م- 24 ينايــر 1850م): مــن الرجــال الأغنيــاء الموســرين فــي إنجلتــرا، روّج للاستكشــاف فــي القطــب الشــمالي، ومــن ثــم قــام بالترويــج لاستكشــاف كنــدا.

(9) **شــبه جزيــرة بوثيــا Boothia Felix** (تســمى ســابقاً بوثيــا فيليكــس): شــبه جزيــرة كبيــرة فــي شــمال القطــب الشــمالي الكنــدي نونافــوت، جنــوب جزيــرة سومرســت.

(10) **الســير جيمــس كلارك روس Sir James Clark Ross** (15 أبريــل 1800م- 3 أبريــل 1862م): ضابط فــي البحريــة البريطانيــة، مُستعمر ومُستكشــف، قــام باستكشــاف القطــب الشــمالي مــع عمّــه الســير جــون روس والســير ويليــام بــاري، وعلــى وجــه الخصــوص بعثتــه الخاصــة إلــى أنتاركتيــكا.

(11) **الــرأس كيــب فرانكليــن Cape Franklin**: أرض فــي مقاطعــة نونافــوت الكنديــة، فــي الجــزء الأوســط مــن البــلاد، 3200 كلــم مــن العاصمــة أوتــاوا شــمال غــرب البــلاد. تجــدر الإشــارة إلــى أنــه توجــد أرض أخــرى بالاســم نفســه فــي غرينلانــد، ضمــن مملكــة الدانمــارك، تقــع فــي الجــزء الشــرقي مــن غرينلانــد، 1500 كلــم شــمال شــرق العاصمــة نــوك.

(12) **الرأس كيب أديلايد Cape Adelaide**: هو الرأس الذي يقع ضمن شبه جزيرة بوثيا.

(13) **نقطــة تورناغيــن، أو العــودة مجــدداً Turn-again**: لســانٌ بحــري وممــرّ مائــي فــي الجــزء

الشمالي الغربي من خليج ألاسكا، واحد من اثنين من الفروع الضيقة في الطرف الشمالي من مدخل كوك، وهو الآن ما يُعرف بشبه جزيرة (كنت Kent)، وهي شبه جزيرة كبيرة محاطة بالماء تماماً، في شمال القطب الشمالي شمال نونافوت، وأشار إليها المستكشفون الأوائل بنقط تورناغين.

(14) **السير جون ريتشاردسون Sir John Richardson** (5 نوفمبر 1787م- 5 يونيو 1865م): جرّاح اسكتلندي، عالم طبيعة ومُستكشف في القطب الشمالي، ولد في دومفريس، درس الطب في جامعة أدنبره، وأصبح جرّاحاً في البحرية العام 1807م. سافر مع جون فرانكلين بحثاً عن ممرّ الشمال الغربي على بعثة كوبيرمين (1819- 1822م). دوّن ريتشاردسون أقساماً عن الجيولوجيا، وعلم النبات، وعلم الأسماك، كبحوثٍ رسمية للبعثة.

(15) **فريدريك ويليام بيتشي Frederick William Beechey** (17 فبراير 1796م- 29 نوفمبر 1856م): مُستكشف ومُستعمر وضابط بحري وجغرافي إنجليزي، هو ابن السير ويليام بيتشي. ولد في لندن العام 1806م، التحق بالبحرية الملكية، وأبدى خدمةً نشطة خلال الحروب مع فرنسا وأمريكا. في العام 1818م، خدم تحت اللفتنانت وبعد ذلك السير، جون فرانكلين، في ديفيد بوشان، خلال حملة القطب الشمالي. شارك في مسح ساحل البحر المتوسط لأفريقيا، تحت إشراف الكابتن، وبعد ذلك الأميرال، وليام هنري سميث. قام هو وشقيقه هنري ويليام بيتشي بإجراء مسح برّي لهذا الساحل، ونشرا تقريراً كاملاً عن عملهما، وخصوصاً في الساحل الليبيّ، العام 1828م، تحت عنوان «وقائع الحملة لاستكشاف الساحل الشمالي لأفريقيا من شرق طرابلس» 1821-1822م.

(16) **رأس الجليد Icy Cape**: هو الرأس الذي يقع على جانب بحر تشوكشي، شمال المنحدر بور في ألاسكا - الولايات المتحدة الأمريكية. تم اكتشافه وتسميته من قبل جيمس كوك، في 17 أغسطس 1778م، بسبب الجليد الموجود على طول ساحله.

(17) **نقطة بارو Point Barrow** أو **نوفوك**: رأسٌ على ساحل القطب الشمالي في ولاية ألاسكا الأمريكية، على بعد 9 أميال (14 كلم) شمال شرق بارو، وهي النقطة الشمالية من جميع أراضي الولايات المتحدة الأمريكية.

(18) **توماس سيمبسون Thomas Simpson** (2 يوليو 1808م- 14 يونيو 1840م): مُستكشف ومُستعمر في القطب الشمالي، وكيل شركة خليج هدسون، وابن عم السير جورج سيمبسون. مات بشكلٍ غير طبيعي في ما يُعرف الآن بولاية مينيسوتا، حيث تزعم الروايات أنه انتحر بعدٍ أن قتل اثنين من رفاقه في البرية، إثر خلاف طويل بينه وبينهما.

(19) **نهر العودة The Back River** أو **نهر السمك العظيم Great Fish River**: نهرٌ في الأقاليم الشمالية الغربية من نونافوت- كندا، ينبع من بحيرةٍ لم يُكشف عن اسمها في منطقة الرقيق الشمالي في الأقاليم الشمالية الغربية، ويتدفق لأكثر من 974 كلم (605 أميال)

معظمها عبر منطقة كيفاليك- نونافوت، إلى مصبه في المحيط المتجمد الشمالي في منطقة كيتكميوت- نونافوت.

(20) **الأميرال السير جورج باك Admiral Sir George Back** (6 نوفمبر 1796م- 23 يونيو 1878م): ضابط في البحرية البريطانية، مُستكشف ومُستعمر في القطب الشمالي الكندي، عالم طبيعي، وفنان.

(21) **جيمس ويديل James Weddel** (24 أغسطس 1787م- 9 سبتمبر 1834م): بحار وملاح بريطاني، وصياد اشتهر بصيده حيوان الفقمة. أبحر في فبراير 1823م حتى وصل إلى خط عرض 74 ° S.15، وإلى منطقة من المحيط الجنوبي أصبحت تسمى في ما بعد باسمه «بحر ويديل».

(22) **شتلاند Shetlands**: كما تُدعى جزر شتلاند، وهي أرخبيلٌ شبه قطبي، يقع شمال شرق جزيرة بريطانيا العظمى، ويشكل جزءاً من اسكتلندا- المملكة المتحدة.

(23) **جون باليني John Balleny (ذكره المؤلف باسم بيلاني Bellany.. المُترجم)** (توفي 1857م): قبطان إنجليزي، صاحب سفينة «إليزا سكوت» لصيد حيتان، قاد رحلةً استكشافية لشركة صيد الحيتان التابعة للإنجليزي صمويل إندربي وأولاده، في القطب الجنوبي (1838-1839م). خلال هذه الحملة، أبحر باليني في المحيط الجنوبي عبر ممرّ على خطوط الطول المتمركزة على خط 175 درجة شرقاً، جنوب نيوزيلندا، حيث قام باكتشاف جزر بالي في فبراير 1839م.

(24) **جزيرة باكل Buckle Island**: واحدةٌ من الجزر الرئيسة الثلاث في مجموعة جزر باليي غير المأهولة، والواقعة في المحيط الجنوبي. تقع على بعد 25 كلم (16 ميلاً) شمال غرب جزيرة ستورج، و 8 كلم (5 أميال) جنوب شرق جزيرة يونغ، على بعد 110 كلم (68 ميلاً) شمال شرق نقطة بلوسوف على البرّ الرئيس في القطب الجنوبي. الجزيرة ثلاثية الشكل تقريباً، مع الساحل الشرقي والغربي الطويل، والساحل الشمالي القصير.

(25) **جولز سيباستيان سيزار دومون دي أورڤيل Jules Sébastien César Dumont d,Urville** (23 مايو 1790م- 8 مايو 1842م): مُستكشف ومُستعمر فرنسي، ضابط بحري وأدميرال، استكشف جنوب وغرب المحيط الهادئ، أستراليا ونيوزيلندا وأنتاركتيكا. وباعتباره عالم نبات ورسام خرائط، ترك بصمته وأعطى اسمه للعديد من الأعشاب البحرية والنباتات والشجيرات والأماكن، مثل جزيرة دورڤيل.

(26) **تشارلز ويلكس Charles Wilkes** (3 أبريل 1798م- 8 فبراير 1877م): ضابط بحرية أمريكي، قبطان سفينة، مُستكشف ومُستعمر. قاد حملة الولايات المتحدة الأمريكية للاستكشاف، خلال الأعوام 1838-1842م، وهو قائد إحدى السفن في مسألة «ترينت» خلال الحرب الأهلية الأمريكية (1861-1865م)، قام خلالها بمهاجمة سفينة البريد الملكي، ما أدى إلى اندلاع الحرب بين الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة.

(27) **ڤيكتوريا لاند Victoria Land**: منطقة من القارة القطبية الجنوبية، تواجه الجانب الغربي من بحر روس، والجرف الجليدي روس، وتمتد جنوباً من حوالي (70.30°- 78°)، ومن الغرب من بحر روس إلى حافة هضبة القطب الجنوبي. تمّ اكتشافها من قبل النقيب جيمس كلارك روس، في يناير 1841م، وسمّيت باسم الملكة البريطانية فيكتوريا.

(28) **كارستن إغيبيرغ بورشغريڤينك Carsten Egeberg Borchgrevink** (1 ديسمبر 1864م- 21 أبريل 1934م): مُستكشف ومُستعمر قطبي، أنجلو نرويجي، ورائد في الترحال الحديث في أنتاركتيكا. في الفترة من 1898-1900م، قاد البعثة الصليبية الجنوبية المموّلة من بريطانيا، والتي أنشأت رقماً قياسياً جديداً في جنوب الولايات المتحدة الأمريكية عند (78°-50°).

(29) **قناة ويلينغتون Wellington Channel** (ينبغي عدم الخلط بينها وبين مضيق ويلينغتون): هي عبارة عن ممرّ مائي طبيعي عبر أرخبيل القطب الشمالي الكندي في منطقة كيكتالوك- نونافوت.

(30) **جون راي John Rae** (30 سبتمبر 1813م- 22 يوليو 1893م): جرّاح ومُستكشف اسكتلندي، اكتشف أجزاءً من شمال كندا، وجد الجزء الأخير من الممرّ الشمالي الغربي المسمّى باسمه «مضيق راي»، وأبلغ عن مصير حملة فرانكلين. في الفترة 1846-1847م، استكشف خليج بوثيا شمال غرب خليج هدسون؛ وفي الفترة 1848-1851م، قام باستكشاف ساحل القطب الشمالي بالقرب من جزيرة فيكتوريا. في العام 1854م ذهب من بوثيا إلى الساحل المتجمد الشمالي، وعرف مصير فرانكلين. لوحظت لديه القدرة على التحمّل الجسدي، والمهارة في الصيد ومعالجة القوارب، واستخدام الأساليب المحلية، والقدرة على السفر لمسافاتٍ طويلة مع القليل من المعدات، أثناء العيش بعيداً عن اليابسة.

(31) **رأس كيب ريبولز Cape Repulse**: المعروف حتى الآن كخليج ريبولز، وهو قرية إنويت على ضفاف خليج هدسون، في منطقة كيفاليك في نونافوت- كندا.

(32) **فرانسيس روون مويرا كروزييه Francis Rawdon Moira Crozier** (16 أغسطس 1796م- اختفى في 26 أبريل 1848م): ضابط في البحرية البريطانية، شارك في ستّ حملات استكشافية إلى القطب الشمالي والقطب الجنوبي. ولد في بانبريدج- إيرلندا الشمالية، مقاطعة داون، وكان اسمه على اسم صديق والده فرانسيس راودون.

(33) **الأدميرال السير فرانسيس ليوبولد مكلينتوك Admiral Sir Francis Leopold McClintock** (8 يوليو 1819م- 17 نوفمبر 1907م): مُستكشف ومُستعمر، وأدميرال إيرلندي في البحرية الملكية البريطانية، معروفٌ باكتشافاته في أرخبيل القطب الشمالي الكندي.

(34) **خليج بيلي Pelly Bay**: ممرّ مائي في القطب الشمالي، منطقة كيتكميوت، نونافوت- كندا، يقع في خليج بوثيا، وتحدّه من الشرق شبه جزيرة سيمبسون؛ كما تقع جزيرة

هيلين في هذا الخليج.

(35) **فريدريك غوستافوس شواتكا Frederick Gustavus Schwatka** (29 أيلول/ سبتمبر 1849م- 2 تشرين الثاني/ نوفمبر 1892م): ملازم في الجيش الأمريكي، حائز على شهادات في الطب والقانون، مُستكشف ومُستعمر معروف في شمال كندا وألاسكا. تشتمل منشورات شواتكا على كتابٍ مطول عن نهر ألاسكا العظيم (1885م) ورحلة البحث عن فرانكلين (1882م)، أعيد نشره في العام 1965م باسم «البحث الطويل في القطب الشمالي».

(36) **السير ريتشارد كولينسون Sir Richard Collinson** (7 نوفمبر 1811- 13 سبتمبر 1883م): ضابط في البحرية الإنجليزية، ومستكشف الممر الشمالي الغربي.

(37) **مضيق باري Parry Sound**: أو خليج جورجيان على بحيرة هورون، في أونتاريو- كندا، غير منتظم الشكل مع العديد من الخلجان العميقة والجزر.

(38) **الأمير ألبرت Prince Albert**: ثالث أكبر مدينة في ساسكاتشوان- كندا، بعد ساسكاتون وريجينا، تقع بالقرب من وسط المحافظة على ضفاف نهر ساسكاتشيوان الشمالية، والمعروف أن المدينة تسمّى باسم «بوابة الشمال»، لأنها هي المركز الرئيس الأخير على طول الطريق إلى موارد شمال ساسكاتشوان.

(39) **مضيق الدولفين Dolphin**، أو **مضيق الاتحاد Union**: يقع في كلٍّ من الأقاليم الشمالية الغربية ونونافوت- كندا، بين البرّ الرئيس وجزيرة ڤيكتوريا. يربط خليج أموندسن بخليج التتويج، وتتميز الجهة الجنوبية الشرقية منه بخليج أوستن. حصل على اسمه من أحد القاربين المستخدمين من قبل جون ريتشاردسون الذي استكشفه لأول مرة في العام 1826م.

(40) **خليج كامبردج Cambridge Bay**: يقع في قريةٍ على جزيرة ڤيكتوريا في منطقة كيتيكمويت، نونافوت- كندا، سمّي على اسم الأمير أدولفوس، دوق كامبريدج، في حين أن الاسم التقليدي للخليج كان «إكالوكتوتياك»، أي «المكان الجيد للصيد».

(41) **الأدميرال السير إدوارد بلتشر Admiral Sir Edward Belcher** (27 فبراير 1799م- 18 مارس 1877م): ضابط في البحرية البريطانية، هيدروغرافي ومُستكشف ومُستعمر وقائد شرطة كولومبيا. ولد في نوڤا سكوتيا، وهو حفيد الحاكم جوناثان بلتشر.

(42) **مضيق بيل Peel Sound**: ممرّ مائي في القطب الشمالي في كيكتالوك، نونافوت- كندا، يفصل جزيرة سومرست في الشرق عن جزيرة أمير ويلز في الغرب، وينفتح من الشمال على قناة باري، في حين تندمج نهايته الجنوبية مع مضيق فرانكلين.

(43) **الملازم ويليام روبيرت هوبسونLieutenant William Robert Hobson** (1831- 1880م): مُستكشف وضابط بحرية إنجليزي، التحق بالبحرية في العام 1845م، وعيّن

لقيادة السفينة «راتليسنيك» للبحث عن بعثة فرانكلين المفقودة.

(44) **الأدميرال السير إدوارد أوغسطس إنغلفيلد Admiral Sir Edward Augustus Inglefield** (27 مارس 1820م– 4 سبتمبر 1894م): ضابط البحرية الملكية الذي قاد إحدى عمليات البحث عن جون فرانكلين، المستكشف المفقود في القطب الشمالي، خلال العام 1850م. وأثناء ذلك، رسمت حملته مناطق غير مستكشفة سابقاً على طول الساحل الشمالي الكندي، بما في ذلك خليج بافن، ومضيق سميث ومضيق لانكستر؛ وكان أيضاً مخترعاً لمعدّات التوجيه الهيدروليكي البحرية ومصمّم مرساةٍ تحمل اسمه.

(45) **إليشا كينت كين Elisha Kent Kane** (28 فبراير 1820م– 16 فبراير 1857م): مُستكشف أمريكي، وطبيب في البحرية الأمريكية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. كان عضواً في بعثتين إلى القطب الشمالي لإنقاذ المستكشف السير جون فرانكلين، كما كان حاضراً في اكتشاف مخيم فرانكلين الأول في فصل الشتاء، لكنه لم يكتشف ما حدث للبعثة المنكوبة.

(46) **هنري غرينيل Henry Grinnell** (18 فبراير 1799م– 30 يونيو 1874م): تاجر أمريكي، متبرع ومحسن ومموّل.

(47) **جورج بيبودي George Peabody** (18 فبراير 1795م– 4 نوفمبر 1869م): مموّل أمريكي بريطاني، يعتبر على نطاقٍ واسع بأنه «والد العمل الخيري الحديث».

(48) **أرض غرينيل Grinnell Land**: هي القسم المركزي من جزيرة إلزمر، في الجزء الشمالي من إقليم نونافوت– كندا، جرت تسميتها على اسم المموّل هنري غرينيل، وهو من كبار التجار في نيويورك، ساعد في خمسينيات القرن التاسع عشر بتمويل حملتين بحثاً عن رحلة فرانكلين المفقودة.

(49) **إسحاق إسرائيل هايز Isaac Israel Hayes** (5 مارس 1832م– 17 ديسمبر 1881م): طبيب أمريكي، ومُستكشف في القطب الشمالي، سعى إلى إثبات وجود البحار المفتوحة حول القطب الشمالي. بعد حصوله على الدكتوراة من جامعة بنسلفانيا (1853م)، تطوّع هايز للعمل كجرّاح مع بعثة كين في القطب الشمالي، والتي كانت تخطط للبحث عن السير جون فرانكلين، حيث قام في مايو 1854م باستكشاف المنطقة المعروفة باسم «غرينيل لاند»، ولقد أصبحت محاولته للوصول إلى الساحل الغربي لغرينلاند في أوبرنافيك (أغسطس 1854م) موضوع كتابه «رحلة القوارب القطبية الشمالية» (1860م).

(50) **الأدميرال السير جورج سترونغ ناريس George Strong Nares** (24 أبريل 1831م– 15 يناير 1915م): ضابط في البحرية البريطانية، مُستكشف ومُستعمر في القطب الشمالي، وهو قائد أول سفينة تمرّ عبر قناة السويس، وقائد بعثة تشالنجر والبعثة القطبية البريطانية.

(51) **الأميـرال بيلهـام ألدريتـش Pelham Aldrich** (8 ديسـمبر 1844م- 12 نوفمبـر 1930م): مُستكشـف وضابـط فـي البحريـة الاستكشـافية. دخـل البحريـة الملكيـة فـي يونيـو 1859م، وتمّـت ترقيتـه إلـى مـلازم فرعـي، وأصبـح الأدميـرال المشـرف علـى أحـواض بورتسـموث.

(52) **يوليـوس جوهانـس لودوڤيكـوس بايـر Julius Johannes Ludovicus Payer** (2 سـبتمبر 1841م- 29 أغسـطس 1915م): كان ضابطـاً فـي الجيـش النمسـاوي المجـري، ومُتسـلق جبـال، ومُستكشـفاً فـي القطـب الشـمالي، ورسـام خرائـط، وفنانـاً للمناظـر الطبيعية، وأسـتاذاً فـي الأكاديميـة العسـكرية.

(53) **كارل ويبريشـت Karl Weyprecht** (8 سـبتمبر 1838م- 2 مـارس 1881م): مُستكشـف نمسـاوي مجـري. كان ضابطـاً فـي البحريـة النمسـاوية المجريـة، وهـو الأكثـر شـهرةً كمستكشـفٍ فـي القطـب الشـمالي، وداعيـةٍ للتعـاون الدولـي للاستكشـاف العلمـي للقطـب، بالرغـم مـن أنـه لـم يعـش حتـى يـرى حـدوث ذلـك واقعـاً.

(54) **فرانشـيس جوزيـف الأول** أو **فرانـز جوزيـف الأول Franz Josef** (18 أغسـطس 1830م- 21 نوفمبـر 1916م) : إمبراطـور النمسـا وملـك المجـر، كان أيضـاً رئيسـاً للاتحـاد الكونفدرالـي الألمانـي. كان الإمبراطـور الـذي حكـم النمسـا و المجـر لأطـول فتـرة، وثالـث ملـك حكـم لأطـول فتـرة فـي أي بلـد فـي التاريـخ الأوروبـي، بعـد لويـس الرابـع عشـر فـي فرنسـا، ويوهـان الثانـي فـي ليختنشـتاين.

(55) **نهـر ينيسـي Yenesei**: أكبـر نهـر يتدفـق إلـى المحيـط المتجمـد الشـمالي، وهـو مركـز الأنهار الثلاثـة الكبـرى فـي سـيبيريا، والتـي تتدفـق إلـى المحيـط المتجمـد الشـمالي (النهـران الآخـران همـا نهـرا أوب و لينـا)؛ ويـزداد النهـر ارتفاعـاً فـي منغوليـا، ويتبـع مسـار الشـمال إلـى خليـج ينيسـي فـي بحـر كارا.

(56) **القبطـان جوزيـف ويغينـز Joseph Wiggins** (3 سـبتمبر 1832م- 13 سـبتمبر 1905م): بحـار إنجليـزي، ولـد فـي نورويتـش، مـن عائلـة مـن مشـغلي مايلكـواش، ونجـح بمهنتـه كقبطـان بحـري، مـن خـلال الاسـتفادة مـن جـزء مـن الطريـق البحـري الشـمالي إلـى سـيبيريا. كان رائـداً فـي إثبـات إمكانيـة تطبيـق العلاقـات التجاريـة عـن طريـق البحـر بيـن بلـدان بحـر الشـمال والجـزء الشـمالي مـن سـيبيريا. وبـدءاً مـن رحلتـه فـي العـام 1874م، وصـل مرتيـن إلـى نهـر أوب، ونقـل خمـس مـرات شـحناتٍ إلـى نهـر ينيسـي، كمـا سـهل إنشـاء خـط سـكة الحديـد عبـر سـيبيريا، عـن طريـق حملـه إلـى ذلـك البلـد شـحنةً كبيـرة مـن القضبـان. جـرى تكريمـه مـن قبـل القيصـر، تقديـراً لعملـه الرائـد الـذي وصفـه البـارون نوردنسـكيولد بأنـه «حـدثٌ منافـس، إثـر عـودة الأسـطول الأول محمّـلاً بالبضائـع مـن الهنـد». فـي العـام 1894م حصـل علـى جائـزة مورشيسـون، مـن قبـل الجمعيـة الجغرافيـة الملكيـة. وفـي العـام 2016م، أفـادت الأنبـاء بأنـه تـم اكتشـاف حطـام سـفينة التايمـز البخاريـة التـي قـام ويغينـز علـى متنهـا بحملتـه إلـى نهـر ينيسـي، فـي العـام 1876م، وكانـت قـد غرقـت هنـاك فـي العـام 1878م.

(57) **كيــب تشيليوســكين Cape Chelyuskin**: النقطــة الشــمالية للقــارة الأوراســية، والنقطــة الأقصــى فــي شــمال البرّ الرئيــس لروســيا. يقــع هــذا الــرأس فــي طــرف شــبه جزيــرة تيميــر، جنــوب أرخبيــل ســيفرنايا زيمليــا، فــي كراسنويارســك كــراي- روســيا.

(58) **كيــب نــورث Cape North**: هــو رأسٌ يقــع فــي جورجيــا الجنوبيــة، بالقــرب مــن الطــرف الغربــي مــن الجزيــرة. تــمّ اعتمــاد هــذا الاســم للمــرة الأولــى علــى الطــرف الشــمالي الغربــي مــن جورجيــا الجنوبيــة، علــى خريطــة الكابتــن جيمــس كــوك، فــي العــام 1775م.

(59) **أدولفــوس واشــنطن غريلــي Adolphus Washington Greely** (27 مــارس 1844م- 20 أكتوبــر 1935م): أحــد المُستكشــفين القطبييــن الأمريكييــن، وهــو ضابــط فــي جيــش الولايــات المتحــدة الأمريكيــة، وحاصــل علــى وســام الشــرف.

(60) **جيمــس بــوث لوكــوود James Booth Lockwood** (9 أكتوبــر 1852م- 9 أبريــل 1884م): مُستكشــف للقطــب الشــمالي، توفــي فــي بعثــة الســيدة فرانكليــن بــاي المشــؤومة. ولــد لوكــوود فــي أنابوليــس- ولايــة ميريلانــد، وهــو ابــن الجنــرال هنــري هايــز لوكــوود وزوجتــه آنــا، وعيّــن ملازمــاً ثانيــاً فــي الجيــش الأمريكــي، العــام 1873م. فــي العــام 1881م، دخــل لوكــوود فــي بعثــة خليــج لــي فرانكليــن، تحــت قيــادة أدولفــس دبليــو غريلــي، كقائــدٍ فــي مقدمــة البعثــة. وخــلال هــذه الحملــة التي اســتمرت ثــلاث ســنوات، قــاد لوكــوود رحلــةً مــع ديفيــد ليــج برينــارد، إلــى جزيــرة مــاري مــوراي، قبالــة شــمال غرينلانــد، علــى خــط عــرض 83 ° 24، 30»، وبالتالــي كســر الرقــم القياســي لمعظــم النقــاط الشــمالية فــي العــام 1883م، عبــر غرانــت لانــد، ووصــل إلــى الشــاطئ الغربــي لجزيــرة إلزمــر، وتوفــي فــي كيــب ســابين- كنــدا، فــي أبريــل 1884م، جنبــاً إلــى جنــب مــع العديــد مــن أعضــاء الفريــق الآخريــن، قبــل أن تصلهــم نجــدة الإنقــاذ فــي 22 يونيــو مــن ذلــك العــام.

(61) **فريدجــوف نانســن Fridtjof Nansen** (10 تشــرين الأول/ أكتوبــر 1861م- 13 أيــار/ مايــو 1930م): مُستكشــف نرويجــي، عالــم ودبلوماســي وأديــب، حائــز علــى جائــزة نوبــل للســلام. فــي شــبابه كان بطــلاً للتزلــج علــى الجليــد. قــاد الفريــق الــذي قــام بــأول عبــور داخــل غرينلانــد فــي العــام 1888م، وعَبَــرَ الجزيــرة علــى الزلاجــات. حصــل علــى الشــهرة العالميــة بعــد تســجيله رقمــاً قياســياً شــمالياً هــو 86 ، 14ْ . بالرغــم مــن أنــه تقاعــد عــن الاستكشــاف، بعــد عودتــه إلــى النرويــج، فــإنّ تقنياتــه فــي الرحــلات القطبيــة، وابتكاراتــه فــي المعــدات والملابــس، أثــرت علــى جيــلٍ مــن البعثــات إلــى القطــب الجنوبــي لاحقــاً.

(62) **روبــرت إدويــن بيــري Robert Edwin Peary** (6 مايو 1856م- 20 فبراير 1920م): المُستكشــف الأمريكــي الــذي ادعــى أنــه قــد وصــل إلــى القطــب الشــمالي الجغرافــي، مــع حملتــه فــي 6 أبريــل 1909م. وكان ادعــاء بيــري قــد حظــي بالتفضيــل علــى نطــاقٍ واســع خــلال معظــم القــرن العشــرين، عــن الادعــاء المنافــس الــذي كتبــه فريدريــك كــوك الــذي قــال إنــه وصــل إلــى هنــاك قبــل عــام. وقــد نوقــش الادعــاءان علــى نطــاقٍ واســع فــي الصحــف، حتــى العــام 1913م.

(63) **السـفينة فـرام Fram**: سـفينةٌ كانـت تسـتخدم فـي حمـلات المناطـق القطبيـة الشـمالية والقطـب الجنوبـي، مـن قبـل المستكشـفين النرويجييـن فريدتجـوف نانسـن وأوتـو سـفيردروب وأوسـكار ويسـتنغ وروالـد أموندسـن، بيـن العاميـن 1893 و 1912م، صمّمهـا وبناهـا الكاتـب الاسـكتلندي النرويجـي كوليـن آرتشـر لرحلـة فريدتجـوف نانسـن 1893م إلـى القطـب الشـمالي، بحيـث تكـون مقاومـة للصفائـح الجليديـة فـي القطـب الشـمالي. يقـال إن فـرام أبحـرت شـمالاً (85 ° 57،N) وأبعـد جنوبـاً (78 ° 41،S) أكثـر مـن أيّ سـفينةٍ خشـبية أخـرى. اليـوم يتـم الاحتفـاظ بـ فـرام لـدى متحـف فـرام فـي أوسـلو- النرويـج.

(64) **فريدريـك جـورج جاكسـون Frederick George Jackson** (6 مـارس 1860م- 13 مـارس 1938م): مُستكشـف إنجليـزي فـي القطـب الشـمالي، ذكـر فـي بعثتـه إلـى فرانـز جوزيـف لانـد أنـه تقابـل مـع المستكشـف النرويجـي المفقـود فريدجـوف نانسـن. ولـد مـن الأبويـن جـورج فريدريـك ومـاري إليزابيـث جاكسـون، فـي ألسـتر لـودج، ألسـتر وارويكشـاير- إنجلتـرا، وتلقـى تعليمـه بكليـة دينسـتون فـي ستافوردشـاير، وجامعـة إدنبـره. كانـت رحلتـه الأولـى فـي الميـاه القطبيـة الشـمالية علـى متـن سـفينة صيـد الحيتـان «وايـندوارد» فـي العاميـن 1886-1887م، وفـي العـام 1893م، قـام برحلـةٍ علـى مسـافة 3000 ميـل عبـر التنـدرا المجمـدة مـن سـيبيريا بيـن أوب وبيكـورا. نشـرت روايتـه لهـذه الرحلـة تحـت عنـوان «**الأراضـي المتجمـدة الكبـرى**» العـام 1895م.

(65) **سـالومون أوغسـت آندريـه Salomon August Andrée** (18 أكتوبـر 1854م- أكتوبر 1897م): مهنـدس سـويدي، فيزيائـي واستكشـافي طيـار للقطـب، توفـي أثنـاء قيادتـه محاولـة الوصـول إلـى القطـب الجغرافـي علـى متـن منطـادٍ يعمـل بالهيدروجيـن، ولـم تنجـح حملـة البالـون فـي الوصـول إلـى القطـب، بـل أسـفرت عـن مقتـل جميـع المشـاركين الثلاثـة فيهـا.

الفهارس

الأعلام

الأماكن

الأنهار والبحار والمحيطات

الأمم والشعوب

اللغات

الحروب والنزاعات

الأشجار والنباتات

المصطلحات

الحيوانات

الأرخبيلات والجزر

قائمة الخرائط
والرسوم التوضيحية



معطـف وأسـلحة «ديـل كانـو»، مـن المرجـع: .from Guillemard, Magellan By kind permission of Messrs. Phillips**.** كمـا يوضـح هـذا المرجـع الأهمّيـة التـي تُعـزى إلـى جـزر التوابـل، باعتبارهـا الهـدف الرئيـس مـن رحلـة «ماجـلان». انظـر blazon ص 129 -30.

أوّل خريطـة للعالـم، مـن المرجـع: C.J.Ball's Bible Illustrations, 1898. لعلهـا ترجـع إلـى القـرن الثامـن قبـل الميـلاد، وهـي تشـير إلـى وجهـة نظـر البابلييـن للعالم المحـاط بالمحيطـات، والتـي أشـارت إليهـا الدوائـر الموازيـة، واجتيـاز الفـرات لها، حيـث تُظهـر انحرافـه مـن الوسـط، مـع مدينـة بابـل العظيمـة، وعبـوره فـي أعلاهـا. مـا وراء المحيـط سـبعة إسـقاطات متتالية مـن الأرض، قـد تشـير إلـى المعرفـة البابليـة عـن البلـدان المحيطـة خـارج يوكسـين والبحـر الأحمـر.

العالـم وفقـاً لبطليمـوس: ويلاحـظ أنّ الجغرافـي اليونانـي «بطليمـوس» يعتبـر أنّ المحيـط الهنـدي هيئـةٌ غيـر سـاحلية مـن الميـاه، فـي حيـن يبـدو أنّ لديـه بعـض المعرفـة مـن هـذا القبيـل عـن النيـل. الاتجـاه العـام للخريطـة هـو امتـداد آسـيا كثيـراً نحـو الشـرق، فـأدّى سـوء التقديـر إلـى تشـجيع «كولومبـوس» علـى اكتشـاف أمريـكا.

الطـرق الرومانيـة فـي أوروبـا: (رُسِـمت خصيصـاً لهـذا المؤلـف)، وهـي تُظهـر تقريبـاً أنّ معرفـة القدمـاء للحـدود الجغرافيـة تصـل إلـى بعـض درجـات الدقّـة.

الوحـوش الجغرافيـة: مـن الطبعـة المبكـرة للمرجـع Mandeville's Travels.كانـت معظـم الخرائـط فـي العصـور الوسـطى مرصّعـةً بصـورٍ لوحـوشٍ غريبـة.

خريطـة هيرفـورد: واحـدة مـن أكثرهـا شـهرةً فـي خرائـط العصـور الوسـطى، وقـد رسـمها «ريتشـارد ألدينغهـام» حوالـي العـام 1307م. مثـل معظـم هـذه الخرائط، يظهـر الشـرق مـع الجنّـة الأرضيـة فـي الأعلـى، والقـدس ممثلـةً بمركزهـا.

جدول بيوتينجر، الجزء الغربي: هذه هي الخريطة الرومانية الوحيدة الموجودة؛ وهي توضح خطوط الطرق للشواطئ الشرقية لبريطانيا إلى البحر الأدرياتيكي. والحقيقة أنها نوعٌ مأخوذ من وجهة نظر عيون الطيور من الساحل الأفريقي، إذ يمتدّ البحر الأبيض المتوسط على شكل شريطٍ رقيق من خلال الجزء السفلي من الخريطة، والقسم السفلي ينضمّ إلى الأعلى.

العالم وفقاً لابن حوقل؛ من المرجع: Lelewel, Géographie du mon age. هذه الخريطة- مثل معظم الخرائط العربية- يظهر فيها الجنوب في الأعلى، وهي مخططٌ عمليّ فقط، وبالتالي فهي مماثلة لخريطة «هيرفورد» بشكلٍ عام. Misr= Egypt, Fars= Persia, Andalus= Spain.

الخط الساحلي للبحر الأبيض المتوسط؛ من المرجع: from the Portulano of Dulcert, 1339, given in Nordenskiold's Facsimile Atlas. لتوضيح الدقّة التي أعطتها مخططات البحّارة للخطوط الساحلية، على النقيض من التمثيل الرمزيّ الوحيد للخرائط المتوسطة الأخرى.

خريطة «فرا ماورو»- 1457م. من المرجع: from Lelewel, loc. Cit. هنا- كالمعتاد- يتمّ وضع الجنوب في الجزء العلويّ من الخريطة. وإلى جانب المفاهيم العادية في القرون الوسطى، شملت «فرا ماورو» الاكتشافات البرتغالية على طول ساحل أفريقيا، حتى تاريخ 1457م.

الكشوفات البرتغالية في أفريقيا؛ من المرجع: from E.J.Payne, European Colonies, 1877. إعطاء النقاط المتعاقبة التي توصّل إليها الملاحون البرتغاليون خلال القرن الخامس عشر.

جزر الهند البرتغالية؛ من المرجع: from Payne, loc. Cit.، وقد احتفظ البرتغاليون بجميع الموانئ المذكورة في النمط العادي، في القرن السادس عشر.

خريطة «توسكانيلي»؛ من المرجع: from Kretschmer, Entdeckung Amerikas, 1892، هي إعادة بناءٍ للخريطة التي حصل عليها «كولومبوس»، من قبل الفلكي الإيطالي ورسّام الخرائط «توسكانيللي»، وقد استخدمها لتوجيهه في رحلته عبر المحيط الأطلسي؛ وستتمّ ملاحظة تشابهها العام مع خريطة «بيهيم غلوب».

كـرة «بيهيـم»: تعطـي المعلومـات حـول العالـم، فـي العـام 1492م، تماماً كمـا كان «كولومبـوس» قـد بـدأ بهـا، وتسـتند أساسـاً إلـى خريطـة «توسـكانيلي» التـي كانـت بمثابـة دليـلٍ لهـا. ويُلاحـظ أنّـه لا توجـد قـارّةٌ أخـرى بيـن إسـبانيا وزيبانغـو أو اليابـان، فـي حيـن تمثّـل الجزيرتـان الأسـطوريتان، سـانت برانـدان وأنتيليـا، سـدّ الفجـوة بيـن جـزر الأزور واليابـان.

«أمريكـو فيسبوتشـي»؛ مـن المرجـع: from Fiske's School History of the United States, by kind permission of Messrs. Houghton, Mifflin, & Co

«فردينانـد ماجـلان»؛ مـن المرجـع: from Fiske's School History of the United States, by kind permission of Messrs. Houghton, Mifflin, & Co

خريطـة العالـم: مـن طبعـة «بطليمـوس» للعـام 1548 م، ويُلاحـظ أنّه مـن المفترض أن تنضـمّ المكسـيك إلـى آسـيا، وأنّ منطقـة شـمال المحيـط الهـادئ لـم تكـن معروفـةً حتى ذلـك التاريـخ. after Kretschmer's Entdeckungsgeschichte Amerikas.

آسـيا الروسـية: بعـد الأطلـس الـذي نشـرته الأكاديميـة الروسـية للعلـوم، فـي العـام 1737 م، تتمثّـل اليابـان فـي شـبه جزيـرة by kind permission of Messrs. Hachette.

أسـتراليا كمـا هي معروفة في العـام 1745م، مـن المرجـع: from D'Anville's Atlas, by kind permission of Messrs.Hachette، وسـيُنظر إلـى أنّ السـواحل الشـمالية والغربيـة، حتـى ذاك الوقـت، كان قـد تـمّ تحديدهـا بشـكلٍ جيّـد، ولـم يتبـقَّ سـوى استكشـاف السـاحل الشـرقي، مـن قبـل «القبطـان كـوك».

أسـتراليا: عـرض مسـارات الاستكشـاف (تـمّ إعـداده خصيصـاً لهـذا الكتـاب)، وتـرد أسـماء كبـار المستكشـفين فـي أعلـى الخريطـة.

أفريقيـا كمـا هـي معروفـةٌ فـي العـام 1676م: (مـن أطلـس دابـر) وهـذا يشـمل معرفـة معظـم البحيـرات الرمليـة للنهـر الأفريقـي، نتيجـة استكشـافات البرتغالييـن.

أفريقيـا: (تـمّ إعـداده خصيصـاً لهـذا الكتـاب، لإظهـار الاستكشـافات الرئيسـة والتقسـيم)، وتـرد أسـماء المستكشـفين علـى سـطح الخريطـة نفسـها.

المناطـق الشـمالية القطبيـة، نصـف الغربيـة: (أُعـدّ خصيصـاً لهـذا الكتـاب مـن الأطلـس الوطنـي، بعـد طلـب الإذن مـن السـادة «بارثولوميـو»)، وهـذا يعطـي

نتائـج الاكتشـافات، بفضـل بعثـات «فرانكليـن»، ومعظـم الباحثيـن، بعـد الممـرّات الشـمالية الغربيـة.

المناطـق القطبيـة الشـمالية، النصـف الشـرقي: هـذا يغطـي سـاحل سـيبيريا الـذي تــمّ تفتيشــه مــن قبــل الــروس و«نوردنســكيولد»، وكذلــك «نانســن» فــي أقصــى الشــمال.

سـلّم القطـب الشـمالي: (تـمّ إعـداده خصيصـاً لهـذا الكتـاب)، ويُقـدّم فـي شـكلٍ بيانـي أسـماء كبـار المسـافرين فـي القطـب الشـمالي وخـط العـرض N الـذي تـمّ التوصـل إليـه مـن قبـل «جـون ديفيـس» (1587م)، إلـى «نانسـن» (1895م).

حوليات الاستكشاف

قبل الميلاد:

حوالي 600: تأسست مرسيليا.

570:«أناكسيماندر»، من مدينة ميليتس، يخترع الخرائط وعقرب ساعة الشمس.

501:«هيكاتايوس»، من مدينة ميليتس، يكتب الجغرافيا الأولى.

450: يقول «هيميلكو» أن «القرطاجيين زاروا بريتانيا».

446:«هيرودوت» يصف مصر وسكيثيا.

حوالي 450:«هانو القرطاجي» يُبحر على طول الساحل الغربيّ لأفريقيا، وصولاً إلى سيراليون.

حوالي 333:«باثياس» يزور بريتانيا والبلدان السفلية.

332:«ألكسندر» يغزو بلاد فارس ويزور الهند.

330:«نيرتشوس» يُبحر من نهر السند إلى الخليج العربي.

حوالي 300:«ميغاسثينس» يصف البنجاب.

حوالي 200:«إراتوسثينس» يؤسس الجغرافيا العلمية.

100:«مارينوس الصُّوريّ» يؤسس الجغرافيا الرياضية.

60- 54:«قيصر» يغزو غالة، ويزور بريتانيا وسويسرا وألمانيا.

20:«سترابو» يصف الإمبراطورية الرومانية، ويذكر ثول وآيرلندا للمرة الأولى.

12:«أغريبا» يقوم بتصنيف خريطة «موندي» التي هي أساس كلّ النجاحات الكشفية.

بعد الميلاد:

150:«بطليموس» ينشر جغرافيته.

230: جدولة صور الطرق الرومانية على خريطة «بيوتينجر».

400- 414: ترحال «فاهين» عبر أفغانستان والهند ووصفه لها.

499:«هوي سين» يتحدّث عن زيارته إلى مملكة «فو سانغ»، حوالي 20,000 فيرلنغ، شرق الصين التي حدّدها البعض بكاليفورنيا.

518-521:«هوي سينغ» و«سونغ يون» يقومان بزيارة البامير والبنجاب ووصفهما.

540:«كوزماس إنديكوبلوستس» يزور الهند، ويعارض فكرة كروية الأرض.

629- 646:«هيوين تشانغ» يسافر عبر تركستان، أفغانستان، الهند، وباميرس.

671- 695:«آي تسنغ» يسافر عبر جاوة وسومطرة والهند، ويقوم بوصفها.

776: خريطة «مابا موندي» من بيتوس.

851- 916:«سليمان وأبو زيد» يقومان بزيارة الصين.

861:«نادود» يكتشف أيسلندا.

884:«ابن خرداذبة» يصف الطرق التجارية بين أوروبا وآسيا.

حوالي 890: «وولفستان» و«أهير» يُبحران إلى بحر البلطيق والرأس الشمالي.

حوالي 900:«غونبيرون» يكتشف غرينلاند.

912- 930: الجغرافي «المسعودي» يصف ديار الإسلام، من إسبانيا إلى الهند، في كتابه «مروج الذهب».

921:«أحمد بن فضلان» يصف بلاد الروس.

969:«ابن حوقل» يؤلّف كتابه عن الطرق.

985:«إريك الأحمر» يستعمر غرينلاند.

حوالي 1000:«ليف»، ابن «إريك الأحمر»، يكتشف نيوفاوندلاند (هيلولاند)، نوفا سكوتيا (ماركلاند)، والبرّ الرئيس لأمريكا الشمالية (فينلاند).

1111: أوّل استخدامٍ للبوصلة المائية من قبل الصينيين.

1154:«الإدريسي»، جغرافيّ الملك «روجر الثاني»، ملك صقلية، ينتج جغرافيته.

1159- 1173: الحاخام «بنيامين»، من توديلا، يزور الخليج العربي، ويذكر الهند.

حوالي 1180: البوصلة الأولى التي ذكرها «ألكسندر نيكام».

1255:«ويليام رويسبروك» (روبروكيس)، وهو فلمنكيّ الأصل، يزور كاراكورم.

1260- 1271: الأخـوان «نيكولـو ومافيـو بولـو»، وهمـا والـد وعـمّ «ماركـو بولـو»، يقومان بـأوّل مشـروعٍ تجـاريّ مـن خلال آسـيا الوسـطى.

1271- 1295: الأخـوان «نيكولـو ومافيـو بولـو» يقومـان بالرحلـة الثانيـة، يرافقهمـا «ماركـو بولـو»، ويصلـون إلـى بـلاط «قوبـلاي خـان» فـي شـانغفو، حوالـي العـام 1275م، حيـث أوكلـت إلـى «ماركـو بولـو» بعثـاتٌ عـدّة إلـى كوشـين- الصيـن، وخنباليـج (بيكيـن) والبحـار الهنديـة.

1280: خريطة هيرفورد لـ «ريتشارد هالدينغهام».

1284: إبستورف «مابا موندي».

قبل **1290:** تصنيف خريطة «البورتولانو» العادية في برشلونة.

1292: الراهـب «جـون مونتـي كورفينـو» يسـافر إلـى الهنـد، ويصبـح رئيـس أسـاقفة بيكيـن، بعـد ذلـك.

1325- 1378:«ابـن بطوطـة»، وهـو عربـيّ مـن طنجـة، وبعـد أدائـه الحـج إلـى مكـة المكرّمـة، عبـر شـمال أفريقيـا، يـزور سـوريا وكويلـوا (أفريقيـا) وأورمـوز وروسـيا وبلغاريـا وحيفـا وقندهـار، ويقـدّم نفسـه إلـى بـلاط دلهـي (1334- 1342) حيـث تـمّ إرسـاله إلـى سـفارة فـي الصيـن، وبعـد عودتـه زار تيمبوكتـو.

1316-1330:«أودوريكـو دي بوردينونـي»، وهـو راهـبٌ مينـوري، يسـافر عبـر الهنـد، عـن طريـق بـلاد فـارس وبومبـاي وسـورات، ثـم إلـى مالابـار، وسـاحل كورومانديـل، ومـن هنـاك إلـى الصيـن والتبـت.

1320:«فلافيو جيوجا»، من أمالفي، يخترع صندوق البوصلة والبطاقة.

1312- 1331:«أبو الفدا» يؤلّف جغرافيته.

1327- 1372: السير «جون مانديفيل» يقوم بكتابة أسفاره في الهند.

1328: الراهب «جوردانوس»، من سيڤيراك، أسقف كويلون (ما الذي أنجزه؟).

1328- 1349:«جـون دي ماريغنولـي»، وهــو راهــبٌ فرانيشيسـكاني، يقـوم بمهمّـةٍ إلـى الصيـن، ويـزور كويلـون فـي العـام 1347، كمـا يقـوم بالحـج إلـى ضريـح «القديـس تومـاس» فـي الهنـد، العـام 1349.

1339:«أنجليكو دولسرت»، من مايوركا، يرسم خريطة بورتولانو.

1351: تجميع البورتولانو المترجمة.

1375:«كريسـكيز»، وهـو يهـوديّ مايوركـي، يقـوم بتحسـين بولسـولو دولسـرت (خريطـة كاتالونيـة).

حوالي 1400:«جيهان بيتنكورت» يكتشف جزر الكناري.

1419:«الأمير هنري الملاح» (توفّي 1460)، يؤسس مدرسةً جغرافية في ساجرز.

1419- 1440:«نيكولـو كونتـي»، النبيـل الڤينيسـي، يسـافر فـي جميـع أنحـاء جنـوب الهنـد وعلـى طـول سـاحل بومبـاي.

1420:«زاركو» يكتشف ماديرا.

1432:«غونزالو كابرال» يعيد اكتشاف جزر الأزور.

1442:«نونيو تريستاو» يصل إلى رأس كيب دي فيردي.

1442- 1444:«عبـد الـرزاق» يقـوم بزيـارة كاليكـوت ومانجالـور وفيجاياناغـار، خـلال سـفره إلـى الهنـد.

1457: ظهور خريطة «فرا ماورو».

1462: وصول «بيدرو دي سينترا» إلى سيراليون.

1468- 1474:«أثناسـيوس نيكيتيـن»، وهـو روسـيّ، يسـافر مـن الفولغـا، عبـر آسـيا الوسـطى وبـلاد فـارس، إلـى غوجيـرات وكامبـاي وشـاول، حيـث انتقـل إلـى داخـل بيـدار وجولكونـدا.

1471:«فرناندو بو» يكتشف جزيرته.

1471: «بيدرو دي إسكوبار» يعبر الخط.

1474: خريطة «توسكانيلي» (أساسٌ لـ «بيهام غلوب»، ودليلٌ لـ «كولومبوس»).

1478: إصدار النسخة الثانية المطبوعة من جغرافية «بطليموس»، مع سبعٍ وعشرين خريطة، كأوّل أطلس عملي.

1484:«دييغو كام» يكتشف الكونغو.

1486:«بارثولوميو دياز» يقترب من رأس الرجاء الصالح.

1487:«بيدرو دي كوفيلهام» يقوم بزيارة أورموز، وغوا، ومالابار، ويستقرّ بعد ذلك في الحبشة.

1492:«مارتن بيهام» يصنع عالمه.

1492: السادس من سبتمبر/ أيلول، «كولومبوس» يبدأ رحلته من جزر الكناري.

1492: الثاني عشر من أكتوبر/ تشرين الأوّل، «كولومبوس» يكتشف الأراضي في سان سلفادور (جزيرة واتلينغ).

1493: الثالث من مايو/ أيّار، صدور مرسوم التقسيم بين إسبانيا والبرتغال، عن البابا ألكسندر السادس.

1493: شهر سبتمبر/ أيلول، «كولومبوس» يكتشف جامايكا في رحلته الثانية.

1494- 1499:«هيرونيمو دي سانتو ستيفانو»، وهو جنوي، يزور مالابار وساحل كورومانديل، وسيلان وبيغو.

1497:«فاسكو دا غاما» يقترب من الرأس، ويرى ناتال (يوم عيد الميلاد) وموزمبيق، والأراضي في زنجبار، ويعبر إلى كاليكوت.

1497:«جون كابوت» يعيد استكشاف نيوفاوندلاند.

1498:«كولومبوس»- في رحلته الثالثة- يكتشف ترينيداد وأورينوكو.

1499:«أمريكو فسبوتشي» يكتشف فنزويلا.

1499:«بينسون» يكتشف مصبّ الأمازون، ويقترب من رأس سانت روكي.

1500:«بيدرو كابرال» يكتشف البرازيل، في طريقه إلى كاليكوت.

1500: الخريطة الأولى للعالم الجديد، من «خوان دي لا كوزا».

1500:«كورتيس» ينزل في مصبّ نهر «القديس لورانس»، ويعيد استكشاف إبرادور.

1501:«فسبوتشي» يكتشف السواحل أسفل أمريكا، ويثبت أنّها العالم الجديد.

1501:«تريستان دي أكونها» يكتشف جزيرته.

1501:«خوان دي نوڤا» يكتشف جزيرة أسينسيون.

1502:«بيرموديز» يكتشف جزره.

1502- 1504:«كولومبوس»- في رحلته الرابعة- يستكشف هندوراس.

1503- 1508: سفريات «لودوفيكو دي فارثيما» في الهند.

1505:«ماسكارينهاس» يكتشف جزر بوربون وموريشيوس.

1507:«مارتن فالدسيمولر» يقترح تسمية أمريكا بـ«العالم الجديد»، في كوزموغرافيته.

1509: زيارة «لوبيز دي سكويرا» إلى جزر الملوك.

1512: جزر الملوك، أو جزر التوابل، التي زارها «فرانسيسكو سيراو».

1513: طبعة «ستراسبورغ بطليموس» تحتوي على عشرين خريطةً جديدة من «والدسيمولر»، وتشكيل أوّل أطلس حديث.

1513:«بونس دي ليون» يكتشف فلوريدا.

1513:«فاسكو نونيز دي بالبوا» يعبر برزخ بنما، ويشاهد المحيط الهادئ.

1517:«سيباستيان كابوت» يكتشف خليج هدسون.

1517:«خوان دياز دي سوليس» يكتشف ريو دي لا بلاتا، ويُقتل في جزيرة مارتن غارسيا.

1518:«غريجالفا» يكتشف المكسيك.

1519:«فرناندو كورتيز» يغزو المكسيك.

1519:«فرناندو ماجلان» يبدأ بالدوران حول الكرة الأرضية.

1519:«غوراي» يستكشف الساحل الشمالي لخليج المكسيك.

1520:«شونر» العالم الثاني.

1520:«ماجلان» يرى مونتي فيديو، ويكتشف باتاغونيا وتييرا ديل فويغو، ويتجوّل في المحيط الهادئ.

1520- 1526:«ألفاريز» يستكشف السودان.

1521:«ماجلان» يكتشف جزر لادرونيز (ماريا‌ناس)، ويُقتل في الفيليبين.

1522: «فيكتوريا»، سفينة «ماجلان»، بقيادة «سيباستيان ديل كانو»، تصل إلى إسبانيا، بعدما دارت حول الكرة الأرضية لثلاث سنوات.

1524:«فيرازانو»، وتحت خدمة الملك الفرنسي، يُبحر من كيب فير إلى نيو هامبشاير.

1527:«سافيدرا» يُبحر من الساحل الغربي للمكسيك إلى جزر الملوك.

1529: خطّ ترسيم الحدود بين الإسبان والبرتغاليين، وتثبيتها عند 17° شرق جزر الملوك.

1531:«فرانسيسكو بيزارو» يغزو بلاد البيرو.

1532:«كورتيز» يزور كاليفورنيا.

1534:«جاك كارتييه» يستكشف نورس ونهر سانت لورانس.

1535:«دييغو دي ألماغرو» يغزو تشيلي.

1536:«غونزالو بيزارو» يعبر جبال الأنديز.

1537- 1558:«فرديناند منديز بينتو» يسافر إلى الحبشة والهند وأرخبيل الملايو، والصين، واليابان.

1538:«جيرهارد مركاتور» يبدأ مسيرته في الجغرافيا.

1539:«فرانشيسكو دي أولوا» يستكشف خليج كاليفورنيا.

1541:«أوريانا» يُبحر أسفل الأمازون.

1542:«روي لوبيز دي فيلالوبوس» يكتشف الفيليبين الجديدة، وجزر غاردين، وجزر البيليو، ويأخذ ملكية الفيليبين لإسبانيا.

1542:«كابريلو» يصل إلى كيب ميندوسينو.

1542:«أنطونيو دي موتا»، أوّل من زار اليابان.

1542:«غايتانو» يشاهد جزر ساندويتش.

1543:«أورتيز دي ريتيس» يكتشف غينيا الجديدة.

1544:كوزموغرافيا «سيباستيان».

1549: «باريتو» و«هوميرا» يستكشفان الزامبيزي الأدنى.

1553: السير «هيو ويلوغبي» يحاول المرور شمال شرق الرأس الشمالي، ويشاهد نوفايا زيمليا.

1554:«ريتشارد المستشار»، و«القبطان يلوغبي» يصلان إلى جزر الملائكة، ويسافران برّاً إلى موسكو.

1556- 1572: أطلس «أنطونيو لابيرس» يُنشر في روما.

1558:«أنتوني جينكينسون» يسافر من موسكو إلى بخارى.

1567:«ألفارو ميندانا» يكتشف جزر سليمان.

1572:«خوان فرنانديز» يكتشف جزيرته، وسانت فيليكس، وجزر القديس أمبروسيوس.

1573:«أبراهام أورتيليوس» ينشر أطلسه Teatrum Orbis Terrarum.

1576:«مارتن فروبيشر» يكتشف خليجه.

1577- 1579:«فرانسيس دريك» يدور مبحراً حول العالم، ويستكشف الساحل الغربي لأمريكا الشمالية.

1579:«ييرماك تيموفيف» يستولي على سيبير وعلى الإيرتيش.

1580: الهولنديون يستقرّون في غيانا.

1586: إبحار «جون ديفيس» عبر مضيقه، ووصوله إلى خط العرض 72 ° N.

1590:«باتيل» يزور الكونغو الأدني.

1592: الكرة الأرضية المجسّمة مولينوكس.

1592:«خوان دي فوكا» يتصوّر أنه اكتشف البحر الكبير في شمال غرب أمريكا الشمالية.

1596:«ويليام بارنتز» يكتشف سبيتزبرجين، ويصل إلى خط العرض 80 ° N.

1596:«بايز» يجتاز القرن الأفريقي، ويزور منبع النيل الأزرق.

1598:«مندانة» يكتشف جزر ماركيساس.

1598:«هاكلويت» ينشر ملاحته الرئيسة.

1599: وصول «هوتمان» إلى أشين، في سومطرة.

1603:«ستيفن بينيت» يكتشف جزيرة شيري، 13 ,74ْ شمالاً.

1605:«لويس فيس دي توريس» يكتشف مضيقه.

1606:«كيروس» يكتشف تاهيتي والساحل الشمالي الشرقي لأستراليا.

1608:«شامبلين» يكتشف بحيرة أونتاريو.

1609:«هنري هدسون» يكتشف نهره.

1610:«هدسون» يمرّ عبر مضيقه في خليجه.

1611:«جان ماين» يكتشف جزيرته.

1615:«لومير» يدور حول كيب هورن (هورن)، ويرى بريطانيا الجديدة.

1616:«ديرك هارتوغ» يُبحر غرب ساحل أستراليا، ويصل إلى 27ْ.

1616:«بافن» يكتشف خليجه.

1618:«جورج تومبسون»، تاجرٌ بربري، يُبحر في غامبيا.

1619:«إيديل» و«هتمان» يُبحران غرب ساحل أستراليا، إلى 32-1 / 2°S (أرض إيديل).

1622: السفينة الهولندية تصل إلى ليوين، جنوب غرب أستراليا.

1623:«لوبو» يستكشف الحبشة.

1627:«بيتر نويتس» يكتشف أرخبيله.

1630: خطّ الزوال الأوّل من خطّ الطول، يثبت في فيرو، في جزر الكناري.

1631:«فوكس» يستكشف خليج هدسون.

1638: نشر أطلس «ويليام جانزون بلاو».

1639:«كوبيلوف» يعبر سيبيريا إلى الساحل الشرقي.

1642: اكتشـاف «أبيـل جانسـن تاسـمان» أرض «فـان ديمـن لانـد» (تسـمانيا) و«سـتاتن لانـد» (نيوزيلنـدا).

1642:«واسيلي بوجاركوف» يتتبّع مسار آمور.

1643:«هندريك براور» يحدّد نيوزيلندا.

1643:«تسمان» يكتشف فيجي.

1645:«مايكل ستادوشين» يصل إلى كوليما.

1645: نشر أطلس «نيكولاس سانسون».

1645: بعثة الكبوشيين الإيطالية تستكشف الكونغو الأدنى.

1648: القوزاقي «ديشينف» يُبحر بين آسيا وأمريكا.

1650:«ستادوشين» يصل إلى أنادير، ويلتقي «ديشينف».

1682:«لا سال» ينزل في الميسيسيبي.

1696: الروس يصلون إلى كامتشاتكا.

1699:«دامبير» يكتشف مضيقه.

1700: خرائط «ديليسل».

1701:«سينبوبوف» يصف أرض تشوتكيس.

1718: الخريطة اليسوعية للصين وشرق آسيا، التي نشرها الإمبراطور «كانغ هاي».

1721:«هانز إجيدي» يعيد استيطان غرينلاند.

1731:«هادلي» يخترع آلة السدس.

1731:«كروبيشيف» يُبحر حول كامتسشاتكا.

1731:«بولوتسكي» يسافر حول الزاوية الشمالية الشرقية من سيبيريا.

1735- 1737:«موبرتويس» يقيس جزءاً من خطّ الزوال.

1739- 1744: اللورد «جورج أنسون» يحرّك العالم.

1740:«فارين دي لا فيرانديري» يكتشف جبال روكي.

1741:«بيرينغ» يكتشف مضيقه.

1742: «تشيلوسكين» يكتشف رأسه.

1743- 1744:«لا كوندامين» يستكشف الأمازون.

1745- 1761:«بورغينيون دانفيل» ينتج خرائطه.

1761- 1767: مسوحات «كارستن نيبور» العربية.

1764:«جون بايرون» يدرس جزر فوكلاند.

1765:«هاريسون» يهيّئ الكرونوميتر.

1767: ظهور أوّل تقويمٍ بحري.

1768:«كارتيريت» يكتشف جزيرة بيتكيرن، ويُبحر عبر قناة سانت جورج، بين بريطانيا الجديدة وإيرلندا الجديدة.

1768- 1771: الرحلة الأولى لـ «الكابتن كوك»، وفيها يكتشف نيوزيلندا والساحل الشرقي لأستراليا؛ ويمرّ عبر مضيق توريس.

1769- 1771:«هيرن» يتتبّع نهر كوبيرمين.

1769- 1771:«جيمس بروس» يكتشف مصدر النيل الأزرق في الحبشة.

1770:«لياخوف» يكتشف جزر سيبيريا الجديدة.

1771- 1772:«بالاس» يقوم بمسح غرب وجنوب سيبيريا.

1776- 1779: الرحلة الثالثة لـ «الكابتن كوك»، يمسح خلالها شمال غرب الممرّ؛ ويكتشف أوهيهي (هاواي)، حيث قُتل.

1785- 1788:«لا بيروز» يقوم بمسح الساحل الشمالي الشرقي من آسيا واليابان، ويكتشف ساجالين، ويستكمل تعيين المحيط.

1785- 1794:«بيلينغز» يقود الاستطلاعات لشرق سيبيريا.

1787- 1788:«ليسيبس» يقوم بمسح كامتسشاتكا، ويعبر العالم القديم من الشرق إلى الغرب.

1788: تأسيس الجمعية الأفريقية.

1789- 1793:«ماكنزي» يكتشف نهره، ويكون أوّل من يعبر أمريكا الشمالية.

1792:«فانكوفر» يستكشف جزيرته.

1793:«براون» يصل إلى دارفور، ويذكر وجود النيل الأبيض.

1796:«مونغو بارك» يصل إلى النيجر.

1796:«لاسيردا» يستكشف موزمبيق.

1797:«باس» يكتشف مضيقه.

1799- 1804:«ألكسندر فون همبولدت» يستكشف أمريكا الجنوبية.

1804- 1804: «لويس» و«كلارك» يستكشفان حوض ميسوري.

1800- 1804: فليندرس: أرسى على الساحل الجنوبي لقارة أستراليا.

1805- 1807:«بايك» يستكشف البلاد بين مصادر الميسيسيبي والنهر الأحمر.

1810- 1829:«مالت بران» تنشر له جيوغرافيك ونيفرزيل.

1814:«إيفانز» يكتشف نهرَيْ لاشلان وماكواري.

1816:«الكابتن سميث» يكتشف جنوب جزر شتلاند.

1817- 1820:«سبيكس» و«مارتيوس» يستكشفان البرازيل.

1817: الطبعة الأولى من أطلس «ستايلر».

1817- 1822: كابتن الملك يرسم خطّ الساحل الأسترالي.

1819- 1822:«فرانكلين» و«باك» و«ريتشاردسون» يحاولون المرور نحو الشمال الغربي، عن طريق البرّ.

1819:«باري» يكتشف مضيق لانكستر، ويصل إلى 114° غرباً.

1820- 1823:«ورانجيل» يكتشف أرضه.

1821:«بيلينوسن» يكتشف جزيرة بيتر ومعظم الأراضي الجنوبية، ثمّ تلك المعروفة.

1822:«دينهام» و«كلابيرتون» يكتشفان بحيرة تشاد، ويزوران سوكوتو.

1822- 1823:«سكوريسبي» يستكشف ساحل شرق جرينلاند.

1823:«ويديل» يصل إلى 74,15 ° س.

1826: اغتيال «الرائد لينغ» في تيمبوكتو.

1827:«باري» يصل إلى 82,45ْ شمالاً.

1827:«رينيه كايلي» يزور تيمبوكتو.

1828- 1831:«الكابتن ستيرت» يتتّبع نهرَيْ دارلينج وموراي.

1829- 1833:«روس» يحاول المرور شمال غرب، ويكتشف بوثيا فيليكس.

1830: تأسيس الجمعية الجغرافية الملكية التي اتحدت في العام التالي مع الجمعية الأفريقية.

1831- 1835:«شكومبرجك» يستكشف غايانا.

1831:«الكابتن بيسكو» يكتشف أرض إندربي.

1833:«باك» يكتشف نهر السمك العظيم.

1835- 1849:«جونغهن» يستكشف جاوا.

1837:«تاسمان سيمبسون» يُبحر على طول الساحل شمال أمريكا، حوالي 1277 ميلاً.

1838- 1840:«وود» يستكشف مصادر نهر أوكسوس.

1838- 1840:«دومونت دي أورفيلي» يكتشف أرض «لوي- فيليب لاند»، و«أديلي لاند».

1839:«باليني» يكتشف جزيرته.

1839:«كونت سترزليكي» يكتشف أرض جيبس.

1840:«الكابتن ستيرت» يسافر وسط أستراليا.

1840- 1842:«جيمس روس» يصل إلى 78,10ْ، ويكتشف ڤيكتوريا لاند، والبركانَيْن إريبوس وتيرورس.

1841: عبور إير جنوب غرب أستراليا.

1842- 1862: صدور منشورات «آدم فرانسوا جومارد» الجغرافية.

1843- 1847:«كونت كاستلناو» يتتّبع مصدر نهر باراغواي.

1844:«ليتشاردت» يستكشف جنوب أستراليا.

1845:«هوك» يستكشف التبت.

1845: «ميتلونجن بيترمان» تُنشر للمرة الأولى.

1845- 1847: رحلة «فرانكلين» الأخيرة.

1846: الطبعة الأولى من الأطلس التاريخي.

1847:«جون راي» يربط خليج هدسون بالساحل الشرقي في بوثيا.

1848:«ليتشاردت» يحاول اجتياز أستراليا، ويختفي.

1849- 1856:«ليفينغستون» يتتبّع الزامبيزي، ويعبر جنوب أفريقيا.

1850- 1854:«مكلور» ينجح في الممرّات الشمالية الغربية.

1850- 1855:«بارث» يستكشف السودان.

1853:«الدكتور كين» يستكشف مضيق سميث.

1854:«جون راي» يستمع إلى أخبار بعثة «فرانكلين» من الإسكيمو.

1854- 1865:«فيدهيرب» يستكشف سينيغامبيا.

1856- 1875:«الإخوة سكلاجنتويت» يعبرون جبال الهيمالايا والتبت وكوين لون.

1856- 1859:«دو تشايلو» يسافر في وسط أفريقيا.

1857- 1859:«مكلينتوك» يكتشف بقايا رحلة «فرانكلين»، ويستكشف أرض الملك ويليام.

1858:«برتون» و«سبيك» يكتشفان بحيرة تنجانيقا، و«سبيك» يرى بحيرة فيكتوريا نيانزا.

1858- 1864:«ليفينغستون» يتتبّع بحيرة نياسا.

1859:«فاليخانوفت» يصل إلى كاشغار.

1860:«بورك» يسافر من فيكتوريا إلى كاربنتاريا.

1860:«غرانت» و«سبيك» العائدان من بحيرة فيكتوريا نيانزا، يلتقيان «بيكر» خارج النيل.

1861- 1862:«جون مكدوال ستيوارت» يعبر أستراليا، من الجنوب إلى الشمال.

1863:«بالغراف» يستكشف وسط وشرق شبه الجزيرة العربية.

1864:«بيكر» يكتشف بحيرة ألبرت نيانزا.

1868:«نوردنسكيولد» يصل إلى أعلى نقطةٍ له في غرينلاند، 81,42°.

1868- 1871:«ناي إلياس» يجتاز منتصف الصين.

1868- 1874:«جون فورست» يخترق أستراليا من غربها إلى وسطها.

1869- 1871:«شفاينفورث» يستكشف جنوب السودان.

1869- 1874:«ناختيغال» يستكشف شرق تشاد.

1870:«فيدشينكو» يكتشف ترانسالاي، شمال بامير.

1870:«دوغلاس فورسيث» يصل إلى يركند.

1871- 1888: الاستكشافات الأربعة لغرب الصين، من قبل «بريفالسكي».

1872- 1873:«باير» و«ويبرشت» يكتشفان أرض «فرانز جوزيف».

1872- 1876:«هـ. تشالنجر» يفحص قاع المحيط.

1872- 1876:«إرنست جايلز» يعبر شمال غرب أستراليا.

1873:«العقيد واربورتون» يعبر أستراليا، من الشرق إلى الغرب.

1873:«ليفينغستون» يكتشف بحيرة مويرو.

1874- 1874:«ليوت كاميرون» يعبر أفريقيا الإستوائية.

1875- 1894:«إليزيه ريكلوس» تُنشر له الجغرافيا العالمية.

1876:«ألبرت مركام» يصل إلى النقطة 83,20° شمالاً، في حملة «ناريس».

1876- 1877:«ستانلي» يتتبّع مسار الكونغو.

1878- 1882:«كريشنا» يتتبّع مسار اليانغتسى، وبيكونغ، وبراهمابوترا.

1878- 1879:«نوردينسكيولد» يحلّ مشكلة ممرّ الشمال الشرقي على طول الساحل الشمالي من سيبيريا.

1878- 1884:«جوزيف طومسون» يستكشف الشرق ووسط أفريقيا.

1878- 1885:«سيربا بينتو» يعبر أفريقيا مرّتين.

1879- 1882: «جانيت» يمرّ عبر مضيق بيرنغ إلى مصب نهر لينا.

1880:«لي سميث» يستعرض الساحل الجنوبي لأرض فرانز جوزيف.

1880- 1882:«بونڤالوت» يخترق البامير.

1881- 1887: «فيسمان» يعبر أفريقيا مرّتين، ويكتشف الروافد اليسرى للكونغو.

1883:«وكوود»، من بعثة «غريلي»، يصل إلى 83,23 ° N، الرأس الشمالي لغرينلاند.

1886:«فرانسيس غارنييه» يستكشف مجرى نهر ميكونغ.

1887:«يانغ هوسباند» يسافر من بيكين إلى كشمير.

1887- 1889:«ستانلي» يقوم ببعثة إغاثة «أمين باشا» في أفريقيا، ويكتشف قبيلة الأقزام، وجبال القمر.

1888:«نانسن» يعبر غرينلاند من الشرق إلى الغرب.

1888- 1889:«الكابتن بينغر» يتتبّع منحنى النيجر.

1889:«الإخوة غريميللو» يستكشفون تركستان الصينية.

1889-1890:«بونڤالوت» و«الأمير هنري أورليان» يجتازان التبت.

1890:«سيلوس» و«جيمسون» يستكشفان ماشونالاند.

1890:«السير جورج ماكجريجور» يعبر غينيا الجديدة.

1891- 1892:«مونتيل» يعبر من السنغال إلى طرابلس.

1892:«بيري» يثبت جزيرة غرينلاند.

1893:«السيد والسيدة ليتل دالي» يسافران عبر آسيا الوسطى.

1893- 1897:«الدكتور سفين هيدين» يستكشف تركستان الصينية والتبت، ومنغوليا.

1893- 1897:«الدكتور نانسن» يعبر المحيط المتجمّد الشمالي في فرام، ويصل لأقصى الشمال (86,14 ° N).

1894- 1895:«بورشغريفينك» يزور القارّة القطبية الجنوبية.

1894- 1896:«جاكسون هارمزورث» يقود حملةً في أراضي المنطقة القطبية الشمالية.

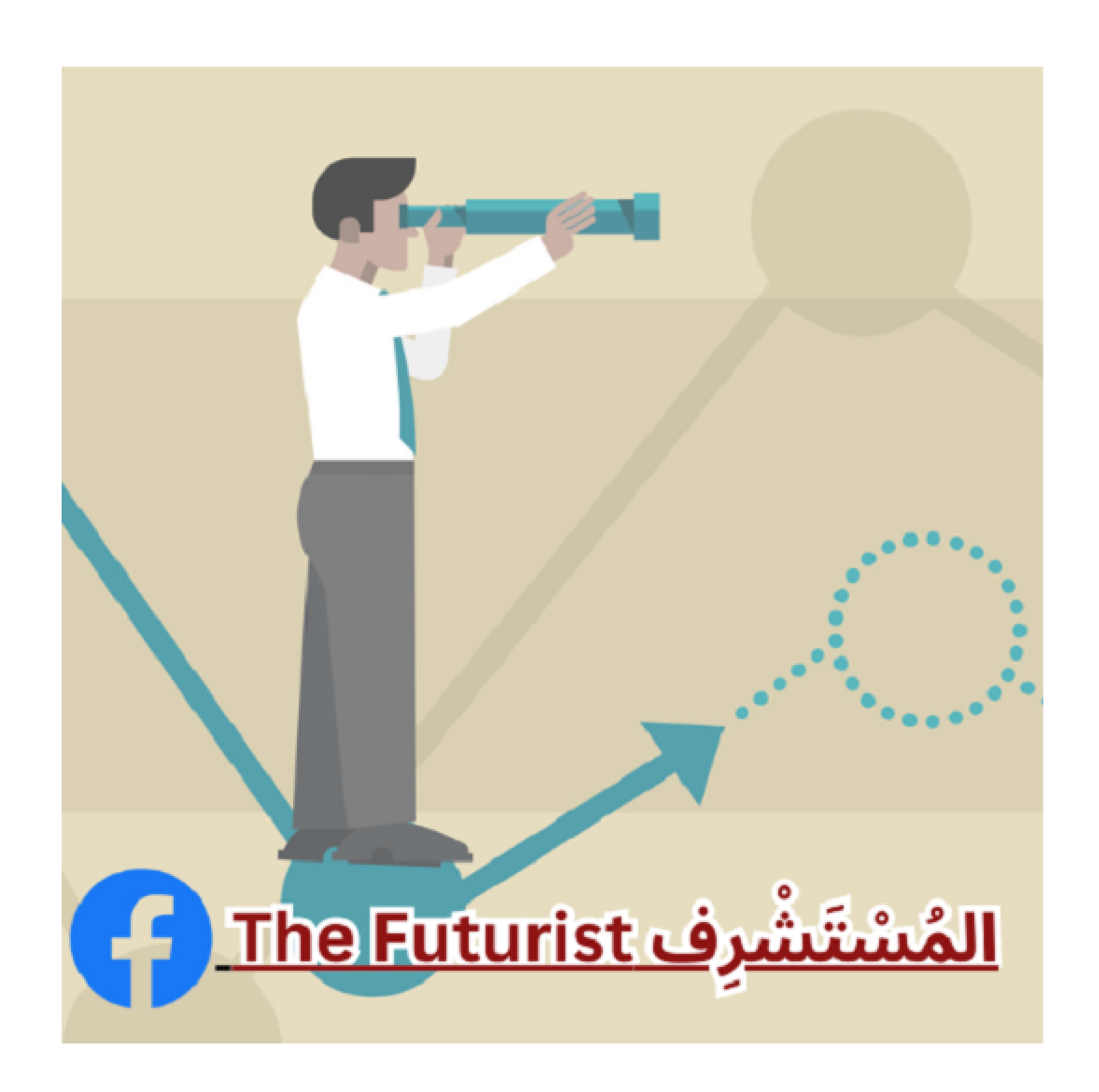
1896:«الكابتن بوتيغو» يستكشف أرض الصومال.

1896:«دونالدسون سميث» يتتبّع بحيرة رودولف.

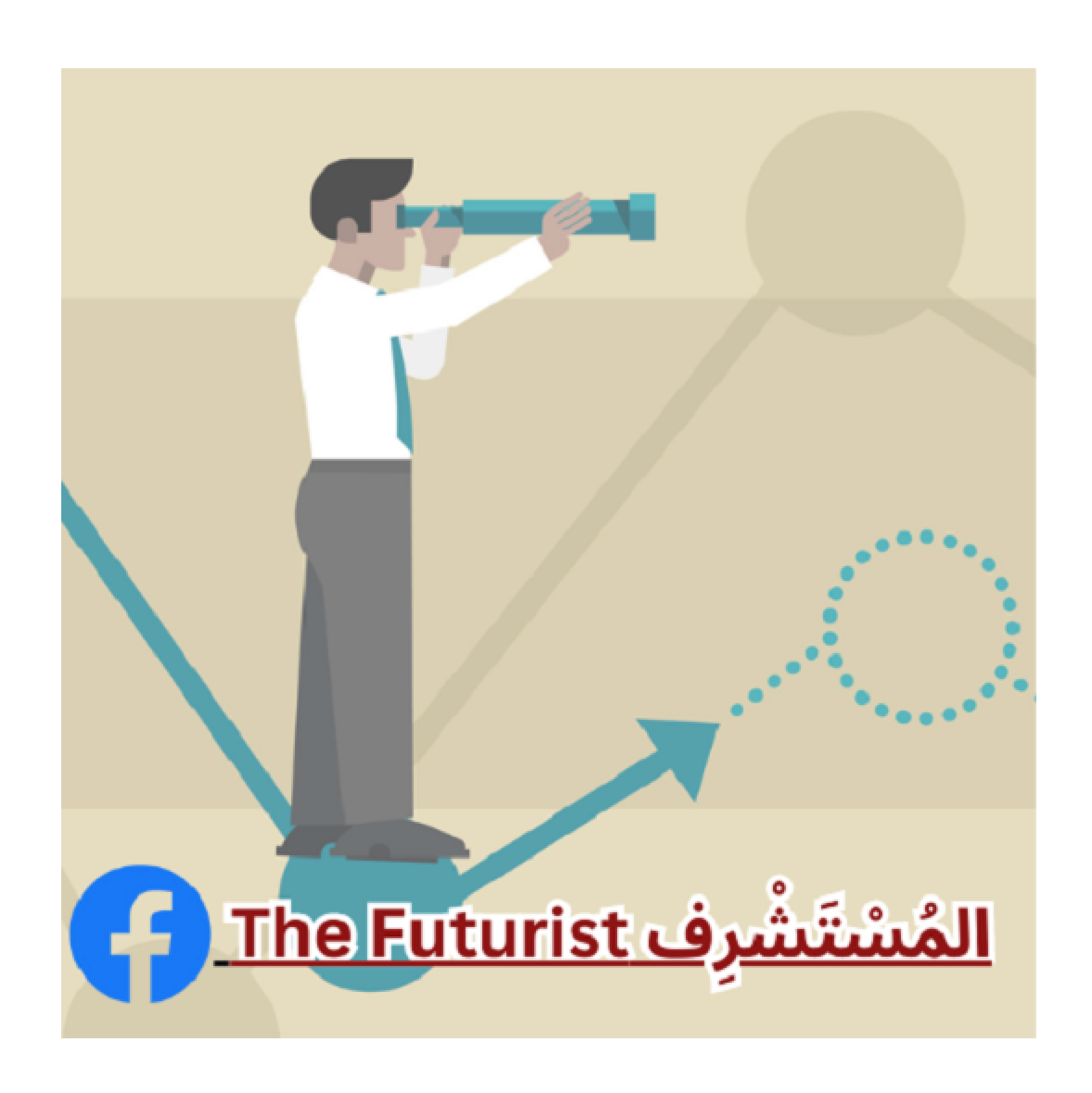
1896:«الأمير هنري دي أورليانز» يسافر من تونكين إلى مورو.

1897:«الكابتن فوا» يخترق جنوب أفريقيا، من الجنوب إلى الشمال.

1897:«كارنيجي» يعبر غرب أستراليا، من الجنوب إلى الشمال.


The Futurist المُسْتَشْرِف

المصادر والمراجع


The Futurist المُسْتَشْرِف

أولاً: المراجع الأجنبية التي اعتمد عليها المؤلف

- A. F. Calvert, Discovery of Australia, 1893. Exploration of Australia, 1895. Early Voyages to Australia, Hakluyt Society.
- Beazeley, Prince Henry the Navigator, 1895.
- Brown, The Story of Africa, 4 vols., 1894.
- Bunbury, History of Ancient Geography, 2 vols., 1879.
- C R. Beazley, Dawn of Geography, 1897, and Introduction to Prince Henry the Navigator, 1895. Nordenskiold,Feriplus, 1897.
- Cooley and Beazeley, John and Sebastian Cabot, 1898.
- F. Hummerich, Vasco da Gama, 1896.
- Greely, Handbook of Arctic Discoveries, 1896.
- Heyd, Commerce du Levant, 2 vols. 1878.
- Justin Winsor, Christopher Columbus, 1894; Guillemard, Ferdinand Magellan, 1894.
- Kiepert, Beiträgge zur Entdeckungsgeschichte Afrikas, 1873.
- Lelewel, Gdographie du Moyen Age, 4 vols, and atlas, 1852.
- Major, Prince Henry the Navigator, 1869.
- Rev. G. Grimm, Discovsry and Exploration of Australia (Melbourne, 1888.
- Scott Keltie, The Partition of Africa, 1896.

- Sir Henry Yule, Cathay and the Way Thither, 1865. The Book of Ser Marco Polo, 1875.
- Tozer, History of Ancient Geography, 1897.
- Winsor, From Cartier to Frontenac; Gelcich, in Mittheilungen of Geographical Society of Vienna, 1892.

ثانياً: المراجع العربية والأجنبية التي اعتمد علهيا المحقق

1 - المصادر والمراجع العربية

- إدوارد ريتشارد شو، المكتشفون والمستكشفون، ترجمة: حسين حمد حسين الفقيه (قنديل للنشر، دبي، ٢٠١٧م).
- أطلس العالم الكبير (مكتبة الصغار، بيروت، ١٩٩٩م).
- ج.ج. ساكسون، موسوعة مشاهير العالم، ترجمة: فريد حمدان (دار الصداقة العربية، بيروت، ٢٠٠٢م).
- خير الدين الزركلي، معجم الأعلام (دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م).
- رينيه كلوزييه، تطور الفكر الجغرافي، ترجمة: عبد الرحمن احميدة (دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م).
- عمر عبد العزيز عمر، دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢م).
- محمد أحمد عقلة المومني، عبد علي الخفاف، جغرافية القارات (دار الكندي، إربد، ١٩٩٨م).
- محمد عتريس، معجم بلدان العالم (الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٢م).
- محمد محمود محمدين، الجغرافية والجغرافيون (دار الخريجي، الرياض، ١٤١٧هـ).
- مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية (دار رواد النهضة، بيروت، ١٩٩٤م).
- منير البعلبكي، معجم أعلام المورد (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢م).

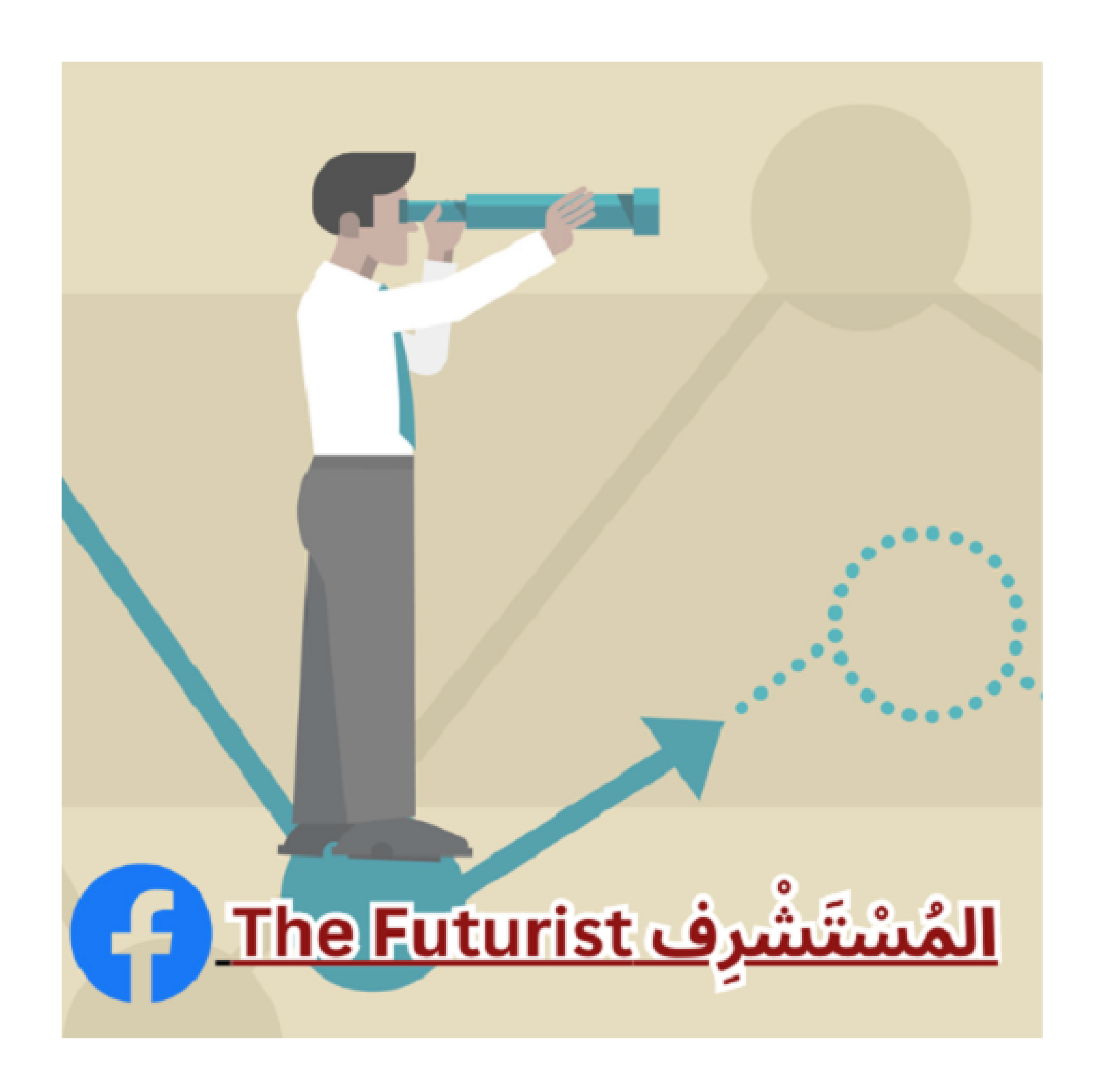
- نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب (الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٨٧م).
- هنري بيرين، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة وتحقيق: عطية القوصي (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م).
- ياتسيك ماخوفتسي، تاريخ القرصنة في العالم، ترجمة: أنور محمد إبراهيم (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م).

2 - المراجع الأجنبية

- Mark Nuttall. Encyclopedia of the Arctic. Roultedge.New York. 2005.
- Albert Van Helden. History of Western Art and Civilization. Connexions. Texas. 2011.
- Thomas Boteler. Narrative of a voyage of discovery to Africa and Arabia. Richard Bentley. London. 1835.

3 - الإنترنت والمواقع

- https://www.ancient.eu.
- https://www.marefa.org.
- https://www.britannica.com.
- http://www.alencyclopedia.net.
- https://www.en.wikipedia.org.
- http://www.ar.hades-presse.com.


The Futurist المُسْتَشْرِف

المؤلف

جوزيف جاكوبز Joseph Jacobs (**1854- 1916** م): مؤرخٌ، وكاتبٌ أسترالي، من أصل إنجليزي. ولد في 29 أغسطس/ آب العام 1854م. في مدينة سيدني، وهو الابن السادس للسيد «جون جاكوبز» الذي هاجر من لندن، حوالي العام 1837م، وزوجته هي السيدة «سارة مايرز». التحق «جوزيف» بمدرسة «سيدني غرمار» في العام 1867م، وحصل على جائزة (إدوارد) «نوكس» مرتين، وكان كابتن مدرسته في العام 1871م. في السنة التالية، حصل على منحةٍ دراسية، ودَرَسَ الفنون في «جامعة سيدني»، كما نال العديد من الجوائز. كان طالباً موهوباً بشكلٍ استثنائيّ، فحصل على شهادة البكالوريوس في العام 1876م، وسافر في العام التالي إلى ألمانيا، حيث درس في «جامعة برلين». ومن هذه النقطة فصاعداً، كان «جوزيف جاكوبز» منشغلاً وناشطاً في الأدب والفولكلور، فضلاً عن حملاته ضد المظالم الاجتماعية والتاريخية.

قام بتحرير مجموعة كتب عن الخرافات، وأصبح أحد كُتّاب جيله الأكثر شعبيةً لحكايات الأطفال الناطقة باللغة الإنجليزية. كما تولّى تحرير مجلة فولك- لوري وأوراق ومعاملات المؤتمر الدولي للعام 1891م الشعبية في لندن، حتى إنه وضع روايةً عن حياة السيد المسيح.

قام السيد «جاكوبز»، وهو متقن للكثير من اللغات، بترجمة أعمالٍ عن اللغات العبرية والإيطالية والإسبانية، وأخرج طبعاتٍ جديدة من كلاسيكيات اللغة الإنجليزية، وقام بتحرير طبعات «ألف ليلة وليلة» أو «الليالي العربية»، وهي مجموعةٌ من القصص الغربية والجنوبية في آسيا،

وكذلـك الحكايـات الشـعبية التـي جُمعـت باللغـة العربيـة خـلال العصـر الإسـلامي الذهبـي.

فـي العـام 1896 زار «جاكوبـز» الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، لإلقـاء محاضــرةٍ عــن الفلسـفة، وأصبـح مسـجّلاً وأسـتاذ اللغـة الإنجليزيـة فـي «نيويـورك»، قبـل أن يتقاعـد فـي العـام 1913م.

وفاته:

مـات «جاكوبـز» إثـر أزمـةٍ قلبيـة بمنزلـه فـي «يونكـرز- نيويـورك»، فـي 30 ينايـر/ كانـون الثانـي 1916م، ودُفِـنَ فـي «مقبـرة معبـد إيمانويـل- جبـل الأمـل»، ولقـد تميّـز هـذا العالِـم بتنـوّع معرفتـه وقدراتـه الثقافيـة.

إنتاجاته:

تناولـت إنتاجاتـه العلميـة الكثيـرة مجـالاتٍ عديـدة، وخصوصـاً فـي التاريـخ والأدب والروايـات، ولا يتسـع المقـام لحصرهـا هنـا، لـذا نكتفـي بعـرض بعضها:

- Earliest English Version of the Fables of Bidpai (1888)
- Fables of Aesop (1889)
- English Fairy Tales (1890)
- Celtic Fairy Tales (1891)[a]
- Indian Fairy Tales (1892)
- More English Fairy Tales (1893)[a]
- Studies in Biblical Archaeology (1894)
- More Celtic Fairy Tales (1894)[a]
- Europa›s Fairy Book (1916) – also known as European Folk and Fairy Tales

المترجم

- **حسين حمد حسين الفقيه؛ باحث ومترجم ليبيّ**.
- عضو هيئة التدريس في جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية، كلّية التاريخ والآثار- قسم الحضارة.
- ولد في مدينة «قصر ليبيا»، بتاريخ 5 أكتوبر/ تشرين الأول 1969م.
- حاصل على البكالوريوس في التاريخ، والماجستير في التاريخ الإسلامي، من جامعة قاريونس.
- يعمل في التدريس منذ العام 2012م.

إنتاجاته:

- «المكتشفون والمستكشفون»، كتاب مترجم، من تأليف «إدوارد ريتشارد شو»، نشرته قنديل للنشر، الإمارات العربية المتحدة؛ دبي- 2017م.
- بحث تاريخي بعنوان «الشُطَّار والعَيَّارين في الدولة العباسية»، 2013 م.
- بحث تاريخي بعنوان «انتقال إقليم قورينائية من السيطرة البيزنطية إلى الحكم الإسلامي»، 2013 م.
- بحث تاريخيّ بعنوان «إسهامات الجرّاحين المسلمين في علم الجراحة الحربية»، 2016 م.
- تاريخ العلوم التطبيقية في الحضارة الإسلامية، قنديل للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، دبي- 2018.
- حاصل على وسام «باحث مبادر»، من منصة (أريد) العلمية، عن مجموعة البحوث والمشاركات المقدمة.